تاريخ

سلسلة تاريخ الحضارات
History of Civilizations

الحضارة اليمنيّة

الجزء الأول

الدكتور خزعل الماجدي



منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING | تساؤلات

الحضارة اليمنية

الجزء الأول

الدكتور خزعل الماجدي



الحضارة اليمنية

الجزء الأول

الدكتور خزعل الماجدي

Yemen Civilizationl

by Khazal Al-Majidi

الطبعة الأولى، سبتمبر ـ أيلول، 2022 (1000نسخة)

بغداد ــ العراق

شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: +9647714440520

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar Al.Rafidain دار الرافدين
daralrafidain
daralrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 40 04 81 88 965 +

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 60 58 00 11 78 964 +

takweenkw
takween.publishing@gmail.com
TakweenPH
takween_publishing
www.takweenkw.com

ISBN: 978 - 9922 - 671 - 70 - 3

أيقونة سلسلة تأريخ الحضارات



رمز الحضارة



رمز الإله القومي لليمن القديم (عثتر) عثر عليه منحوتاً على شاهدة كتب عليها نقش مخصص لإلهة الشمس يعود لحوالي القرن الميلادي الأول جنوب صنعاء، موجود في المتحف الوطني في صنعاء..أعادت رسمه عن الأصل لينا الناصري.

لوحة الغلاف مصممة من جمع لوحة نحاسية مع تمثال مرمري:



_https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1862 4_1028

1.لوحة من سبائك النحاس عليها نقش إهداء للإله إلمقه. في سبأ، وقد صب بأحرف غائرة النحت؛ في الجزء العلوي تخطيط تمثالين لكائني الفينيق المتعاكسين بينهما شجرة الحياة، مؤطرة بزوج من نخيل التمر؛ أطراف اللوحة الأربعة مزخرفة بنقوش؛ وهناك ثقب دائري في كل زاوية. الأبعاد: السماكة: 0.40 ـ 0.50 سم، العرض: 27.50 ـ 28.50 سنتمتراً، القطر: 0.50 سم، الارتفاع: 2.50 سم، الارتفاع: 45 سم.

نوع النقش: نقش لغة الكتابة سبئي من اليمن يتضمن إهداء للإله إلمقه، مهدي من قبل ريبابام وإخوته وأحفاد مرثاد وقبيلة ذي عمران. وهو تكريس ثمان قمحات من الذهب، يعود تاريخ اللوحة إلى مسؤول من سبأ من سلالة هزفارام (أمكريب، بن سامنكريب، بن حزفار من تثواس). تم تثبيت مثل هذه النقوش، في الأصل، على جدران المعبد كتذكير دائم بفعل التفاني. وصف مكتوب بخط اليد على بطاقة التسجيل على النحو التالي:صفيحة من البرونز مصبوب عليها زخرفة ونقوش بأحرف بارزة. أعلاه: تمثالان لكائني الفينيق بأسلوب منمق...رقمها المتحفي في المتحف البريطاني E48456.



رأس من المرمر والجص والقار، اليمن (وادي بيحان)

2. رأس امرأة من المرمر والجص والقار، اليمن (وادي بيحان)، القرن الأول قبل الميلاد قبل الميلاد ـ منتصف القرن الأول الميلادي، 30.2 × 18.2 × 17.3 سم. فرير وساكلر، مؤسسة سميثسونيان

Freer and Sackler, The Smithsonian Institution(Daum , et al 2000)



3. الغلاف الخلفي: اليد اليمنى منقوشة مكرسة للإله تألب ريام في القرن الثاني والثالث الميلادي، منطقة صنعاء، تعتبر اليد اليمنى علامة قوية على حسن الحظ في اليمن، وكانت تستخدم على نطاق واسع كعنصر في النقوش والتماثيل والمسلات. لم يكسر هذا التمثال من تمثال أكبر، بل تم تصويره على أنه مجرد يد. تمت إضافة النقوش بعد الصب. وهي مصنوعة من البرونز المحتوي على الرصاص مع آثار من الفضة والنيكل. كانت هذه اليد مخصصة للإله (تألب ريام) في مكان يسمى ظفار، على الرغم من أن هذا يبدو مكاناً مختلفاً عن العاصمة الحميرية التي تحمل الاسم نفسه في مرتفعات اليمن. يقرأ النقش: وهب تألب Wahabta'lab بن حسم، الموضوعة من بني صخيم Banu Sukhaym، كرست لراعيهم تألب ريام هذه اليد اليمنى في تذكاره ذو كبرات dhu - Qabrat في مدينة ظفر لرفاهيته (روبن 1985). المتحف البريطاني، لندن

روبان، كريستيان جوليان: اليمن في بلاد ملكة سبأ 1999 ص 62.

دعاء منقوش على يد من البرونز، تعود للفترة ما بين (القرنين الثاني الميلادي ـ القرن الثالث الميلادي) موجه لإله قبيلة همدان تألب ريام. الدعاء موجه من شخص يدعى «وهب تألب بن حصمان اليرسمي، مولى بني سخيم أهدى إلى إلهه (تألب ريام) هذه اليد اليمنى في مبناه التذكاري (ذي قبرة) في مدينة ظفار من أجل سلامتهم «شاكراً إلهه على نجاته في معركة ضد الحميريين أو كذلك استنبط علماء الآثار بسبب ذكر ظفار يريم وهي عاصمة مملكة حمير.(ارتفاع 19 سم، عرض 12 سم) (لندن، المتحف البريطاني).

https://i.pinimg.com/originals/12/00/43/120043999b023358543b13a7eeaee2f6.jpg

المقدمة

مضت سنوات طويلة وأنا أعيش في اليمن القديم، قراءة وتقصياً عن أدق التفاصيل، فقد أعددت خارطة مفصّلة لكل مفردات تاريخها وتراثها وحضارتها، أقلب آثارها وأرحل في مدنها وقراها، في مرتفعاتها وسهولها وسواحلها، أقرأ نقوشها ويصادفني ملوكها وأمراؤها وأقيالها وأذواؤها وأهلها البسطاء وهم يصنعون الحياة بطاقتهم الخاصة وبتعاملهم العبقري مع تضاريسها ومناخها، وكم حزنت لحروب ممالكها التي كانت تجرح جسد اليمن والتي وجدتها سبباً في ضعفه وأذاه.

رأيت الفلاحين وهم يزرعون منحدرات الجبال ويروضون سيول الأمطار ويصنعون مدرجات يانعة بالخضرة. ورأيت قوافل تجارة البخور واللبان والمر بقوافلها التي قد تصل إلى عشرين كيلومتراً، وبمسراها الذي يتواصل بين رؤوس وذيول الجمال وهي تحدي وتسير في طريق الرزق والتجارة إلى العراق والشام والمتوسط، لتعود ببضائع من نوع آخر.

كل هذا خبرته واطلعت على نقوش المسند والزبور التي ملأت البلاد.. تذوقت فنونها وجمال عمرانها ومنحوتاتها، وسحرها الشرقي الأصيل.

كم تهيبت أمام فكرة كتاب شامل عن الحضارة اليمنية. لكن الحماس بدأ يتصاعد حين توغلت في كنوزها وتاريخها الفريد.. وحين اطلعت على الجهود الأكاديمية العظيمة التي كتبها علماء الآثار والتاريخ الأجانب والعرب واليمنيون، بعد جهود مضنية دامت أكثر من قرن ونصف.

هالني ما اطلعتُ عليه وأدركتُ أن ثقافتنا الحضارية ستبقى ناقصة دون معرفة تفاصيل حضارة اليمن. وكانت السنوات تمضي وأنا أبوّبُ ما أكتبه عن حضارة اليمن في سبعة عشر صندوقاً من الأوراق والاقتباسات والملاحظات والتعليقات، أصبح كلٌّ منها فصلاً، فيما بعد،

في كتابي هذا، وكان الأمر دقيقاً ودؤوباً فيه من الهيبة الكثير كما فيه من الجمال والترقب وإرواء الظمأ المعرفيّ.

مضيت أحرث الطرق لفهم جوهر وتفاصيل حضارة اليمن القديم وعرفت الكثير من أسرارها وكنوزها، فهي حضارة عجيبة دخلت تاريخ الحضارات كفسيفساءٍ متنوعة الألوان والنكهات، ولم تدخله ككتلة واحدة صلدة، وكان ذلك بسبب عدم ذوبان ممالكها الكبيرة والصغيرة بشكل نهائي في لوحتها الواحدة، وأسرتني منجزاتها، وتأكد لي أننا غفلنا طويلاً عن هذه الحضارة العظيمة، بل وصرت على يقين أن هذه الأرض أنجبت ما لا يصدقه العقل من حياة ضاجة بالتفاصيل والمنجزات الكبرى التي لم تعرفها حضارات أخرى بهذه الطريقة في كلّ بقاع الأرض.

كان لا بد من التوقف عند كلّ تفصيلة صغيرة ورفعها من التراب إلى الورقة، وكان لا بد من مقارنتها بما تحقق قبلها وبعدها في مضمارها، وهكذا ظهرت لي، شيئاً فشيئاً، ملامح هذه الحضارة اليمنية العظيمة. فكانت أشبه بمعجزة تخرجُ من البحر ومن الصحراء معاً مكلّلة بكل هذا الألق والبخور الذي أحاطها وتداخل فيها ليمنحها غموضاً وجاذبية من نوعٍ خاص.

اكتنزت عناصر الحضارة اليمنية في فصولها السبعة عشر. ورأيت طيفها الذي كانت تلتمع فيه الألوان، وكنتُ ألمح ضعف بعض درجات الطيف، هنا وهناك، وكان لا بد أن أتوقف عند أسباب هذا الضعف.

يصعب فهم حضارة اليمن إذا لم يُنظر لها في البيئة الحضارية التي تجاورها وتتزامن معها. فهي ابنة العصر الحديدي وما بعده، رغم جذورها البرونزية والنحاسية والحجرية، لكن بدايتها المتواترة ظهرت بعد 1200 ق.م واستمرت صيرورتها حتى رسم السبئيون لها شكلاً فيه قدر كبير من الملامح الخاصة، مع الممالك الكبيرة والصغيرة التي اشتغلت معهم في تكوينها، حين كان الطريق البري للتجارة منتعشاً قبل القرون الميلادية بشكلٍ خاص.

ربما أثّر هذا الاهتمام بالتجارة على نشاطها الزراعي، بسبب ثراء المردود التجاري لصادراتها النادرة، وجاء نشاط التجارة البحرية، التي قادتها روما وبيزنطة في البحرين الأحمر والعربي، ليُضعف تجارتها البرية. وهنا ظهر الثقب الأسود الذي سيبتلع هذه الحضارة.

الحميريون حاولوا الاستمرار بها بعد السبئيين، لكن الأمر كان ذاهباً إلى الهبوط ولم تنفع معه طبابات الأديان الوافدة (اليهودية والمسيحية) بل ساهمت هذه في علل وشيخوخة هذه الحضارة وجرفتها بعيداً عن ذاتها، وتهشمت صورتها بالغزوين الحبشي المناصر للمسيحية والساساني المناصر لليهودية، ونتج عنهما نفوذ واسع للحبشة وفارس نخر جسدها، وهكذا ترنحت هذه الحضارة، وجاء الإسلام فجمع أشلاءها وضمها إلى جسده.

يتكون كتابنا هذا من 17 فصلاً، أولها فصل تمهيدي وآخرها فصلٌ ختامي، وما بينهما 15 فصلاً تناولت عناصر ومظاهر الحضارة اليمنية التي هي ثوابت أية حضارة في التاريخ، كما نراها في منهجنا البحثيّ، عند تناول الحضارات. وقد وضعناها متناظرة بين مظهر مادي وثقافي تراتبياً.

الفصل التمهيدي: جاء كمدخل عن اليمن والتعريف بها وبأسماء اليمن ومعانيها وممالكها، وتطرق إلى التعريف بمصادر ومراجع دراسة الحضارة اليمنية وتأريخها وأصل اليمنيين وتكوينهم، والدراسات اليمنية وتاريخ البعثات الآثارية في اليمن وعلماء الدراسات اليمنية من الأجانب والعرب واليمنيين.

الفصل الأول: قدّم موجزاً عن جيولوجيا وجغرافيا اليمن القديم، وتناول بالشرح عن محافظات اليمن الحالية وآثار كلّ منها، القديمة بشكل خاص، ثم تناول الفصل مدن وأقاليم وجزر اليمن مؤكداً على عواصم ممالك اليمن القديمة. وانصرف بقية الفصل لمعالجة مناخ اليمن القديم والسكان وإثنياتهم الديموغرافية.

الفصل الثاني: كان موجزاً عن تاريخ اليمن القديم، من خلال علم الآثار، راصداً عصور ما قبل التاريخ بمراحلها، ثم العصر البرونزي بمراحله، ثم تاريخ الممالك اليمنية منذ بداية

العصر الحديدي، والذي يقسمها إلى مرحلتين الأولى مرحلة سبأ وما دار حولها من ممالك، والثانية مرحلة حمير وما دار حولها. لكنه يتفصّل في ذكر جميع الممالك وآثارها وملوكها حتى يصل إلى العتبات الأخيرة لنهاية التاريخ القديم لليمن قبل ظهور الإسلام.

الفصل الثالث: يناقش بالتفصيل الهرم السياسي والإداري في اليمن القديم، وأنظمة الحكم اليمنية من الحاكم الكاهن إلى المكرّب إلى الملك، حيث ظهرت الممالك اليمنية كدويلات مدن تكبر وتصغر بما حولها حسب الظروف السياسية والتاريخية، ثم العلاقات الداخلية في الحكم والخارجية السياسية والدبلوماسية والمعاهدات والأحلاف، وما تخللها من قوى الشد والجذب، والزواج السياسي، وأنظمة المعلومات والاتصالات.

الفصل الرابع: ناقش المظهر القانوني ومصادر التشريع والقوانين في اليمن القديم وأنواع وأشكال القانون في اليمن القديم من قانون عام إلى قانون خاص، والسلطات التشريعية في البلاد، ومظاهر الحياة القانونية التي تضمنت قوانين (الحريات الأساسية، الإدارية، المالية، الدولية، العقوبات) وقوانين الممالك اليمنية بشكل موجز.

الفصل الخامس: كان مخصصاً للمظهر العسكري حيث شرح الهرم العسكري ومراتبه وأنواع الأسلحة، ثم نظام الحروب بكل أنواعها. وتوقف عند الحروب الداخلية بين الممالك اليمنية والتي أضعفت الحضارة اليمنية وساهمت في سقوطها.

الفصل السادس: كان معاكساً للفصل السابق حيث تناول الحياة المدنية السلمية في اليمن وكيف ظهرت من خلال النشاطات المتنوعة في بناء المدن والرخاء والتجارة والزراعة والفنون. والتركيز على الواردات الاقتصادية الكبيرة التي جعلت الملوك ومن يحيط بهم يعيشون في ترفٍ واسعٍ صار صورة نمطية لما يعرف باليمن السعيد دون فحص شحّة مردودات هذا الترف للطبقات الفقيرة والتي كانت تكدح لتوفير حياة مستقرة مكتفية بطعامها وحاجاتها الأساسية.

الفصل السابع: ناقش المظهر الاقتصادي وعناصره في الزراعة والريّ والصناعات والمهن والتجارة. وقد تفصّل في كل هذه المفردات وناقشها باستفاضة ليوضّح الوجه المشرق لحضارة اليمن من خلالها فقد كانت الزراعة والريّ القاعدة الأساسية لاقتصاد اليمن، ثم جاءت التجارة التي لعبت دوراً هاماً في انعاش هذا الاقتصاد وفي التلاقح الحضاري لليمن مع العالم القديم. وناقش الفصل العملة اليمنية ومراحل ظهورها.

ينتهي هذا الكتاب، وهو الجزء الأول من الحضارة اليمنية، عند الفصل السابع، ويستكمل مظاهر وعناصر الحضارة اليمنية في الجزء الثاني وهي كما يلي:

الفصل الثامن: تناول اللغة والكتابة والأدب والفكر في اليمن القديم، فاللغة اليمنية بلهجاتها الأساسية، كانت قد كتبت بالخط المسند على الحجر وبالخط الزبوري على الخشب وجريد النخل وغيرها، وانتشر المسند في جزيرة العرب وفي شرق أفريقيا. وكانت هناك نصوص أدبية في الشعر والأدعية وأدب المراسلات، وما بقي شفاهياً من ملاحم وقصص ملوك وأبطال اليمن القدماء تردده الأجيال بعد غروب حضارتهم. وقد حاولنا تقصي الفكر اليمني في مختلف النشاطات الحضارية لنعطي فكرة عنه.

الفصل التاسع: عالج المظهر الاجتماعي، من خلال الميزات العامة للمجتمع في ذلك الزمن، ومن خلال الطبقات والمؤسسات الاجتماعية والمظاهر المتمثلة في (البيت، الأسرة، الهدايا، اللهو والألعاب الرياضية، الخمور، الحب، الجنس، المطبخ، الحدائق، الحياة اليومية).

الفصل العاشر: عالج المظهر النفسي وملامح السايكولوجيا الاجتماعية، من خلال مراحلها التاريخية. متقصّياً آليات التعسف والقهر والفقر، التي كانت تسم الأغلبية الأعم للناس، في مقابل ترف الملوك والطبقات العليا المتنعّمة بالأرض والتجارة والاقتصاد المرفه.

الفصل الحادي عشر: بحثنا فيه عن وفرة العناصر المادية الخام في اليمن وعن مصادر الطاقة والتكنولوجيا والعمل، والتي لعبت الدور الحاسم في بناء الحضارة اليمنية.

الفصل الثاني عشر: ناقش الدين اليمني القديم بمكوناته الأساسية في المعتقدات والآلهة وتقصي عن الأساطير المفقودة النصوص، وبحث في الرموز الدينية وفي الطقوس وحاول الوقوف عند تصوراتهم عن حياة ما بعد الموت. وكذلك ناقش المكونات الثانوية للدين كالشرائع والأخلاق والسير المقدسة والجماعة والطوائف والباطنيات والأسرار من سحر وتفسير أحلام وغيرها.

الفصل الثالث عشر: ناقش العلوم اليمنية مثل الرياضيات والمترولوجي والهندسة المعمارية والتخطيط الحضري للمدن ومراحله والتقويم اليمني بكل أنواعه حسب الممالك وعالم الأحياء من النباتات والحيوانات، والطب اليمني والتحنيط والكيمياء من خلال المعادن والصناعات. أما العلوم الإنسانية فتناولنا فيها فهم اليمنيين للتاريخ وطرق كتابتهم للتأريخ، ثم علم الجغرافيا والأماكن، ثم المكتبات.

الفصل الرابع عشر: تناول المظهر الفني من خلال الفنون التشكيلية (العمارة، النحت، الرسم، الفنون الصغرى) ثم الزخرفة وتصاميم الديكورات وفن الثياب والأزياء والمكياج والحليّ وفنون الرقص والموسيقى والغناء.

الفصل الخامس عشر: تناول الأخلاق اليمنية في أسسها ومصادرها، والمراحل التي مرت بها.

الفصل الختامي: كان شاملاً لمعايرة وتقييم ونقد وتأشير ضعف الحضارة اليمنية في بعض الجوانب الحضارية، وذكر ما تفردت به. وتأثيرها على ما حولها من الشعوب والحضارات. وعن أسباب صعود وسقوط الحضارة اليمنية.

وهكذا نكون قد غطينا أغلب عناصر الحضارة اليمنية ووضعناها في الإطار الشامل لمكوناتها من خلال حركتها ونموها وسطوعها وتدهورها دون مبالغةٍ ولا بخسٍ لما كانت عليه.

لا بد من الإشادة بالجهود العظيمة التي بذلها علماء وأساتذة الآثارالذين دأبوا على استخراج كنوز اليمن ومعالجتها وتوضيح وقراءة مضامينها من كل الجنسيات في العالم كله، فقد كانت بحوثهم عوناً لنا في تأليف هذا الكتاب، وكذلك الإشادة ببحوث علماء التاريخ القديم والفنون القديمة والأنثروبولوجيا الذين قدموا لنا من خلال بحوثهم ورسائلهم وأطاريحهم في الماجستير والدكتوراه، وهي غزيرة ومهمة، وعلى الوفرة الهائلة من المعلومات التي قدمتها آثار ونقوش المسند والزبور اليمنية الشاهدة على عمق وسعة حضاراتها.

لا بد من شكر الصديق الباحث محمد علي عطبوش على تعاونه والصديق كريم كطافة على دأبه معنا في تنضيد سطور هذا الكتاب، والشكر الكبير لجمهور القراء الكرام الذين انتظروا هذا الكتاب بصبر، متمنياً أن نكون قد قدّمنا لليمن العريق وشعبها وحضارتها بعض الضوء الذي قد يساعد في تلمس طريقها الحضاري في المستقبل ويحفظ منجزاتها. وأعتذر، من الجميع، عن أي سهوٍ أو خطأ أو عن المعلومات الشحيحة في بعض المفردات الحضارية والتي فاتتني، بحكم عدم تيسّر المراجع المناسبة أو السهو، أو بسبب سعتها وتواضع حجم الكتاب.

الدكتور خزعل الماجدي

a_khazal@hotmail.com

باحث في علوم وتاريخ الحضارات والأديان والأساطير

المملكة الهولندية

2021 / 12 / 5

الفصل التمهيدي : اليمن والدراسات اليمنية



تمثال القائد هوتر عثت

المبحث الأول: ما هي اليمن؟ (الاسم، الممالك، الحضارة)

أولاً: اسم (يمن) ومعانيه:

1.جهة الجنوب: كانت الجهات الأربع في النقوش المسندية تلفظُ كما يلي: شمال (شامات) وجنوب (يمنات) والشرق (مشرقن) والغرب (مغربن). وبذلك تكون كلمة (يمن) دالة بلغة أهلها على جهة الجنوب، سواء كان هذا الجنوب يشير إلى موقع اليمن في جزيرة العرب أو

إلى موقع محدد يقع في جنوب اليمن. ففي النقوش القتبانية كانت تطلق كلمة (يمن) على المناطق التي تقع جنوب مدينة تمنع عاصمة قتبان، وكان باب تمنع الجنوبي يسمى(باب اليمن). وهكذا تكون كلمة يمن، داخل اليمن، دالة على منطقة جنوب تمنع القديمة.» ورد في النقش الموسوم (12 - 11/6/57) Ja الذي يرجع لعهد الملك السبئي الشرح يحضب وأخيه يازل بين بأنه قد حارب قبائلَ ثارت ضده قال بأنها: «بن/ أشعب/ شأمت/ و(يمنت)/ وبحرم/ ويبسم». أي حارب من ثار ضده من قبائل الشمال والجنوب والبحر واليابسة. وهذه العبارة بقدر ما تشير إلى انتصاراته ضد مناوئيه فإن صياغتها توحي بأن المقصود منها إيصال فكرة التأكيد على شمولية انتصاراته في كل الجهات التي ثارت قبائلها. والدلالة المكانية في هذه الصياغة ليست محددة بجهة أو منطقة معينة. ولكنها إشارة إلى مطلق الشمال والجنوب والأراضي اليابسة والتي تقع على البحر من الأراضي التابعة لحكمه. وبنفس الصياغة والدلالة وردت لفظتا (يمنت) وشامت في عدد من النقوش الأخرى. وقريباً من ذلك ما ورد في النقشين (6/ 308) CIH والنقش (22/ 658) CIHاللذين وردت فيهما لفظة شامت دالة على جهة الشمال. وتوازياً مع ما ذكر أعلاه نجد أن الأستاذ يوسف محمد عبد الله بقدر ما يؤكد بأن شامت في النقوش تعني الشمال. وأن (يمنت) تعني الجنوب» (حبتور 2013: 150).

2.جهة اليمين: الحبشيون هم من أطلق على اليمن كاسمٍ لجهة اليمين، بالنسبة لهم، قبل وبعد الاحتلال الحبشي الأول لليمن من (340 ـ 374 م) ثم الاحتلال الثاني(525 ـ 599 م) واللذان قضيا على مملكة حمير، حيث وجدت أثناء فترتي احتلالهم في النقش المسمّى:

(M541وركمانز 506)

والذي ورد فيه اسم (زيمن) الذي يعني بالحبشية القريبة من اللغة السبئية (يمين)، لأن اليمن كانت تقع يمين الحبشة، فهو لم يقتصر على مكانٍ محدد في اليمن، بل على كل تلك البلاد التي كانت فيها ممالك معروفة بأسمائها، وهكذا تداولوا الاسم بشكل واسع، ثم انتشر، بسبب الاحتلال الحبشي، الذي حاول فرض ثقافته ولغته في نهاية التاريخ القديم لليمن.

3. اللقب الملكي الحميري: كان اسم (يمن) يطلق على الملوك الريدانيين، والتي تعود أصولهم إلى جبل ريدان في بيحان وعلى الملوك الأحباش، وأصل اللقب طويل مكوّن من خمس مفردات دالة على أماكن محددة، وهو الملك شمر يهرعش؛ ونتيجة لذلك اتخذ الملك الريداني لقباً ملكياً جديداً هو (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت). ثم ظهر لقب أوسع هو لقب الملك أسعد الكامل وما بعده (ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابهم في طودا وتهامت)، ويمكن تفصيله كما يلي:

1.ملوك سبأ: ملوك السبئيين (في مأرب وما حولها وصنعاء).

2. ريدان: ظفار في يريم وما حولها.

3. حضرموت: هي حضرموت الحالية شرق اليمن، حين احتلها شمر يهرعش وسيطر على عاصمتها شبوة.

4. يمنات: المناطق الجنوبية التي سنذكر احتمالاتها بعد سطور.

5. أعرابهم في طودا وتهامت: بدوهم في الطود (الجبال).. وتهامة (السواحل).

اليمن هنا تشير لمنطقة قريبة من عدن.وظهرت هذه التسمية في العديد مِن النصوص، في القرن الثالث للميلاد، تحديداً في كتابات الحميريّين بلفظ يمنت أو يمنة. وأول من تلقب به هو الملك الحميري (شمر يهرعش) مضيفاً اسمي (حضرموت، يمن) حين مدّ نفوذ مملكته إلى شبوة وحوض وادي ميفعة وحجر من حضرموت.

وبسبب أهمية موقع (يمنات) القديمة كثر الجدل في هذا الأمر ويمكننا ذكر أهم احتمالات مكانها كما يلي: (انظر حبتور2013: 157 ـ 163).

1. منطقة قتبان وأوسان: اقترحها مولر وبافقيه بسبب وقوعهما جنوب مأرب.

2. أودية مرخة وضراء وعبدان: قال به بافقيه للإشارة إلى منطقة أوسان التي تقع فيها هذه المناطق.

3. جنوب اليمن قال به ألبرت جام والدكتور يوسف عبد الله ورأى بأن يمانة هي إحدى مناطق اليمن ولا بد أنها تعني أقصى جنوب اليمن على ساحل بحر العرب.

4. جنوب حضرموت: ساحل مملكة حضرموت من وادي ميفعة إلى رأس فرتك شرقاً.

5. وادي ميفعة: منطقة حوض وادي ميفعة وحجر في مملكة حضرموت، وربما ساعد أهل هذه المنطقة الملك شمر يهرعش على احتلالها وضمها فأعطاها هذا الاسم.

ويبدو أن اليمن عُرف قديماً، وتحديداً بعد انتصار الحميريين على السبئيين في حدود 280 م، باسم يمنت الذي يُشير إلى الجزء الجنوبي الغربي من جزيرة العرب المُمتدّ من باب المندب حتّى حضرموت، وكانت اليمن تتألّف من عدّة تقسيمات إدارية (تدعى مخاليف) كلّ منها مستقل بشؤونه وحكمه، وكانت عاصمتها آنذاك تُسمّى ميفعة، ولليمن تاريخٌ قديم إذ ذُكرت يمنت في نصوص تاريخية قديمة، وصُنّفت بأنّها منطقة صغيرة يأتي ترتيبها بعد حضرموت، وذلك تبعاً لنصٍّ يعود إلى أيام الملك شمر يهرعش الذي عُرِف في الكتب الإسلامية باسم(شمر يرعش)، وأكّد ذلك نصٌّ ورِد عن أبرهة نائب النجاشي.

الآراء غير الصحيحة التي تُطلق على أصل تسمية اليمن: وهي، في الغالب، آراء إسلامية تعتمد على أنسابٍ توراتية أو على اشتقاقات ومعانٍ لغوية لا رصيد لها من الحقيقة، مثل أن اسمها جاء من:

1. من اسم (أيمن بن يعرب بن قحطان)

2. أحد أسماء أبناء قحطان الثلاثة عشر وهو اليمن بن قحطان بن الهميسع بن تيمن.

3. اليُمن والبركة وكثرة الخيرات وهو يقابل الشام لشؤمه.

4. لأنه يقع على يمين الكعبة تماماً مثلما سمي الشام شاماً لأنه يقع شمال الكعبة.

متى أصبح اسم (يمن) يطلق على البلاد رسمياً:

لم يستقر استخدام مصطلح اليمن إلا في 280 م، ولم ينتشر كاسمٍ للبلاد كلها إلاّ بعد الاحتلال الحبشي الأخير في حدود 527 م. ثم بدأ تعميم اسم (يمن) على البلاد كلها منذ الفتوحات الإسلامية، وتعود جذور رسوخ التسمية، في العصر الإسلامي الوسيط، لما عرف بالمملكة المتوكلية اليمنية، ربما لموقعها وقربها يمين الحبشة. ولم تحمل صفة اليمن جميع السلطنات والإمارات الجنوبية مثل السلطنة العبدلية، الفضلية، اليافعية، القعيطية والكثيرية.. إلخ، أما اسم اليمن ككيان سياسي حديث فقد تكون في سنة 1918على يد الإمام يحيى بن حميد الدين الذي حول اسم المملكة المتوكلية الهاشمية إلى المملكة المتوكلية اليمنية. ثم أصبحت المملكة اليمنية والجمهورية اليمنية، واستقر اسم اليمن كاسمٍ نهائي لهذه البلاد.

أسماء اليمن في الكتب الإبراهيمية المقدسة وشعوبها:

1. اليهودية واليهود: العهد القديم ذكر مملكة سبأ وحكاية سليمان وبلقيس، وكان يهود اليمن يسمونها (تيمانيم) بالعبرية وبلاد(تيمن) وتعني الجنوب.

2. المسيحية والمسيحيون: العهد الجديد ذكر ملكة سبأ الأسطورية بـملكة تيمن. الرومان والبيزنطيون عرفوها باسم العربية السعيدة في أدبيات الرومان والإغريق.

3. الإسلام والمسلمون: القرآن الكريم ذكر سبأ، وسليمان وملكة سبأ، المؤرخون والإخباريون المسلمون يرون أن اسم اليمن مشتق من اليُمن أي البركة وهو نقيض الشؤم. وقيل كذلك انه سمي باليمن لأنه يمين الكعبة.لأنهم اعتبروا مكة مركز العالم. أسطورياً نسبوا الاسم إلى يمن بن قحطان وقالوا إن قحطان أبو اليمن وقالوا كذلك إن قحطان هذا

نفسه اسمه يمن. ومنهم من قال إن كل العرب كانوا بمكة فتيامن بنو يقطن في رواية وبنو يمن في رواية أخرى فسميت اليمن على ذلك، وكل هذه الآراء غير صحيحة.

ثانياً: بلاد اليمن وأسماؤها المرادفة:

عرف اليمن بأسماء كثيرة نوضحها في الجدول الآتي:

يرى جان ريتسو أن مصطلح (العربية السعيدة) Arabia felix , Arabia eudaimn كان يعني شيئاً مختلفً عند الإغريق والرومان، حيث «الجزيرة العربية السعيدة» كانت في الأصل تعني الشاطئ الجنوبي للخليج العربي. تم استخدامه لشبه الجزيرة بأكملها من قبل الجغرافي إراتوستينس في القرن الثالث حيث كان الخليج الفارسي والهجوم على الإمبراطورية البارثية. بسبب المعرفة الجغرافية القديمة بين النخبة السياسية والعسكرية الرومانية، كان وجود شبه الجزيرة العربية غير معروف أو، على الأقل، تم التقليل من حجمها إلى حد كبير. يبدو أن الخريطة التي وضعها إراتوستينس غير معروفة في روما. وبدلاً من ذلك، تم اشتقاق صورة الظروف الجغرافية للشرق من تقليد أقدم يعود في النهاية إلى هيكاتيوس في القرن الخامس وتم توثيقه، على سبيل المثال، من خلال جداول بوتينجر. تبين أن فكرة أن العربية السعيدة المنتجة للبان كانت تقع بالقرب من الخليج العربي كانت خاطئة، ولكن نتيجة للنسخة الرسمية للحملة، تم تطبيق المصطلح على اليمن، حيث ظل منذ ذلك الحين بمثابة نصب تذكاري دائم لأحد أذكى الدعاة السياسيين في العالم، الإمبراطور أوغسطس» (Retsö 2003: ABSTRACT).

أما مصطلح (العربية الجنوبية) أو (جنوب جزيرة العرب) فهو مصطلح استشراقي يشير إلى جنوب شبه الجزيرة العربية الذي يشمل اليوم اليمن وعمان. ويعرف أيضًا باسم (اليمن الكبرى) وهي منطقة تاريخية تتكون من المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية، وتتركز بشكل أساسي في ما يعرف الآن بالجمهورية اليمنية، وتضمنت أيضًا تاريخيًا نجران وجيزان وعسير، والتي هي حاليًا في المملكة العربية السعودية، وظفار في سلطنة عمان الحالية. ويبدو أن المصطلح كان جزءاً من أربعة مصطلحات وضعت لجزيرة العرب هي:

1. العربية الجنوبية: اليمن وعمان، حدود جنوب الجزيرة العربية تشمل متحدثي اللغات الجنوبية القديمة هناك، وهي لغات سامية قريبة من العربية.

2. العربية الشمالية: مناطق شمال جزيرة العرب والذي يتصل بامتدادها الصحراوي الموجود في العراق وبلاد الشام.

3. العربية الغربية: ويقصد بها الحجاز.

4. العربية الشرقية: وتسمى (ساحل القراصنة والخليج العربي). عرفت هذه المنطقة، قديماً عند الإغريق، بالعربية السعيدة. تمتد المنطقة الشرقية من سواحل الخليج العربي الضحلة عبر تلال واحة الأحساء التي تكسوها أشجار النخيل إلى عمق صحراء الربع الخالي.

ولاشك أن مصطلح (العربية الجنوبية)، حين يراد منه الدلالة على اليمن، خاطئ من أساسه، ويصعب استعماله اليوم رغم شيوعه، ثم إنه يتجاهل الاسم الحقيقي لبلاد اليمن ويدغمها في جزيرة العرب وكأنها جهة من جهاتها فقط. ونعتقد ان اسم اليمن الذي ساد هو الأنسب، وأن مصطلح (اليمن القديم) يشير بدقة لما يعرف باليمن قبل الإسلام.

يسكن العرب اليمن اليوم بشكل أساسي فهو بلد عربيّ وأغلب اليمنيين عربٌ، وهناك منهم من له انتماءات لغوية وعرقية مميزة بعضها من أفريقيا، فضلاً عن التقاليد والثقافة، وهناك مجموعتان من اللغات الأصلية: اللغات اليمنية القديمة المنقرضة الآن، واللغات واللهجات الحديثة، وكلها من عائلة اللغات السامية.

ثالثاً: ممالك اليمن:

ظهرت منذ العصر الحديدي وحتى دخول الإسلام لليمن، في اليمن القديم، ممالك كثيرة، كان أكبرها وأكثرها محورية هما: سبأ في الشمال، وحمير في الجنوب:

1. المدار السبئي: ظهرت مملكة سبأ في حدود القرن العاشر قبل الميلاد، واقترنت بها ممالك مجاورة لها مثل (المعينية، الحضرمية، القتبانية، الأوسانية) ويمثل هذا المدار السبئي عمود التاريخ اليمني. وأرض سبأ في مركزه منطقة مأرب، التي تمتد إلى الجوف شمالاً، والمرتفعات والهضاب المجاورة لها شرقاً، وشملت دولة سبأ أغلب اليمن. وكانت مأرب عاصمة سبأ، التي بقيت منها خرائب قرية مأرب الصغيرة اليوم على الضفة اليسرى من وادي أذنة، ويرجح أن التل الذي تقع عليه قرية مأرب اليوم هو مكان قصر سلحين الملكي. وقد تحكمت مأرب بطريق اللُبان والبخور، الذي يمتد من ميناء قنا في مصب وادي ميفعة على بحر العرب ثم يمر بمدينة شبوة ومأرب، ووادي الجوف، ومنه إلى نجران فيتفرع إلى طريقين، الأول إلى طريق يمر عبر قرية الفاو في وادي الدواسر، ومنه إلى هجر في منطقة الخليج العربي، ثم إلى جنوب وادي الرافدين، والثاني شمال نجران، ماراً بيثرب، ثم دادان في شمال الحجاز، ومنه إلى البتراء، ويتجه الطريق الرئيس من البتراء نحو ميناء غزة في فلسطين على البحر المتوسط، وهناك طريق فرعي منه يذهب من البتراء إلى دمشق ثم إلى مدن الساحل الفينيقي.

2. المدار الحميري: في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، وصلت تجارة البخور لذروتها فقل اهتمام اليمنيين بالزراعة، وبدأ التفكك يصيب ممالك المدار السبئي، وأصبح في اليمن خمس دول (ممالك) متزامنة هي سبأ وقتبان ومعين وحضرموت وحمير، وأصبحت عواصمها بسبب التجارة، باستثناء حمير، وصارت مثل مدن القوافل التي يخضع ازدهارها وسقوطها للأوضاع التجارية والأطماع السياسية، في هذا الوقت تمكن البطالمة في مصر من التعرف على أسرار الملاحة في البحر الأحمر ومواقيت حركة الرياح الموسمية في المحيط الهندي، فشرعوا يتاجرون في البحر الأحمر والمحيط الهندي رابطين بهما البحر المتوسط، دون وساطة اليمنيين، فبدأ يضعف الطريق البريّ في اليمن وضعفت معه تجارة البخور واللبان براً وضغط البدو (عربن) على الممالك المتفككة في المدار السبئي واضطروهم للنزوح نحو المرتفعات، وهنا استثمرت المملكة الحميرية، الحديثة النشوء، طريق البحر الأحمر بالاتفاق مع روما ثم بيزنطة، فأقامت لها موانئ عليه وبنت لها أسطولاً،

وأسست عاصمتها ظفار في قلب المرتفعات اليمنية بعيداً عن الصحراء وهجمات البدو، في قاع الحقل بسند جبل ريدان، كما ازدهرت مدن الهضبة اليمنية في القيعان، بعد أن كانت مدن الوديان الشرقية تُلجمها وتغطي عليها، وفي هذا الزمن انحسرت سلطة الممالك وارتفعت سلطة الأقيال، فضعفت معين ثم سبأ في مأرب وقتبان في تمنع وحضرموت في شبوة، وظهرت دولة أكسوم في الحبشة، التي قامت نتيجة استيطان يمنيّ دام قروناً.

صعدت حمير في هذه الظروف وأصبحت تضم أغلب أرض اليمن، حيث ضمت ممالك مهمة أخرى مثل (حضرموت، معين، قتبان، أوسان) كان لها الدور الفاعل في تاريخ اليمن، وهناك ممالك أخرى جاءت بعد هذه وتراوحت أدوارها بين ضعف وقوة، وسنتحدث عن الممالك اليمنية جميعهاً في الفصل الخاص بتاريخ اليمن.

وبضربة واحدة أنهى الحميريّ (شَمّر يهرعش بن ياسر يهنعم) دولة حضرموت وضمها له، ثم وحّد سبأ وحمير وانتهت مأرب كعاصمة وحلت محلها ظفار، وامتد نفوذه لأغلب الجزيرة العربية عن طريق الحملات العسكرية في منتصف القرن الرابع الميلادي نحو الحيرة وفي نجد والبحرين على الساحل الغربي للخليج العربي.

ظهر الملك الحميري الثاني الأقوى في حمير وهو (أسعد الكامل) في مطلع القرن الخامس الميلادي، والذي يعتبر من الملوك الأقوياء، في دولة حمير، فقد توغلت جيوشه داخل شبه الجزيرة العربية، وكان يلقّب بـ (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طودا وتهامة)، أما الطود فهو الحجاز وتهامة هي كل الساحل الشرقي للبحر الأحمر، أي إن جميع الأعراب، وهم القبائل البدوية في المشرق والحجاز وتهامة، خضعت لحكمه، وكان اتحاد كندة، في وسط الجزيرة، مملكة تابعة له أيضاً، وهناك من يرى أنه أصبح ملكاً للجزيرة العربية كلها. وفي وادي مأسل الجُمْح بنجد قرب الدّاودمي، عثر على نقش باسم أبي كرب أسعد، يذكر أنه حل غازياً مع ابنه حسّان يهأمن في أرض معد ويثرب.

في هذ الزمن، تقريباً، دخلت اليهودية ثم المسيحية لليمن. ثم بدأت، من خلالهما، استقطابات دينية سياسية صنعها البيزنطيون والأحباش والساسانيون الفرس، وهو ما

أضعف حمير واليمن القديم، وبدت الحضارة اليمنية ودولتها كما لو أنها تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى مجيء الإسلام.

كانت أسباب السقوط الرئيسية الثلاثة لليمن هي توسع حمير ودخول الديانتين اليهودية والمسيحية لها، ويأتي السبب الثالث من سد مأرب الذي كان كثير التصدع منذ بنائه بسبب السيول الكبيرة التي تنتج عن أمطار غزيرة وفيضانات، والكوارث الطبيعية، كالزلازل، والإهمال وضعف السلطة المركزية، وقد بدأت انهيارات السدّ القوية في القرن الخامس الميلادي، وحاولوا إصلاحه في عهد شرحبيل يعفر عام 450، ثم في عهد أبرهة عام 542، لكن السد انفجر بقوة هائلة في العام 575 للميلاد، أتت على بنيان السد، وجرفت معظم منشآت (جنتي سبأ)، وتداعى نظام الري بأجمعه، وحدث نزوح أهل اليمن شمالاً نحو شمال جزيرة العرب وفي أرجاء اليمن الأخرى، وكان هذا الحدث علامة على نهاية قريبة لحضارة اليمن.

وفي الجدول الآتي أسماء أغلب الممالك اليمنية وعواصمها والإله الرئيسي لها، والآلهة التي معه، مع ملاحظة أن بعضها لم تكن ممالك بالمعنى الدقيق، وخصوصاً السبع الأخيرة في هذا الجدول:

الممالك اليمنية القديمة وعواصمها وأهم آلهتها

رابعاً: حضارة اليمن:

أطلق على الحضارة اليمنية تسمية خاطئة هي (الحضارة الصيهدية)، على اعتبار أن رملة السبعتين هي جزء من صيهد أو هي صيهد التي تضم مناطق صحراوية في حضرموت وشبوة وجزء من الجوف ومأرب. استعمل علماء الآثار مصطلح «صيهدية» للإشارة لجوانب مختلفة من ممالك اليمن القديم، وهذا لايصح لأن صيهد، كما عرفنا أعلاه، منطقة واسعة جداً تقع أغلبها خارج اليمن، ولعدم جواز ربط الحضارة بالصحراء المقفرة الخالية، وتبقى التسمية الصحيحة هي حضارة اليمن القديم.



صحراء الربع الخالي (صيهد)، بلون الظل الأحمر فوق اليمن وعُمان

اكتملت في اليمن، بين حوالي 1000 ق.م ـ 622 م، عناصر أو مظاهر الحضارة، ولذلك يطلق على ما نضح من عناصر حضارية من تاريخ اليمن بـ (الحضارة اليمنية) التي تضمّ العناصر الخمسة عشر للحضارة بمعناها التقليدي، والتي يمكن توضيحها في هذا الشكل:



العناصر المادية للحضارة اليمنية:

1. الجغرافيا اليمنية: وهي جغرافيا معروفة ومحددة شملت جنوب جزيرة العرب كلّه، شملت عُمان الحالية وتركزت في اليمن الحالية، كمحيط شامل لهذه الحضارة ونفوذها، وضم كندة ونجران وجازان وعسير في شمالها، فهناك وحدة جغرافية واضحة ومتصلة ومحددة.

2. المظهر السياسي: مظهر متمّيز تدرج من حكم المكارب إلى الملوك، وظهر فيه نظام سياسي واضح ومتراتب، ولكن الأمر المؤسف في الحياة السياسية اليمنية هو احتراب الممالك والدويلات مع بعضها طيلة فترة حضارتها، وهو ما ساهم في إضعاف منجزها الحضاري، وكان سبب ذلك هو التركيب القبلي للمجتمع اليمني الذي دخل للمدن دون التنازل عن تبعات هذا التركيب الذي كان يجر الحضارة إلى الوراء ويعطل وحدتها السياسية والحضارية.

3. المظهر العسكري: ظهرت الجيوش اليمنية في جميع ممالك اليمن وهي بتنظيم شديد الدقة، وكانت هناك مراتب وجنود وشرطة، وظهرت أنواع الأسلحة، وكانت هناك معارك داخلية كثيرة وهناك حروب خارجية.

4. المظهر الاقتصادي: أبدى الاقتصاد اليمني تنوعاً حضارياً واضحاً فكانت الزراعة والريّ أساساً لحضارتها، أما ميزتها الكبرى، التي وفرت لها حياة مترفة، فكانت من خلال التجارة الخارجية، بشكل خاص، والتي كانت تنتظم بقوافل اللبان والبخور والعطور وغيرها، وجاءت الزراعة بطرائقها المبتكرة بين زراعة المدارج العالية وزراعة السهول والهضاب، وظهرت هندسة الريّ والسدود بأفضل صورها. وعزز الاقتصاد ظهور المهن والحرف المختلفة وتداول العملات اليمنية والأجنبية بشكل واسع.

5. المظهر الاجتماعي: اتضحت صورة المجتمع اليمني بطبقاته، وكان هناك تفاوت اجتماعيّ واضح غذّته النزعة القبلية، وكان هناك شكل واضح للأسرة والمرأة ودورها فيها وفي المجتمع، واتضحت صورة المجتمع من خلاله العلاقات الاجتماعية والصورة التي رسمتها نشاطات الصيد والهوايات الأخرى والحدائق والمدارج الزراعية ونمط الحياة اليومية.

6. الطاقة والمادة والتكنولوجيا: كلّ هذه العوامل لعبت دوراً في بث النشاط والحيوية في الحضارة اليمنية فقد ظهر استثمار طاقة المياه عن طريق إقامة السدود والصهاريج وغيرها، واستثمرت النباتات النادرة التي تنتج الصمغ والبخور واللبان والعطور وحوّلها اليمنيون لمواد تجارية مربحة، وهناك الكثير من التقنيات التي استخدمت في السيطرة على الطبيعة أو في المعارك والحروب أو في النقل وغيرها.

7. المظهر العلمي: ظهرت علوم الرياضيات والتقويم والهندسة والتخطيط الحضري والطب والتقنيات الفيزيائية والكيمياء وغيرها، وفي مجال العلوم الإنسانية ظهر التاريخ والجغرافية والتربية والمكتبات.

العناصر الثقافية للحضارة اليمنية:

1. التاريخ اليمني: كُتب التاريخ اليمني عبر ما يقرب من 20 ألف نقش مسندي، دُوّنت بيد اليمنيين أنفسهم وعبّرت عن لغتهم بلهجاتها المختلفة، وهو تاريخ حافل وحيوي ومتحرك يشوبه الصراع القوي بين ممالك اليمن المختلفة، وهناك وحدة تاريخية حضارية متميزة لم تخترقها تدخلات واحتلالات عسكرية إلاً في نهايتها وسارعت في سقوطها.

2. المظهر القانوني: حيث ظهرت القوانين والشرائع اليمنية، وهي من أهم شروط الحضارة، وكانت مختلفة الأنواع والمشارب، فهناك القوانين القبلية والدينية والرسمية الملكية، وتنوعت على مستوى الوظائف، فهناك القوانين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية وغيرها.

3. المظهر التربوي: الذي تجلى في الحفاظ على التقاليد الخاصة واحترام تداولها عبر الزمن، فكانت هناك مظاهر في تربية الأبناء وفي الشكل القبلي، وظهر اهتمام تربوي في تعلم المهن والموروث اليمني وغيرها.

4. المظهر الثقافي اللغوي والأدبي والفكري: تجلى هذا المظهر في حضور اللغة اليمنية ولهجاتها، وفي كتابة المسند والزبور، وفي بعض مظاهر الأدب الدينية والدنيوية، وكان هناك شكلٌ عام للفكر اليمني القديم وهو يتجلى في لمسات يمكن إعادة بنائها.

5. المظهر النفسي: تشكلت الشخصية اليمنية على المستويين الفردي والجماعي، وترسخت بوضوح في مجموعة من السمات الخاصة بها.

6. الدين اليمني القديم: كان واضح الهيكلية والبناء، وكان إله القمر الذي تجلى بمختلف الأسماء في الممالك والقبائل هو الإله القوميّ لليمن القديم، فهي ديانة قمرية بامتياز، وكان حضور الثالوث الكوكبي (القمر وزوجته الشمس وابنهما الزُهرة) هو أساس التركيب الثيولوجي العام، وتأتي بعدها آلهة متنوعة أخرى لها وظائفها المختلفة. ولم تغب النزعة التوحيدية عن اليمن والتي تجلت بثلاث من الآلهة المحلية هم (إيل، رحمن، ذو سماوي). كما ظهرت كل أنواع الطقوس والمعتقدات، وكذلك مكونات الدين الثانوية.

7. المظهر الفني: هو أحد قمم هذه الحضارة والذي تجلى بمعمار متميز، ونحت لا نظير له، ورسومات مختلفة على الصخور والصفائح الحجرية والمعدنية وعلى الأواني وغيرها، وظهرت الفنون الصغرى التطبيقية غزيرة في الأدوات والمباخر، كما ظهرت في الغناء والموسيقى وفي الأزياء والثياب وغيرها.

8. الأخلاق الحضارية: ظهرت الأخلاق كضابط للميزان الحضاري، فهي المظهر أو العنصر الخامس عشر الذي تُظهر حساسيتها موازنة مرهفة الجوانب المادية والثقافية في الحضارة اليمنية، كما يُظهر فسادها جنوح الحضارة للركود ثم الموت، وقد ناقشناها مفصّلاً.

لماذا تختلف اليمن عن العرب قبل الإسلام؟

يمكننا مناقشة هذا الموضوع وفق المعايير الآتية:

1.ظهرت في المشرق والجزيرة غرب آسيا شعوب يبلغ عددها حوالي ال30 شعباً تشتركُ بصفات لغوية مشتركة أطلق عليها (الشعوب السامية) التي صنّفت حالياً كجزءٍ من عائلة اللغات الأفريقية الآسيوية والتي تضمّ ست لغات وهي (السامية، المصرية، الكوشية، الأمازيغية، التشادية، الأموتية).

اللغات السامية تضم حوالي 30 لغة ولهجة، متقاربة من بعضها، لكنها تختلف بينها بدرجات متفاوتة، وقد قسمت إلى أنواع جهوية حسب الجدول المرفق:

وعلى هذا الأساس اللغوي صار هناك تمايز بين الشعوب السامية، لا من ناحية عرقية بل من ناحية حضارية ولغوية، وبنظرة فاحصة للجدول أعلاه نجد أن هناك فرقاً بين الشعب الكنعاني عن الشعب الآرامي، وبين هذين والشعب العربي، وبينهم والشعب اليمني والحبشي وهكذا.

وهذا يجعلنا نقول إن الشعبين اليمني والعربي قبل الإسلام يختلفان عن بعضهما فلكلّ منهما ميزاته اللغوية والحضارية.

وينطبق هذا على جميع الشعوب المذكورة في الجدول.

2. الشعبان اليمني القديم والعربي القديم شعبانساميان، ولايمكن القول بأن الشعب اليمني القديم شعب عربيّ قديم، أو أن الشعب العربي القديم شعب يمني قديم. فلكل منهما أرض وحضارة ولغة.

3. هناك قرب متميز بين الشعبين اليمني القديم والشعب العربي القديم بسببٍ من كونهما يسكنان في شبه جزيرة العرب، حيث يتركز الشعب اليمني القديم في الجنوب الغربي منها بشكل خاص، بينما ينتشر الشعب العربي القديم في شمالها الذي يمتد لصحراء العراق والشام وتخومها.

4. الوجود العربي قديم في الشرق الأدنى، فقد ظهر العرب في بداية العصر الحديدي (1200 ق.م) وكان منه البدو في الصحراء، والفلاحون في السهول والبوادي وقرب الأنهار، والمدنيون في المدن (الحضر، الحيرة، بصرى) ولا يصح اعتبار هذا التنوع مشكّلاً لحضارة واحدة بسبب غياب العناصر الحضارية التي ذكرناها كاملةً.

5. الوجود اليمني المتحضر ظهر منذ العصور البرونزية وظهرت معه المدن، وكان منه بدو وفلاحون، لكنه كوّن حضارة واحدة متماسكة منذ بداية العصر الحديدي (1200 ق.م) واستمرت إلى القرن السابع الميلادي.

6. لوكانت اللغة اليمنية عربية لما ترجمناها إلى اللغة العربية الحالية، أما أن تكون ملامحها تميل إلى العربية فهذا متأتٍ من دمج القاموسين العربي واليمني بعد الإسلام واختلاطهما، لكننا يمكن أن نميز بينهما باعتماد القاموس اليمني القديم كأسبقية لغوية، بسبب قدمه، وهذا ما سيجعل أغلب المفردات اليمنية أساساً للقاموس العربي.

7. يمنية الخط المسند أصيلة وواضحة، أما كون كتابة بعض اللغات الشمالية العربية قد كتبت به فهو أمر يوضّح هجرته من اليمن إلى الشمال وليس العكس.

8. تعتبر الديانة في التاريخ القديم من أهم صفات الشعوب والتي تميزها عن بعضها، فقد كانت الديانات قومية الطابع وتشكل هوية الشعوب القومية والإله القومي لكل ديانة هو بمثابة رمزها الدال عليها، وكانت ديانة اليمن القديمة ديانة واضحة ومتماسكة ويسندها نظام ثيولوجي متماسك تؤيده نصوص ورموز ومعابد الآلهة المنتشرة في جميع أرجاء اليمن، الإله القومي لليمن هو الإله (إلمقه) ورغم أن له وظائف كثيرة لكن صفته الكوكبية كانت مميزة فهو إله القمر، وكان الثالوث الكوكبي لليمنيين يمثل أعلى الآلهة وهو (إلمقه، شمس، عثتر) ويمثلون (القمر والشمس والزهرة)، والبانثيون اليمني زاخر بالآلهة (راجع الفصل الخاص بالديانة اليمنية). هذا الدين وآلهته تختلف تماماً عن الدين العربي قبل الإسلام والذي عرفناه من كبير آلهته (هبل) وهو إله ينحدر من أصول تراتبية طويلة، فهو بعل الرافديني الذي هو (مروخ = بِل) عند البابليين بشكل خاص، وهو الإله البعل عند

الكنعانيين كإله للمطر والخصب، ثم إله نبطي أسموه (هبلو)، ونرجح أن وصوله للجزيرة العربية كان متأخراً ومتأثراً من الأنباط، فهو ليس بالإله الكوكبي بل هو إله مطر وصاعقة وخصب وغير ذلك، وكان لهبل ثلاث بنات هن: (اللاَّ ت والعزّى ومناة)، هذه هي الآلهة التي سادت عند قبائل العرب، وهي مختلفة كلياً عن آلهة اليمن.

إن قصدنا بأن اليمنيين يختلفون عن العرب ينطبق عليهم في الزمن الماضي فقط وتحديداً في التاريخ القديم قبل الإسلام، لكنهم توحدوا واندمجوا بالعرب بعد الإسلام، وأصبحوا، اليوم، عرباً من جميع الجوانب. وقولنا هذا يشبه، تماماً، قولنا إن الأكديين والبابليين والآشوريين والكنعانيين والآراميين.. إلخ ليسوا عرباً بل جميع هذه الشعوب، وبضمنهم العرب، هم شعوب سامية اللغة والحضارة. ولذلك يجب التريث والفرز الدقيق دون عواطف ومشاعر عاطفية، فهذا أدق من الناحية العلمية، ويجعلنا في الطريق الصحيح لاكتشاف الحقائق.

انتشار اليمنيين وحضارتهم:

المعطيات الحضارية لليمن انتشرت في جميع الجهات التي حول اليمن، فقد كانت حضارة اليمن أساس حضارة شرق أفريقيا وخصوصاً ماكان يعرف بالحبشة وأثيوبيا القديمة التي تضم أثيوبيا الحديثة وإرتيريا وجيبوتي وجزر القمر. وقد انتشرت للصومال القديم.

كانت عمان، رغم خصوصيتها، جزءاً من المدار الحضاري لليمن فقد كانت للعوامل الحضارية اليمنية الدور المهم في تحفيز ظهور ما يماثلها في عمان، وقد شكّلت ثقافة مجان مجال لقاء وتفاعل بين ثقافة يمنية وثقافة عمانية أصيلة.

ولاشك أن تأثير الحضارة اليمنية امتد وتفاعل باتجاه ثقافات وحضارات حوض المتوسط بسبب التجارة وتبادل البضائع والتواصل المستمر.

الحضارة اليمنية حالة متميزة حضارياً تجمع روح الشرق الأدنى مع موجات صحراوية وأفريقية وهندية، بحكم التجارة والقرب، تتفاعل بقوة لتنتج مزاجاً فريداً من نوعه.

المبحث الثاني: مصادر ومراجع دراسة الحضارة اليمنية وتأريخها

أولاً: الآثار اليمنية

بلاد اليمن متحف حضاري كبير تتنوع فيه أطياف اليمن الحضارية من سبئية إلى حميرية إلى حضرمية ومعينية وقتبانية وأوسانية وغيرها. هناك المعابد القديمة والقصور الكبرى (غمدان، سيئون)، والقلاع العظيمة (الكونيش وسمارة)، والقلاع (بيانون)، ومدافن الحبوب وخزانات المياه، وبقايا السدود القديمة وأشهرها مأرب، والحصون، والمدن القديمة في تعز وصنعاء وشبام في حضرموت، وبراقش وظفار وصعدة ومقابر المحويت. الكثير من هذه الآثار ما زال في مكانها، ونُقل بعضها إلى المتاحف، وكان تنوع الآثار غير المنقولة كبيراً، وكذلك تنوع الآثار المنقولة التي تتوزع في متاحف العالم واليمن. أما متاحف اليمن فهي كنز آثاري كبير وهذه أغلبها:

وهناك المتاحف الأجنبية في العالم، مثل متاحف الأشمولي، المتحف البريطاني، المتحف السميثسوني، اللوفر في باريس، المتروبوليتان، الوطني للفنون الشرقية، قاعة آرثر سكاكر في الولايات المتحدة، بيتر العظيم للعلوم الإنسانية والإثنوغرافيا، الأكاديمية الروسية للعلوم، الهيرميتاج، الفنون الشرقية، والترز للفنون، المتحف الاستوائي في أمستردام، متحف الإنسان في باريس وغيرها.

وهناك المجموعات الخاصة للمشاهير أو رواد جمع القطع الأثرية غير الموثقة بشكل دقيق، أشهرها مجموعة السيدة أنطوان ومجموعة السيد أغسطس من ألمانيا والمجموعة الأخيرة تحوي عدداً من القطع والعملات اليمنية القديمة.

تتعرض آثار اليمن، من كل مراحله التاريخية، للنهب والسلب والتدمير بسبب الحرب التي نشبت في اليمن والظروف الأمنية السيئة التي تنشط فيها مثل هذه الجرائم.

ثانياً: النصوص المسندية والزبورية

ابتكر اليمنيون القدماء نوعين من الخطوط المكتوبة:

1. المسند: أطلق عليه (الخط التذكاري) دُونت به نقوش اللغة اليمنية بأغلب لهجاتها، واللغات السامية الشمالية (وهي اللحيانية ـ الديدانيّة) والثموديّة والصفويّة في شمال شبه الجزيرة العربية، والأحسائيّة في شرق شبه الجزيرة العربية وهناك المسند العماني، وكتابات الفاو في وادي الدواسر إلى الشمال الشرقي من نجران، والمسند الحبشي في أثيوبيا. ظهرت كتابات المسند على الصخور والأحجار وألواح البرونز بأشكال هندسية وخطوط مستقيمة متناسقة الأبعاد والأطوال، بخطين غائر وبارز. وبـ 29 حرفاً.

2. الزبور: تطور عن المسند بخط أكثر ليناً، كنوع من المسند الشعبي السهل التوصيل والحركة السريعة والتشكل وكان يُخط على الأعواد الخشبية وجريد النخيل وألواح الخشب.

شرحنا بالتفصيل خطي المسند والزبور في الفصل الثامن من هذا الكتاب، والمسند هو الخط المميز للحضارة اليمنية، والذي استمر استعماله فيها لما يقرب من 1500 سنة، ربما كان أقدمها نقوش مدونة على كسر بعض الأواني الفخارية عثر عليها في كل من هجر بن حميد بوادي بيحان ومنطقة يلا جنوب مدينة مأرب وريبون في حضرموت، أثبتت الدراسات والفحوص المعملية أنها تعود إلى القرن 12 ق.م، أي إلى بداية العصر الحديدي.

ثم اندثر هذا الخط بعد أن حلت محله خطوط مرتبطة بالأديان التوحيدية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام)، وكانت هناك مراحل لإعادة اكتشافه، فقد اكتشفت أول النقوش المسندية في عام 1880 ثم في عام 1884، ثم ازدادت الاكتشافات، واكتمل حلّ

رموز الكتابة اليمنية قبل نهاية القرن العشرين، وقد بلغ عدد نقوش المسند والزبور ما يقرب من 20 ألف نقشٍ.

هذه النقوش هي ثروة الحضارة اليمنية التي دونت عناصرها ومظاهرها وتاريخها وسلالاتها و«عندما يكون بالإمكان بناء تاريخ تسلسل السلالات الملكية فإن هذا التسلسل يكمل علم تطور النصوص القديمة. فهو قد يعطي تواريخ نسبية ولكنها أكثر دقة، طالما انتبهنا إلى عدم الخلط بين الأسماء المتجانسة وهي شديدة الكثرة. إن اختلاف الملوك من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، وهي الفترة الوحيدة المعروفة بصورة جيدة، يبين مع ذلك صعوبة المهمة.من الممكن إذن أن نؤكد أن التسلسل التاريخي لليمن القديم قد تم تثبيته بقدر من الدقة المُرضية من القرن الثاني الميلادي إلى القرن السادس الميلادي. واستناداً إلى النقوش المؤرخة بعصر ما، فإن الملوك والأحداث الرئيسية يمكن أن تؤرخ بقدر من الشك لا يتجاوز العشر سنوات. ومع ذلك فإن تاريخ نقش ما لا يشير إلى أي واقعة معروفة لا يمكن إقراره بالدقة ذاتها.» (روبان 1999: 62).

ينقسم تطور خط المسند إلى ثلاث مراحل هي:

1. المرحلة المبكرة (من القرن العاشر إلى القرن الثاني ق.م).

2. المرحلة المتوسطة (من القرن الثاني ق.م إلى القرن الثالث الميلادي).

3. المرحلة المتأخرة (من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلادي).

«قبل القرن الثاني الميلادي كانت الأدلة الوحيدة المتوفرة في إطار التسلسل التاريخي العام المحدودة تتمثل بالتزامنات التاريخية وبالتواريخ الأثرية (المؤسسة على تحليل الكربون المشع 14) وكذلك في علم تطور خطوط النصوص القديمة. فعلى النصب تبقى التواريخ دقيقة نسبياً، لكن عدم اليقين يزداد كلما ابتعدنا عنها، فهامش الخطأ بالنسبة

لبعض الحقب يمكن أن يبلغ قرناً كاملاً. ولهذا لا بد من الحذر كما لا بد من أن نتذكر دوماً أن العديد من التواريخ هي على سبيل الدلالة.» (روبان 1999: 62).

انتشر خط المسند في المحيط الذي حوله وتطورت منه بعد ذلك الخطوط العربية الشمالية (الثمودية واللحيانية والصفوية) والتي ترتقي لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد، وانتشر من اليمن إلى الحبشة بعد أن وصلت الجماعات اليمنية إلى الحبشة في مطلع الألف الأول ق.م ونشروا ثقافتهم ولغتهم وديانتهم هناك.هذا بالإضافة إلى تواجد جماعات كثيرة من سكان اليمن القديم كانت ترحل وتستقر بشكل متواصل في مناطق التجارة وغيرها في نجد والحجاز وشرق شبه الجزيرة العربية وشمالها منذ الألف الثاني ق.م وكانت تجيد التعامل مع السكان المحليين واختلاطهم معهم.

ثالثاً: المصادر الكلاسيكية

المصادر الكلاسيكية هي كتابات المؤرخين والجغرافيين والرحالة والموسوعيين الإغريق والرومان منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، والذين كتبوها باللغتين اليونانية واللاتينية.

وضع الكتّاب الكلاسيكيون (الإغريق والرومان) الكثير من المؤلفات التي وصفت اليمن وتاريخه القديم، كان بعضهم من المؤرخين والجغرافيين والرحالة، وجاء ذلك في إطار اهتمامهم بالشرق عموماً وباليمن وجزيرة العرب بشكل خاص من خلال رصدهم لطرق التجارة الدولية عبر الطريق البري (الذي في جزيرة العرب) والطريق البحري عبر البحار المحيطة بجزيرة العرب، والتي أسموها بالبحر الإرتيري، وهي تسمية تشمل القوس البحري الكبير الممتدر من الخليج العربي والبحر العربي والبحر الأحمر. لكنها كانت تعني البحر الأحمر حصراً بسبب تسميته بالبحر الإرتيري (الأرتيري معناها الأحمر).

لم تكن هذه النصوص كاملةً، بل وصلت كسطورٍ مقطوعة، ووردت فيها أسماء محورة عن أصولها العربية واليمنية وغيرها، وكانت مبتسرة وسريعة، ولا بد من تمحيصها والتدقيق

فيها لأنها قد تحتوي أخباراً وأوصافاً وتحليلات غير دقيقة، فهي في كل الأحوال نصوص مؤرخين عاشوا في أزمان كان فيه التاريخ نوعاً من الأدب والأخبار المتواترة قبل أن يكون علماً وآثاراً.

1.المصادر الإغريقية:

اجتهد الإغريق في معرفة أحوال جزيرة العرب وشعوبها وتجارتها، وهذا جدول بأهم الكتاب الذين ذكروها وذكروا اليمن بشكل خاص:

«وربما كان (أغاثرخيدس) هو الكاتب الذي أسهمت كتابته عن الجزيرة العربية في تحديد ملامح صورة كان ينبغي أن تدوم عبر القرون. لقد خص الجزء الجنوبي من الجزيرة باسم العربية السعيدة. والشعب السبئي في نظره هو أهم شعوب شبه الجزيرة، وغناه كان واسعاً. لقد كان يعتمد في عيشه على منتجات وافرة من الثروة الحيوانية وعلى زراعة أنواع من النباتات العطرة. حتى أن روائحها الزكية تسبب الآلام، ولذلك يكافحونها بإشعالها بخوراً. وليس ثمة أنواع أخرى من الخشب. والسكان هم من المحاربين، والفلاحين، والبحارة التجار، الذين يصدرون بالخصوص بعض الطيوب التي يجمعونها ويستعملون غالباً عوامات كبيرة وقوارب جلدية، والبعض منهم يعيش في بطالة وتكاسل بفضل ما هم عليه من رغد العيش. وهذا الثراء الكبير مصدره دخل تجارتهم وبعدهم الذي جعلهم في منأى عن الغزوات والنهب. أما زينة مساكنهم وأثاثها ومواعينهم المحلاة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، فإنها بديعة فاخرة. والعاصمة هي سبأ وتقع على ربوة جميلة ويتوارث ملوكها الحكم ويتمتعون بسلطة كبيرة غير أن كاهناً يمنعهم من مغادرة قصورهم بتهديدهم بالموت رجماً. (العواضي والأدهم 2001: 31 ـ 32).

هيرودوت (حوالي 484 ـ 425 ق.م):

مؤرخ يوناني وُلد في هاليكارناسوس (بدروم، تركيا حالياً) التي كانت تابعة للإمبراطورية الفارسية وعاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وأطلق عليه شيشرون لقب (أبو التاريخ)،

عاصر سقراط ويوربيدس. خرج عن التقليد الهومري الشعري، في سرد التاريخ، وعالج موضوعات التاريخ بطريقة معقولة رغم عدم دقته، أحياناً، بسبب ما كان يسمعه دون التحقق منه، وكان كتابه الوحيد المعروف هو كتاب التأريخ (هستوريا) الذي كان عن تاريخ الشعوب من خلال تحقيقاته عن أصول الحرب الفارسية اليونانية.

يطلق هيرودوت على جزيرة العرب كلّها اسم (العربية) ويطلق على جميع سكّانها اسم العرب، فهو لا يميّز بين شعب وآخر سواء في شمال أو وسط أو جنوب أو شرق أو غرب جزيرة العرب. لكن أغلب إشاراته تدلّ على اليمن وليس على كلّ جزيرة العرب، فهو يرى أنها المكان الوحيد الذي ينتج اللبان والمرّ والقرفة واللادن والمستكة، وكان أهل البلاد يحصلون عليها بصعوبة، فاللبان، مثلاً، يجمع بعد حرق صمغ الميعة الذي يطرد دخانه الحشرات والجراد.

«110 ـ ويَحصلُ العربُ على اللبانِ والبخورِ بالطريقةِ السالفةِ الذكرِ، أمَّا الكاسِيَا فبالطريقةِ الآتية: حينَ يذهبُونَ للحصولِ عليهَا يضعُونَ جلدَ الثور وجلوداً أخرى فوقَ أجسادِهِم ووجوهِهِم ما عدا أعينهم. فالكاسيا تنمو في بحيرةٍ عميقةٍ، وحولهَا وفيهَا تعيشُ مخلوقاتٌ ذواتُ أجنحةٍ شبيهةٌ بالخفافيشِ، إذ يصدُرُ منها الصوتُ نفسه الشبيهُ بالصريرِ، وتُمَارِسُ المقاومةَ العنيفةَ نفسها، وينبغِي إبقاؤُهَا بعيداً من العيونِ حَتَّى يمكن الحصولُ على الكاسِيَا» (هيرودوتس 2017: 77 ـ 78).

«111 ـ ويحصل العرب على الكافور بطريقة هي أكثر غرابة. فأين ينبت، وفي أي نوع من التربة؟ إنه ليس بمقدورهم أن يخبرونا بشيء عن ذلك. بيد أن البعض يدعي بما لا يخلو ظاهره من الصحة أنه ينمو في المناطق التي تربى فيها ديونيسوس Dionysos. كما يقال بأن طيوراً كبيرة الحجم هي التي تأتي بهذه القطع المتيبسة من قِلف ما نسميه بالكافور، وهو اسم مأخوذ من اللغة الفينيقية، حاملة إياها إلى أعشاشها التي تبنى من الطين ملتصقة بهوات جبلية وعرة لا يمكن إطلاقاً أن يصل إليها الإنسان.

112 ـ وكان العرب لذلك قد وجدوا طريقة بارعة للحصول عليها، حيث إنهم يقومون بتقطيع لحوم الثيران، والحمير، وغيرها من الدواب التي لفظت للتو أنفاسها، إلى قطع كبيرة قدر المستطاع، ومن ثم ينقلونها إلى المنطقة المطلوبة، ويضعونها على مقربة من الأعشاش قبل أن يتواروا عنها. وفي الحال، تنقض الطيور على هذا اللحم، وتنقله إلى أعشاشها التي ما تلبث أن تنهار، لكونها أضعف بكثير من أن تتحمل ثقل وزنه. ويأتي العرب حينئذ لالتقاط الكافور، الذي يرسل، بعد أن يتولوا جمعه، إلى البلدان الأخرى.

ويتم الحصول على الليدانون (يقول العرب عنه لادن وهو نوع من اللبان)، بطريقة هي أيضاً أشد غرابة. فرائحته من أذكى الروائح، ولكنه يأتي من أحد أكثر المواضع انبعاثاً بالروائح الكريهة، ويعثر عليه في لحى التيوس التي يبدو فيها كما يبدو الصمغ الذي تسيل به بعض الأشجار. ويدخل الليدانون في تركيبة الكثير من العطور، ويفضل العرب استخدامه مضافاً إلى أنواع البخور لديهم.» (العواضي، والأدهم 2001: 108 ـ 109).

ثيوفراستوس الايرسوسي (ح 371 ـ 287 ق.م):

خليفة أرسطو في المدرسة المشّائية. وصل إلى أثينا في سن مبكرة ودرس في مدرسة أفلاطون. وبعد وفاة أفلاطون، تعلق بأرسطو، وعندما فر أرسطو من أثينا، تولى ثيوفراستوس منصب رئيس الليسيوم. وترأس ثيوفراستوس المدرسة المشائية لمدة ستة وثلاثين عامًا وقام بتطويرها، يُعتبر مؤسساً لعلم النبات لأعماله في تصنيف ودراسة النباتات. اهتم بعلوم الأحياء والفيزياء والأخلاق والميتافيزيقا.

كان أول من ذكر السبئيين وتكلم بشكل تشريحي عن اللبان والمر الذي تستنتجه منطقتهم، كما أعطانا معلومات عن تجارتهم وسفنهم» وتتضمنُ دراستُه التي تحملُ عنوان»تاريخ النباتات» وصفاً لنباتاتِ الجزيرةِ العربيةِ في الكتاب التاسع الجزأيْن (الرابع والخامس)، تناول فيها ثِيُوفْرَاسْتُوس ذكراً لأنواع من نباتات الجزيرة مثل اللبان، والمر، والقرفة، والقصيعة، وبلسم مكة كما في الفقرات(4: 4، 9: 4: 1 ـ 2). وقد بدأ حديثه هنا بوصف اللبان والمر، والمواقع التي ينموان فيها، فذَكَر سبأ، وحضرموت، وقتبان، وممالي (ربما

تكون عاصمة قتبان، ممالي كومي في المصادر الكلاسيكية)، مع شرحٍ للآراء التي قيلت فيهما وطريقة الوصول إليهما، وكيفية الحصولِ عليهما واستخراجهما، وتعريف بالفرقِ بين اللبان والمرِّ، وطرق الاتجار بهما. كذلك عرض في حديثه لأساليبِ ممالك تلك الدول في الحصول عليهما. ثم ينتقل بنا ثِيُوفْرَاسْتُوس بعد ذلكَ للحديث عن القرفة والقصيعة (الكاسِّيا) في الفقرات (9: 5: 1 ـ 3) بوصف لشجرتيهما وطرق جمعهما، وأماكن وجودهما في بلاد العرب الجنوبية، والأساطير التي قيلت عن أماكنِ زراعتهما، وبخاصة القرفة» (ثيوفراستوس ـ المقدمة 2017: 29).

ديودور(ثيودور) الصقلّي (90 ـ 30 ق.م)

مؤرخ يونانيٌّ عاش في صقلية خلال حكم الرومان في القرن الأول قبل الميلاد ولد في مدينة أغريون الصقلية، وعاصر أشهر إمبراطورين رومانيين (يوليوس قيصر وأغسطس). عاش ديودور في العصر الذهبي للإمبراطورية الرومانية. أصبح مشهوراً بعد تأليفه موسوعته التأريخيّة العالميّة المعروفة(المكتبة التاريخية) أو (خزانة التاريخ) بين سنتي 60 و30 قبل الميلاد، والتي كانت تتألف من 40 كتابًا، ولم يبق منها سوى 15 كتابًا وبعض أجزاء متفرقة منها. وقد ترجم الدكتور عبد اللطيف الأدهم مقاطع من الجزأين الأول والثاني كتابه يتعلقان باليمن.

«50 ـ ويستخرج الذهب في بلاد العرب من باطن الأرض، ويسمى بالأبير Apyre. ولا يحصل عليه فيها، كما هو الحال في الأصقاع الأخرى، في شكل شذرات تجمع ثم تصهر، بل إنه عندما يجري التنقيب عنه في الأرض يعثر عليه في شكل قطع بحجم ثمرة القسطل. وهذا الذهب هو بلون شعلة بالغة التألق لدرجة أنه إذا ما باشر صنّاع مهرة تشكيل قطعه، وبما يرمي لأن تطعم بالأحجار الكريمية، فإنهم يصنعون منها حلياً لا يضاهيها في جماله كل ما سواها. من جانب آخر، فإن قطعان الماشية، على اختلاف أنواعها، هي في هذه الرقعة السعيدة من الكثرة ما جعل عدد من القبائل تحيا فيها حياة بدوية صرفة، معتمدة بصورة

كبيرة في قوتها على ما تزوجها به قطعانها، وبما يغنيها عن الحاجة في ذلك لاستخدام القمح.» (العواضي والأدهم 2001: 118 ـ 119).

«ويبقى أن السبئيين لا يتفوقون، بما لديهم من ثروات ومنتجات ثمينة من شتى الأنواع، على ما عداهم من جيرانهم العرب فحسب، بل وعلى كافة شعوب العالم أيضاً. وتمنحهم مبادلة البضائع وبيعها، وإن كانت في أدنى حجم ممكن، ربحاً أوفر من ذلك الذي يجنيه من تجارته غيرهم من التجار الذين يبادلون بضائعهم بالمال في مختلف الأسواق. وبالتالي، فقد نتج عن ذلك، وعن كون أنه لم يسبق أبداً فيما تعيه ذاكرة الإنسان أن خضعوا لسيطرة أي كان، بسبب بعد أماكنهم، أن أصبح الذهب والفضة يغرقان، إذا جاز التعبير، البلد الذي يعيشون فيه، خاصة مدينة سبأ المشيد فيها قصر الملك.» (العواضي والأدهم 2001: 130).

في العصر الهيلنستي قام أحد أمناء هذه المكتبة، وهو الجغرافي إراتوستنيس eratosthenes (275 ـ 194ق. م) بتقديم معلومات جديدة عن شبه الجزيرة العربية في كتاباته، فلأول مرة نجد في الكتابات الكلاسيكية تقسيماً لشبه الجزيرة بشكل أدق. فهي تنقسم في المقام الأول إلى بلاد العرب الصحراوية arabia eremon وبلاد العرب الميمونة arabia eudaemon يفصل بينهما خط يبدأ عند هيروي heroe» قرب ميناء السويس الحالية» ويتجه نحو الشرق مارًّا بعدد من الأقوام قبل أن يصل إلى نهايته عند بابل.

ويصنّف سكان (العربية) إلى الفلاحين، والبدو أو سكان الخيام skenitae، ويذكر الأقوام الأربعة وهم المعينيون minaioi والسبئيون sabaioi والقتبانيون katabaneis والحضارمة chatramotitae وأماكنهم وعواصمهم وحياتهم السياسية واقتصادهم وخطوط تجارتهم.

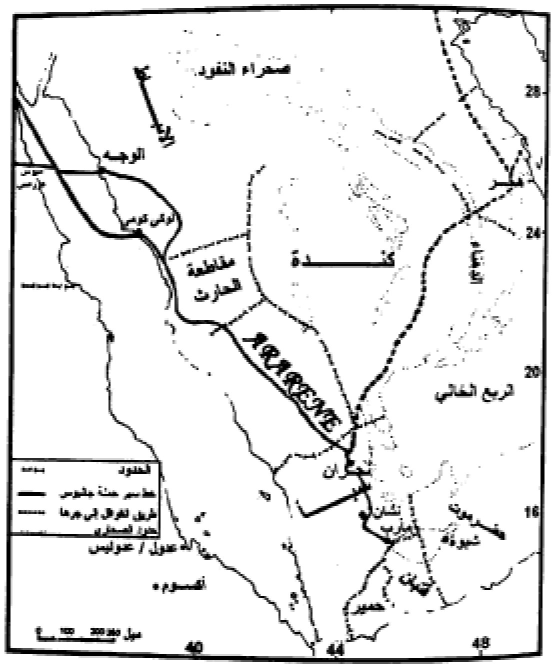
2.المصادر الرومانية:

أكمل الرومان شوط البحث والدراسة لجزيرة العرب وشعوبها، وبشكل خاص اليمن، وهذا جدول عام لأهمهم:

أسترابون (سترابو) (حوالي 63 ق.م ـ 24 م):

جغرافي يوناني آسيوي من أماسيا في بونتوس عاش في العصر الروماني، درس في نيسا وفي روما. أصبح مسافرًا شغوفًا رأى إيطاليا والمناطق الشرقية القريبة والبحر الأسود، وأجزاء مختلفة من آسيا الصغرى، ومصر حتى أثيوبيا، وأجزاء من اليونان. قضى فترة طويلة في الإسكندرية حيث درس الرياضيات وعلم الفلك والتاريخ. عُرف بمؤلفه الشهير (جغرافية استرابون) المكون من 17 كتاباً، السادس عشر كان عن آشور وبابل وسوريا وجزيرة العرب واليمن. وكان من أبرز ما قدمه وصفه للحملة الرومانية على الجزيرة العربية، وهي الحملة التي قادها إيليوس غالوس، أول والٍ روماني على مصر. وكان معاصراً للحملة وصديقاً شخصياً لقائدها. وقد تحدث عن أقوام اليمن، ورأى أن فيها» يتقاسم العيش في أقصى بلاد العرب أربعة أقوام رئيسية: المعينيون، وذلك على امتداد البحر الإرتيري بعاصمتهم قرنا Carna أو قرنانا Carnana، يليهم مباشرة القتبانيون ثالثاً، الذين تمتد أضهم لتصل إلى القناة الضيقة التي يتم منها، عادة، عبور الخليج، والسبئيون بمدينتهم الرئيسية ماريبا Mariba مقراً لإقامتهم، ثم أخيراً، تمنا Tamna، وفي أقصى شرق البلد، الحضرميون بمدينة Sabata كعاصمة.» (العواضي والأدهم 2001: 148 ـ 140).

«3. وتنعم مختلف هذه الحواضر، التي تؤلف فيما بينهما دولة ملكية واحدة الذات، بكل مظاهر الرخاء، وتزدان جميعها بالمعابد والقصور الرائعة. أما مساكنهم فإنها تذكرنا من ناحية هيكل سقوفها الخشبي بالمساكن المصرية تماماً. وتفوق المساحة التي تغطيها هذه الأقاليم nomes مجتمعة مساحة دلتا النيل. ولا تنتقل السلطة في هذه الملكية من الأب إلى الابن، بل إن من يعين لخلافة الملك الذي آلت السلطة إليه هو أو طفل يولد من دم نبيل.» (العواضي والأدهم 2001: 148 ـ 140).



جزيرة العرب عام 24 ق.م

(الشيبة 2008: 103).

يقول أسترابون في صدد حديثه عن السبئيين في الفقرات (16: 4: 19) من كتابه (الجغرافيا):

«وأما عامة الناس فإن بعضَهم يعملون في الزراعةِ، ويتاجرُ بعضهم الآخر في النباتات العطرية الموجودة في أراضيهم، وتلك الآتية من أثيوبيا. وهم يُبحرون لأجل هذه الأشياء عبر المضايق في سفنٍ من الجلود، ولديهم وفرة كبيرة من هذه المواد العطرية حتى إنهم يستعملون القرفة والكاسيا والنباتات العطرية الأخرى بدلاً من الأعشاب والحطب في إشعال النار. وفي أراضي السبئيين نباتٌ يسمى لاريمنوم وهو ذو رائحة عطرية قوية جداً، وبفضل هذه التجارة فإن هؤلاء الناس والجرهائيين من أغنى الناس، ولديهم كميات كبيرة من المشغولات الذهبية والفضية، مثل الأرائك والمواد الثلاثية الأرجل والأواني وكؤوس

الشراب، وكذلك المنازل المزينة بالزخارف على الأبواب والحوائط، والأسقف المطعّمة بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة» (أسترابون 2017: 120 ـ 121).

1.بليني الأكبر (23 ـ 79 ق.م):

هو غايوس بلينوس سوكيندوس عالم روماني، ولد لعائلة ثرية في مدينة كومو بإيطاليا، درس بليني في روما والتحق ضابطاً بفرقة الفرسان حيث خدم في أفريقيا وألمانيا ليستقر في نهاية المطاف بمدينة كومو. عينه الإمبراطور الروماني نيرون حاكماً إدارياً على إسبانيا عام 71، درس النباتات وسافر إلى ألمانيا لدراسة أنواعٍ منها. وألف في موضوعات النباتات التي درسها وكذلك في التاريخ والاستراتيجيات العسكرية، جمع ملاحظاته حول النباتات عام 77 في موسوعة أسماها التاريخ الطبيعي احتوت 37 مجلداً، قاد الأسطول الروماني على مشارف مدينة مسينوم حيث ثار بركان فيزوف فرسا على شاطئ ستابيه (كاستيلمار) يدفعه الفضول لإلقاء نظرة عن قرب على البركان الذي ثار ودمر مدينتي بومبي وهيركولانيوم بالكامل. وتوفي متأثراً بأبخرة البركان.

«وقد استطاع (بليني الأكبر) ـ انطلاقاً من معلومات (غاليوس) وقد ذكر ذلك صراحة ـ أن يميز بين مجوعة من الأعراق وخصائصها. فالحميريون هم الأكثر عدداً. ولدى السبئيون غابات غنية بالأشجار العطرة، ومناجم للذهب، وحقول مروية، وعسل وشمع. أما المعينيون فلهم نخيل مثمر وأشجار ضخمة، ولهم ثروة حيوانية أما (السربانيون) و(الأجريون) ـ ربما من الشمال ـ والحضارمة فيتميزون خاصة بالحرب. أما (الكاريون) فلهم حقول واسعة وخصبة. ويضيف هذا الموسوعي الروماني تفاصيل من مصادر أخرى سجلها في أوراق وأخذها عن مؤلفات غدا بعضها في حكم القديم. ويخلط بين أسماء قبائل وشعوب الجزيرة العربية دون أي ترتيب. (العواضي والأدهم 2001: 43).

«ونعلم منه أن موطن القبائل السبئية يمتد بين بحرين (البحر الأحمر والمحيط الهندي). وأن منهم مجموعة بدوية تعيش تحت الخيام وتهيمن على بعض الجزر. وأن عاصمة سبأ هي مأرب. ثم يعدد القتبانيين والجبانيين الذين لهم عدة مدن منها (ناجيا) و(تمنع) والتي

لها 65 معبداً تشهد بسعة أرجائها. ولا يمكن تصدير البخور سوى عن طريق بلاد (الجبانيين) بمقابل ضريبة تدفع إلى ملكهم. ويقطع هذا البخور الطريق بين تمنع وغزة على ظهور الجمال مسافة 65 مرحلة وتدفع من أجله المكوس المختلفة التي يصل مجموعها إلى 688 دنيرا. واحتل الحضارمة منطقة سبئية وكانت عاصمتهم (شبوة) التي تقع على جبل شاهق والتي تضم بداخلها 60 معبداً. وإلى هذه المدينة كان يحمل محصول البخور على ظهور الجمال.» (العواضي والأدهم 2001: 44).

يصف احتكار تجارة القرفة من قبل القتبانيين في كتابه (بلاد العرب) (12: 42: 93: ـ 94):

«وكان لملك القتبانيين وحده حق التصرف في القرفةِ، فهو يبيعها في السوقِ بإصدارِ مرسومٍ، وأمَّا أسعارُهَا فكَانَت فيمَا مَضَى ألفَ دينارٍ للرطلِ الواحد من القرفة، غير أنها ارتفعت بمقدار النصف بعد أن احترقت الغابات كما قيل من البرابرة الغاضبين غير أنه لا يوجد اتفاق على ما إذا كان الإحراق قد حدث عمداً بسبب ظلم بعض ذوي السلطة، أو أنه حدث بالصدفة، إذ نجد عند الكتّاب ما يفيد أن رياح الجنوب التي تهبّ في هذه الأنحاء كانت في بعض الأحيان حارة لدرجة أنها تؤدي إلى اشتعال الحرائق في الغابات صيفاً.» (بلينوس 2017: 169).

2.كتاب دليل الطواف حول البحر الإرتيري (دليل البحر الإرتيري)

Eperiplo Maris Erythraei

في حدود 60 ميلادي قام ملاَّح روماني مجهول الاسم بتأليف هذا الكتاب الذي بقي لزمن طويل من أهم المدونات البحرية التي أصبحت كدليل للإبحار في البحر الأحمر، وضمّ معلومات ملاحيّة واقتصاديّة وجغرافيّة وبيئيّة، وعن التّجارة العربيّة واليمنية بدقة قل نظيرها في زمنه.

الطواف حول البحر الإريتري هو عبارة عن «دليل للتاجر الذي يستعمل الخط البحري انطلاقاً من الشواطئ المصرية للبحر الأحمر حتى شرق أفريقيا، والهند، وماليزيا، والصين. ويقدم إشارات وجيزة عن مسار الملاحة ومحطات التوقف ومعلومات دقيقة عن البضائع المصدرة والمستوردة من كل ميناء، وبعض الملاحظات النادرة عن الوضع السياسي الذي يواجهه التاجر في هذه الموانئ والذي قد يؤثر على تجارته. يبدو أن الملاحظات لا تخص تاجراً بحاراً سجلها على إثر عودته كما جرى الاعتقاد لزمن طويل، ولكنه تأليف (ألا يكون تقريراً رسمياً؟) فيه ملاحظات تتعلق بفترات زمنية مختلفة بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني وربما بداية القرن الثالث.» (العواضي والأدهم 2001: 48).

«إن كتاب (الطواف حول البحر الأحمر) هو المصدر المعاصر الوحيد الذي يحكي عن التجارة والملاحة العربية خلال هذه الفترة. ولم يكن تاريخ هذه الرحلة محدداً بدقة فيفترض لترون أن الكاتب قد عاش في عهد الإمبراطوريين سبتيموس سيفيرس وابنه ـ أي بين 198 و210 ميلادية، وشرحبيل يحكم اليمن آنذاك من مقره في ظفار ـ لا بد أن يكون كليكرب الحميري أو ربما خلفه أبو كرب الحميري.أما دين فنس فيفترض أن تاريخ هذا الحدث هو العام العاشر من حكم نيرون (عام 64م) ويقترب شربيال من اسم شرحبيل الذي حكم قبل بلقيس وبعد حملة إيليوس غالوس. ودون أن نقرر بشأن هذه المسألة يمكننا أن نفترض أن الأمر قد حدث في هذه الفترة ـ أي خلال سنوات قليلة قبل المسيحية أو بعد ظهورها. (بلاي فير1999: 52).

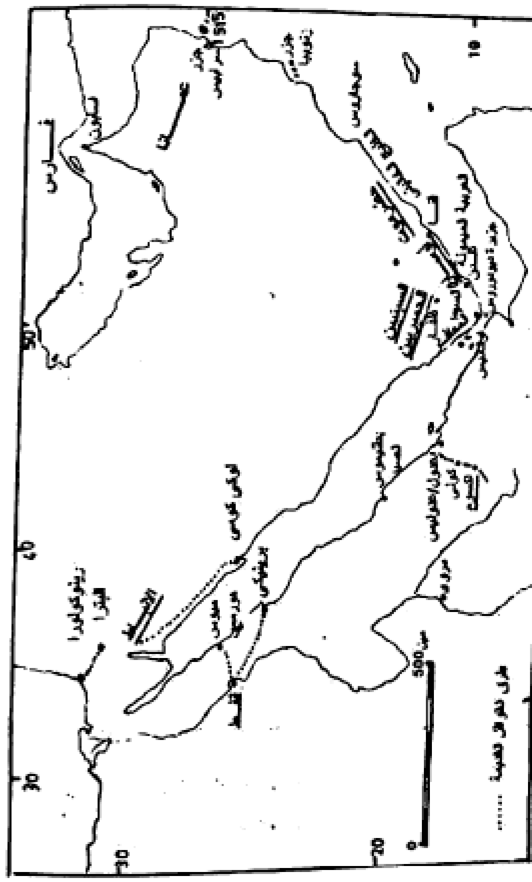
هذه مقتطفات من كتاب الطواف والتي خصت اليمن بشكل محدد:

«23. وعلى مسيرة تسعة أيام أخرى تقع العاصمة ظفار (Saphar) حيث يقيم كرب إيل (kharibae) الملك الشرعي لقبيلتين: الحميريين homeritae وجيرانهم السبئيين Sabaitae، وهو صديق الإمبراطور بعد سفارته وهداياه القيمة المتكررة.

24. وسوق موشج بدون مرافئ، ولكن فيها مراسٍ جيدة، بسبب الأرض الرملية التي تصلح لإلقاء خطاطيف السفن. والواردات هنا تشمل: الأقمشة الأرجوانية الناعمة منها والخشنة،

والثياب العربية الموشاة، سواء بنقوش بسيطة أو المطرزة بالذهب، والزعفران، وقماش قطني عادي، عباءات من الموسلين والرود والحرمات –ليست كثيرة ـ بعضها عادي والبعض الآخر مصنوع على الطريقة المحلية، أوشحة مخططة، ومقدار معتدل من العطر، والقمح/ الحنطة ليس كثيراً لأن البلد ينتج كميات معتدلة منه، وكميات كبيرة من النبيذ. وتهدى إلى الملك وزعيم موشج الخيول والأواني المصنوعة من الذهب ومن الفضة الصقيلة والأقمشة الغالية الثمن، والأواني النحاسية. بينما المنتجات التي تصدر من هنا هي تلك المنتجات التي تنتجها البلاد: المر الجيد، المرمر، وأيضاً كل الأشياء التي تم ذكرها من قبل من مدينة عدوليس على الجانب الآخر. وأفضل وقت للسفر إلى هنا هو شهر سبتمبر الذي هو توت Thoth، إلا أنه ليس ثمة ما يمنع من القيام بالرحلة قبل ذلك.» (الشيبة 2008: 77 ـ 78).

تفوق هذا الكتاب، في دقة معلوماته، على ما كتبه الجغرافيّ الشّهير بطليموس في جغرافيّة جزيرة العرب والبحار المحيطة بها لأن صاحب كتاب الطّواف دوّن كثيراً من معلوماته من خلال مشاهداته الشّخصيّة، وأمّا بطليموس فلم يزر المناطق التي دونها، واعتمد على الوثائق والمصادر ومرويّات بعض الملّاحين والتّجّار.



الدول والممالك في كتاب الدليل (الشيبة 2008: 104).

«ومن الرواية التي في كتاب (الطواف) يمكن أن نعلم أن السبئيين قد احتكروا التجارة إلى الهند، وأصبحوا وكلاء بين تجار الهند ومصر. وخلال حكم بطليموس فيلوميتر (177 م) لم يكن الإغريق الذين حكموا مصر يتاجرون مباشرة مع الهند، وإنما كانت تجارتهم من خلال سبأ عاصمة العربية السعيدة، لم يستخدم مرفأ برنيس Berinici للتجارة وإنما ما زال هرمز هو المرفأ التجاري. أما التجارة مع الساحل الأفريقي فلا تتعدى التجارة في الفيلة.» (بلاي فير 1999: 52).

3. كلوديوس بطليموس (حوالي 100 ـ 170 م):

عالم الرياضيات والفلك والجغرافيا وهو المنجم وشاعر إبيجراما في الإثنولوجيا الإغريقية، وصاحِب كتاب المَجَسْطي الذي تصور الأرض مركزاً للكون وهي ثابتة لا تتحرك والأفلاك تدور حولها. هو صاحب الأطروحات العلمية، وفي الجغرافيا.

يقدم بطليموس في كتاب الجغرافيا عملاً نوعياً فيه الكثير من الأصالة والابتكار فهو يقدم دليلاً لوضع خريطةٍ للعالم، ويتكون كتابه من ثلاثة أجزاءٍ أساسية هي (تعليمات لرسم الخريطة، وقائمة بأسماء الأماكن التي تسجل على الخريطة مع إحداثياتها الطولية والعرضية المطابقة لخطوط الطول والعرض، وبطاقة تعريفية بمحتوياتها).

وفيما يتعلق بموضوعنا وبخرائطِ الجزيرة العربيَّة وامتدادَاتها الشمالية فإنَّ الأجزاءَ الخاصةَ بها تبدأُ في الظهُور في الكتابِ الخامسِ الذي يشتمل على الخريطةِ الرابعَة في آسيا، وتضم الخريطة الرابعة بلاد العرب الصخرية، وفي الفصل التاسع عشر يتحدث عن بلاد العرب الصحراوية، ثم عن بلاد العرب السعيدة في الخريطة السادسة لآسيا في الفصل السابع من الكتاب السادس.

وتحدُّها من الشمال بلاد العرب الصخرية وبلاد العرب الصحراوية، في حين يحيط بها البحرُ الإريتريُّ من الشرقِ ومن الجنُوب ومن الغربِ، وإن كان بطليموس يحدد الجزء الشرقيَّ من هذا البحر باسم الخليج العربيِّ، والجزء الغربيَّ بالخليج العربيِّ/الأحمر حاليًّا، ويترك تسمية الإريتريِّ للجزء الجنوبيِّ/بحر العرب حالياً. وبالمقارنة بالخرائط السابقة جميعها فإنَّ خريطة بلاد العرب السعيدة تُعدُّ أكبر الخرائط والمناطق. إنَّنا نقابلُ هنا العديد من الجماعات التي يمكن في كثيرٍ من الأحيان مقابلتها ببعض الأسماء الحديثة، مثل اللايانيِّين/ اللحيانيِّين، كما أنَّنا نجد قوائمَ طويلةً بأسماء مدنٍ وقرى ومدنٍ كبرى، وأخرى يصفها بأنَّها مقرَّاتٍ ملكيَّة. ويزودنا بطليموس أيضًا بوصفٍ للسواحل يشتمل على قوائم بأسماء الموانئ والخلجان والجزر، التي لا يمكن في بعض الأحيان تحديد مواقعها.» (بطليموس ـ المقدمة 2017: 32).

المبحث الثالث: أصل اليمنيين (جذورالشعوب اليمنية)

اليمنيون القدماء ليسوا متجانسين في أصولهم، ولذلك لا يمكن الاعتقاد بوجود عرق يمني واحد، فهم، مثل كل الأمم القديمة، تكونوا من خليط من الشعوب جمعهم تاريخ مشترك وطريقة عيش وحضارة واحدة ولغة واحدة.

أولاً: المختبرات الجينية:

تقرر المختبرات الجينية أن الخارطة الجينية العامة لليمنيين الحاليين يمكن معرفتها من خلال الكشف عن ثلاثة توزيعات مهمة للحمض النووي (دنا) وهي كما يلي:

1.توزيع السلالات الذكورية (Y - DNA)

حسب دراسة Alshamali et al 2009 وMarc Haber 2019 يأتي توزيع السلالات الذكورية (Y - DNA) في اليمن كما في هذا الجدول:

Alshamali et al 2009 , Haber et al 2019

أغلب الهابلوغروب هي من المجموعة السامية، وهناك ما يشير إلى عناصر آيبيرية إسبانية. وهذا يعني أن اليمن استقبلت مهاجرين من الشرق الأدنى وجنوب أوروبا وشمال غرب أفريقيا. ولم تكن هي أصل السامين والقبائل العربية كما يشاع.

2. توزيع السلالات الأنثوية (mt - DNA)

Kivisild et al 2004 & Cerny et al 2008

هابلوغروب (J) يربط اليمن بالقرن الأفريقي والشرق الأدنى، وهو ما يعزز النتائج السابقة.

3. توزيع الشعوب والهجرات التي كوّنت الشعب اليمني(punt - DNA)ا Autosomal

الاوتوسومال في اليمن (PuntDNAL K12)

https://ahme3elsaye3.wordpress.com/2021/02/03/نسب ـ admixture ـ في ـ الشرق ـ الأوسط ـ وشمال ـ أفريقيا/

أغلب الجماعات التي كوّنت الشعب اليمني القديم جاءت من أفريقيا تحت الصحراء منذ العصور الحجرية القديمة، وفي العصر البرونزي (3000 ـ 1200 ق.م جاءت غيرها كهجرات من الشرق الأدنى من النطوفيين والأناضوليين القدماء.

ثانياً: شعوب اليمن القديمة وعلاقتها بالساميين والعرب:

1.الساميون: وهم مجموعة لغوية ظهرت في الشرق الأدنى القديم. وهناك ما يقرب من 30 جماعة سامية تختلف في لغتها وأصلها، ويختلف تقاربها من بعضها. ومن غير الصحيح الخلط بينها ودمجها في بعضها، فالأكديون ليسوا آشوريين أو بابليين أو آراميين أو عرباً رغم أنهم يشتركون في أصول ولغات متقاربة، وعلى هذا الأساس لا يمكن القول بأن اليمنيين هم أكديون أو آراميون أو كنعانيون أو عرب، بل هم مجموعة لها خصوصيتها المختلفة عن هؤلاء والمختلفة عن الجعزيين والحبشيين عموماً.

اليمنيون، في التاريخ القديم، مجموعة لغوية مختلفة عن العرب، ولذلك نضطر لترجمة لغتهم المكتوبة إلى العربية لكي نفهم ما يقولون، ولذلك، ومن أجل الحفاظ على الدقة المنهجية يجب التفريق بين كل الشعوب السامية وتسميتها باسمها.

لاشك أن أقرب الشعوب السامية القريبة لليمنيين هم العرب، بحكم التجاور الجغرافي، وبحكم اتصال اليمنيين بالعرب البدو بشكل خاص والذين يسمونهم (عربن).

أما اليمنيون الحاليون فهم عربٌ بلغتهم وتقاليدهم، وهم أقرب إلى العرب جينياً، ولو قارنا الفحص الجيني بين أهل اليمن والمملكة العربية السعودية والخليج العربي لوجدناها متقاربة في وجود الهابلوغروبات .

المبحث الرابع: الدراسات اليمنية ـ أنواعها ومراكزها وعلماؤها

(دراسات اليمن القديم)

يمكننا اعتبار حقل دراسات اليمن القديم واحداً من حقل الدراسات الحضارية، وقد يسمى حسب المصطلح الاستشراقي (حقل دراسات جنوب الجزيرة العربية)، وتشمل هذه الدراسات جميع مظاهر الحضارة اليمنية القديمة، والتي عمادها عدد كبير من الآثار اليمنية القديمة والنقوش اليمنية التي يبلغ عددها بحدود 20 ألف نقش مسندي وزبوري تسمى (مجموعة العربية الجنوبية):

The ASA (Ancient South Arabian) corpus

وتُعد هذه الآثار والنقوش بمثابة التوثيق الملموس والمكتوب المباشر للحضارة التي ازدهرت في اليمن القديم في جنوب شبه الجزيرة العربية من أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي. وتضم المجموعة النقوش التي يعود تاريخها إلى ما بين القرن السابع قبل الميلاد ونهاية القرن الثالث الميلادي. بعد فترة مبكرة من التكوين تتميز بتأثير ثقافي ولغوي قوي للسبئيين ثم جاء الحميريون بعدهم، وفي حوالي القرنين الخامس والرابع، وأصبحت مناطق حضرموت لها أهميتها السياسية الخاصة، وكان نشاطها الرئيسي هو تجارة البخور. وقد ساهم عدد كبير من علماء الدراسات اليمنية في التعرف على هذه الآثار والنصوص ورسم ملامح تاريخ وحضارة اليمن القديم.

نبذة عن بعض جهود وعلماء الدراسات اليمنية:

أولاً: تاريخ البعثات الآثارية في اليمن

1.جهود البعثات الآثارية الأجنبية في اليمن خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر:

2.جهود البعثات الآثارية الأجنبية في اليمن خلال القرن العشرين:

3.أعمال البعثات الأثرية الفرنسية في اليمن إلى عام2012:

Centre français de recherche de la péninsule Arabique, 2020

http://www.openedition.org/6540

https://books.openedition.org/cefas/2708

4.جهود تأسيس الجوانب الإدارية للآثار في اليمن:

وكذلك هناك عدد من البعثات التي لم تفتح لها مراكز أو مكاتب في اليمن مثل:

1. البعثة الروسية برئاسة ألكسندر سيدوف.

2. البعثة الإسبانية برئاسة ميكل برتسيلو 1998 ـ 2002 .

3. البعثة البريطانية.

وقد كانت لهذه البعثات أدوار في الكشوفات الأثرية العلمية وتأهيل وتدريب كوادر الهيئة المتخصصة والفنية.

5.اكتشاف عصور ما قبل التاريخ في اليمن:

لا يمكننا النظر لشبه جزيرة العرب بطريقة متجانسة واحدة، فهي مختلفة في أجزائها المطلة على البحار عن تلك الموغلة في رمالها وصحرائها، ولذلك كان تميّز تأريخها وثقافاتها مرتبطاً باختلاف البيئات الجغرافية والمناخية لمناطقها المختلفة.

«غالباً ما توصف العربية بأنها صحراء ذات واحات نادرة ومحاطة بالبحار، مما يعكس عنها صورة غير دقيقة وبالتالي غير مكتملة. فهناك مناطق واسعة خصوصاً في المرتفعات اليمنية تتلقى أمطاراً غزيرة. وبذلك لا توجد عربية صحراوية محضة بل هناك أيضاً عربية رطبة وخضراء في المناطق المرتفعة التي نستطيع أن نطلق عليها اسم»السعيدة» تقليداً للقدماء. إن الدراسات التاريخية تفرق بشكل اعتيادي بين هاتين العربيتين، إذ إن الأولى ربما سكنها الرعاة البدو والأخرى سكنها الفلاحون المستقرون. بالرغم من أن سكانهما لم يكونوا يتحدثون نفس اللغات، وحتى إن آلهتهم نفسها كانت تصور بشكل مختلف. إن الدراسات الحديثة تعالج هذا التناقض. فالعربية الجنوبية الغربية كلها تتقاسم نفس الميول بالنسبة للنحت على الحجر الذي استعمل كمادة للرسائل المدونة أو المرسومة: كما يلاحظ في عدة مناطق وجود إفراط في الرسوم الصخرية والنصوص المنقوشة على الصخر وهذه ظاهرة لا نجد لها مقابلاً في مواضع أخرى. في حين أن التصوير الإنساني للآلهة وجد نوعاً من النفور المشترك لدى جميع سكان شبه الجزيرة العربية.» (مقدمة كريستيان أوبان، رشاد وماري لويز 2018).

اكتشافات وبحوث ما قبل التأريخ في اليمن بدأت في اليمن كما يلي:

1.قامت السيدة (جيرترود كاتون ـ ثومبسون) في شتاء عام 1937 بمسح أثري في وادي حضرموت، واكتشاف آثار تعود للعصرين الحجري القديم والحجري الحديث. ونشرت بحثها في 1938.

ثانياً: علماء الدراسات اليمنية الأجانب

جوزيف هاليفي

Joseph Halévy (1827 - 1917)

مستشرق ورحّالة فرنسي، ولد في باريس، تدرج في دراسته حتى أصبح مدرسًا في مدارس يهودية، في مسقط رأسه أولاً ثم في بوخارست لاحقًا، وكرس وقت فراغه لدراسة اللغات الشرقية وعلم الآثار، حيث أصبح بارعاً فيها. في عام 1868 أرسله التحالف العالمي الإسرائيلي إلى الحبشة لدراسة ظروف الفلاشا. لفت تقريره عن تلك المهمة، التي أنجزها بنجاح متميز، انتباه المعهد الفرنسي (Académie des Inscriptions et Belles - Lettres)، الذي أرسله إلى اليمن عام 1870 لدراسة نقوش السبئيين. عاد هاليفي مع 686 من النقوش اليمنية القديمة، وقام بفك رموزها وتفسيرها. في عام 1879، أصبح هاليفي أستاذاً للدراسات الإثيوبية في المدرسة العملية للدراسات العليا، باريس، وأمين مكتبة Société Asiatique، كان نشاط هاليفي العلمي واسعاً في فقه اللغة الشرقية وعلم الآثار، أفسد علمه تعصبه الأعمى لليهود والعبرية والسامية، وهو معروف بجعله التوراة كتاباً تاريخياً وبتعصبه السامي الذي ظهر جليّاً، من خلال خلافاته مع علماء الآشوريين البارزين، فيما يتعلق بالنصوص السومرية، غير السامية، الموجود في النقوش الآشورية البابلية. خلافاً للرأي المعترف به عموماً، طرح هاليفي النظرية القائلة بأن السومرية ليست لغة ولا شعباً، ولكنها مجرد طريقة إيديوغرافية للكتابة اخترعها البابليون الساميون أنفسهم. كان هاليفي أستاذاً في جامعة باريس. وفيما يلي الأعمال الرئيسية لهاليفي، والتي نُشرت جميعها في باريس، منها ثلاثة كتب عن اليمن القديم:

البعثة الأثرية في اليمن (1872)

مقال عن لغة الآغاو، لهجة الفلاشا (1873).

رحلة إلى نجران (1873).

الدراسات الأمازيغية، الخط الليبي (1873).

خليط من النقوش السامية وعلم الآثار (1874).

دراسات سبئية (1875).

هل تسمى اللغة الأكدية الطورانية؟ (1875).

دراسات عن المقطعية المسمارية (1876).

رواية قصيرة لتطور الأكدية (1876 ـ 1878).

صلوات الفلاشا، نص إثيوبي مع ترجمة عبرية (1877).

بحث نقدي في أصل الحضارة البابلية (1877).

مقال عن نقوش الصفا (1882).

الوثائق الدينية لآشور وبابل، نص مع ترجمة وتعليق (1882).

مزيج من النقد والتاريخ المتعلق بالشعوب السامية (1883).

نظرة نحوية في اللغة الآشورية البابلية (1885).

مقال عن أصل الكتابات الهندية (1886).

مراسلات أمينوفيس الثالث. وأمينوفيس الرابع. منسوخة ومترجمة 1891 ـ 1893، دراستان، 1893، 1899. ملاحظات جديدة عن الكتاب المقدس الهندي (1895).

بحث الكتاب المقدس، سلسلة من المقالات بدأت في«R.E.J»؛ استمر بعد عام 1893 في Revue Sémitique d’Epigraphie et d’Histoire Ancienne، التي أسسها هاليفي؛ ونشرت في شكل كتاب عام 1895.

مليحة وشير«Melizah we - Shir»، مقالات وقصائد عبرية (القدس، 1895).

توبي وأخياكر (1900) Tobie et Akhiakar.

التاريخ السومري والبابلي (1900).

Taazaze Sanbat النص الإثيوبي والترجمة (1902).

الجزء العبري الجديد من الكنيسة (1902).

الألواح اليونانية ـ البابلية والسومرية (1902).

مقال عن النقوش البدائية العربية (1903).

الدراسات الإنجيلية (1903).

إدوارد جلاسر

Eduard Glaser (1855 - 1908)

مستشرق وعالم آثار نمساوي. تركزت أعماله عن اليمن القديم، فساهم بقوة في تقدم البحث التاريخي والثقافي لتراثه، كانت زيارته الأولى لليمن (1882 ـ 1884). ثم عاد إليها في ثلاث مناسبات أخرى (1885 ـ 1886، 1887 ـ 1888، 1892 ـ 1894). وكان قد تخفى في اليمن على أنه مسلم يحمل اسم الفقيه حسين بن عبد الله البراقي، نصح الأتراك بتشجيع البحث في منطقة مأرب (سبأ القديمة) ليثبت بذلك أن السلطان كان مهتمًا بالمساهمة في البحث العلمي في اليمن. اقترح إعادة بناء سد في مأرب، لاحظ جلاسر ووثق كل شيء رآه في اليمن بعين أنثروبولوجية، فقد أجرى أبحاثًا حول التضاريس والجيولوجيا والجغرافيا والحياة اليومية للناس، وأعد ورسم الخرائط، ووضع ملاحظات فلكية وجمع بيانات عن الأرصاد الجوية والمناخ والتجارة الاقتصادية، وكذلك عن الحرف الوطنية، كان جلاسر أول من أدرك أن السكان اليمنيين هم من وضع الخط السبئي. أثناء تجواله في المنطقة مع أبناء الحاكم المحلي، اكتشف ما يقرب من مائة نقش قتباني.

ويعتبر وصفه الطوبوغرافي والجغرافي للطريق إلى مأرب حتى يومنا هذا أهم مساهمة له. خلال رحلته الثانية إلى اليمن، طور استراتيجية جديدة، واقترح أن يقدم للمتاحف والأرشيفات بعض العناصر من مجموعاته من مخطوطات ويوميات ونسخ من نقوش سبئية. عند عودته من رحلته الثالثة إلى اليمن عام 1889، اقترح جلاسر على وزارة خارجية النمسا إما أن تحتل أو تشتري من العثمانيين ميناء أوفير بسبب ذكره في العهد القديم. جمع خلال زياراته الثلاث لمأرب 1032 نقشاً يمنياً قديماً ليدرسها في النمسا.

أصدر مجموعة من المؤلفات أهمها:

1. رحلتي في أرحب وحاشد 1884 .

2. مذكرات إدوارد جلاسر (1886).

3. الحبشة في شبه الجزيرة العربية وأفريقيا، بناءً على النقوش المكتشفة .1895

4. نقشان على سد مأرب. مساهمة في تاريخ شبه الجزيرة العربية في القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد 1897.

5. «سد مأرب» 1897.

6. بونت والإمبراطورية العربية الجنوبية (في ألمانيا) 1899.

7. سواع والعزى والنقوش اليمنية القديمة (بالألمانية) 1905. ميونيخ

8. رحلة إدوارد جلاسر إلى مأرب (بالألمانية). فيينا 1913 (كتبه وحرره: مولر، ديفيد هاينريش؛ رودوكاناكيس، نيكولاس).

نيكولاوس رودوكاناكس

Nikolaus Rhodokanakis (1876 - 1945)

مستشرق نمساوي، من أصولٍ يونانية، عني باللغات السامية وخصوصاً بلهجات اليمن. كان نجل تاجر. بدأ دراسة القانون في فيينا، لكنه تحول، بعد ذلك، إلى فقه اللغة السامية وعلم المصريات واستمر في دراسة اللغة العربية والآرامية في جامعة ستراسبورغ. تخرج بدرجة الدكتوراه في عام 1898 وتأهل كأستاذ عام 1903 في فقه اللغة السامية. بدأ إنتاجه العلميّ بتحقيق ديوان (عبيد الله بن قيس الرُّقَيّات) مع ترجمة ألمانية وتعليقات وفيرة، ثم كتب بحثاً عن الخنساء ومراثيها. في عام 1904 حصل على منحة سفر لدراسة اللغة العربية في القسطنطينية والقاهرة وفجأة تحول من دراسة الشعر العربي القديم إلى دراسة اللغات واللهجات والنقوش اليمنية، ففي عام 1904 تلقى من لسان أحد سكان إقليم ظفار (في دولة عُمان حالياً) نصوصاً نثرية وشعرية، فترجمها ونشرها مع الترجمة الألمانية، في 1908 في المجلد الثامن من مجموعته «الرحلة الاستكشافية في جنوب جزيرة العرب».. في عام 1907 ذهب إلى جامعة جراتس، حيث كان في البداية أستاذاً مشاركاً، بدون أجر، ولم يكن حتى عام 1917 أستاذًا متفرغًا لفقه اللغات السامية. وفي عام 1919 أصبح عضواً كامل العضوية في أكاديمية العلوم. وبمرور الوقت، تحول اتجاه أبحاثه، بشكل متزايد، إلى البحث في اللغة اليمنية ولهجاتها.

وفي 1910 كتب بحثاً عن» تركيب اللهجة المِهرية» نشر في فيينا، 1910، وبعد لهجتي ظفار والمهرية، اتجه إلى لهجة إقليم قتبان، فنشر نصوصاً بلهجة قتبان ودَرَسها، وذلك في جزأين، بعنوان: «نصوص قتبانية تتعلق بالفلاحة».ونشره في 1919. والثاني في فيينا 1922.

وأصدر ثلاث كراسات بعنوان: دراسات في ألفاظ ونحو اللغة العربية الجنوبية القديمة:

1 ـ الكراسة الأولى بعنوان: لفظ: صرفم، في اللغة السبئية، وهو نبات يستعمل بلسماً 1915.

2 ـ الكراسة الثانية: نقوش في حرم بلقيس ـ نقوش على مبانٍ. نقوش للحدود. نقوش على أحواض المياه. نصوص في الفلاحة؛ 1918.

3 ـ الكراسة الثالثة: نصوص غير دينية. شواهد قبور. نصوص دينية. 1931.

4 ـ نشر «نقوشاً على سور كهلان تمنع» (فيينا، 1924).

وألف لمحة عامة عن «الحياة العامة في دول جنوب جزيرة العرب»، ضمن كتاب: «متن التاريخ الأثري للعرب القدماء».ثم انصرف إلى دراسة نصوص من مجموعة Eduard Glaser، العالم الرحالة العظيم مكتشف الكثير من نقوش جزيرة العرب، وقام بتحريرها، وبالتالي أصبح المؤسس الجديد للدراسات السبئية. عمل على النقوش والتاريخ الاستيطاني والدستوري. كما ألقى محاضرات متكررة حول نصوص الإنجيل الأصلية. وبهذه الحصيلة من الكتب والبحوث أصبح من رواد علم النقوش اليمنية.

ألبرت جام

Albert Jamme (1916 - 2004)

عالم نقوش رافق جمعية الإرساليات الأفريقية وأصبح خبيراً في اللغات السامية القديمة، وكان باحثاً رائداً في قراءة وتفسير وتصنيف النقوش العربية الجنوبية القديمة. كانت أول خبرته الميدانية الرئيسية كرئيس للبحث عن النقوش في تمنع، وهي مدينة يمنية قديمة كانت عاصمة مملكة قتبان ومركزاً مهماً لاستراحة القوافل على طريق البخور التجاري القديم، حيث نسخ آلاف النقوش. في عام 1952 نشر حوالي ثلاثمائة نقش من مقبرة تمنع وحدها. بعد ذلك بعامين، في عام 1954، التحق بالجامعة الكاثوليكية في واشنطن العاصمة، حيث قام بالتدريس لعقود. وما زالت مجموعته الآثارية محفوظة هناك. أما كتبه الأكثر انتشاراً فهي:

1.نقوش سبئية من محرم بلقيس.

2. مجلد بجزأين نُشر بين عامي 1962 و1995 بثلاث لغات:

الجزء الأول: يحتوي على نصوص النقوش المكتوبة بحروف تصويتية، مصحوبة بترجمات وملاحظات تفصيلية.

الجزء الثاني: دراسات تاريخية.

نقوش سبئية وأحسائية من المملكة العربية السعودية

كتاب متحف كارنيجي 1974 ـ 1975 رحلة اليمن التي قام بها جام.

ألفريد فيليكس لاندن بيستون

Alfred Felix Landon Beeston (1995 ـ 1911)

أب الدراسات المعجمية اليمنية، وأحد علماء الدراسات اليمنية، تخصص باللغة العربية، وتاريخ ولغات الممالك اليمنية القديمة، ولد في حي بارنز جنوب غرب لندن، درس في مدرسة وستمنستر والذي كان باحثاً ملكياً لتفوقه. افتتن ألفريد بالكتابات السبئية من سن الرابعة عشرة، انتقل إلى الدراسات الشرقية وحصل على المرتبة الأولى في اللغة العربية والفارسية. بعد أن حصل على عمل في مكتبة بودليان. ثم أصبح أمين مكتبة ثانويًا وأمينًا للكتب والمخطوطات الشرقية، كانت معرفته باللغات واسعة بشكل غير عادي، من الويلزية، والهنغارية، إلى الصينية. وكان عالم فقه اللغات السامية، دقيقاً وصارماً في عمله، حضر للدكتوراه في الفلسفة بإشراف ديڤيد صمويل مارغـليوث، وعين أستاذاً للغة العربية في جامعة أكسفورد عام 1957. في عام 1965 انتخب زميلاً في الأكاديمية البريطانية. وحصل على منحتين دراسيتين. أهم مؤلفاته:

1. نقوش سبأ، أكسفورد 1937.

2. فهرس المخطوطات الفارسية والتركية والهندوستانية والبشتو في مكتبة بودليان. الجزء الثالث.

3. مخطوطات فارسية إضافية، مطبعة جامعة أكسفورد، 1955.

4. القواعد الوصفية للنقوش العربية الجنوبية، لندن: لوزاك.

5. العربية المكتوبة، مقاربة للبنى الأساسية، مطبعة جامعة كامبريدج، 1968.

6. اللغة العربية اليوم، كول. اللغات الحديثة، لندن: هاتشينسون، 1970.

The Epistle on Singing - Girls of Jahi، Warminster: Aris and Phillips، 1980

7. رسالة في غناء ـ بنات جاهي، وارمينستر: آريس وفيليبس، 1980.

8. رسالة في بقايا أغاني ياهيو 1980.

9. قاموس السبائك (إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي).

10. المعجم السبئي (بالإنكليزية والفرنسية والعربية)، إصدار جامعة صنعاء.

11. مختارات من النقوش اليمانية القديمة. تونس. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع محمد عبد القادر بافقيه وكريستيان روبن ومحمد الغول (باللغة العربية) 1985.

والتر مولر

Walter Wilhelm Müller(1933)

متخصص ألماني في الدراسات اليمنية والكتابات السامية وعلم اللغة السامية المقارن، درس الدراسات السامية والعربية في جامعة توبنغن، وتخرج عام 1962. وعمل لاحقًا كمساعد أكاديمي في معهد الدراسات السامية. أصبح أستاذاً في عام 1968 وفي عام 1973 تم تعيينه أستاذاً استثنائياً. في عام 1975 تم استدعاؤه ليكون أستاذًا للدراسات السامية في جامعة فيليبس في ماربورغ. في عام 2001 أصبح أستاذاً فخرياً. منذ عام 1978، كان مولر عضوًا مناظرًا في المعهد الأثري الألماني، ومنذ عام 1987 عضوًا عاديًا في أكاديمية العلوم والآداب في ماينز، ومنذ عام 1990 عضوًا في أكاديمية Sudeten الألمانية للعلوم والفنون، ومنذ عام 2001 عضوًا مناظرًا في الأكاديمية البريطانية. في هذه الأيام يكرس والتر دبليو مولر نفسه للدراسات اليمنية، وخاصة من وجهة نظر لغوية واقتصادية. في 2012 أصبح عضواً فخرياً في الجمعية الشرقية الألمانية.

أهم مؤلفاته:

1.عطور. المنتج العربي ومعناه في العصور القديمة، ميونيخ 1978.

2.القاموس السبئي: مع ألفريد فيليكس لاندون بيستون، محمود الغول، جاك ريكمانز.

3.جنوب الجزيرة العربية في العصور القديمة. ببليوغرافيا مشروحة من 1973 إلى 1996،

4.العربية السعيدة: مساهمات في لغة وثقافة الجزيرة العربية قبل الإسلام. 1994.

كريستيان روبن

(Christian Robin) (1943)

عالم آثار فرنسي حصل على دكتوراه في الدراسات العربية، خريج معهد الدراسات السياسية في باريس (1964)، والمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحديثة في اللغة

العربية الحرفية (1967)، والمدرسة العملية للدراسات المتقدمة (1978)، كان باحثاً ثم مديراً للبحوث في المركز الوطني للبحث العلمي بين عامي 1970 و2010. وكان أيضًا محاضرًا في المدرسة العملية للدراسات المتقدمة، في جامعة السوربون ـ نوفيل، وجامعة إيكس ـ مرسيليا. وهو عضو في أكاديمية النقوش. والمدير الفخري للمركز القومي للأبحاث العلمية في فرنسا، ومؤسس المركز الفرنسي للأبحاث في صنعاء، اليمن، كما عمل مديراً للعديد من البعثات الآثارية والمشاريع البحثية. رئيس اللجنة الفرعية لأفريقيا العربية التابعة للجنة الاستشارية للحفريات بالخارج بوزارة الخارجية ورئيس المجلس العلمي لمركز الأبحاث الفرنسي بالقدس، وهو مدير البعثة الأثرية الفرنسية في اليمن (1978 ـ 1989)،ومدير بعثة قتبان (1988 ـ 2010)، ومدير البعثة الأثرية الفرنسية في تيغراي (1996)، ومسؤول عن الشق الفرنسي في البعثة الفرنسية السعودية للتنقيب عن الكتابات في منطقة نجران (منذ 2005)). عضو في هيئة تحرير العديد من المجلات الأكاديمية بما في ذلك Saba وRaydân ومحرر مشارك لمجلة جرد النقوش العربية الجنوبية، وهو رئيس ومؤسس جمعية علماء الآثار وعلماء اللغة والمؤرخين في شبه الجزيرة العربية.

للدكتور روبن مؤلفات عديدة حول اليمن وتاريخه. كما قام بمراجعة العديد من المطبوعات، فضلاً عن رسمه لخريطتين آثاريتين إحداهما لليمن القديم، والأخرى لوادي الجوف في اليمن.أما أهم مؤلفاته فهي:

1. ببلوغرافيا عامة منهجية (لجنوب شبه الجزيرة العربية القديمة)، لوفان، بيترز، 1977.

2. مرتفعات شمال اليمن قبل الإسلام: بحث في الجغرافيا القبلية والدينية لهولان قساعة وأرض حمدان، اسطنبول، 1982.

3. مرتفعات شمال اليمن قبل الإسلام: النقوش، اسطنبول، 1980.

4. شبه الجزيرة العربية القديمة بيانات جديدة عن تاريخ النقوش العربية 1991.

5. اليمن: في أرض ملكة سبأ (عمل جماعي)، باريس، فلاماريون، 1999.

6. اليهود والمسيحيون في شبه الجزيرة العربية في القرنين الخامس والسادس.

7. القرآن والكتاب المقدس (عمل جماعي)، باريس، بايارد، 2002.

8. شبه الجزيرة العربية عشية الإسلام: تقييم مباشر.

9. آلهة العرب: صور وتمثّلات.

10. اليهودية في شبه الجزيرة العربية القديمة.

11. مقدمات الإسلام: التصدعات والاستمرارية في حضارات الشرق الأدنى وشرق أفريقيا والجزيرة العربية والهند عشية الإسلام.

12. الجافنيون: ملوك العرب في خدمة بيزنطة (القرن السادس الميلادي).

13. مناظر متقاطعة للشرق والغرب: السدود في العصور القديمة المتأخرة.

14. أصول المصحف القرآن الأصلي (تحرير)، باريس، أكاديمية النقوش.

15. تمنع (اليمن). الحفريات الإيطالية الفرنسية. التقرير النهائي 2016.

16. جرد النقوش العربية الجنوبية (مشترك): المجلد 8، 2016.

17. العربية (مع فرانسواز بريكيل شاتونيت)، باريس، 2021.

أليساندرو دي ميغريه

Alessandro de Maigret (2011 ـ 1943)

عالم آثار إيطالي مرموق، أهم اكتشافاته كانت في اكتشاف ثقافة العصر البرونزي في اليمن. وبذلك يكون قد ساهم في إعادة بناء التسلسل الزمني الدقيق لليمن القديم. عضو في المعهد الإيطالي لأفريقيا والشرق (مجلس العلوم منذ عام 2001)، المجمع الآسيوي، المعهد الألماني للآثار. ولد في 1943 في بيروجيا، أومبريا، إيطاليا. حصل على ماجستير الآداب في الأدب القديم، من جامعة روما، 1971. ثم حصل على دكتوراه في آثار الشرق الأدنى، من جامعة روما، 1975. كان مساره المهني حافلاً فقد حاضر بجامعة روما (1971 ـ 1980). وهو أستاذ مشارك في المعهد الجامعي الشرقي، نابولي، إيطاليا (1981 ـ 1990)، أجرت البعثة مسحاً أولياً لآثار ما قبل التاريخ الغنية والمتنوعة في اليمن في مواقع على الهضبة العالية، في الصحراء والسهل الساحلي. في عام 1981، اكتشفت البعثة وجود ثقافة العصر البرونزي في اليمن والتي تعود ما بين الألفية الثالثة والألفية الثانية قبل الميلاد. وتم اكتشاف أكثر من خمسين موقعًا من هذه المرحلة ما قبل السبئية في المنطقة الجبلية جنوب شرق صنعاء. وأعطت الاستكشافات والحفريات التي أجريت في عامي 1984 و1985 في أربع مستوطنات رئيسية الصورة الكاملة الأولى لثقافة ذات صلات واضحة بالثقافة التي ازدهرت في فلسطين في أوائل العصر البرونزي، والتي سبقت مباشرة الحضارة العربية الجنوبية.

في عام 1985، نتج عن البحث في الفترة السبئية اكتشاف مجموعة كبيرة من الآثار (وادي يالا) عند الحدود الشرقية للصحراء، والتي تعتبر، بعد مأرب، أهم مجمع أثري سبئي معروف في اليمن.

في أواخر الثمانينيات، قام دي ميغريه والبعثة الإيطالية بالتحقيق في عدد من المواقع: المقابر الواقعة في الصحراء («مقابر الأبراج») والمقابر الهابوجينية على الهضبة، والهندسة المعمارية الدينية في الفترة الإسلامية ووضع أول تصنيف نمطي لأقدم مساجد اليمن.
أخيراً، بدأ أعمال التنقيب على نطاق واسع في مدينة براقش المعينية (مدينة يثل القديمة)، وخلال حملتين أثريتين في عامي 1989 و1992 اكتشف معبداً مهماً مكرساً للإله الحامي نكرح (القرنان السابع والأول قبل الميلاد).

مؤلفاته:

1.العربية السعيدة استكشاف للتاريخ الأثري لليمن، العربية السعيدة (أصول شبه الجزيرة العربية) (2001).

2. (مشترك) اليمن، في أرض ملكة سبأ.

في عام 1990 أصبح أستاذًا متفرغًا لعلم الآثار وتاريخ الفن للشرق الأدنى القديم في نابولي. في العام التالي، تم انتخابه رئيسًا للرابطة الدولية لدراسات شبه الجزيرة العربية، ثم تم تعيينه من قبل وزارة الخارجية الإيطالية مستشارًا للآثار في السفارة الإيطالية في الرياض. وخلال إقامته في المملكة العربية السعودية (1993 ـ 1997)، تمكن دي ميغريه من إقامة اتصالات مع الجامعات والمعاهد الثقافية في مختلف دول شبه الجزيرة العربية واكتسب خبرة مباشرة في أهم المواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة والبحرين وقطر.

في عام 1998، من خلال برنامج تعاون مع البعثة الأثرية الفرنسية بقيادة كريستيان روبن، ترأس سلسلة من الحفريات في معبد يها العربي الجنوبي في أثيوبيا، وبين عامي 1999 و2004، أجرى ست حملات أثرية واسعة النطاق في تمنع، العاصمة القديمة لمملكة قتبان.

في أبريل ومايو 2009، قام بحملة تنقيب في دومة الجندل (مدينة أدوماتو الآشورية)، كجزء من مشروع بحثي إيطالي سعودي مدته خمس سنوات، يهدف إلى إبراز وتعزيز ماضي الواحة التي كانت أول عاصمة للعرب القدماء (القرن السابع قبل الميلاد) وأحد أهم المراكز التجارية في شمال الجزيرة العربية.

وفي ديسمبر 2010، بدأ دي ميغريه أول مسح أثري في غيمان (اليمن)، دون أن يتمكن من الاستمرار بالمشاركة بنشاطه بسبب تدهور صحته.

في جامعة نابولي لورينتال، شغل عدة مناصب أكاديمية: رئيس برنامج علم الآثار (2002 ـ 2003)، رئيس مركز الخدمات المشتركة بين الإدارات لعلم الآثار (2001 ـ 2007)، عضو مجلس الإدارة (1998 ـ 2000، 2003 ـ 2005)، عضو مجلس الشيوخ الأكاديمي، جمعية الدراسات العربية، وعضو اللجنة العلمية للمجلات العربية للنقوش والآثار (كوبنهاغن).. وغيرها.

دراساته في العشر سنوات الأخيرة من حياته

2006a L’antica carovaniera dell’incenso tra Arabia e Mediterraneo, in Per mare e per terra verso i Mediterraneo, Università degli Studi di Napoli»L’Orientale«, 37–44. Naples: Il Torcoliere.

2006b A. de Maigret and C.J. Robin, Tamnaʿ, antica capitale di Qatabān / Tamnaʿ, capitale antique de Qatabān. YICAR Papers 3, Ṣanʿāʾ (Yemeni ـ Italian Centre for Archaeological Research). [Printed and distributed by Il Torcoliere, Naples.]

2006c Excavations of the Italian Archaeological Mission in the second temple at Barāqish (2004 ـ 2005), in C.J. Robin and M. ‘A. Jāzim, Le pèlerin des forteresses du savoir. Hommage au qāḍī Ismāʿīl b. ʿAlī al Akwaʿ ـ à l’occasion de son 85e anniversaire (Centre Français d’Archéologie et de Sciences Sociales de Sanaa), 81–92, Ṣan‘āʾ:

2009a The excavations of the Italian Archaeological Mission at Barâqish (Republic of Yemen), Newsletter Archeologia (CISA) 0, 50–90. Also available online: www.unior.it/index2.php?content_id=3632&content_id_start=1.

2009b Arabia Felix. An exploration of the archaeological history of Yemen. Reprinted with a foreword by Professor T. J. Wilkinson. London: Stacey International. [First published 1999, reprinted 2002.]

2009c A. de Maigret and C.J. Robin, Le royaume sudarabique de Ma'īn: nouvelles données grâce aux fouilles italiennes de Barāqish (l'antique Lettres, Comptes rendus des _ Yathill), Académie des Inscriptions et Belles .séances 2009, 59–76

Jandal. _ Italian Archaeological Project at Dūmat al _ 2010a Joint Saudi Preliminary report of the 1st excavation campaign (2009), in B. Genito (ed.), Newsletter Archeologia (CISA) 1, 67–83. Also available online: .www.unior.it/index2.php?content_id=3632&content_id_start=1

2010b Il grande tempio di Yéha (Etiopia) ed i templi minei di Barāqish (Yemen), in F. Mazzei and P. Carioti (eds) Oriente, Occidente e dintorni... Università degli studi di) Scritti in onore di Adolfo Tamburello Istituto Italiano per _ Napoli»L'Orientale», Dipartimento di Studi asiatici .773–781. Naples ,(l'Africa e l'Oriente

2010c A Sabaean stratigraphy from Barāqish, Arabia. Revue de sabéologie .4 (2007–2010), 67–95, 205–240, Figs 66–127

2010d Review: Jérémie Schiettecatte and Christian J. Robin (eds), L'Arabie à la veille de l'Islam: bilan Clinique (Table ronde tenue au Collège de France les 28 et 29 août 2006 dans le cadre du projet de l'Agence nationale de la

recherche ‘De l’Antiquité tardive à l’Islam’; Orient & Méditerranée 3), p.
.316, 93 illustrations, Paris 2008 (de Boccard), Antiquity 84, 582–583

2010e Alla scoperta dell’Arabia Felix (In search of the Arabia Felix),
.Ligabue Magazine 29 (56) (1st semester 2010), 94–111

Some new considerations on the Great Temple of Yeha, in S. Wenig 2011
Expedition 1906 unter ـ (ed.) Kaiserlichem Auftrag. Die Deutsche Aksum
Enno Littmann. Band 2: Altertumskundliche Untersuchungen der DAE in
ologieنForschungen zur Arch) thiopien. Herausgegeben vonؤ/Tigray
183–194. Wiesbaden: Reichert ,(.ischer Kulturen. Band 3.2نereuropكAu
.Verlag

in A. ,2000 ـ 2016a Il tempio di Athirat. Rapporto finale degli scavi 1999
francesi / ـ de Maigret and C.J. Robin (eds), Tamnaʿ (Yemen). Gli scavi italo
French Excavations. Rapporto ـ françaises / The Italian ـ Les fouilles italo
finale / Rapport final / Final Report (Orient & Méditerranée 20), 109–257,
.Paris: Éditions de Boccard

2016b Saba senza la Regina di Saba. Un profilo archeologico dei Sabei
nella prima metà del I millennio a.C,, in F. Battiato, D. Hartman and G.
Stabile (eds), La Regina di Saba. Un mito fra Oriente e Occidente, Atti del
Seminario diretto da Riccardo Contini, Napoli, Università»L’Orientale», 19
novembre 2009 –14 gennaio 2010, (Università degli Studi di
Napoli»L’Orientale», Dipartimento Asia, Africa e Mediterraneo, Centro di
.Studi Ebraici, Archivio di Studi Ebraici 8), 17–54. Naples: Il Torcoliere

بيتر شتاين (1970)

Peter Stein

عالم آثار ألماني، عُرف باهتمامه بالنصوص الزبورية اليمنية وقواعد النصوص، من مواليد 1970، في دريسدن 1987 ـ 1989 بين 1987 ـ 1989 حصل على تدريب مهني كصانع أدوات، وفي 1992 ـ 1998 عمل على البحث في الدراسات الشرقية القديمة، فقه اللغة السامية واللاهوت البروتستانتي في ينا والقدس، بتمويل من المؤسسة الأكاديمية الوطنية الألمانية، في 1998 حصل على ماجستير أرتيوم في دراسات الشرق الأدنى القديم.
موضوع رسالة الماجستير: «دراسات نحوية لنقوش حكام بابل من الكيشية حتى نهاية العصر الآشوري» 1999 ـ 2002 دكتوراه في فقه اللغة السامية في يينا، بتمويل من المؤسسة الأكاديمية الوطنية الألمانية 2002 د. فيل. موضوع الرسالة: «تحقيقات في علم الأصوات والصرف في سبأ» 2002 ـ 2009 باحث مشارك في كرسي فقه اللغة السامية والدراسات الإسلامية بجامعة FSU Jena 2009 تأهيل في موضوع النقوش العربية الجنوبية الصغيرة على العصا الخشبية (الزبوريات) وهو نوع جديد من الكتابات السامية، منذ عام 2009 أصبح محاضراً خاصاً للفلسفة السامية في الكلية الفلسفية بجامعة فريدريش شيلر يينا سبتمبر 2009 ـ يوليو 2010 تمثيل مساعد جامعي في كرسي فقه اللغة السامية والدراسات الإسلامية، في FSU Jena أغسطس 2010 ـ مارس 2011 منحة Heisenberg من مؤسسة الأبحاث الألمانية منذ أبريل 2011 محاضرًا للغات العبرية والسامية القديمة في الكلية اللاهوتية البروتستانتية في FSU Jena وفي الكلية اللاهوتية الكاثوليكية بجامعة إرفورت، وفي ديسمبر 2017 مُنح لقب «أستاذ استثنائي للدراسات السامية» من جامعة فريدريش شيلر في جينا يبقى البحث في جامعة ليدن (فبراير 2009 ويوليو 2011) وفي الشارقة، الإمارات العربية المتحدة (ديسمبر 2016 و2017، مارس 2019؛ تولى مهام تدريس الكتابات العربية الجنوبية القديمة في جامعات فيينا (سبتمبر 2009 ـ يوليو 2011) وأوبسالا (أغسطس 2012).

الدراسات:

1. النقوش الملكية المركزية والبابلية الجديدة حتى نهاية الحكم الآشوري. الدراسات النحوية، فيسبادن 2000 (مساهمات جينا في الشرق الأوسط 3).

2. دراسات حول علم الأصوات والتشكيل من شبه الجزيرة العربية: بحث كتابي ،Sabaean . Rahden / Westf. 2003

3. النقوش العربية الجنوبية القديمة الصغيرة على عصا خشبية من مكتبة ولاية بافاريا في ميونيخ. المجلد 1. نقوش العصر السبئي الأوسط والمتأخر، توبنغن / برلين 2010 (بحث كتابي عن شبه الجزيرة العربية 5).

4. كتاب اللغة السبئية. الجزء 2.

Chrestomathie، Wiesbaden 2012 (Subsidia et Instrumenta Linguarum Orientis 4،2)

5.كتاب اللغة السبئية. الجزء 1: القواعد، فيسبادن 2013.

(Subsidia et Instrumenta Linguarum Orientis 4.1)

5.Abraham J. Drewes & Jacques Ryckmans، Les inscriptions sudarabes sur bois dans la collection de l'Oosters Instituut Conservée dans la bibliothèque universitaire de Leiden. Texts révisé et adapté par Peter Stein. Edité par Peter Stein and Harry Stroomer، Wiesbaden 2016

التحرير:

1.النص العبري بين اليهودية والمسيحية في العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة. مساهمات في المؤتمر الدولي الخامس والأربعين للمعلمين العبريين (IÖKH) من 8 إلى 10 مايو 2015 في إرفورت (تحقيقات صغيرة حول لغة العهد القديم وبيئته 21)، كامين 2016

(بالاشتراك مع S. Köhler وM. Krebernik وK. Lämmerhirt) مجموعة هيلبرخت لآثار الشرق الأدنى. مجموعة البروفيسور هيلبرخت للآثار البابلية، جينا 2017



بيتر شتاين Peter Stein

ثالثاً: علماء الدراسات اليمنية من العرب:

ساهم بعض الأكاديميين العرب في البحوث والدراسات اليمنية، ومنهم من كانت له مساهمات كبيرة في الحفريات والتنقيب فضلاً عن التأليف والترجمة، حيث بدأ عدد من الباحثين المصريين والسوريين مبكراً في التنقيب والتأليف مثل الدكتور أحمد فخري الذي ألّف كتابين عن اليمن وتاريخها القديم، وقام بزيارة اليمن والمشاركة في أعمال التنقيب والحفريات. والدكتور محمود علي الغول، من فلسطين، وهو من أهم دارسي النقوش ومساهم أساسي في المعجم السبئي، ومن فلسطين أيضاً برزت جهود وأعمال وبحوث الدكتور محمد مرقطن (متخصص في معابد مأرب ونقوشها).

ومن الأردن هاني هياجنه، وإبراهيم صدقه، والدكتور معاوية إبراهيم. ومن سوريا الدكتور منير عربش (مختص في النقوش المعينية). والدكتور رفعت هزيم (اللغات السامية واليمنية ونقوش المسند)، ومن المملكة العربية السعودية كانت هناك مساهمات من الدكتور سالم طيران، والدكتور سعيد فايز السعيد.

محمود علي الغول (1923 ـ 1983)

ولد الدكتور محمود علي خضر الغول بقرية سلوان من أعمال القدس في فلسطين، في 3 أيار/مايو من عام 1923. ودرس في مدارس القدس الابتدائية والثانوية. وفي الفترة من عام 1938 إلى عام 1942 درس في الكلية العربية بالقدس، وفيها تعلم اللاتينية، وفي أثناء دراسته فيها درس السريانية على أحد الآباء السريان في عمان. وفي عام 1943 انتقل إلى مصر، في بعثة من معارف فلسطين إلى جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا)، وتخرج في قسم اللغة العربية وآدابها عام 1946، وحصل على «الليسانس» الممتازة في الآداب. وتأثر أثناء دراسته هناك بعدد من الأساتذة، كان من أهمهم الأستاذ وليام جيليان وادل والدكتور محمد سليم سالم في مجال الدراسات الكلاسيكية.

في عام 1954 بدأ الدراسة في معهد الدراسات الأفريقية والشرقية في جامعة لندن فدرس اللغات السامية وخاصة لغات جنوب جزيرة العرب، وحاز منها عام 1962 درجة الدكتوراه في اللغات السامية، ودرس أثناء ذلك على عدد من الأساتذة المعدودين، من أهمهم سيدني سميث وروبرت سارجنت Robert Sergeant.

بعد تخرجه من جامعة الملك فؤاد الأول عاد محمود الغول إلى فلسطين، وعمل محاضراً بالكلية العربية بالقدس مدة عامين (1946 ـ 1948). وبعد النكبة رحل عن فلسطين، متنقلاً بين الدول العربية، مدرسًا في كل عام في مدرسة جديدة، فدرَّس ما بين عامي 1948 و1954 بالسويس، وحلب، وبيروت، والكويت، ودمشق، وعمان واليمن.له مقالات وبحوث كثيرة بعضها عن اليمن مثل: حفيدات بلقيس. ملكات عربيات عظيمات مسلمات حكمن اليمن في غابر الأيام. مجلة العربي، العدد 62، 1964. مكانة نقوش اليمن القديمة

في تراث اللغة العربية الفصحى. مجلة الحكمة، العدد 38، السنة الرابعة، 1975.غزة في نقوش جنوب جزيرة العرب. المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين». المجلد الثاني، ص 367 ـ 376، 1983.

أما أهم كتابين له فهما:

1.المعجم السبئي (بالاشتراك مع ألفريد بيستون، وجاك ريكمانز، وفالتر مولر)، لوفان دار بيترز، وبيروت المكتبة اللبنانية، 1982.

2.اللغات العربية الجنوبية المبكرة والمصادر العربية الفصحى. فحص نقدي للمصادر الأدبية والمعجمية مقارنة بالنقوش، جامعة اليرموك، 1993. وهذا العمل رسالته للدكتوراه التي كانت تقدم بها إلى جامعة لندن عام 1963.

محمد مرقطن

الدكتور محمد مرقطن، آثاري ومؤرخ فلسطيني يعيش ويعمل في ألمانيا. باحث مُتخصص في لغات وحضارات الشرق القديم وخاصة لغات وكتابات الجزيرة العربية قبل الإسلام، من مواليد بلدة ترقوميا قرب مدينة الخليل الفلسطينية، درس بكالوريس آثار في الجامعة الأردنية، وحصل على ماجستير ودكتوراه في اللغات السامية القديمة وحضارات الشرق القديم من جامعة ماربورغ بألمانيا سنة 1987، وبعد الدكتوراه، عمل في التدريس والبحث في عدّة جامعات ألمانية؛ من بينها جامعة ماربورغ ومواينس والمعهد الألماني للأبحاث الشرقية (بيروت) وجامعة هايدلبرغ، وجامعة فيينا، وأكاديمية العلوم النمساوية بالنمسا، ثم جامعة قطر، وهو لغوي في «معجم الدوحة التاريخي للغة العربية»، إضافة إلى أكاديمية العلوم في برلين، وهو باحث في معهد لغات وحضارات الشرق القديم في جامعة هايدلبرغ بألمانيا. وله بحوث كثيرة باللغة العربية وباللغات الأجنبية الألمانية والإنجليزية.

يعمل الآن في جامعة مونستر بألمانيا. وسبق أن عمل في كوربوس كورانكم ـ أكاديمية برلين ـ برندن بورغ للعلوم والإنسانيات.

عضو بعثة المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان للتنقيب عن الآثار في اليمن منذ 1998 وشارك في 9 مواسم للحفريات في محرم بلقيس (معبد أوام) وعمل لمدة نصف عام 1998 مع معهد الآثار الألماني للحفريات في مقبرة محرم بلقيس وفي عرش بلقيس (معبد برآن) في مأرب، وأشرف على عدة حفريات في مأرب. شارك بأعمال التحريات والحفريات الأثرية في الأردن، البحرين، عُمان، والمغرب وتونس وترأس بعض هذه البعثات. قام بنشر عشرات الدراسات عن حضارات ولغات الشرق القديم وخاصة عن النقوش الآرامية واليمنية القديمة بالإنجليزية والألمانية والعربية. ومنها ثلاثة كتب، له فيديوات ومحاضرات ومقالات ومقابلات كثيرة على النت.

كتبه:

1.النقوش العربية الجنوبية المكتوبة بخط الزبور اليماني على عسيب النخل (2014) وباللغة السبئية، ويحتوي على 500 صفحة نشرت فيها مئة نص، والكتاب باللغة الألمانية.

2.العرب من مرج دابق إلى سايكس ـ بيكو (1916 ـ 1516) ـ تحوّلات بُنى السلطة والمجتمع: من الكيانات والإمارات السلطانية إلى الكيانات الوطنية»، والذي صدر عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» (2020). يتضمن دراسة تحت عنوان «الرحالة الغربيّون والاكتشافات الأثرية في فلسطين والتمهيد للمشروع الصهيوني (1800 ـ 1914)»، وهو فصل من الكتاب.

3.النقوش الزبورية المكتوبة على عُسب النخل ـ مجموعة المتحف الوطني بصنعاء.

وله عدد كبير من البحوث المنشورة، وهذه نماذج منها:

Islamic Arabia. 2021 ـ Historiography of Pre

The Pilgrimage to the Awām Temple/Maḥram Bilqīs, Ma'rib, Yemen

Proceedings of the 23rd Rencontres Sabéennes Out of Arabia: South
distance trade in antiquity»Out of Arabia» , 2021 _ Arabian long

The Violation of a Sabaean Female Servant اضطهاد خادمة سبئية: نقش سبئي
جديد من معبد أوام ـ محرم بلقيس.

ذاكرة المكان ـ أسماء المدن والقرى الفلسطينية ما بين الاستمرارية التاريخية والطمس
الصهيوني

Memory of Place: Names of Palestinian Towns and Villages _ M. Maraqten
between Historical Continuity and Zionist Eradication, 2020

M. Maraqten (with Mounir Arbach) 2018. Notes on the root LʾK»to send»
and the term mlʾk»messenger» in the ancient South Arabian inscriptions.pdf
ملاحظات حول الجذر لأك «أرسل» واللفظ ملأك «ملاك» في ضوء النقوش العربية
الجنوبية Semitica et Classica 11, 2018

Maraqten - The Sabaean Capital Ma'rib.pdf العاصمة السبئية مأرب: تاريخها
وبنيتها الإدارية والاجتماعية في ضوء النقوش السبئية

محمد مرقطن _ الحضارات القديمة في البلدان العربية ومسألة تكوين الهوية التاريخية
لأمة العرب 2017.

Ancient Civilizations in the Arab Countries and the Question of the
Historical Identity of the Arabs. Pages 147 - 193

التأريخ العربي وتاريخ العرب ـ كيف كتب وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة لمجموعة كبيرة من المؤلفين

.Mohammed Maraqten - Typology of Irrigation Systems in Ancient Yemen

Mohammed Maraqten,»Typology of Irrigation Systems in Ancient Yemen in .the Light of the Epigraphi

ـ Treasures from Ancient Yemen by St. John Simpson ـ Queen of Sheba .Mohammed Maraqten. JRAS 15 (2005) ـ Review by

An Inscribed Hasaitic Bronze Plaque

.Arabian Archaeology and Epigraphy, 1997

Islamic Arabia in light of the epigraphic evidence ـ Hunting in pre

مراسلات النساء السبئيات Sabäische Frauenbriefe AOAT 425 ـ Maraqten

ge zur SemitistikنNeue Beitr

The Awām Temple, ـ Maraqten 2015 Sacred spaces in ancient Yemen Ma'rib BAR2740

Islamic ـ Shām and Yemen in the pre ـ On the relations between Bilād al period

حول العلاقات ما بين بلاد الشام واليمن قبل الإسلام

امرأة سبئية تؤدي فريضة الحج The pilgrimage of a Sabaean woman

Newly discovered Sabaean Inscriptions at Mahram Bilqis Marib Yemen

محمد مرقطن 2005 نقوش سبئية جديدة من محرم بلقيس (أوام) تقرير أولي

Some aspects of the formation of the state in ـ Mohammed Maraqten 2000 .ancient South Arabia

Wine and vineyards in ancient Yemen, in: J.F. Salles, M.A Sedov, Alexander V. Sedov, eds., Qāniʾ: Le Port Antique Du Hadramawt Entre La Mediterranee, L'Afrique Et L'Inde Fouilles Russes

هندسة الري ودورها في نشأة الدولة في جنوب غربي الجزيرة العربية وتطورها Maraqten Irrigation and the Emergence of the State - South Arabia, .Adumatu 2013

منير عربش

Mounir Arbach

الدكتور منير عربش باحث في المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية في صنعاء (CEFAS - UMS 2555)، متخصص في لغات وتاريخ حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، عضو في البعثة الأثرية الفرنسية في الجمهورية اليمنية منذ عام 1993. وهو مؤلف الكثير من البحوث والكتب النتخصصة والأعمال العلمية.، بما في ذلك جرد للنقوش العربية الجنوبية التي نشرت في:

par l'Académie des inscriptions et belles - lettres (Tome VII, Paris, De .Boccard, (2002)

أكثر كتبه وبحوثه رواجاً هي:

1. جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وجيرانها: تطورات جديدة في البحث: وقائع الدورة السابعة عشرة لـ .Rencontres Sabéennes المنعقدة في باريس، 6 ـ 8 يونيو 2013 من قبل Rencontres Sabéennes

2. الجزيرة العربية قبل الإسلام.

3. المجموعات العربية الجنوبية غير المنشورة: القطع المكتسبة من البعثة الأثرية الإيطالية الفرنسية في تمنع (اليمن) (1999 ـ 2000) لسابينا أنتونيني (باللغة الإيطالية).

4. الدراسات السبئية: دراسات أثرية وكتابية وتاريخية تكريماً ليوسف محمد عبد الله، أليساندرو دي ماجريت، كريستيان ج. روبن بمناسبة عيد ميلادهم الستين من قبل جامعة صنعاء.

5. تطور التنقيب الأثري في اليمن في النصف الثاني من القرن العشرين. احتفال 3 باحثين، اليمني يوسف عبد الله، والإيطالي أليساندرو دي ميغريه، والفرنسي كريستيان روبن، الذين لعبوا دورًا رئيسيًا في هذا التنقيب الأثري (فقه اللغة، وعلم الآثار) وفي خلق «علم السبيل»، ودراسة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

6. تمثال من الحجر من العربية الجنوبية لسابينا أنتونيني.

7. اليمن: مدن الكتابة لهوجز فونتين.

8. الحرب في شبه الجزيرة العربية القديمة: وقائع الدورة الثانية والعشرين من رينكونتر سابين، باريس، 21 ـ 23 يونيو 2018 بقلم رينكونتر سابين.

9. تقريراجتماعات المؤتمر السبئي الثاني والعشرين في الفترة من 20 إلى 23 يونيو 2018 في باريس.

10. جرد النقوش العربية الجنوبية.

الفاضل بينه الحق والباطل من مفخر أنباء قحطان واليمن

11. تحقيق مخطوط الفصل بين الحق والباطل في أنباء قحطان واليمن، لمؤلف مجهول.

12. اليمن (جمهورية)؛ قحطان (قبيلة عربية)؛ علم الأنساب.

13. الأسماء الصحيحة لـلمدونة السامية، الجزء الرابع، النقوش الحميرية والسبئية.

وفيما يلي عناوين بعض بحوثه المتأخرة فقط:

Arbach/Gajda 2002: M. Arbach, I. Gajda, La plus ancienne inscription sudarabique datée d'après une ère et autres inscriptions rupestres de la région d'al-Bayḍāʾ. in: Syria 79, 293-306

Arbach/Maraqten 2018 M. Arbach, M. Maraqten, Notes on the root LʾK »to send» and the term mlʾk »messenger» in the Ancient South Arabian inscriptions. in: SemClas 11, 251-256

Arbach/Rossi 2011 M. Arbach, I. Rossi, Réflexions sur l'histoire de la cité-état de Nashshân (fin IXe - fin VIIe s. av. J.-C.). in: EVO 34, 149-176

Arbach/Rossi 2012 M. Arbach, I. Rossi, From city-state to kingdom: History and chronology of Maʿī between the VIII and VI centuries BC. in: Orientalia 81, 318-339, Tf. 49-56

Arbach/Rossi 2014 M. Arbach, I. Rossi, Kamna, une cité prospère du Jawf du Yémen du VIIIe au VIe siècle avant. in: SemClas 7, 45-61

Arbach/Rossi 2015 M. Arbach, I. Rossi, Nouveaux documents sabéens
C.. in: AAE 26, 16 - ـ .VIIe siécle avant J ـ provenant de Kamna du VIIIe
27

Arbach/Rossi 2020 M. Arbach, I. Rossi, Haram, cité antique du Jawf
(Yémen): quelques bribes de dix siècles d'histoire et nouveaux textes
amīrites. in: SemClas 13, 19 - 47

Arbach/Schiettecatte 2006 M. Arbach, J. Schiettecatte, Catalogue des
.pièces archéologiques et épigraphiques du Jawf au musée national de Ṣanʿaʾ

Arbach/Schiettecatte 2012 M. Arbach, J. Schiettecatte, Inscriptions inédites
in: A. Sedov (Hg.), New .ـ .VIe siècles av. J ـ du Jabal Riyām des VIIe
research in archaeology and epigraphy of South Arabia and its neighbors.
ـ Proceedings of the»Rencontres sabéennes 15» held in Moscow, May 25th
.68 ـ 27th, 2011, Moscow, 37

Arbach/Schiettecatte 2015 M. Arbach, J. Schiettecatte, De la diplomatie et
de l'aristocratie tribale du royaume de Sabaʾ d'après une inscription du IIIe
.398 ـ siècle de l'ère chrétienne in: CRAIBL 2015, 371

Arbach/Schiettecatte 2017 M. Arbach, J. Schiettecatte, Inscriptions
sabéennes du Jabal Riyām (Yémen) et nouvel éclairage sur les rois de Sabaʾ
.193 ـ au IIe siècle de l'ère chrétienne in: SemClas 10, 179

Arbach/Schiettecatte 2017a M. Arbach, J. Schiettecatte, Premiers échos de
lius Gallus dans la documentation sudarabique. in:ئ'l'expédition romaine d

700 – CRAIBL 2017, 675

Ḥadā fī – musnadīya ğadīda min mudīrīyat al ʒNuqū ,ʒʿArbaš 2005 M. ʿArba muḥāfaẓat Ḏamār

.32 – in: Mağallat ğāmiʿat Ḏamār 2005, 17

Zubaydī, ʾA. Bāṭāyiʿ, Nuqūš qitbānīya – et al. 2013 M. ʿArbaš, Ḫ. az ʒʿArba ğadīda

ʿArbaš/Ḥalabī 2005 .(.arab) 103 – in: Raydān 8, 49

Ḥalabī, ʾAwwal naqš sabaʾī yaḏkuru madīnat Ḥaddā / – M. ʿArbaš, M.M. al 44 – mīlād. in: Adumatu 12, 39 – ṯānī qabla al – qarn aṯ – Ṣanʿāʾ fī ḥawālī al

A. M. Sholan, S. Antonini, M. Arbach (Hg.), Sabaean Studies. Archaeological, epigraphical and historical studies in honour of Yūsuf M. ʿAbdallāh, Alessandro de Maigret [and] Christian J. Robin on the occasion .Ṣanʿāʾ – of their sixtieth birthdays, Naples



د. منير عربش

رابعاً: علماء الدراسات اليمنية من اليمنيين:

محمد عبد القادر بافقيه

(1928 ـ 2002)

مؤرخ وعالم آثار ودبلوماسي يمني، ولد في مدينة أديس أبابا في أثيوبيا ليعود بعد ذلك بمعية والده إلى الشحر. عاد باكراً إلى حضرموت وأكمل الدراسة الابتدائية في مدينة الشحر، ثم المرحلة الوسطى بالمكلا، ليكملها لاحقاً في غيل باوزير عام 1944. ثم المرحلة الثانوية في مدرسة «حنتوب» بمدينة أم درمان، ثم التحق بكلية الخرطوم الجامعية ويتخرج فيها عام 1953 حاملاً البكالوريوس في الآداب.، وفي 1983م حصل بافقيه على شهادة دكتوراه في الآداب تخصص تاريخ قديم من جامعة «السوربون» بباريس فرنسا. عين عقب استقلال جنوب اليمن عام 1967 ـ 1968م أول وزير للتربية والتعليم ومسؤولاً عن الآثار والمتاحف. وتقلد منصب أول وزير للتربية والتعليم بعد الاستقلال، وكان سفيراً لعدد من الدول العربية والغربية. عمل أستاذاً زائراً في جامعة صنعاء بين 1986 و1988م. أسس وترأس في عدن مؤسسة «ريدان» للدراسات الأثرية والنقشية بين 1989 و1990م. في عام 1990م عين رئيساً للهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف حتى عام 1994.عين في الفترة بين العام 1995 وحتى وفاته في العام 2002 مستشاراً في الهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف. توفي محمد عبد القادر بافقيه في مدينة عدن في 16 أغسطس 2002م.

صدر له عدد من الكتب بعضها بالمشاركة مع آخرين، ومنها:

1. أنبياء الله في جنوب الجزيرة
2. صاروخ إلى القرن العشرين
3. آثار ونقوش العقلة
4. تاريخ اليمن القديم

5. في العربية السعيدة
6. المستشرقون وآثار اليمن
7. مختارات من النقوش اليمنية القديمة
8. صيهيديات ـ بحوث حول نقوش الجزيرة العربية قبل الإسلام
9. كنوز وادي ضرا.

يوسف محمد عبد الله

(1943 ـ 2021)

باحث آثاري، متخصص في الآثار والنقوش اليمنية القديمة، ولد في عزلة (بني شيبة الغرب)، في مديرية (الشمايتين)، لواء تعزّ، درس الابتدائية والمتوسطة في مدرسة (بازرعة) في مدينة عدن، والثانوية في كلية عدن، ثم سافر إلى لبنان والتحق بالجامعة الأمريكية؛ فحصل على البكالوريوس، ثم على درجة الماجستير سنة1970م، بعد ذلك سافر إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية، والتحق بجامعة «توبنغن»، وحصل منها على درجة الدكتوراه عام 1975م، وفي سنة 1980م، حصل منها على شهادة مؤسسة «ألكسندرفون همبولدت» الألمانية في البحث العلمي لما بعد الدكتوراه.

عمل لفترة في الجامعة الأمريكية في بيروت إلى سنة 1976م، ثم محاضرًا زائراً في قسم الدراسات الشرقية في جامعة «توبنجن» بألمانيا الاتحادية سنة 1976م.ثم مدرسًا في قسم التاريخ والآثار بجامعة صنعاء إلى سنة 1979م، ثم عين وكيلاً لكلية الآداب بجامعة صنعاء إلى سنة1982م، ثم وكيلاً لكلية التربية 1980، بالإضافة إلى تدريسه في كلية الآداب سنة، ثم عميدًا لكلية الآداب بجامعة صنعاء إلى سنة 1984م، ثم أستاذًا زائرًا للدراسات العربية بجامعة «مينوسوتا» بالولايات المتحدة الأمريكية لمدة فصل دراسي عام1984م، ثم باحثًا متفرغًا بجامعة «ماربورج» بألمانيا الاتحادية سنة1985م، في قسم الدراسات الشرقية، وشارك في

إلقاء بعض الدورس في القسم، ثم عميدًا للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة صنعاء سنة1987م، ثم أستاذًا للآثار والنقوش في جامعة صنعاء بدرجة الأستاذية من سنة 1992م، ثم نائبًا لرئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب بدرجة نائب وزير1987م، ثم نائبًا لرئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات، 1990م، ثم وكيلاً لوزارة الثقافة لقطاع المخطوطات ودور الكتب بدرجة وزير، كما درَّس في جامعة عدن.

شارك في عدد من المؤتمرات والندوات والمحاضرات العلمية والثقافية؛ فقد كان عضوًا في وفد الجمهورية العربية اليمنية في مؤتمر «آثار البلاد العربية» في مراكش سنة 1977م، وعضوًا في وفد الجمهورية العربية اليمنية في مؤتمر «آثار البلاد العربية» في مدينة صنعاء سنة 1979م، وعضوًا في وفد الجمهورية العربية اليمنية في المؤتمر العام العشرين لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم في «بلغراد» 1980م، ورئيسًا لوفد الجمهورية العربية اليمنية في المؤتمر الحادي عشر للآثار في الوطن العربي، تونس سنة1987م، ومحاضرًا في الندوة العالمية للحضارة اليمنية في مدينة عدن سنة 1975م، ومشاركًا في الحلقة الثالثة لمراكز الدراسات في الخليج والجزيرة العربية صنعاء سنة1978م، ومشاركًا في اجتماع اللجنة الاستشارية للثقافة العربية التابعة لـ(اليونيسكو)، الدورة الثالثة صنعاء سنة 1979م، ومشاركًا في ندوة الدراسات العربية، جامعة «أكسفورد» سنة 1985م، ومحاضرًا في ندوة الدكتور المرحوم (محمود الغول)، جامعة (اليرموك) سنة 1984م، ومحاضرًا في ندوة الدراسات العربية، جامعة دورهام في بريطانيا سنة1987م، ومشاركًا في مهرجان (المربد)، محاضرًا في العديد من منتديات العلم والثقافة في شتى أنحاء العالم.

وظهر اسمه في طليعة قائمة العلماء المتميزين في العالم في شتى التخصصات العلمية والإنسانية لعام2002م، وذلك في مجلة «كوزموس» الألمانية العدد: (82) ديسمبر 2003م، والذين كرِّموا من قبل أكبر مؤسسة للبحث العلمي في جمهورية

ألمانيا وهي مؤسسة «ألكسندر فون همبولدت»، كما نال عددًا من الأوسمة والميداليات وشهادات التقدير من جهات علمية وثقافية متعددة أخرى.

له العديد من البحوث والدراسات وهو يجيد اللغتين الإنجليزية والألمانية، ومتخصص في اللغات والكتابات والنقوش القديمة. ومن مؤلفاته:

1. النقوش الصفوية في مجموعة جامعة الرياض. يحتوي على مائة وثلاثة وعشرين نقشًا صفويًا, رسالة الماجستير.

2. الأعلام في كتاب (الإكليل)؛ لـ(الهمداني) ونظائرها في النقوش اليمنية القديمة. أطروحة الدكتوراه.

3. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره. الجزء الأول، مشروع الكتاب، صنعاء سنة1985م.

4. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره. الجزء الثاني: مشروع الكتاب، صنعاء سنة1985م.

5. الهمداني في ذاكرة الألفية. منشورات جامعة صنعاء سنة1986 م.

6. تحقيق: الجوهرتان العتيقتان لـ(الحسن بن أحمد الهمداني). إصدار جديد مع ترجمة للدراسة من الألمانية، مشروع الكتاب مدينة صنعاء سنة 1986م.

7. رحلة أثرية إلى اليمن لـ(أحمد فخري)، ترجمة من الإنجليزية بالاشتراك مع الدكتور (هنري رياض) من السودان، ومراجعة الدكتور (عبد الحليم نور الدين)، مشروع الكتاب، مدينة صنعآء سنة1987م.

8. مدونة النقوش اليمنية القديمة. الجزء الأول، نشر لنقوش جديدة ودراسات (تحت الطبع).

9. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره. الجزء الثالث. صدر عن وزارة الإعلام والثقافة ببغداد سنة 1986م.

10. دراسات في التاريخ اليمني. تأليف مشترك لمقرر التاريخ اليمني القديم وعصر الإسلام. صدر عن (معهد الميثاق الوطني) في مدينة صنعاء سنة 1987م.

أحمد بن أحمد باطايع (1954)

ولد في منطقة الحامي في حضرموت عام 1954، وحصل على بكالوريوس في الآثار من جامعة بغداد عام 1978، وأكمل الدبلوم العالي دبلوم الدراسات المعمقة DEA، تخصص تاريخ وحضارة، ثم الدكتوراه، عن الأطروحة: أصول وتطور الزخرفة المعمارية في العربية الجنوبية، وذلك في 26/1/1987م، بدرجة جيد جداً. نوفمبر ـ ديسمبر 1979، دورة (الطرق الحديثة في التنقيب عن الآثار)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ الجامعة العربية ـ تونس.

قام بالمشاركة في تنقيبات مدينة شبوة مع البعثة الأثرية الفرنسية المواسم79 ـ 80 ـ 1987. ومسح المواقع الأثرية في وادي حضرموت مع الفريق اليمني/الفرنسي المشترك والتنقيب في معبد باقطفة 1979. ورئاسة فريق إدارة الآثار بالمركز اليمني للأبحاث الثقافية/عدن، لمسح المواقع التاريخية في مديريات الغيضة، حوف وجاذب/ المهرة، أغسطس/ سبتمبر 1979م. ـ المشاركة مع البعثة الفرنسية لتوثيق المباني التاريخية في مدينة شبام / حضرموت، ورفع بعضها هندسياً، في أبريل 1980م. ومساهمات أخرى في الحفريات والندوات والمؤتمرات الآثارية.

الأبحاث المنشورة له:

ـ الأبحاث في أطلال مدينة قنا لعام 1988. نتائج أعمال البعثة اليمنية ـ السوفيتية المشتركة لعام 1988. المركز اليمني للأبحاث الثقافية وأكاديمية العلوم السوفيتية،

سيئون ـ جـ1، 1988 ص 68 ـ 77. (بالاشتراك مع أ.اكوبيان، ي. فيناجرادوف، وأ. سيدوف).

ـ ريبون وضواحيها من خلال نتائج الأبحاث الأثرية لعام 1988، في نتائج أعمال البعثة اليمنية ـ السوفيتية المشتركة لعام 1988، المركز اليمني للأبحاث وأكاديمية العلوم السوفيتية، جـ1، 1988 ص 78 ـ 90، سيئون. (بالاشتراك مع أ.اكوبيان، ي. فيناجرادوف، وأ. سيدوف).

ـ نقوش من الحد (نقوش بني معاهر وذي خولان) دراسة أولية، ريدان (حولية النقوش والآثار اليمنية) عدد 5، 1988، ص61 ـ 80. (بالاشتراك مع محمد عبد القادر بافقية).

ـ تنقيبات مبعد سين ذو ميفعن ـ ريبون، نتائج أولية، دراسات يمنية، عدد 38،1989، ص194–210.

ـ Les autels de shabwa, dans: Fouilles de Shabwa ll,(Rapports preliminaries),Edite par J ـ F. Breton, Geuthner, Paris, 1991, P365 ـ 378. (en collaboration avec J ـ F Breton).

ـ الآثار؛ البدايات، السلطة الأثرية والمتاحف، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، دار الفكر ـ بيروت، ط 10، 1992، ص 21 ـ 26.

ـ نقشان جديدان من الحد (من خولان ولدعم وسفر)، ريدان، عدد6، 1994، ص 89 ـ 103. (بالاشتراك مع محمد عبد القادر بافقيه).

باخر شبوة، في كتاب: شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد: عزة عقيل وجون بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية –صنعاء، 1996، ص142 ـ 155 (بالاشتراك مع جون فرانسو بريتون).

ـ 1997, P.65,(Paris) ,4 ـ Le Hadramawt et la mer, dans: Saba, NO: 3 ـ .66

ـ العمل الأثري في عدن منذ التأسيس حتى الاستقلال، بحث قدم في الندوة العلمية الأولى، عدن...الماضي ـ الحاضر والمستقبل، 15 ـ 17 مايو 1999م، المجلد الثاني إصدار جامعة عدن 1999 ص 689 ـ 707.

ـ العمل الأثري في عدن منذ الاستقلال حتى قيام الوحدة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 6 ـ يوليو/ ديسمبر 2000م ص 141 ـ 154.

ـ نقوش أخرى من الحد، ريدان، عدد7، 2001، ص 66 ـ 76. (بالاشتراك مع محمد عبد القادر بافقيه)

أهمية موقع هديم قطنان (هدو) في الحد من خلال المعطيات الأثرية والنقشية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد9، يناير/ يونيو2002، ص265 ـ 287.

ـ نماذج من التصدعات في بعض المباني التاريخية وطرق ترميمها، في(أبحاث المؤتمر الهندسي الأول) كلية الهندسة، الكتاب الأول: الهندسة المعمارية، الهندسة المدنية، 2002، ص59 ـ 67، ديسمبر 2002، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ـ عدن، (بالاشتراك مع أحمد إبراهيم حنشور).

عضو هيئة تحرير كتاب:

ـ ,Hadramawt, Archaeological, Ethnological and Historical studies ـ Yemeni Joint complex Expedition ـ Preliminary Reports of the Soviet) .vol: 1, Moscow,1995 ـ

ـ عضو هيئة تحرير مجلة سبأ (أقسام التاريخ في جامعة عدن) منذ عام 2002م.

العضوية في الجمعيات والاتحادات المهنية: ـ

ـ عضو مؤسس في الرابطة اليمنية للدراسات الأثرية والنقشية (ريدان) ـ عدن منذ 1988.

ـ عضو مؤسس في الجمعية اليمنية للتاريخ والآثار منذ 1989، رئيس فرع عدن منذ نوفمبر 1998م حتى إبريل 2004م.

إبراهيم محمد سعيد الصلوي

(1951)

الدكتور إبراهيم الصلوي أستاذ فقه اللغات السامية والنقوش اليمنية القديمة بجامعتي صنعاء وتعز، تخرج من الثانوية في مدينة تعز 1970، حصل على الليسانس في اللغة العربية وآدابها من الجامعة اللبنانية عام 1977. ومنها حصل على الماجستير في دراسة لغوية مقارنة عام 1980، دكتوراه (فلسفة) تخصص عام لغات سامية، وتخصص دقيق فقه اللغات السامية والنقوش اليمنية القديمة وتخصص فرعي أول: آثار قديمة، وتخصص فرعي ثان: في علم الأديان ـ جامعة فيليبب مدينة ماربورج بجمهورية ألمانيا الاتحادية 1987 م. شغل وظائف تدريسية كثيرة آخرها نائب رئيس جامعة تعز للشؤون الأكاديمية. وهو عضو في المجالس واللجان العلمية والأكاديمية في جامعات صنعاء والحدية وتعز.

درّس مقررات علمية لطلبة الدراسات الأولية والعليا في النقوش اليمنية القديمة وتاريخ وفقه اللغة العربية واللغة العبرية والدراسات اللغوية المقارنة والمعجم التأريخي.

مساهماته العلمية في المجلات والموسوعات العلمية متنوعة وكثيرة منها في مجلة الإكليل، ومجلة كلية الآداب في جامعة صنعاء، ومجلة التاريخ والآثار، ومجلة تهامة

ومجلة بحوث جامعة تعز والكتاب السنوي لكلية السياحة والآثار بجامعة الملك سعود، ومجلة (أدوماتو). عضو اللجنة الدولية لإعادة النظر في المعجم السبئي وطباعته بعد إضافة ما استجد من كلمات جديدة من النقوش المكتشفة حديثاً.

نشر الكثير من البحوث العلمية في مجلات يمنية وعربية ودولية، تدور حول تراث ولغات ونقوش اليمن القديم، ومنها في السنوات الأخيرة:

1. كتابات المسند وكتابات الزبورفي اليمن القديم (الملتقى الدولي الثالث للكتابات والخطوط والنقوش عبر العصور– مكتبة الإسكندرية في الفترة 24 ـ 27 –أبريل ـ 2007 م.

2. نقش سبئي جديد من نقوش إشهارالملكية الزراعية ـ مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء ـ المجلد (32) العدد(2) سنة 2009 م.

3. ترجمة بحث بعنوان (ترتيب حروف الهجاء عند الهمداني) تأليف جاك ركمنز ـ من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، منشور في مجلة كلية الآداب ـ جامعة صنعاء المجلد (33) العدد (خاص بندوة بعنوان (الهمداني: قراءات معاصرة) سنة 2010.

4. مباحث في تاريخ اللغة العربية ـ اللغة والكتابة، كلية الآداب، دار جامعة صنعاء للطباعة والنشر، صنعاء سنة 2010 م.

5. نقش جديد من نقوش الاعتراف العلني من معبد غرو ـ دراسة في دلالاتها للغوية الدينية)،مجلة (أدوماتوا) العدد 28،سنة 2013 بالاشتراك مع الدكتور فهمي علي الأغبري.

6. نقشان من نقوش الإهداءات ـ دراسة في دلالاتهما اللغوية والدينية)، قُدِّمَ في الملتقى 9 يونيو سنة 2013 م بالاشتراك مع الدكتور فهمي علي الأغبري.

7. دروس في قواعد لغة النقوش اليمنية القديمة ـ مكتبة السمو صنعاء 2015 م.

وأشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه الخاصة بتراث وحضارة اليمن القديم والتراث والأدب العربي.

ساهم في تقييم الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات اليمنية لغرض الترقيات العلمية، وشارك في الندوات والمؤتمرات العلمية اليمنية والعربية والدولية.

الكتب التي كتبها أو نشرها:

1. قصة أصحاب الأخدود ـ دراسة لغوية تاريخية في ضوء المصادر النقشية والسريانية والعربية الإسلامية. رسالة ماجستير غير منشورة ـ الجامعة اللبنانية ـ 1980.

2. ألفاظ يمانية خاصة في مؤلفات الهمداني ونشوان ونظائرها في اللغات السامية الأخرى. رسالة دكتوراه باللغة الألمانية. منشورة في برلين بجمهورية ألمانيا الاتحادية ـ 1987.

3. مباحث في تاريخ اللغة العربية: اللغة والكتابة، جامعة صنعاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ 2010.

عبد الله حسن أحمد الشيبة

الدكتور عبد الله الشيبة أستاذ التاريخ والآثار القديمة في كلية الآداب في جامعة صنعاء، متزوج وله ثلاثة من الأبناء. تخرج من قسم التاريخ والآثار بجامعة صنعاء عام 1975م. حصل على الماجستير في التاريخ والدراسات السامية القديمة من جامعة فيليبس ـ ألمانيا الغربية ـ سابقاً ـ عام 1979م. وفي عام 1982م، حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ وآثار الجزيرة العربية من نفس الجامعة ألمانيا

الغربية سابقاً، يجيد من اللغات العربية والألمانية، والإنجليزية، والإيطالية. ومن اللغات القديمة: العربية الجنوبية» المسند»، الثمودية، اللحيانية، الصفوية، الجعزية.

تدرج في سلك التدريس في جامعة صنعاء منذ عام 1975 وأصبح أستاذ التاريخ القديم والجزيرة العربية القديمة، ورئيس قسم التاريخ وعميد كلية الآداب، ثم رئيس جامعة تعز لغاية 2001، وهو عضو مجالس تربوية وبحثية وعلمية كثيرة، وعضو ورئيس بعثات آثارية، وقد شارك في العديد من الندوات العلمية في التاريخ والآثار القديمة، وشارك في البعثات الآثارية اليمنية.

أصدر عشرات الأبحاث العلمية، باللغات العربية والألمانية والإنجليزية في مجال التاريخ والآثار واللغات القديمة، ونشرت في مجلات علمية، محلية وعربية ودولية، والقائمة تطول... وفيما يلي مقتطفات منها: دور الهمداني في الجغرافيا التاريخية لليمن القديم، قدم إلى ندوة الهمداني العالمية صنعاء 1981م. الهجر» المدينة» في اليمن القديم، قدم إلى ندوة» أقسام الآثار والمتاحف» بالجامعات العربية 1986م جامعة صنعاء. حركة الكشوف الأثرية في جنوب جزيرة العرب، مجلة دراسات يمنية العدد(37) 1989م.، إسهام عرب الجنوب في قيام وتطور أكسوم، قدم إلى ندوة «اليمن عبر التاريخ «جامعة عدن 1989م.، مدن يمنية، مجلة اليمن الجديد العدد(12) 1988م.، محاولات تاريخ كتاب «دليل البحر الإرتيري» مجلة دراسات يمنية، العدد (43) لسنة 1991م. وغيرها من البحوث باللغة الألمانية.

ساهم في كتابة عدة موضوعات في الموسوعة اليمنية التي صدرت عام (1992م).

أما عن الكتب المنشورة:

1.محاضرات في تاريخ العرب القديم، القاهرة 1991م.

2.دراسات في تاريخ اليمن القديم، تعز، 2001م.

3.ترجمات يمانية: العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية، الديانة في اليمن القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء 2008م.

4.أكسوم ـ في تاريخ الحبشة القديم (قيد الطبع).

وقد قام خلال سنوات حياته العملية بتدريس مواد أو مقررات دراسية على مستوى الليسانس والدراسات العليا، وقام بالإشراف على العديد من الرسائل العلمية ماجستير / دكتوراه، وكان عضواً في العديد من اللجان للمناقشة في الداخل والخارج.

عبده عثمان غالب

(1950 ـ 2021)

الدكتور عبده عثمان أستاذ الآثار القديمة بقسم الآثار والسياحة؛ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صنعاء. ولد في ناحية المواسط قدس، لواء تعز.درس في كتاب القرية، وانتقل إلى تعز، في العام 1977م، حصل بكالوريوس: آثار قديمة من جامعة صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية. عام1982م حصل على درجة الماجستير: أنثروبولوجيا / آثار ـ جامعة جريلي، كلورادو، الولايات المتحدة الأمريكية.
عام1990م حصل على درجة الدكتوراه: في الآثار القديمة؛ من جامعة بـنسلفانيا، الولايات المتحدة الأمريكي، عاد بعدها إلى اليمن أستاذًا للتاريخ القديم في القسم الذي تخرج منه في 1977: قسم الآثار كلية الآداب. أستاذ آثار اليمن والجزيرة العربية، شارك في الكثير من الأعمال وله عشرات الأبحاث. وكان له العديد من الاكتشافات الأثرية وخاصة في علم أنظمة الري اليمنية .وكان أول من كشف عن المراحل الأولى للري والزراعة في اليمن القديم. وله عدد كبير من الأبحاث باللغة الإنجليزية؛ والتي لم يسعفه الوقت لترجمتها إلى اللغة العربية.

عمل في التنقيبات الأثرية في «معبد أوام» في محافظة مارب مع البعثة الأمريكية لمواسم وسنوات عديدة. من أهم إنجازاته أنه أول من حقق في الأنشطة الزراعية في اليمن القديم، وأثبت أن الزراعة في اليمن كانت موجودة في الألف الرابع ق. م؛ وهو صاحب نظرية الفجوة الحضارية حيث رد على من يقول بوجود فجوة ثقافية في اليمن وأثبتت الأعمال الأثرية صحة قوله. من أهم مناصبه؛ المدير الميداني للتنقيبات التي أجريت في «معبد أوام» من عام 1997م 2006م، واستهدف مع البعثة الأميركية، بتفجير انتحاري، ذهب ضحيته عدد من السياح الإسبان وبعض المرافقين اليمنيين، وكانت العملية الإجرامية تستهدف في الأساس البعثة الأميركية والدكتور عبده عثمان الخبير المشارك والمدير المسؤول للموقع والعاملين معهم.

15 عامًا قضاها الدكتور عبده عثمان ـ منذ تخرجه من قسم الآثار ـ في البحث والدراسات والمقالات العلمية، وبدأ في رحلات الاستكشاف مع طلابه منذ 1991 في خولان جنوبي شرق صنعاء، بدبدة وحضور همدان وقاع جهران وقانية وردمان ومعبد أوام في مأرب.. لتتوإلى إسهاماته في العديد من الاستكشافات الأثرية خصوصًا في أنظمة الري، ليغدو أول من كشف عن المراحل الأولى للري والزراعة في اليمن القديم.

ردّ على بيك وبيرين، عام 1993 في دراسة تحليلية نقدية»في أصول حضارة اليمن القديمة» نشرها في مجلة التاريخ والآثار في العددين الثاني والثالث، لتتوإلى بعدها الاستكشافات الأثرية التي تؤكد ما ذهب إليه عثمان في دراسته.

أسمهان سعيد الجرو

الدكتورة أسمهان الجرو أستاذ ة متخصصة في تاريخ وآثار الشرق الأدنى القديم،، تخصصها الدقيق تاريخ وآثار جنوب الجزيرة العربية القديمة، ولدت في محافظة عدن خور مكسر، أنهت دراستها الجامعية وحصلت في 1978 على درجة البكالوريوس في الآداب والتربية التخصص العام (جغرافيا وتاريخ) كلية التربية

(جامعة عدن). في 1982 حصلت على درجة الماجستير من جامعة السوربون، باريس، ثم حصلت في 1986 من الجامعة نفسها على شهادة الدكتوراه. حصلت على ميداليات وشهادات استحقاق متعددة، وأشرفت على رسائل الماجستير في تخصصها، وكانت عضو اللجنة العلمية للندوة الدولية للتبادل الحضاري بين عمان واليمن، ورئيسة لجان وتحرير مجلات علمية، ولها محاضرات ومقالات كثيرة في مجال تخصصها، وشاركت في ندوات ومؤتمرات علمية في التاريخ القديم لليمن والخليج والجزيرة العربية القديمة، اهتمت بتتبع تاريخ الأبجدية العربية في نقوش مسندية قديمة في عمان، والعلاقات السياسية بين عمان واليمن في العصر الحميري، والصلات التجارية بين ميناء سمهرم (ظفار) وموانئ شبه الجزيرة الهندية في ضوء المصادر اليونانية والرومانية والبينة الأثرية، بلغ عدد بحوثها المنشورة والمشاركة في ندوات علمية ما يقرب ال(35) بحثاً، ولها عدد من الكتب العلمية وهي:

1. موجز التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية، اليمن القديم 2002.

2. دراسات في التاريخ الحضاري لجنوب الجزيرة العربية 2003.

3. مصادر تاريخ عمان القديم 2006.

4. الموانئ العمانية القديمة في ضوء المصادر اليونانية والرومانية من القرن الثالث ق.م وحتى القرن الثالث الميلادي 2011.

5. الآثار والحضارة فى التاريخ العربي القديم 2018.

وشاركت في تأليف ونشر كتبها مع مختصين آخرين.

مقالات ومنشورات صحفية نشرت في سلطنة عُمان

للبروفسورة مقالات ومنشورات حول:

ـ «قيمة الآداب والفنون» حوار صحفي نشر باللغتين العربية والإنجليزية نشر في (الجامعي)، إصدار شهري يوزع مع جريدة الوطن، السنة الأولى العدد الثامن، أكتوبر 2010، باللغة العربية ص.10 ـ 11، باللغة الإنجليزية ص. 16 ـ 17.

ـ «الموانئ العمانية في العالم القديم»، دراسة نشرت في جريدة الوطن (أنوار) 26 مايو 2008. ص. 5

ـ «الأسطورة مصدر التراث الفكري لحضارة بلاد الرافدين». موضوع نشر في ملف المسار، دائرة العلاقات العامة والإعلام، جامعة السلطان قابوس. 10 نوفمبر2007، العدد (120)، ص. 8 ـ 9.

ـ «ماكا وخريطة بطليموس»، موضوع شر في (أنوار) ملحق جريدة الوطن، السنة الرابعة، العدد 192، 3 أبريل 2006، ص. 7.

ـ «هل تنصهر الحضارات بكل مكوناتها المختلفة في بوتقة واحدة؟» موضوع نشر في ملف المسار، 20 أكتوبر 2005، العدد (62)، ص. 9.

ـ «البحث عن الحقيقة التاريخية»، موضوع نشر في مجلة (أنوار)، ملحق جريدة الوطن، السنة الرابعة، العدد 110، يناير 2004، ص. 5.

* الإنجازات العلمية:

* البحوث العلمية المنشورة في مجلات محكمة:

1 ـ الجرو، أسمهان سعيد (2011) «موانئ ماجان والملاحة في الخليج العربي في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد (2300 ـ 2000 ق.م) «ليوا، مجلة علمية محكمة يصدرها المركز الوطني للوثائق والبحوث، السنة الثالثة، العدد السادس، ديسمبر 2011، ص، 3 ـ 20.

2 ـ الجرو،أسمهان سعيد (2010) «الموانئ العمانية ومساهمتها في التجارة الدولية في ضوء المصادر الكلاسيكية»، مجلة الخليج للتاريخ والآثار دورية محكمة تصدر عن جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد الخامس، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1431هـ / 2010، ص. 99 ـ 133.

3 ـ الجرو، أسمهان سعيد (2009) «الشعائر والطقوس الدينية في معبد إلمقه (أوام) بمأرب محرم بلقيس» في ضوء نقوش محرم بلقيس، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، علمية محكمة، العدد الستون، المجلد الأول، 2009. ص. 311 ـ 355.

4 ـ الجرو، أسمهان سعيد (2007) «ملامح من الحياة العسكرية في دولة سبأ في الفترة من القرن 1 ـ 3 الميلادي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية فصلية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا جامعة اليرموك، المملكة الأردنية الهاشمية المجلد الثالث والعشرون، العدد 3، ص 1063 ـ 1100.

5 ـ الجرو، أسمهان سعيد (2007) «الإسهامات الأوربية وأثرها في إعادة إحياء التراث الحضاري لليمن القديم»،.مجلة التاريخ العربي، مجلة علمية محكمة، تعني بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 39 الرباط، المغرب، ص 137 ـ 186.

6 ـ الجرو، أسمهان سعيد (2006) «نماذج من القيم الاخلاقية ومبادئ حقوق الإنسان في الحضارة اليمنية القديمة».مجلة التاريخ العربي، مجلة علمية محكمة، تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة العدد 37 الرباط، المغرب، ص 119 ـ 152.

7 ـ الجرو، أسمهان سعيد (1999) «نماذج من المحاصيل الزراعية في اليمن القديم».مجلة سبأ، مجلة محكمة، تصدر عن قسمي التاريخ، بكليتي الآداب والتربية،

جامعة عدن، العدد 8 (ديسمبر 1999)، ص43 ـ 51.

8 ـ الجرو، أسمهان سعيد (1999) «طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم»، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة علمية متخصصة محكمة، نصف سنوية، جامعة عدن، العدد 3، يناير ـ يونيو، 1999م، ص 23 ـ 47.

9 ـ الجرو، أسمهان سعيد (1998) «الفكر الديني عند عرب جنوب الجزيرة العربية»، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية فصلية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا جامعة اليرموك، المملكة الأردنية الهاشمية، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الرابع عشر العدد الأول، 1998م، ص 219 ـ 250.

10 ـ الجرو، أسمهان سعيد (1998) «النهضة الزراعية في اليمن القديم»، مجلة سبأ، مجلة محكمة، تصدر عن قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة عدن، العدد 7، 1998م.

11 ـ الجرو، أسمهان سعيد (1996) «نماذج من فن العمارة في اليمن القديم «، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة علمية متخصصة محكمة، نصف سنوية، جامعة عدن، العدد الأول، يوليو 1996م، ص 37 ـ 58.

12 ـ الجرو، أسمهان سعيد (1990) «الآثار اليمنية في كتب الهمداني (ت 360 هـ / 970م)»، مجلة اليمن، مجلة محكمة، تصدر عن مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، العدد الثاني، 1990.

13 ـ الجرو، أسمهان سعيد (1990) «التواصل الحضاري بين اليمن والعالم القديم»، مجلة دراسات يمنية، مجلة فصلية محكمة تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد 41، 1990م، ص، 182 ـ 205.

14 ـ الجرو، أسمهان سعيد (1992) «المراحل الحضارية الأولى في اليمن القديم «، مجلة الإكليل، عدن، وزارة الثقافة والسياحة، السنة الثالثة عشرة، العدد الأول، 1992، ص 144 ـ 148.

15 ـ الجرو، أسمهان سعيد (1989) «المدافن اليمنية القديمة مصدر هام لدراسة تاريخ اليمن القديم»، مجلة دراسات يمنية، مجلة فصلية محكمة تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد 1989،38،ص، 143 ـ 193.

16 ـ الجرو، أسمهان سعيد (1988) «تاريخ الأودية وأثرها في تطور النهضة الزراعية في اليمن القديم»، مجلة سبأ، مجلة محكمة، تصدر عن قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة عدن، العدد 4، أكتوبر 1988، ص، 95 ـ 122.

تقيم حالياً في سلطنة عمان وتعمل كأستاذة للتاريخ القديم في جامعة السلطان قابوس، في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، منذ أغسطس 2003 حتى الآن.

عميدة محمد أحمد شعلان

(1964)

الدكتورة عميده شعلان ولدت في الحجرية/تعز ـ اليمن 1964، وتحمل الجنسية الألمانية، متزوجة ولديها طفل. تخرجت من جامعة صنعاء ليسانس آثار من كلية الآداب ـ جامعة صنعاء ـ 1986. وحصلت على الماجستير في مجال الآثار اليمنية القديمة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا ـ جامعة اليرموك ـ الأردن ـ 1992، بتقدير عام «ممتاز». عنوان الأطروحة «عادات الدفن في حضرموت دراسة إثنو أثرية». أما الدكتوراه فقد كانت في مجال اللغات السامية القديمة وحصلت عليها من كلية اللغات والثقافات غير الأوربية ـ جامعة فيليب ـ ماربورج ـ ألمانيا ـ 1999، بتقدير عام «ممتاز». وعنوان الأطروحة «أسماء النساء في النقوش اليمنية القديمة».

الخبرة في مجال العمل بالآثار: مسوحات لمواقع قديمة وإسلامية، في اليمن 1983 ـ 1986 (قسم الآثار ـ جامعة صنعاء). حفريات لمواقع تعود لعصور ماقبل التاريخ، وكذلك لمواقع تعود لفترات رومانية، في المملكة الأردنية الهاشمية 1990 ـ 1992 (معهد الآثار والأنثروبولوجيا ـ جامعة اليرموك). حفريات لموقع جَدْرَان (في مديرية سنحان) ـ الجمهورية اليمنية (قسم الآثار ـ جامعة صنعاء ـ 2003)، المسوحات التي قام بها قسم الآثار لعدد من المواقع اليمنية القديمة. زيارات ميدانية لعدد من المواقع الأثرية اليمنية القديمة لطلاب قسم الآثار بجامعة صنعاء، وطلاب قسم الآثار والمتاحف جامعة ذمار. استشارية لدى الصندوق الاجتماعي للتنمية ـ مشروع توثيق جامع شبام كوكبان (2005 ـ 2008).

الخبرة في مجال التدريس: في جامعة صنعاء، كلية الآداب، جامعة صنعاء (1996 ـ 2012)، والتدريس في جامعة ذمار، والإشراف على رسائل الدراسات العليا، عضو في جمعيات وهيئات تحرير مجلات وكتب ومؤتمرات علمية، حصلت على أوسمة ودروع وميدليات من جامعات أجنبية وعربية ويمنية، وشاركت في مؤتمرات علمية دولية وعربية ويمنية، ولها بحوث علمية كثيرة في مجال الآثار والتاريخ منها:
النشاطات الأثرية في اليمن، دمى طينية بشرية غير منشورة من متحف قسم الآثار ـ جامعة صنعاء (وهو بحث مشترك)، نقش جديد من نقوش ذي سماوي، نقوش سبئية جديدة: دراسة تحليلية في دلالاتها اللغوية والتاريخية، نقش سبئي جديد من جَدْران،، دراسة تحليلية لنقش معيني جديد.

لها كتاب: أسماء النساء في النقوش العربية الجنوبية القديمة (باللغة الألمانية).

المؤلفات والدراسات البحثية: نشرت بثلاث لغات (العربية، الإنجليزية، والألمانية):

ـ «النشاطات الأثرية في اليمن»، مجلة أنباء (تصدر من معهد الآثار والأنثروبولوجيا ـ جامعة اليرموك) العدد الحادي عشر (1991)، ص15 ـ 16.

ـ «دمى طينية بشرية غير منشورة من متحف قسم الآثار ـ جامعة صنعاء»، (بحث مشترك) (باللغة الإنجليزية): Gamili and A. M. ـ G. T. Yassen, M. M. El Shalan,»Unpublished terracotta figurines in the Museum of the Archaeolgy Department», Sana'a University, Yemen, in Arabian archaeology and epigraphy 1996, 7: pp. 287 ـ 303.

ـ أسماء النساء في النقوش العربية الجنوبية القديمة، كتاب (باللغة الألمانية):

ـ Frauennamen in den altsüdarabischen Inschriften, Hildesheim 1999.

ـ «نقش جديد من نقوش ذي سماوي»، مجلة أدوماتو، العدد 6، (2002).

ـ «نقوش جديدة من متحف قسم الآثار»، مجلة الإكليل، العدد 26، (2002).

ـ «نقش سبئي جديد من جَدْران»، مجلة أدوماتو، العدد 7 (2003).

ـ «الدور الاجتماعي للمرأة في اليمن القديم. دراسة من واقع النقوش اليمنية القديمة»، مجلة الإكليل، العدد 28، (2004).

ـ «دراسة تحليلية لنقش جديد من ثُعيلة»، مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود الرياض، م17(2)، (2005)،.

ـ «نقوش سبئية جديدة: دراسة تحليلية في دلالاتها اللغوية والتاريخية»، مجلة العصور، م15(2)، (2005).

ـ «دراسة تحليلية لنقش سبئي جديد على مبخرة»، وقائع ملتقى اليرموك الثاني لدراسة النقوش والكتابات (2005).

ـ «دراسة تحليلية لنقش سبئي جديد من المتحف الوطني بصنعاء»، دراسات سبئية. دراسات في الآثار والنقوش والتاريخ مهداة إلى الأساتذة د. يوسف محمد عبد الله، د. أليساندرو دي ميغريه، ود.كريستيان روبان، صنعاء ـ نابولي، (2005).

ـ «دراسة تحليلية لنقش معيني جديد»، مجلة أبجديات، العدد الأول، (2006).

ـ «دمى طينية حيوانية غير منشورة من متحف قسم الآثار ـ جامعة صنعاء»، (غسان طه ياسين ـ عميدة محمد شعلان)، مجلة أدوماتو، العدد 14، (2006)،.

ـ «نقشان سبئيان جديدان من نقوش شواهد القبور»، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 2، (2007)، ص.277 ـ 286.

ـ «A Minaean Inscription on a Bronze Vessel Addressed to Waddum»

ـ Amida Sholan ـ Barbara Jändl, in Entre Carthage et l’Arabie heureuse Mélanges offerts à François Bron, Orient & Méditerranée 12, (2013), p. 141 ـ 150.

ـ «,An Inscribed Golden Amulet of the Goddess <Uzzayæn»

ـ Mohammed Marqaten ـ Amida Sholan, Raydan 8 (2013), p. 111 ـ 114.

ـ «أسماء جديدة للطيوب العربية الجنوبية القديمة. نقوش على مباخر غير منشورة»: «Neue altsüdarabische Namen von Aromata: Inschriften auf unveröffentlichen Weihrauhcbrennern»، (قيد النشر في كتاب تذكاري لولتر مولر).

ـ «A New „imyaritic Inscription from Ãibæm Kawakabæn Ddated to the Year 487 of the „imyaritic Era», (Iwona Gajda ـ Amida Sholan) (قيد النشر في سلسلة ABADY).

ـ «عائلة «ح د ث م» في ذكرها الأول في نقش سبئي»، المجلة الأردنية في التأريخ والآثار، العدد القادم، (إبراهيم صدقة ـ عميدة شعلان)، قيد النشر.

ـ نقش سبئي جديد للمعبود عثتر بعل يفعن»، مجلة أدماتو، العدد القادم، (سالم طيران ـ عميدة شعلان) قيد النشر.

لها عروض، ترجمات وتعقيبات علمية منها: ترجمة لعرض الكتاب الذي قدم له البروفسور والتر موللر عن «مدونة أسماء الأعلام القتبانية»، عرض علمي للمؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية. صنعاء الحضارة والتاريخ، تعقيب على الورقة المعنونة بـ»القرابين... قراءة في ثقافة سلطة الآلهة».

وهناك أسماء كثيرة أخرى من الأكاديميين اليمنيين المختصين باليمن القديم، نعتذر منهم لعدم ذكرهم بسبب ضيق المجال.

الفصل الأول: جغرافيا اليمن القديم



المبحث الأول: جيولوجيا اليمن

أولاً: التركيب الجيولوجي العام لأرض اليمن

الجيولوجيا اليمنية تعود بعصورها الأولى إلى دهر ما قبل الكمبري، حيث تغطي اليمن صخور الأساس (Basment Rocks)، وهي الصخور الموجودة أسفل المنصة الرسوبية أو الغطاء الرسوبي، وتعود لهذا العصر وحتى العصر الحديث، ويعود عمر صخور دهر ما قبل الكمبري في منطقة البيضاء إلى العصر البروتيروزويك الأسفل والذي يعود إلى حوالي 3 مليارات سنة.

كما ترتبط جيولوجيا اليمن بالتركيب الإقليمي للوح جزيرة العرب منذ العصر البروتيروزويك الأسفل (Lower Proterozoic)، والتكوين الجيولوجي العام لليمن يتكون

من أربعة مكونات رئيسية هي:

1. صخور الأساس التي تعود لعصور ما قبل الكمبري والبروتيروزويك الأسفل.، وهي صخور المجمتايت، صخور النايس وصخور الشيست، تنتشر هذه الصخور بصورة أساسية في منطقتين:

المنطقة الشمالية الغربية (غرب صعدة) والهضبة الجنوبية الغربية (مأرب ـ البيضاء)، بالإضافة إلى مكاشف في جنوب وشرق تعز وغرب المكلا وأرخبيل سقطرى.

2. الصخور البركانية: تتكون من الـ (طفوحات، بركانيات)، وهي صخور حمضية مثل الريولايت والإجنمبرايت والزجاج البركاني، وصخور متوسطة ـ قاعدية مثل الأنديزايت والبازلت.

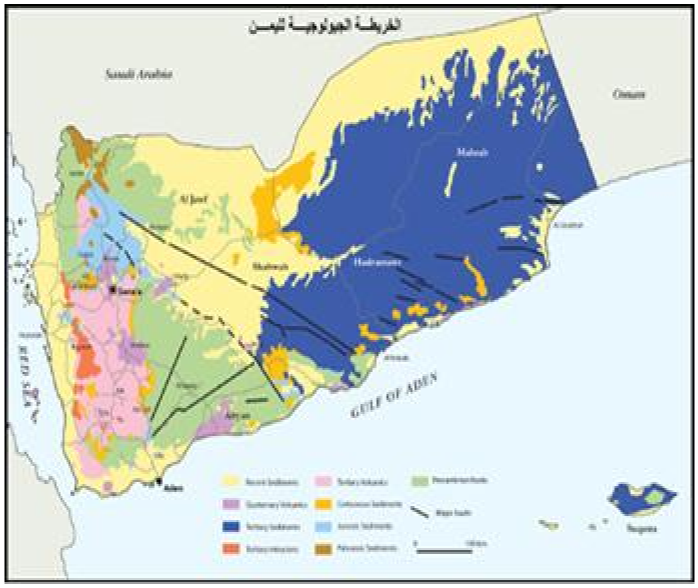
3. الغطاء الرسوبي: يتكون من صخور (تحت الكمبري الباليوليزي، الميزوزوي، الكينوزوي). والتي تظهر في مجموعة غبر ومجموعة قناب، والممثلة الحجر الرملي والحجر الجيري. كما تغطي الصخور الترسبية بنوعيها الجيري والرملي وكذلك الصخور الطينية مساحة واسعة مكونة المسطحات والأحواض؛ وتنتمي معظم هذه الصخور إلى العصرين الجيولوجيين الثاني والثالث فيما عدا صخور وجيد الرملية وصخور عكبره الطينية التي ينحصر تواجدها في المنطقة الشمالية الغربية من اليمن (منطقة صعدة)؛ حيث تكونت هذه الصخور في العصر الجيولوجي الأول.

4. ترسبات العصر الرباعي: تتكون من الترسبات (الشاطئية القديمة، النهرية والبحرية).

بنية الصخور التكتونية في اليمن:

البنية التكتونية هي بنية القشرة الأرضية وتكوينها وحركتها الصخرية من طيّ وتصدّع وتشقق. يتميز البناء التكتوني لليمن بانتشار كتل كبيرة من صخور الأساس مقطوعة بنظام

أخدود منخفض عند رملة السبعتين (الجوراسي ـ الطباشيري) يحده من الجنوب أخدود خليج عدن ومن الغرب أخدود البحر الأحمر (الثلاثي ـ الحديث).



الخريطة الجيولوجية لليمن

ثانياً: موجز الأزمان الجيولوجية والبايولوجية في اليمن

تتكون الأزمان الجيولوجية والبايولوجية من أربعة أزمان كبرى، ظهرت وسادت كل زمنٍ مجموعات محددة من الأحياء، وتكونت من عدة عصور جيولوجية استغرق كل عصر ملايين السنين، وفي هذا الجدول المبسط يمكننا معرفة هذه الأزمان بايولوجياً وجيولوجياً وأعمارها، ويمكننا تتبع العصور الستة عشر تتبعه شجرة الحياة التي تخللته حسب بايولوجيا تاريخ الأحياء:

جدول الأزمان الجيولوجية والبايولوجية وتدرج ظهور الأحياء فيها

أولاً: الزمن الجيولوجي السحيق، زمن الحياة الابتدائية

عصر ما قبل الكمبري في اليمن

وهو زمن الأحياء المجهرية الأولى الذي انتهى قبل 1500 مليون عام كانت في هذا العصر ما يعرف بالصخور الأساس المكونة من صخور النايس (الأمفيبوليت، المجمتايت، وصخور رسوبية وبركانية متحولة، الجرانيت، الجرانوديوريت، الجابرو، والديوريت)، والموجودة في الكتلة الجنوبية والكتلة الشمالية الغربية، والمكاشف الصغيرة.

تظهر صخور حقب الزمن الجيولوجي السحيق والحياة الابتدائية في غرب المكلا (حضرموت) في منطقة وادي غبر والمتمثلة بمجموعة غبر، وفي المناطق تحت السطحية في الجزء الجنوبي لحوض الربع الخالي (مجموعة قناب).

ثانياً: الزمن الجيولوجي القديم (الأول)، زمن اللافقريات والأسماك والبرمائيات

Paleozoic (550 - 205 million years ago)

1.العصر الكامبري في اليمن

قبل 550 مليون عام ظهرت (مجموعة غبر) الحجرية في الجنوب الغربي للمكلا بسمك 376 متراً، المكونة من الحجر الرملي، الحجر الجيري، الدولوميت، الغرين والجبس، وقد تعرضت هذه الصخور لقليل من التحول، وقد تم تقســيم مجمـوعة غبر إلى أربعـة وحدات.

2. العصر الأردوفيشي في اليمن

بدأ قبل 425 مليون عام بظهور تكوين دبسية الصخري وهي صخور فتاتية يبلغ سمكها 990 متراً، توجد في المقاطع التحت سطحية في الجزء الجنوبي من حوض الربع الخالي، وتتكون من الحجر الرملي، الكونجلوميرات مع صخور الطفل.

3.العصر السيلوري في اليمن

بدأ قبل 360 مليون عام، وكان نوع الصخور يسمى تكوين قليبة وهي من صخور الطفل بسمك 20متراً، وينتشر في المقاطع تحت السطحية في الجزء الجنوبي من حوض الربع الخالي.

4.العصر الديفوني في اليمن

بدأ قبل 350 مليون عام، وكانت صخوره من نوع خوسييان المفتتة من (الحجر الرملي) بسمك 240متراً، وتظهر أماكنها في المقاطع تحت السطحية في الجزء الجنوبي من حوض الربع الخالي.

5.العصر الفحمي في اليمن

بدأ قبل 280 عاماً، وكانت صخوره من نوع تكوين جويل، وهي صخور رسوبية مكونة من حجر رملي غير متماسك تتداخل فيه صخور الطفل والحجر الجيري بسمك يصل إلى حوالي 653م.

6.العصر البيرمي في اليمن

بدأ قبل 230 مليون عام، وكانت صخوره من نوع وجيد، وهي بسمك 150 متراً في الشمال الغربي من اليمن (صعدة والجوف)، والتي تظهر في حوض السبعتين والجزء الجنوبي لحوض الربع الخالي. يشتمل تكوين جيد على صخور رملية، وعدسات من صخور الكونجلوميرات متوضعة بحدود غير توافقية على صخور الأساس.

ومع نهاية هذا العصر قبل 205 ملايين عام قبل الآن يكون زمن الحياة القديمة قد انتهى.

ثالثاً: الزمن الجيولوجي الوسيط (الثاني)، زمن الزواحف

Mesozoic (205 - 135 million years ago)

1.العصر الترياسي

بدأ هذا العصر قبل 205 ملايين عام من الآن، وكانت صخوره من نوع صدير، وهي صخور الغرين والطفل بسمك يتراوح بين 150 ـ 170متراً، وتظهر في المقاطع تحت السطحية في حوض الربع الخالي.

2.العصر الجوراسي

بدأ هذا العصر قبل 165 مليون عام من الآن، وكانت صخوره من نوع تكوين كحلان، بسمك يصل إلى حوالي 190 متراً، وتتوضع بحدود غير توافقية على صخور الأساس أو على تكوين عكبرة. وتظهر في وادي حجر بحضرموت، كما يوجد في المقاطع التحت سطحية في حضرموت، ويتكون من صخور رملية قارية مع طبقات من صخور المارل، الغرين، والطفل ذات المنشأ البحري.

3.العصر الطباشيري

بدأ العصر الطباشيري قبل 135 مليون عام من الآن، وأحجاره من نوع تكوين صعر، وهو ينقسم إلى ثلاثة فروع جانبية انتهت بمجموعة المهرة، في المناطق الشرقية من اليمن في وادي المسيلة، رأس شروين، ورأس فرتق في محافظة المهرة بسمك يتراوح من 573 ـ 849 متراً. وصخور هذه المجموعة من صخور الحجر الجيري، المارل، الطفل والحجر الرملي ذات منشأ بحري. تم تقسيم مجموعة المهرة إلى خمس وحدات.

رابعاً: الزمن الجيولوجي الحديث (الثالث)، زمن الثدييات

Cenozoic (75million years ago)

1.عصرالباليوسين

بدأ هذا العصر قبل 75 مليون عام قبل الآن وتكونت صخور مجموعة حضرموت (ذات المنشأ البحري من صخور جيرية، طفل، مارل، وصخور رملية مع صخور جبسية بسمك يصل إلى 818 متراً.) وتكوين مجزر (بسمك يصل إلى حوالي 120 متراً في شمال شرق صنعاء)،

2.عصر الأيوسين

بدأ هذا العصر قبل 45 مليون عام بسمك يصل إلى حوالي 120 متراً في شمال شرق صنعاء بصخور تكوين مجزر، يتكون من وحدتين، وحدة سفلية مكونة من تربة رملية قديمة غنية بترسبات أكاسيد حديد مع غرين وطين، ووحدة علوية متمثلة بعضو لاحمة (Lahima Member) مكون من طبقات الحجر الجيري والطين الغني بالحفريات.

3.عصر الأوليجوسين

بدأ هذا العصر قبل 30 مليون عام، وظهرت فيه صخور مجموعة الشحر التي تتكون من الكونجلوميرات، الحجر الرملي، الطفل، الحجر الجيري الشعابي والجبس بسمك يتراوح من 60 ـ 450 متراً، حيث تم تقُسيمها إلى خمس وحدات صخرية، في المناطق الشرقية من اليمن في حضرموت والمهرة.

4.عصر الميوسين

بدأ هذ االعصر قبل 20 مليون عام من الآن، وظهرت فيه صخور مجموعة تهامة، تتكون من الحجر الرملي والكونجلوميرات، والمتبخرات (الجبس والملح) مع صخور الطفل، الحجر الطيني والحجر الجيري بسماكات تصل إلى عشرات الأمتار، كما توجد في المقاطع التحت سطحية على ساحل تهامة جنوب شرق البحر الأحمر بسماكات تصل إلى عدة آلاف من الأمتار. قسمت هذه المجموعة إلى أربع وحدات صخرية. وظهرت في ساحل تهامة جنوب شرق البحر الأحمر. ويسمى عصر الميوسين وعصر البليوسين بعصر النيوجين.

5.عصر البليوسين

بدأ هذا العصر، في اليمن، قبل 8 ملايين عام ويتكون من عصرين فرعيين هما (البلاشينزي والزانكلي) وفي الأخير كان ظهور «القرود الجنوبية» أسترالوبيثكس وانتشارها في شرق أفريقيا. لكنها لم تصل إلى اليمن ولم يظهر الإنسان، بطبيعة الحال، بعد في اليمن.

في منتصف عصر البليوسين (4 ملايين عام تقريباً) انفصل اليمن عن أفريقيا، وبقي باب المندب هو المسافة الأضيق التي تشير لهذا الانفصال.

خامساً: الزمن الجيولوجي الرابع (زمن الإنسان)

Quaternary (2 million years ago - present)

يتم تعريف الفترة الرباعية عادةً بالنمو الدوري والانحلال للصفائح الجليدية القارية المرتبطة بدورات ميلانكوفيتش والتغيرات المناخية والبيئية المرتبطة التي تسببت فيها

1.عصر البليستوسن

العصر الجليدي (2.588 مليون سنة ـ 11.7 ألف سنة).

ساد المناخ البارد والجاف معظم مناطق كوكب الأرض، وانخفضت مستويات مياه سطح البحر، وغطت صفائح الجليد مناطق شاسعة من أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية.

عاشت معظم الحيوانات المعروفة اليوم في العصر البليستوسيني مثل الأسود والفيلة والغزلان والنباتات مثل أشجار البلوط والصنوبريات وقد انقرضت العديد من الحيوانات في هذا العصر. يمكن اعتبار العصر البليستوسيني هي الفترة الأولى التي تطور فيها الإنسان، وبحلول نهاية العصر كان البشر قد انتشروا في كل مكان من الأرض تقريبًا. وربما كان جنوب الجزيرة العربية قد انفصل عن أفريقيا بانفتاح باب المندب. لكن طريق الإنسان

من أفريقيا إلى الجزيرة، عبر اليمن، لم تتضح بعد. وسنتتبع ظهور الإنسان في هذا العصر الذي ينقسم إلى أربع فترات هي:

1.فترة الجيلاسي: ظهر الإنسان الماهر في شرق أفريقيا، وبدأ العصر الحجري القديم الأسفل.

2.فترة الكالابري: ظهر الإنسان منتصب القامة وانتشر، وظهر العصر الحجري القديم الأوسط وازدادت برودة المناخ. وربما حصل في هذا العصر هجرة الإنسان منتصب القامة من إرتيريا إلى اليمن قبل مليون عام، لكننا لا نمتلك في اليمن دلائل عظمية بشرية تشير إلى ذلك.

3.فترة التشيباني: ظهر الإنسان العاقل والعصر الحجري القديم الأعلى.

4.الفترة المتأخرة: ظهرالعصر الحجري الوسيط.

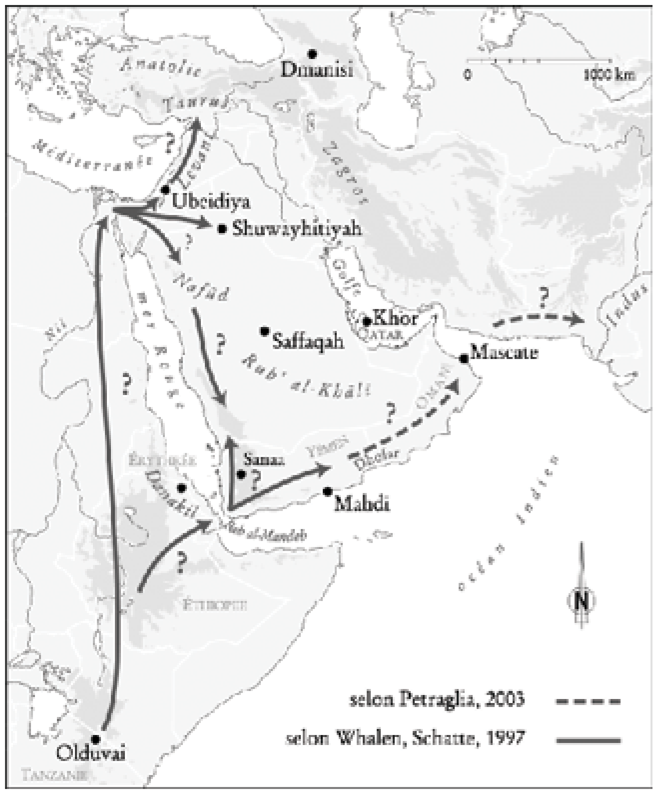
نظريتا عبور الإنسان من شرق أفريقيا إلى آسيا:

ظهر الإنسان الأول (الإنسان الماهر) في تانزانيا، واستخدم الأدوات الحجرية الأولدافية الكبيرة الحجم، وربما يكون قد رحل باتجاهين هما:

1.نحو إرتيريا، حيث تم العثور، في منخفض داناكيل بإريتريا، على جمجمة الإنسان منتصب القامة والذي يعود تاريخها إلى مليون سنة، ومن هناك اتجه نحو باب المندب وعبرة، ومنه ذهب شمالاً عند سواحل جزيرة العرب المطلة على البحر الأحمر، وكذلك فقد واصل هجرته باتجاه ظفار وعمان ثم إلى إيران والهند.

2.نحو مصر ثم سيناء وعبر إلى موقع العبيدية في وادي الأردن الذي يعود تاريخه إلى 1.4مليون سنة تقريباً، ومنه انتشر في آسيا.

ويرجح أن الهجرة هذه حصلت قبل ذلك، حيث تم اكتشاف البقايا البشرية في جورجيا في موقع «دمانيسي»10 التي يعود تاريخها إلى 1.77مليون سنة يعود تاريخ الانتشار الأول لجنس الإنسان خارج أفريقيا. لكننا ما زلنا نجهل الطريق إلى هذا المكان.



الطرق المحتملة للهجرات البشرية في عصر البليو ـ بلايستوسين خارج أفريقيا

.(Whalen، Schatte، 1997 ; Petraglia، 2003)

https://books.openedition.org/cefas/1699 (د. ماري ـ لويز إينيزان)

2.عصر الهولوسين (11.7 ألف سنة ـ حتى اليوم).

يسمى بالمصطلح غير الرسمي «أواخر الرباعية» يشير إلى 0.5 ـ 1.0 مليون سنة الماضية. وينقسم إلى ثلاث فترات هي:

1.الفترة المبكرة (فترة الغرينلاندي 11.700 ـ 8.200 ق.م): انتهى العصر الجليدي الأخير وذاب الجليد في شمال الأرض، وبدأت المرحلة الدافئة التي تسمى (ما بين الجليديين) التي نحن فيها الآن، وكان عصر الميزوليت قد بدأ، ويسمى في مناطقنا بعصر الإبيباليوليت وبدأ استئناس الحيوان والزراعة البرية أصبحنا على مشارف الثورة الزراعية وبدء العصر الحجري الحديث (نيوليت) في العالم عموماً.

2. الفترة الوسطى (فترة النورثغريبي 8.200– 4.200 ق.م): حلّ العصر الحجري الحديث(نيوليت) بعد اكتشاف الزراعة، وظهرت بدايات العصر الحجري النحاسي (كالكوليت)، وكان المناخ الهولوسيني نموذجياً في اعتداله.

في اليمن ما زالت الزراعة لم تبدأ بعد، وهناك دلائل واضحة لوجود حركة عبور الإنسان من وإلى اليمن مع شرق أفريقيا من خلال حجارة السيح الأوبسوديان الموجودة على ساحلي البحر الأحمر.

3. الفترة المتأخرة (فترة الميغالايي 4.200 ق.م ـ الآن): أطلق على هذه الفترة «ميغالاي» نسبة إلى عينةٍ صخريةٍ قام العلماء بتحليلها من ميغالايا، وهي ولاية في شمال شرق الهند، ويعني اسمها «مسكن الغيوم» في اللغة السنسكريتية.

في هذه الفترة نقترب من نهايات عصور ما قبل التاريخ وبدء العصور التاريخية واختراع الكتابة.

سنتابع عصور ما قبل التاريخ بالتفصيل في الفصل القادم الخاص بموجز تاريخ اليمن.

المبحث الثاني: جغرافيا اليمن القديم

أقدم خريطة متوفرة لشبه الجزيرة العربية رُسمت منذ ما يقرب من 2000 عام مع كلوديوس بطليموس. وهو عالم الفلك والجغرافيا والخرائط الإغريقي المقيم في

الإسكندرية في مصر، وكان مسؤولًا عن المكتبة الشهيرة هناك من 127 إلى 150 م.

أظهرت اثنتان من خرائط بطليموس الجزيرة العربية، وهي تمثل المرة الأولى التي يُعرف فيها رسم الشكل والطابع الطبوغرافي للمنطقة. غطت إحدى هذه الخرائط المناطق المعروفة باسم (العربية الصحراوية) وشمل النصف الأعلى من جزيرة العرب و(العربية الصخرية) وشمل مناطق الأنباط في الأردن والشام حاليًا. أما عبارة (العربية السعيدة) فقد كانت تشير إلى النصف الأسفل من جزيرة العرب. وهذا يعني أن اليمن كانت تشمل جميع أراضي النصف الجنوبي من جزيرة العرب براً، وكانت مياه البحار تحيط بها من الشرق والجنوب والغرب ممتدة من الخليج العربي وخليج عمان والبحر الأحمر.

ربما قصد في الخريطة الآتية بأن (العربية) هي كلّ جزيرة العرب، وأن (السعيدة) هي بداية اليمن التي كانت معروفة بهذا الاسم عند الإغريق. وهذه واحدة من خرائطه:



خارطة اليمن القديمة عند الإغريق

أظهرت الخرائط القديمة بلاد اليمن بين حضارات الشرق الأدنى القديمة مثل حضارات وادي الرافدين ثم الحضارة الفارسية وحضارة بلاد الشام وحضارة مصر القديمة بشكل خاص. فهي الحضارات التي تجاورت مع حضارة اليمن القديم. وإذا عرفنا أن المسافة بين اليمن ومصر عبر البحر الأحمر وسواحله معروفة، فلا بد من وضع تصور جديد عن صلة اليمن بوادي الرافدين حتى القرن السادس قبل الميلاد ثم بلاد فارس لما تبقى من زمن

العصر القديم وكذلك حضارة بلاد الشام ومدنه. فمن شأن هذا أن يغير طريقة تفكيرنا ويجعلنا ندرك قرب المسافة بين هذه الحضارات بشكل خاص.

الموقع:

مساحتها 527.968 كم2 وهي بذلك تحتلّ المرتبة الخمسين من حيث المساحة بين الدول الحالية، لكنها كانت أكبر بكثير قديماً فقد امتدت هي ونفوذها في النصف الجنوبي من جزيرة العرب، وفي عام 1990م حصلت دولة اليمن على استقلالها، وذلك بعد حصولها على السيادة من المملكة المتحدة.

الحدود الحالية:

لم تكن حدود اليمن ومساحته ثابتة، بل كانت تتغير حسب الظروف السياسية والبيئية «الأمر الذي أدى إلى وجود الاختلاف في تحديد مساحته. إلاّ أن هناك حدوداً لبلاد اليمن قد اتفق عليها المؤرخون وهي: من الجنوب المحيط الهندي ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق عُمان ومن الشمال خط يبدأ من يبرين إلى ما بين اليمن واليمامة إلى حدود الهجيرة وتثليث وبيشه وجرش وأم جحدم إلى حدٍّ يقال له جبل كُدَمْل قرب حمضه.» (حنشور 2011: 21).

وكان لموقع اليمن أهميته الاستراتيجية الكبرى في العالم القديم والحديث، فهو، بوجود باب المندب، ربط آسيا بأفريقيا تجارياً «كما أن إحاطة البحر بها من جهتي الجنوب (بحر العرب) والغرب (البحر الأحمر)، قد مكن أهلها من معرفة وسائل النقل البحري إلى جانب النقل البري التي كانت بأيديهم وتحت سيطرتهم، وأصبحت اليمن تشكل جسراً يعبر منه من الشرق إلى الغرب وبالعكس، وهمزة الوصل التي تربط جناحي العالم القديم والحديث، وأهميته ماثلة دولياً واقتصادياً إلى وقتنا الحاضر.» (حنشور 2011: 21).

طوبونيميا:

Toponymy, toponymics & toponomastics

يتكون المصطلح من مقطعين باليونانية القديمة، هما(طوبوس ومعناها مكان) و(أونوما ومعناها اسم)، وبذلك يكون المعنى الكامل للاسم هو (اسم المكان) وهو فرع من علم واسع هو (علم الأسماء).

يمكننا القول أن الطوبونيميا هي دراسة أسماء الأماكن، بشكل عام، ويمكن أن يطابق ما يعرف، اليوم، بـ (ذاكرة المكان) ومنها الأماكن الجغرافية وعلاقة الإنسان بها، ويصطلح عليه عربياً بـ (المواقعية)، ويُشير إلى التخصص الذي يبحث عن هذه الأسماء باسم أسماء المواقع الجغرافية أو علم المواقع الجغرافية، علم الأسماء هو دراسة أسماء العالم بجميع أنواعها يسمى الشخص الذي يدرس أسماء المواقع الجغرافية بالطوبونمست toponymist (عالم أسماء المواقع الجغرافية) أو المتخصص بأسماء المواقع الجغرافية.

علم الأسماء أو علم التسميات Onomastics , onomatology هو دراسة أصل الأسماء وتاريخها واستخداماتها الصحيحة ومرادفاتها، والتي يمكن أن يكون مفيدًة في التنقيب عن البيانات، ويرافق ذلك التطبيقات التي نتعرف بها على الكيانات المسماة أو التعرف على أصل الأسماء. كما تم استخدامه في البحث التاريخي لتحديد الأقليات العرقية ضمن مجموعات سكانية أوسع.

الطوبونيميا اليمنية: هو دراسة أسماء الأماكن والجغرافيا اليمنية الحالية والقديمة وتتبع جذورها ومعانيها، ووصفها ومعرفة علاقة الإنسان بها وطبقاتها التاريخية، ولا شك أن كل بلاد لها طوبونيميا خاصة بها، ويكفي أن نشير لها وأن يكون جهدنا في تتبع أسماء الأماكن والمدن والعواصم اليمنية يصب في هذا الاتجاه رغم أن الأمر يحتاج تخصصاً أدق وأوسع.

أسماء الأماكن الجغرافية في اليمن عريقة وأصيلة فهي بجذورها اللغوية اليمنية القديمة وامتدادها المتواشج مع الأسماء العربية تشكّل سبيكة رائعة وعريقة ندر التدخل الأجنبي فيها.

ترتبط طوبونيميا اليمن بتخصصين قريبين هما أشكال الأماكن (طوبوغرافيا Topography) والثاني هو رسم الخرائط (كارتوغرافيا Cartography).



خارطة حديثة توضّح حدود وجوار اليمن

الميزة الجغرافية المهمة التي نلاحظها هي نشوء الممالك اليمنية في الوديان، وأن بدايتها كانت في الوديان الواقعة على أطراف صحراء صيهد (الربع الخالي)، وهو ما يوضحه هذا الجدول:

الممالك اليمنية وظهورها في وديان اليمن

وإذا كانت حدود اليمن الحالي شبه ثابتة ومعروفة كما ذكرناها، لكن حدوده لم تكن واضحة المعالم في التاريخ القديم، ويبدو أنها كانت أوسع بكثير من حدوده الحالية، حيث «لا يوجد مصدر مؤكد قد يُستدل من خلاله على حدود اليمن وموقعها قديماً مثل المصادر الكلاسيكية التي تطرق فيها العديد من الكتاب الإغريق والرومان إلى الإغريق والرومان إلى ذكر بلاد اليمن وعُرفت لديهم باسم العربية السعيدة (Arabia Felix) وعلى ما يبدو أن

هذه التسمية التي أطلقت على بلاد اليمن وموقعها لم تكن معروفة لدى العديد من الشعوب القديمة الأخرى، وبخاصة عند أقوام وشعوب العالم المتوسط القديم الذين كانت اليمن على اتصال دائم معهم بحكم منتجاتها الطبيعية من البخور والطيوب، فقد كانوا يسمعون عن منتجات بلاد اليمن وخيراتها إلا أنهم كانوا يجهلون موقعها الجغرافي، فكانت في اعتقاد الكثير منهم بأنها في المناطق الواقعة في الهند أو الحبشة أو بلاد التبت أو جزيرة العرب كلها أو جنوبها أو الأجزاء الجنوبية الغربية لبلاد العرب التي عُرفت لديهم بأنها آخر الأرض المعمورة أو اليابسة وبها يوجد المُر والكاسيا والقرفة واللبان التي لا تنبت في أي منطقة أخرى ولا تسوّق في أي مكان آخر.» (نجيم 2012: 9).

أما الوثائق المسندية فقد تتطرق لهذا بابتسار وتشير إلى ما يحيط اليمن لكن الظروف التاريخية لليمن لم تكن ثابتة وواضحة بشكل دائم رغم ذكر بعض الخطوط العامة، فقد «رأى البعض أن أقدم مصدر يشير إلى حدود اليمن قديماً هو نقش النصر الموسوم بـ (GL 1000= RES 3945) الذي يعود تاريخه إلى النصف الثاني من الألف الأول ق.م، لأنه المصدر الوحيد الذي يُعرفنا بجغرافيا اليمن وحدودها السياسية قديماً من خلال الحملات العسكرية التي قام بها المكرب (الملك) السبئي كرب آل وتر على مناطق واسعة شملت الهضبة اليمنية الكبرى الممتدة من أنحاء المعاقر (الحجرية اليوم) في الجنوب الغربي بالقرب من باب المندب مروراً بدلتا تبن (تبنو قديماً) ودلتا أبين (نقض قديماً) حول عدن، فيافع (داهش قديماً) ودنينة وجبال الكور وأوديتها حتى أطراف حضرموت من ناحية والجوف ونجران من ناحية أخرى.» (نجيم 2012: 10).

الكتابات الكلاسيكية، اليونانية والرومانية، كانت تخلط بين اليمن وعموم الجزيرة العربية في كثير من الأحيان، رغم أن هناك من ذكر اليمن تحديداً بطريقة نابهة وذكية، فقد جاء في» كتابات بعض المؤلفين الكلاسيكيين أنها تمثل الجزء الثالث من بلاد العرب وتحتل أكبر مساحة في شبه الجزيرة العربية حيث تمتد من الطرف الشمالي للخليج العربي في الشرق إلى رأس خليج العقبة في الغرب، أما عند المؤرخين والجغرافيين المسلمين والعرب فهي أكبر مساحة بحيث تصل مساحتها إلى نحو ثلثي ديار العرب، فهي عند الهمداني،

المناطق الواقعة إلى الجنوب والجنوب الغربي من جزيرة العرب ويفصل بينها وبين باقي أقسام الجزيرة العربية خط يأخذ حدود عُمان وبيرين إلى حدٍّ ما بين اليمن واليمامة فحدود الهجيرة وتثليث (واد بنجد وهو على مسافة يومين من جرش)، وأنهار جرش (جرش من مخاليف اليمن باتجاه مكة)، وكتنة (من مخاليف مكة البحرية)، منحدراً إلى مناطق السراة على شعف (الشعف أعلى الجبل أو أعلى الشيء) عنز (اسم لموضع بغور تهامة) إلى نهاية علي أم جحدم (قرية بين كنانة والأزد) إلى البحر بمحاذاة جبل كدمل بالقرب من حمضة، ومنها إلى ما بين كنانة واليمن من بعلن تهامة.» (نجيم 2012: 10 ـ 11).

قسّم الإغريق واللاتين جزيرة العرب إلى أقسام ثلاثة:

1. العربية السعيدة Arabia Felix

2.العربية الصخرية (الحجرية) Arabia Petreae

3. العربية الصحراوية Arabia Deserta

لم تكن العربية السعيدة، في بداية الأمر تعني اليمن بل كانت تعني مساحات واسعة من جزيرة العرب فهي، أي «العربية السعيدة، ويقال لها«Arabia Beata» و«Arabia Eudaimon» في اليونانية، فهي أكثر الأقسام الثلاثة رقعة، وتشمل كل المناطق التي يقال لها جزيرة العرب في الكتب العربية كما يفهم من بعض المؤلفات، وليست لها حدود شمالية ثابتة، لأنها كانت تتبدل وتتغير على حسب الأوضاع السياسية. ولكن يمكن القول أنها تبدأ في رأي أكثر الكتاب اليونان والرومان من مدينة «هيروبوليس»«Heropolis» على مقربة من مدينة السويس الحالية، ثم تساير حدود العربية الحجرية الجنوبية، ثم تخترق الصحراء حتى تتصل بمناطق الأهوار «أهوار كلدبا» عند موضع«Thapsacus». وقد أدخل بعض الكتاب هذه الأهوار في جملة العربية السعيدة، وجعلها بعضهم خارجة عنها بحيث يمر خط الحدود في جنوبها إلى أن تتصل بمصب شط العرب في الخليج. وعرفت البادية

الواسعة التي هي جزء من النفوذ والتي تمر بها حدود العربية السعيدة الشمالية، باسم«Eremos» عند اليونان، وهي امتداد لبادية الشام.» (علي ج1 1993: 150 ـ 151).

المبحث الثالث: محافظات اليمن وآثارها القديمة

العدد الحالي لمحافظات اليمن الحالي هو (21) محافظة، احتوت كلّها على آثار وبقايا تاريخ وحضارة اليمن في كل المراحل المعروفة، وسنؤكد في هذا المبحث على مواقع الحضارات القديمة، بشكل خاص، لنعطي صورة سياحية وآثارية لآثار اليمن القديم ونتعرف على مكانها وأقاليمها وجزرها المختلفة ونحن نذكرها في تضاعيف كتابنا هذا.

التقسيم الحديث لمحافظات اليمن يضعنا أمام مهمة تشخيص آثار وتاريخ اليمن ومدنه القديمة عبر هذه المحافظات لكي نقيم جسراً بين الماضي والحاضر من جهة ولكي نحدد مكان تلك الآثار في المحافظات الحالية، فضلاً عن تعرفنا على مواقع المحافظات ومديرياتها وجغرافيتها ومجتمعها ولمحة عن تاريخها القديم الذي نحن بصدده. لأجل هذا الغرض وضعنا هذه الجداول الموجزة والواضحة لكي نحقق تلك الغاية، وهو نهج اعتدنا عليه في كتبنا السابقة عن الحضارات. ولكي نتدرج في عرض محافظات وآثار اليمن فسنستعرضها من الشمال إلى الجنوب، ومن الغرب نحو الشرق:

مراجع المبحث الثالث (محافظات اليمن وآثارها القديمة)، والمبحث الرابع(مدن وأقاليم وجزراليمن):

1. المقحفي، إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1 وج2، دار الكلمة للنشر والتوزيع والمؤسسة الجامعية للدراسات والطباعة والنشر، بيروت (2001).

2. فخري، أحمد، اليمن ماضيها وحاضرها، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، مطبعة الرسالة، القاهرة (1957)

3.شرف الدين، أحمد حسين: المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية ج2، د.ن، الرياض (1984).

4.الحجري، محمد أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها وزارة الإعلام، صنعاء(1984).

5.ياسين، محمود: مدن لا يعرفها العابرون، مطابع وكالة النباء اليمنية سبأ، صنعاء (2006).

6.موقع مدن تاريخية: تاريخ الاقتباس 5/10/2020، موضوع:المدن التاريخية والتراث الثقافي.

https://historicalcities.wordpress.com/مدن ـ تاريخية/

7. الخرائط الخاصة بمواقع المحافظات: موقع المعرفة.



المبحث الرابع: مدن وأقاليم وجزر اليمن

أولاً: عواصم ممالك اليمن القديم

مدن اليمن القديم كثيرة ويصعب حصرها في مجال ضيقٍ، ولذلك اخترنا الحديث عن أهم تلك المدن والتي كانت عواصم الممالك الأساسية التي ظهرت في تاريخ اليمن القديم، ويوضح لنا هذا الجدول ممالك اليمن القديم وعواصمها والآلهة الأساسية التي عبدت فيها

والتي تعتبر حامية لها، حيث كان سكان تلك الممالك والمدن يعتبرون أنفسهم بمثابة أبناء تلك الآلهة:

الممالك اليمنية القديمة وعواصمها

اخترنا من مدن اليمن القديم 11 عاصمة تاريخية لممالك الحضارة اليمنية الكبرى التي كانت مراكز الحضارة آنذاك لما يقرب من 1500 عام وهو عمر الحضارة اليمنية التقريبي.

1.صرواح: العاصمة الأولى لسبأ



آثار صرواح



بقايا معبد إلمقه في صرواح

2.مأرب: العاصمة الثانية لسبأ



معبد إلمقه (معبد بران) وهو يتوسط مأرب القديمة ويسمى شعبياً (عرش بلقيس، العمايد)

3.صنعاء (صنعو) العاصمة الثالثة لسبأ

4.يثل (براقش) عاصمة معين الدينية



سور براقش



إحدى قلاع مدينة براقش

5.قرناو: العاصمة الثالثة لمعين

6.معين: العاصمة الثانية لمعين

7.ميفعة: العاصمة الأولى لحضرموت



آثار من ميفعة

8.شبوة: العاصمة الثانية لحضرموت



تماثيل قديمة من شبوة

9.تمنع: العاصمة الأولى لقتبان Timna

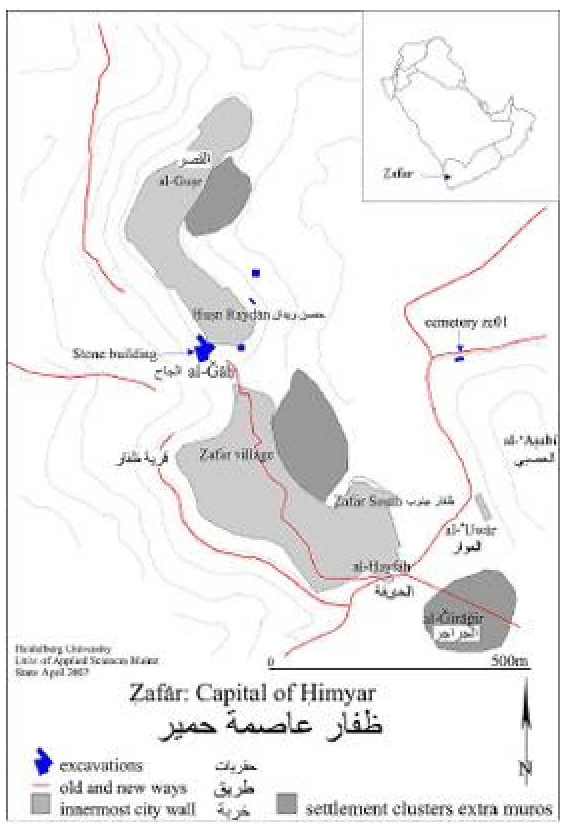


آثار تمنع

10.هجر يهر (هجر الناب): العاصمة الثالثة لأوسان



11.ظفار يريم: عاصمة مملكة حِمير



ثانياً: أقاليم اليمن

اليمن هضبة كبرى، بين السهول الساحلية غرباً والربع الخالي شرقاً، تتخللها أودية تبدأ من إقليم المرتفعات الوسطى الممتدة من تعز جنوباً حتى الحدود مع المملكة العربية السعودية شمالاً. وتنقسم اليمن، بشكل عام، إلى خمسة أقاليمٍ جغرافية هي: السهول الساحلية، المرتفعات الجبلية، الأحواض الجبلية، الهضبات، الصحارى.

1. إقليم السهول الساحلية: أغلبها هي سهول تهامة، يمتد الإقليم على طول سواحل البحار التي تطل عليها اليمن وتتقطع بالجبال والهضاب، ويمتاز بمناخ حار طول السنة مع أمطار قليلة تتراوح بين50 ـ 100 ملم سنوياً، والأقاليم الساحلية أماكن مهمة للزراعة، وخاصة سهل تهامة بسبب كثرة الأودية التي تخترق هذا الإقليم وتصب فيها سيول الأمطار على المرتفعات الجبلية.

2. إقليم المرتفعات الجبلية: ينقسم إلى قسمين، أولهما الإقليم الغربي الذي ينزل من الشمال موازياً للبحر الأحمر، والثاني هو الإقليم الجنوبي الذي يمتد من باب المندب وحتى نهاية محافظة المهرة موازياً لخليج عدن، وتعد جبال هذا الإقليم الأكثر ارتفاعاً في شبه الجزيرة العربية حيث يتجاوز وسطي ارتفاعها 2000م، وتصعد قممها لأكثر من 3500م، وتصل أعلى قمة فيها إلى 3666م في جبل النبي شعيب.

تنتشر الأودية السطحية في الإقليم الغربي فتنحدر كجدار جبلي يطل على سهل تهامة بجروف وسفوح شديدة الانحدار، وأهم هذه الوديان: وادي مور ـ حرض ـ زبيد ـ سهام ـ ووادي رسيان وهذه تصب جميعها في البحر الأحمر أما الوديان التي تصب في خليج عدن والبحر العربي فأهمها: وادي تبن ووادي بناء ووادي حضرموت.

3. إقليم الأحواض الجبلية: تعرض إقليم المرتفعات الجبلية لحركات تكتونية نجم عنها انكسارات رئيسية وثانوية ونجم عنهما هضاب عالية حصرت بينها ما يعرف بـ (الأحواض أو القيعان أو الحقول الجبلية). وأغلبها يقع في القسم الشرقي من خط تقسيم المياه

الممتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب وأهمها: قاع يريم ـ ذمار ـ معبر ـ وحوض صنعاء ـ عمران ـ صعدة.

4. إقليم المناطق الهضبية: وهي المرتفعات البعيدة عن السواحل والتي تقع إلى الشرق والشمال من إقليم المرتفعات الجبلية وموازية لها والتي تتسع أكثر باتجاه الربع الخالي ثم تبدأ بالانخفاض التدريجي، وينحدر السطح نحو الشمال والشرق انحداراً بطيئاً، وتشكل معظم سطح هذا الإقليم من سطح صخري صحراوي تمر فيه بعض الأودية وخاصة وادي حضرموت ووادي حريب.

5. إقليم الصحارى: إقليم الرمال الخالي من الغطاء النباتي باستثناء مناطق مجاري مياه الأمطار التي تسيل فيها بعد سقوطها على المناطق الجبلية المتاخمة للإقليم، تمتاز بالمناخ الحار والأمطار النادرة والرطوبة المنخفضة ويتراوح ارتفاع السطح هنا بين 500 ــ 1000 م فوق مستوى سطح البحر، تنحدر الصحارى ويقل ارتفاعها باتجاه الشمال الشرقي إلى قلب الربع الخالي.

ثالثاً: جزر اليمن

لم تكن كلّ جزر اليمن الحالية، والبالغة عددها 184 جزيرة، قديمة، بل ظهر بعضها في العصور الحديثة بسبب النشاط البركاني لطبقات الأرض تحت البحر الأحمر بشكل خاص. ويمكننا أن نصنّف جزر اليمن كما يلي:

1.جزر البحر الأحمر

عددها 152 جزيرة مثل جزيرة كمران وهي أكبر جزيرة مأهولة في البحر الأحمر، وجزر أرخبيل حنيش وجزيرة زقر.

جزيرة كمران: تقع في البحر الأحمر على بعد 350 كم شمال باب المندب، وعلى بعد 2.5 كم من الساحل الشمالي لليمن، ومعنى اسمها باللغة العربيّة (قمران) بسبب الانعكاس

المزدوج لضوء لقمر، وهي تابعة إدارياً لمحافظة الحديدة، وتُعتبر أكبر جزيرة في الأرخبيل اليمنيّ، تبلغ مساحتها ما يُقارب 57 كم2، ودرجة حرارتها يُقارب 29 درجة مئوية، ومناخها مضطرب بسبب قلة الأمطار والعواصف الترابيّة، والرطوبة العالية.

كانت جزيرة كمران بمثابة مدخل للسفن التجارية وسفن التجار والزوار من اليمن وإليه، كما تحتل الجزيرة أهميةً تجاريةً واقتصاديةً كبيرة، وتشتهر الجزيرة بتجارتها في اللؤلؤ والملح الكمراني الذي يُستخدم كمادة طبية.

جزيرة حنيش: وهي أربع جزر مُجتمعة تقع في جنوب البحر الأحمر، وتبعُد 160كم شمال مضيق باب المندب وتمتد من الشمال إلى الجنوب في سلسلة يبلغ طولها ما يُقارب 65كم، وهي أقرب جزر اليمن لإريتريا.

جزيرة زقر: أكبر الجزر اليمنية الواقعة على البحر الأحمر من حيث المساحة، حيث تبلغ مساحتها ما يُقارب 185 كم2، تقع عند الممرين الأفريقي والآسيوي، وهي ذات تضاريس جبلية وعرة وبركانية، مع الأودية والسواحل الطويلة، ومن أهم النباتات التي تعيش فيها الأشجار الشوكية وأشجار المنجروف.

2.جزر خليج عدن

عددها 21 جزيرة، منها البيضاء، العمال، الفحم، اللخم، النهدين، جحب.. إلخ.

3.جزر البحر العربي

عددها 11 جزيرة، قطاع أرخبيل سقطرى ويضم 7 جزر، وقطاع بئر علي (شبوة) ويضم 4 جزر.

يقع أرخبيل سقطرى في شمال غرب المحيط الهندي، بالقرب من خليج عدن، ويمتد على مساحة 250 كلم. يشمل أربع جزر وجزيرتين صخريتين صغيرتين يبدو وكأنها امتداد

للقرن الأفريقي. إنه موقع استثنائي من حيث التنوع الكبير في نباتاته ونسبة الأنواع المستوطنة. وتتميز الحياة البحرية في سقطرى بتنوع كبير، مع تواجد 352 نوعاً من المرجان الباني للشعب، و730 نوعاً من الأسماك الساحلية، و300 نوع من السراطين والكركند والروبيان.

جزيرة سقطرى: معنى اسمها باللغة السنسكريتية (دار النعيم)، وتقع هذه الجزيرة في المحيط الهندي على بعد حوالي 340 كم جنوب شرق اليمن، وتبلغ مساحتها حوالي 3600 كم2، وتمتاز بتضاريسها المتنوّعة؛ كالجبال والسهول الساحلية، كما تطل جزيرة سقطرى على ضفاف مرجانية، وتُشكّل موطناً لمجموعة من النباتات، ومن أهم النباتات التي تشتهر بها سقطرى: اللبان، ونبات المرّ، وشجرة دم التنين.

عرفت جزيرة سقطرى منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد أحد المراكز الهامة لإنتاج السلع المقدسة التي كانت تستخدم في الطقوس الدينية باعتبارها أرضاً مباركة من الآلهة، ولذلك كان لها حضور في كتب الرحالة والجغرافيين القدماء. وارتبطت الجزيرة في التاريخ القديم بمملكة حضرموت أمَّا في العصر الحديث فارتبطت بسلطان المهرة ثم أصبحت محافظة قائمة بذاتها. أهم الحرف اليدوية في الجزيرة هي الغزل والتسيج وصناعة الفخاريات والنجارة وصناعة السفن والصناعات الجلدية.

جزيرة عبد الكوري: تقع في المحيط الهندي، وتبعُد مقدار 105كم في الجهة الجنوبيّة الغربية من جزيرة سقطرى، وهي من الجزر ذات الطبيعة الصخريّة، ويبلغ طولها ما يُقارب 35كم وعرضها ما يُقارب 5كم، وارتفاعها يزيد عن مقدار 700م، وتتّسم بطبيعتها الشبه صحراوية، ويوجد فيها القليل من أنواع النباتات، ويعمل معظم سكانها في مهنة صيد الأسماك.

رابعاً: أنهار اليمن القديم وروافدها

هناك ما يشير إلى وجود أنهارٍ صغيرة في اليمن القديم، وربما كان هناك نهرٍ كبير يصل صنعاء وصعدة بحضرموت.ليس الأمر مؤكداً ويحتاج إلى الكثير من البحث والتقصي، ومن المؤكد أن هذه الأنهار، إن وجدت، فقد جفّت مع حلول العصر البرونزي وتغير المناخ الرطب إلى جاف في اليمن القديم.

1.نهر الجوف ـ حضرموت: قبل حصول الانقلاب المناخي، في اليمن القديم، في حدود 3000 ق.م، وخلال عصر الرطوبة، كان هذا النهر يشطر اليمن من أقصى شمالها الغربي إلى أقصى جنوبها، مجتازًا بذلك مسافة تزيد عن 1300 كلم. وكانت بدايات مساره قد ضمت مرتفعات السروات أهمها صنعاء وصعدة» إحدى بدايات النهر كانت في جنوب صنعاء، فيتجه بعد ذلك باتجاه الشمال مكوّنًا سهل صنعاء (حيث تقع مدينة صنعاء حاليًا)، ثم يهبط أكثر باتجاه الشمال عبر المرور بمنطقة أرحب حتى يصل إلى وادي الجوف. فرع آخر لهذا النهر كان يأتي من شمال صعدة متجهًا نحو الجنوب ومكوّنًا سهل صعدة، قبل أن يهبط بعد ذلك إلى وادي الجوف3. وهناك تتلاقى هذه الفروع فيتشكل نهر كبير يخترق الصحراء نحو المنطقة المعروفة اليوم باسم صافر، حيث ينضم إلى النهر فرع آخر غزير قادم من المرتفعات بعد أن شق طريقه هابطًا من خولان إلى مأرب عبر اختراق جبل الفلج4. وهكذا كان النهر يزداد حجمًا وقوة، فيعبر مندفعًا المنطقة التي باتت اليوم تعرف بصحراء الربع الخالي، ثم يصطدم بهضبة حضرموت، فيشقها مكوّنًا ما نعرفه اليوم بوادي حضرموت، قبل أن يصل في الأخير إلى نهايته في ساحل سيحوت في محافظة المهرة حاليًا، ويصب أخيرًا في بحر العرب» (الأهدل، شهاب: نهر الجوف ـ حضرموت 6 تشرين الثاني 2020، موقع خيوط)

https://www.khuyut.com/blog/al - jawf - hadramout - river

2.نهر الخارد: كان يمتد من منطقة أرحب في صنعاء والجوف وشبوة إلى حضرموت، وربما تكون له علاقة بالنهر السابق أو يكون هو نفسه.

يمكننا القول أن اليمن، اليوم، لا تمتلك أنهاراً ولكنها أصبحت مليئة بالروافد وهي أنهار صغيرة متقطعة مؤقتة وغير ثابتة، ومنها روافد (الخارد، مذاب، همدان، شبام، ريدة، حوث) في وادي الجوف وتحديداً في أراضي دولة معين القديمة. وكانت هناك روافد في كل الوديان التي تستقبل الأمطار وتجعلها مهيئة للسقي والزراعة.

المبحث الرابع: المناخ والسكّان وإثنياتهم

أولاً: مناخ اليمن

يصعب التعرف على مناخ اليمن القديم كما كان بشكل دقيق، لكن معرفتنا بالمناخ الحالي لليمن يمكن أن تعطينا فكرة عامة عن مناخ اليمن نستطيع معها تصور المناخ آنذاك.

درجات الحرارة:

مرتفعة في السواحل، تنخفض قليلاً في السهول، وأكثر انخفاضاً في المرتفعات.

الساحل الغربي: عالية تصل درجة الحرارة إلى 54 ـ 35 درجة مئوية شتاء.

السهول الشرقية والغربية: معتدلة حيث تصل صيفاً إلى˚42 م ـ˚25 م.

المرتفعات: منخفضة تصل درجات الحرارة إلى˚33م ـ 20˚م. وفي فصل الشتاء تصل درجات الحرارة الصغرى على المرتفعات إلى ما يقرب درجة الصفر.

الرطوبة: بسبب البحر الأحمر، والبحر العربي، ترتفع درجة الرطوبة الجوية على السواحل، وتأثيرها محدود يكمن في تعديل بعض خصائص الرياح والاستقرار الجوي.

مرتفعة في السهول الساحلية تصل إلى أكثر من 80 % وتهبط كلما اتجهنا نحو الداخل بحيث تصل أدنى لها وهو 15 % في المناطق الصحراوية.

الأمطار: ظاهرة الأمطار في اليمن مهمة جداً وقد أثرت في مسرى وطبيعة الحضارة اليمنية، ويمكن تلخيصها بنقطتين توضحان وجود موسمين للأمطار هما:

1.الموسم الأول: ويكون خلال فصل الربيع (مارس ـ أبريل) بمطر معتدل.

2.الموسم الثاني: ويكون خلال فصل الصيف (يوليو ـ أغسطس) بمطر غزير.

تتباين كمية الأمطار، فالكثير منها في المرتفعات الجنوبية الغربية كما في مناطق إب ـ تعز والضالع ويريم حيث تتراوح كمية الأمطار الساقطة هنا ما بين 600 ـ 1500 مم سنوياً، وتقل كمية الأمطار الساقطة في السهل الساحلي الغربي كما هو في الحديدة والمخا، ويزداد مع الارتفاع من 50 مم على الساحل إلى نحو1000مم على سفوح الجبال المواجهة إلى البحر الأحمر.

في السواحل الجنوبية والشرقية للبلاد كمية الأمطار والتي تبلغ نحو 50 مم سنوياً كما في عدن والفيوش والكود والريان بسبب اتجاه حركة الرياح الرطبة بمحاذاة الساحل دون التوغل إلى الداخل، ولذلك يكون تأثيرها قليلاً وبلا أهمية اقتصادية.

الأمطار الموسمية والاحتباس الحراري، بسبب النشاط البشري والحروب، تزيد التغيرات المناخية على البيئة المناخية والزراعية حيث يقل الغطاء النباتي ويزداد التصحر وتنزاح المواسم المطرية في اليمن(وتذبذب بالكمية والزمن) وهو ما يؤدي إلى عدم قابلية استمرار زراعة المحاصيل التقليدية.

«اليمن القديم كان يتمتع بمناخ ملائم، من حيث انتظام الأمطار الموسمية الملائمة للزراعة، وتنوع المحاصيل التي ساعدت على وجود حياة مستقرة لتشهد هذه الأرض نمو وازدهار حضارة اليمن القديم. وقد تحدث الكتاب الكلاسيكيون عن خصوبة هذه البلاد وتنوع أشجارها ونباتاتها (الأشجار المثمرة والأعضاب الطبية والعطرية، والأزهار وغيرها)، وكأنهم يؤكدون أن ذلك من أهم أسباب نمو وازدهار حضارة اليمن القديم.» (حنشور 2011: 21).

ثانياً: سكان اليمن القديم

(ديموغرافيا، إثنوغرافيا)

1. اليمنيون: هم أهل اليمن الأصليون الذين سكنوا اليمن منذ عصور ما قبل التاريخ مروراً بالعصر البرونزي، ثم أهل الممالك اليمنية الكبرى في (سبأ ومعين وحضرموت وقتبان وأوسان وحمير) والممالك الصغرى الكثيرة، ومهنتهم تتراوح بين الزراعة والمهن المتحضرة المدنية، وما زال النظام القبلي مهيمناً على الإثنية اليمنية بقبائل اليمن المعروفة. ويصنّفون بأنهم من الشعوب التي تتحدث إحدى اللغات السامية وهي اللغة اليمنية، وهم أغلبية سكان اليمن القديم.

2. البدو (عربن) وهم عرب البادية والصحراء الذين يجوبون كل أنحاء الجزيرة العربية، ومن ضمنها المناطق الصحراوية في اليمن، ومهنتهم هي الرعي. ويصنّفون بأنهم من الشعوب التي تتحدث إحدى اللغات السامية وهي اللغة العربية، وهم أقلية.

3. الأفارقة من الأحباش والإرتيريين والصوماليين القدماء النازحين من شرق أفريقيا ومن القرن الأفريقي. وهم شعوب خليطة من الساميين والأفارقة، وهم أقلية متفرقة.

4. سكان سقطرى خليط من سكان أصليين للجزيرة ومن اليمنيين والهنود والأفارقة، وهم أقلية محدودة في الجزيرة.

الفصل الثاني: موجز تاريخ اليمن القديم

(من خلال علم الآثار)



دعاء منقوش على يد من البرونز، موجه لإله قبيلة همدان تألب ريام

القسم الأول: عصور ما قبل التأريخ في اليمن

أول ظهور للإنسان، على وجه الأرض، كان في تنزانيا قبل حوالي 2.7 مليون عام، أطلق عليه، بالاسم العلمي، الإنسان الماهر (Home habilis)، وكان أول انتشار لهذا الإنسان خارج أفريقيا في حدود 1.77 مليون عام من الآن. وقد عثر على بقاياه الأقدم في موقع دمانيسي في جورجيا.

أما في الشرق الأدنى فقد كان أقدم بقايا بشرية في موقع العبيدية في وادي الأردن ضمن مستوطنة لصيادي العصر الحجري القديم في حدود 1.4 مليون عاماً من الآن.

يقدر العلماء أن أول أدوات، وليس أول بقايا بشرية، في اليمن، تشير إلى وجود الإنسان من خلال استعماله لها، قبل أكثر من مليون سنة من الآن. مع ملاحظة عدم ظهور أي بقايا بشرية في اليمن والجزيرة العربية قبل 10.000 ق.م.

أقدم بقايا بشرية عثر عليها في اليمن تعود لحوالي 1000 ق.م في كهوف على مشارف صنعاء وهي عبارة عن عظام مبعثرة داخل حفرة ضمن سلسلة جبل شملان وتتكون من عظام الفك والفخذ، وتعود لجثتين بشريتين.

تنقسم عصور ما قبل التاريخ، في اليمن، إلى ما يلي:

1.عصور ما قبل التاريخ في اليمن (Yemen Pre - Historic Ages)

تنقسم عصور ما قبل التاريخ، في اليمن، إلى سبعة عصور أساسية هي:

1.الباليوليت الأسفل: الحجري القديم الأسفل (1.400.000 ـ 100.000 ق.م).

2.الباليوليت الأوسط: الحجري القديم الأوسط (100.000 ـ 50.000 ق.م).

3.الباليوليت الأعلى: الحجري القديم الأعلى (50.000 ـ 12.000 ق.م).

4.الميزوليت: الحجري الوسيط (12000 ـ 7000 ق.م).

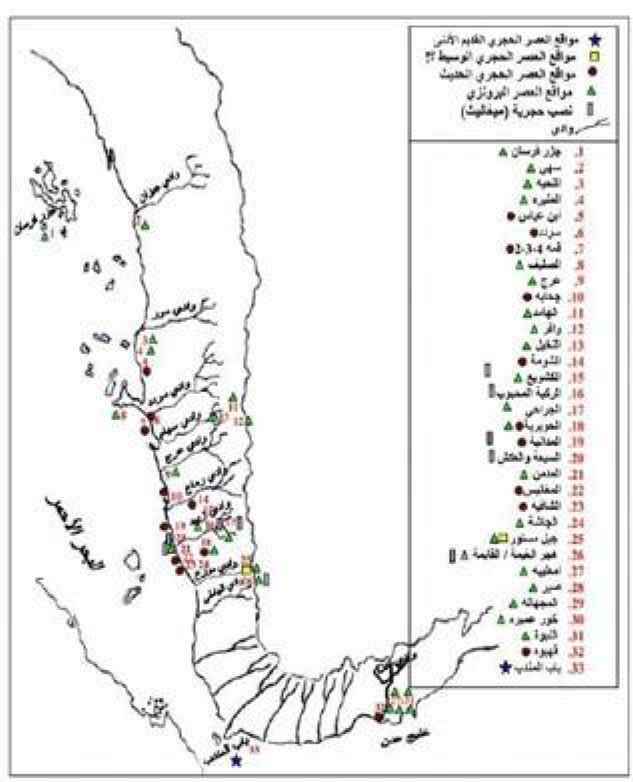
5.النيوليت: الحجري الحديث (7000 ـ 3500 ق.م).

6. الكالكوليت:الحجري النحاسي (3500 ـ 2800 ق.م).

7. البروتولتريت (البروتوهستوري): لا يوجد هذا العصر في اليمن بسبب غياب الكتابة الصورية المبكرة (بكتوغراف)، وتأخر ظهور كتابة المسند الهجائية إلى بدايات العصر الحديدي.

خلاصة عصور ما قبل التاريخ في اليمن

تكاد سواحل اليمن البحرية الغربية والجنوبية تمثل أكثف مناطق مواقع عصور ما قبل التاريخ، فعلى سبيل المثال يمكننا التعرف على جميع عصور ما قبل التاريخ في ساحل تهامة المطلّ على البحر الأحمر كما في هذه الخريطة:



خريطة (9) توضح مواقع عصور ما قبل التاريخ في ساحل تهامة
بتصرف عن :
(Vogt.B, Sedov, A. 1998, fig.1)

1.الباليوليت الأسفل (العصر الحجري القديم الأسفل)

(100.000 ـ 1.400.000) ق.م

1. الزمان: أول ما يجب البحث عنه في هذا العصر هو الدلائل التي تشير لزمن عبور الإنسان من أفريقيا إلى اليمن عبر إرتيريا أو جيبوتي، والذي حصل في هذا العصر.

«يسجل الدليل المعروف المبكر للعصر الحجري القديم في شبه الجزيرة العربية ظهور الأدوات الأولداوية والآشولية المبكرة، وهو ما يدل على أحداث انتشار مبكرة متعدد (de Maigret 1983؛ Whalen et al. 1983؛ Bar - Yosef and Belfer - Cohen 2001؛ Anton and Swisher 2004؛ Amirkhanov 2006؛ انظر Petraglia 2003، 2005 لمحات عام وقد تم إجراء غالبية المسوحات في المناطق الجنوبية الغربية والوسطى، ولا سيما منطقتي تهامة وحضرموت، ولم يتم إنجاز سوى القليل جدًا من العمل في القطاعات الشرقية والشمالية الشرقية (فان بيك وآخرون، 1964). ومن المعروف أن مواقع العصر الحجري القديم تحدث في مجموعة متنوعة من البيئات البيئية والطبوغرافية، غالبًا على سطح المدرجات والمناظر الطبيعية البركانية، ولكن أحيانًا في سياقات الطبقات الآثارية. ومع ذلك، فإن أياً من هذه الأدوات الحجرية في جميع أنحاء المنطقة لها تواريخ مطلقة موثوقة، ولم يتم التنقيب بشكل منهجي إلا في عدد قليل من المواقع؛ وقد مثلت بعض المواقع ظهورات سطحية متضخمة وحافظت على كثافات منخفضة للغاية على سبيل المثال، (Bulgarelli 1986؛ Zimmerman 2000).)» (Chauhan 2009: 54).

يعتقد أن الإنسان القديم عبر من شرق أفريقيا، قبل مليون سنة من الآن، باتجاه اليمن حين عبر المضيق في أسفل البحر الأحمر، وقد أيدت ذلك أدوات حجرية عثر عليها في ملجأ في وادي حضرموت من الحجر الجيري كشفها (أمير خانوف Amir Khanov).

وهناك من يرى أن ذلك حصل قبل ما يقرب من 8500 عام من الآن خلال العصر الجليدي الأخير الذي تزامن مع المناخ الرطب والجيد في اليمن، وهذا تقدير يخالف الاكتشافات الآثارية.

2. البيئة والمناخ: كان العصر الجليدي الأخير قد حلَّ في شمال المتوسط، أما في جنوبه فقد تحولت أفريقيا بشكل خاص إلى مناطق جافة وظهر التصحر في وسطها وطال ذلك مناطق تواجد الإنسان في شرق أفريقيا، فهاجر الإنسان البدائي واتجه شرقاً وعبر نحو اليمن في حدود مليون ونصف مليون قبل الآن.

3. الحيوانات والنباتات: كانت الحيوانات تسبق الإنسان في هجراتها من أماكنها بسبب الجفاف والبحث عن الطعام والملجأ وما يناسبها من المناخ، ولذلك كان العلماء يتخذون من هجراتها دليلاً على هجرات البشر القدماء، فهم يخضعون، في كل الأحوال، للظروف ذاتها والدوافع ذاتها في الهجرة.

الحيوانات التي ظهرت في الباليوليت الأسفل هي: النمر، الفهد، الأسد، السنوريات السيغية (وهي تشبه القطط التي حجمها أكبر من حجم الأسد)، الفيل العملاق ذو الناب المستقيم، فرس النهر.

أما النباتات فكانت اليمن تحفل بالأشجار المدارية في السهوب الخضراء والتي تنبت قرب البحيرات الكبرى، في صحراء الجوف مثلاً، وفي منطقة رملة السبعتين.

4. المستعمرات البشرية وتجمعاتها: اكتشف الآثاريون الكثير من المستعمرات البشرية التي يعود أقدمها لحوالي 70 ألف سنة في وادي سردد غرب اليمن ضمن مرتفعات (المحويت)، فقد كان هناك الكثير من الأحجار المهذبة والعظام الحيوانية التي تستخدم كأسلحة، وكانت التجمعات البشرية عبارة عن صيادين متنقلين.

«في اليمن وأجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية، أسفرت التحقيقات الأثرية التي أجراها العديد من العمال عن وجود وفرة في مواقع العصر الحجري القديم السفلي بالقرب من الجبال وعلى أسطح المراوح، ولا سيما في منطقة حضرموت وسهول تهامة، بما في ذلك موقع كهف القوزة مع احتمال حدوث ذلك. التحف القديمة. أسفرت الدراسات الاستقصائية من 25 إلى 40 كيلومترًا من الداخل من خليج عدن، جنوب اليمن، عن 40 موقعًا من

العصر الحجري القديم السفلي، بما في ذلك العديد من المواقع الأولداوية. على الرغم من هذه الجهود الجديرة بالثناء، لا تزال أجزاء شاسعة من كل من جيبوتي واليمن غير مستكشفة إلى حدٍّ كبير، كما أن الكثير من الأدلة المعروفة من كلا المنطقتين لم يتم تأريخها أو التنقيب عنها على الإطلاق. وإلى أن يتم ذلك، فإن مثل هذه البيانات تقدم القليل من الدعم لنماذج التشتت المبكرة التي تتضمن طريقاً ساحلياً جنوبياً إلى جنوب شرق آسيا خلال العصر البليوسيني المتأخر. («Chauhan 2009: Abstract).

5. الأدوات الحجرية: بالإضافة إلى ما ذكرناه أعلاه فقد ظهرت أدوات حجرية قديمة في هضبة حضرموت عثرت عليها بعثة التنقيب السوفيتية عام 1933. وهناك أدوات من قرون الغزال والوعل، وعظام فخذ الفيل، وعظام تستخدم كرماح وخناجر وسكاكين وغير ذلك.

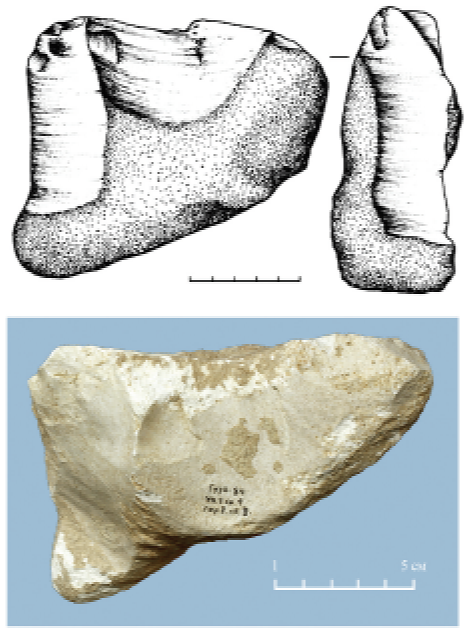
استخدم الإنسان، في صنع الأدوات الحجرية أحجار الربولايت والبازلت كمطارق وأحجار المونوليت كرقائق حجرية تشبه السكاكين.

6. الثقافة: الثقافة العامة السائدة هي ثقافة الصيد. وما زال الإنسان لم يصل إلى ثقافة جمع القوت وتخزينه.

الثقافة الأولداوية: Oldowan

1.في كهف القزة في حضرموت اكتشف موقع اسمه (موقع الكهف) عام 1984 أظهر المسح الأثري الذي أجرته البعثة الروسية ـ اليمنية المشتركة خلال الأعوام 1984 ـ 1986 من خلال حفر البعثة الأثرية والجيولوجية خندقاً داخل بوابة الكهف وخارجها بطول 19.5 م وعرض 2 م وعمق وصل إلى حوالي 14.5 م. ظهرت فيه 13 طبقة أثرية، كانت 12 طبقة من مجموعها تحتوي على أدوات حجرية أرخت إلى فترة العصر الحجري القديم الأسفل الأدنى في مرحلة نطقة نجران في (شعيب دحضة) اكتشف الآثاريون بعض الأدوات الحجرية، التي يعتقد أنها ترجع للحضارة الأولداوية، وتميزت أدواتها بالقواطع

الحجرية الكبيرة الحجم والمكاشط والشفرات والمطارق. وظهر أيضاً الأدوات ذات الوجهين البدائية (التي تعود للثقافة الآشولية).

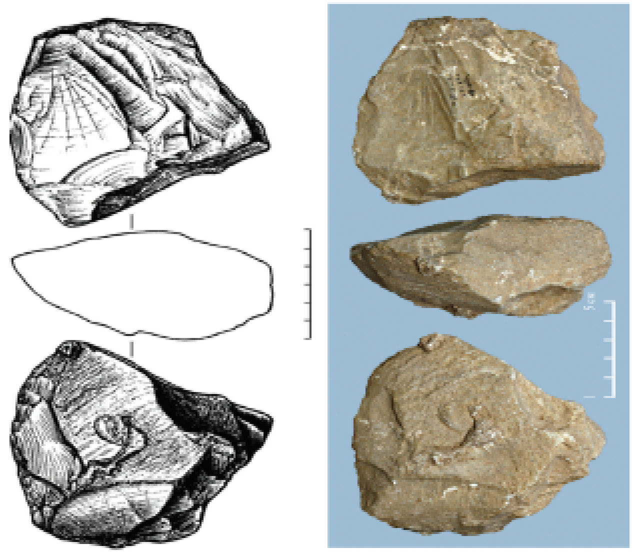


أدوات أولداوية مكشوطة من جانب واحد من كهف القزة بحضرموت

(Amirkhanov 2008: 26)

الثقافة الآشولية: Acheulean

ظهرت تقنية الأدوات الحجرية ذات الوجهين، في الباليوليت الأسفل، في أفريقيا الشرقية منذ حوالي 1.7 مليون سنة، وكانت البلطة هي الأداة التي كانت تقوم بتنفيذ هذه التقنية، وهي شائعة في الفترة الآشولية الأفريقية.



أدوات آشولية مبكرة مكشوطة من الجانبين من كهف القزة بحضرموت

(Amirkhanov 2008: 27)

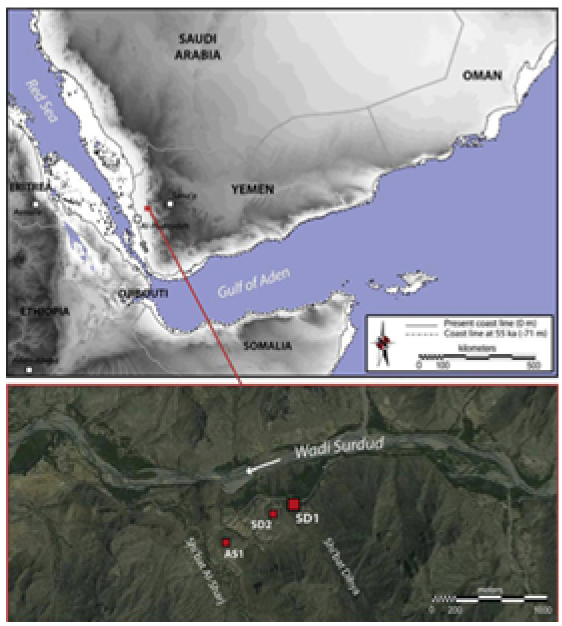
2.الباليوليت الأوسط (العصر الحجري القديم الأوسط)

(50.000 ـ 100.000)

1. الزمان: يمثله موقع (شعبة الضحي) على الضفة اليسرى من وادي سردد، في مديرية خميس بني سعد بمحافظة المحويت، يعود تاريخه إلى 55,000 سنة من وقتنا الحالي، اكتشف من قبل الفريق الوطني للمسح الأثري التابع للهيئة العامة للآثار والمتاحف الذي قام بتنفيذ عملية المسح الأثري في العام 1997 ضمن مشروع المسح الأثري الشامل لمحافظة المحويت، وفي العام 2004 تم زيارة الموقع للمرة الثانية من قبل فريق أثري يمني ـ فرنسي ـ إيطالي مشترك،. لتستمر على مدى ثلاثة مواسم حتى العام 2000.

وهناك من يرى أن العصر الحجري الوسيط حمل معه ظروفاً جعلت اليمن خالياً من البشر حيث «إن الاستيطان المبكر لليمن لغز يصعب حله. وتتجلى عقدته في تلك الفجوة الزمنية

التي استيقظت فيها اليمن ذات يوم وهي فارغة من السكان. فما الذي حل بالمستوطنين الأوائل. وإذا كنا نعرف أنهم جاؤوا من أفريقيا خلال العصر الحجري القديم قبل أن يختفي وجودهم في العصر الحجري الوسيط، فإننا نقف حائرين أمام ما حدث في العصر الحجري الحديث، حين ظهر مستوطنون جدد أكثر تنظيماً وأوسع انتشاراً. هذه الحيرة العامة قد يحولها باحثون إلى تساؤل خاص عن أولئك الصيادين الفنانين الذين وصلتنا آثارهم دون نعرف شيئاً عن أسلافهم المباشرين.» (الأهدل، شهاب، يمن ما قبل التاريخ: مستوطنات اليمن على ضفاف الأنهار والبحيرات، الجزء الثاني https://almadaniyamag.com).



موقع (شعبة الضحي) على الضفة اليسرى من وادي سردود

2. البيئة والمناخ: أدت الاكتشافات الأثرية إلى وجود مناخ بارد في المنطقة، وعثر على سن حصان، يعيش نوعه اليوم في آسيا الوسطى، وعظام حيوانات أخرى.

3. الحيوانات والنباتات: عثر في الموقع على الأدوات التي استخدمها الإنسان القديم كوسائل في الاصطياد البري للحيوانات والطيور وتم الكشف عنها على عمق 3 أمتار مجموعة من العظام تخص نوعاً من الجواميس الأفريقية غير المستأنسة، أيضاً تم العثور

على سن حصان قديم لا يعيش اليوم إلا في آسيا الوسطى، وهذا دليل على أن المنطقة كانت تشهد مناخاً بارداً في السابق على عكس ما هي عليه الآن ما يؤكد أن هناك العديد من التغيرات المناخية التي مرت به المنطقة وهو ما يفتح المجال لدراسات جديدة ستؤدي إلى اكتشافات جديدة على صعيد التغير المناخي في اليمن.

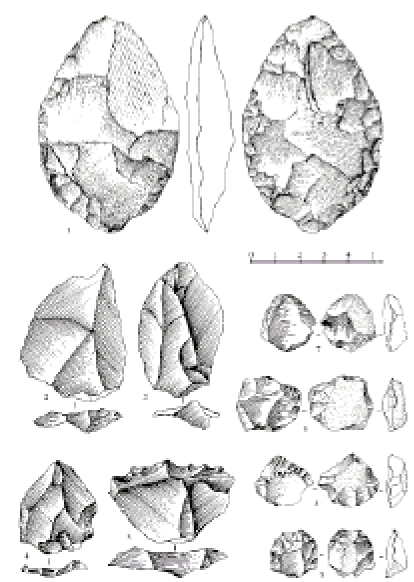
4. المستعمرات البشرية وتجمعاتها: وجود مجاميع بشرية شبه مستقرة تعيش على الصيد وجمع الثمار ومواقد النار. وأظهرت الحفريات الأسنان البشرية والحيوانية والأدوات الباليوليتية الوسيطة التي تستخدم في صيد الحيوانات.

تعد (شعبة الضحي) من أقدم مستوطنات العصر الحجري القديم الأوسط التي تم اكتشافها في الجزيرة العربية من حيث، الحجم، والمساحة الكبيرة، بما يحتويه من تنوع يبرز مظاهر الحياة لسكان هذه المستوطنة القديمة وما عثر عليه من مواد أثرية تشير إلى مجاميع بشرية شبه مستقرة نوعاً ما، تعيش على عملية الصيد وجمع الغذاء، كما تشير إلى وجود علاقات التواصل الوطيدة بين اليمن والشرق الأدنى وشرق أفريقيا، دل على ذلك مجموعة اللقى التي أظهرتها الطبقات الثقافية والتي احتوت ضمن طياتها على مواقد للنار، وأسنان بشرية، وحيوانية، تدل على وجود حياة متكاملة في هذه المنطقة.

من مواقع هذا العصر المهم موقع شيبات ديا (شبعا ضياء) المكون من ثقافتين 1 و2 وهو «جزء من مجمع من مواقع العصر الحجري القديم الأوسط التي تم قطعها بواسطة وادي سردود وتم تقسيمها داخل حوض رسوبي في سفوح التلال التي تربط المرتفعات اليمنية مع سهل تهامة الساحلي. يشير عدد من المقاربات البيئية إلى الظروف القاحلة في تسلسل يمتد بين 63 و42 كيلو باسكال. تتجه صناعة الحجر الصخري نحو إنتاج مجموعة متنوعة من المنتجات النهائية: الشفرات والشفرات المدببة والرقائق المدببة والرقائق الشبيهة بالليفالوا مع حواف القطع الطويلة غير المعدلة، المصنوعة من الريوليت المتاح محليًا.».
(Delagnes2012: Abstract)

5. الأدوات الحجرية: ظهرت الشظايا الكبيرة، المكاشط المسننة المكتشفة فوق الهضاب الجيرية في حضرموت منذ عام 1938م. ثم ظهرت في منخفضات حضرموت وفي موقع شيبات ديا في وادي سردود وفي منطقة الجوف ومنخفض الحوة، وكانت هذه من نمط الصناعة ذات الوجهين والصقل اللفالوازي.

«تُظهر السلوكيات التكنولوجية لصانعي أدوات SD1 أوجه تشابه مع تلك الموثقة من عدد من التجمعات المتزامنة تقريبًا من جنوب شبه الجزيرة العربية، والمشرق العربي، والقرن الأفريقي، وشمال أفريقيا. ومع ذلك، فهي لا تتوافق بشكل مباشر مع أي من المجمعات التقنية النموذجية في أواخر العصر الحجري القديم الأوسط أو أواخر العصر الحجري الوسيط من هذه المناطق. كانت هذه الفترة قد شهدت تطورًا للتقاليد المحلية للعصر الحجري القديم الأوسط في شبه الجزيرة العربية، مما يشير إلى ديناميكيات استيطان أكثر تعقيدًا وتفاعلات سكانية محتملة أكثر مما تستدل عليه النماذج الحالية للتوسع البشري الحديث خارج أفريقيا.» (Delagnes2012: Abstract).



الأدوات اللفلوازية من عصر الباليوليت الأوسط (لعصر البلايستوسين) في الحوة (رملة السبعتين)

1.صناعة ذات وجهين (كوارتزيت). 4،3،2: شظايا لفالوازية (الصوان). 5: أداة مسننة فوق شظية لفالوازية. صناعة لفالوازية بوادي حريب (الجوف). 9،8،7،6: نواة لفالوازية (الصوان). رسم. Pierre Bodu.

(رشاد وإينزان 2018: شكل 5)

6. الثقافة: الثقافة السائدة هي ثقافة الصيد. ولكننا لا نستطيع معرفة جنس الإنسان ونوعه في هذه المرحلة، رغم أن الثقافة اللفلوازية كانت من صنع إنسان النياندرتال، لكنا نفتقر للدليل البايولوجي لتأكيد ذلك. وما زال الإنسان لم يصل إلى ثقافة جمع القوت وتخزينه.

3.الباليوليت الأعلى (العصر الحجري القديم الأعلى)

(50.000 ـ 12.000) ق.م

1. الزمان: عصر الإنسان العامل الذي ظهر في اليمن بعد فترة جفاف وانقطاع، وربما كان هذا الإنسان قد جاء من شرق أفريقيا أيضاً.

2. البيئة والمناخ: ما زالت الجهود المبذولة في الآثار والحفريات تسعى لإيجاد مواقع الباليوليت الأعلى في اليمن، وهناك بحوث أجريت على ثلاث مناطق في جنوب جزيرة العرب وهي (موقع الحطب الصخري، رأس عين النور، ضناكر)، والتي أظهر بعض النتائج الإيجابية، لكن هذا العصر، بشكل عام، قليل الحضور في اليمن. وربما يفسر هذا الأمر فترة جفاف طويلة الأمد ظهرت.

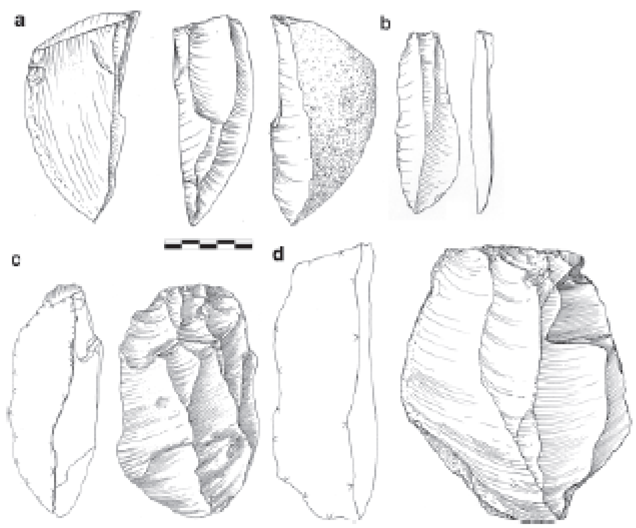
3. الحيوانات والنباتات: كانت الحيوانات والنباتات مشابهة لما ظهرت في شرق أفريقيا في هذه المرحلة، وأكثر الحيوانات كانت من الجاموس والحمار الوحشي.

4. المستوطنات البشرية وتجمعاتها: ظهر مستوطنون جدد سرعان ما نظموا حياتهم ووسعوا انتشارهم، وعلى ضفاف البحيرات، وظهر منهم جامعو الثمار وتجمعات الطوافين

وانتشروا في الوديان والمرتفعات الجبلية في (كودبان، ريما، مور، سهام، سردود) وعند أماكن المياه. وعاشوا في أربعة أنواع من المساكن.

وقد أظهرت تحريات الباحثة كاتون بعض تجمعاتهم كجامعي قوت/ مستقرين أو صيادين متحولين لا يخزنون الطعام كما عند رملة السبعتين.

5. الأدوات الحجرية: أدوات ثنائية الوجه ذات تصنيع أحادي وعلى شكل شفرات قصيرة ورفيعة ومحدبة الوجهين تكونت بواسطة القرع الناعم للمطرقة.



نوى نصل من الحطب ذات أنماط أحادية الندبة والاتجاه متوازية وأحادية الاتجاه متقاربة (أ، ج، د) بالإضافة إلى شكل مستطيل ومدبب، شفرة (ب)

(Rose & Usik 2009: 176)

6. الثقافة: أغلب الظن أن هذه الثقافة أسسها الإنسان العاقل في اليمن ولم تظهر أنشطة فنية أو ثقافية مميزة، حتى الأدوات الحجرية كانت بسيطة. ولكنه استمر في صيد الحيوانات.

ثانياً: الميزوليت (العصر الحجري الوسيط)

(12.000 ـ 7000 ق.م)

1. الزمان: عصر مفصلي بين الباليوليت والنيوليت، ويسمى في مناطقنا بعصر الباليوليت المتأخر Late Paleolithic.

2. البيئة والمناخ: بداية عصر الاعتدال في الشرق الأدنى وعصر المطار واعتدال المناخ.

3. الحيوانات والنباتات: ربما بدأ تدجين الحيوانات في اليمن مع هذا العصر، وتنبئ بعض الرسومات الصخرية عن هذا الموضوع رغم أننا نرى تأخر هذا العصر إلى حدد الألف التاسع والثامن قبل الميلاد في اليمن.

4. المستوطنات البشرية: ظهرت مستوطنات الصيادين والجامعين للثمار في حضرموت والمهرة ورملة السبعتين، وكان صيد الحمير واضحاً في تهامة وظهرت عمليات تدجين الحيوانات كالكلاب.

5. الأدوات الحجرية: ظهرت أدوات الصيد المعروفة باسم النمط العربي ثنائي الوجه (ABT)ا Arabian Bifacial Tradeition.

6. الثقافة: بدأ فن الصخور في اليمن على أساس طقوس سحرية كانت ترسم على الصخور، وكان هذا الفن الطقسي يمارس من قبل جماعات الصيادين قرب الملاجئ، وربما رسمها قادة هؤلاء الصيادين الذين يشبهون (الشامان)، ولم ترسم في الكهوف إلا بشكل نادر، فهي نتاج تجمعات الصيد بدرجة أكبر.

خامساً: النيوليت (العصر الحجري الحديث)

(7000 ـ 3500 ق.م)

1. الزمان: قدم الباحث عبده عثمان غالب أطروحة دكتوراه حول (النشاط الزراعي في منطقة ردمان ووادي الجوية القديمان)، نال بها درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا الأميركية وكشف فيها أن اليمن عرفت الزراعة وبداية عصر النيوليت في الألفين السادس والخامس قبل الميلاد وكانت تمارس كنشاط زراعي يعتمد على الريّ منذ الألف الرابع قبل الميلاد في مشرق اليمن وفي المرتفعات اليمنية التي يصل ارتفاعها لأكثر من ألفي متر مثل منطقة ردمان في محافظة البيضاء وعلان وقانية ونجد قزن وغيرها. وهناك ما يقرب من 126 موقعاً من مواقع النيوليت في اليمن.

2. البيئة والمناخ: يبدو أن المناخ كان معتدلاً ومطيراً وهو ما ساعد على ظهور الزراعة.

3. الحيوانات والنباتات: يتضح من الرسومات الصخرية وجود الغزلان والمها والنعام والأسود (المنقرضة حالياً)، والجاموس القديم والثيران البرية والحمير.» استخدمت «عظام الثيران البريّة والثيران والماعز والخراف الأهلية. وقد كشفت الاستقصاءات طورين يقدم أحدثهما الذي يقوم ما بين الألف السادس والألف الرابع اقتصاداً رعوياً قائماً على تربية الثيران.أما في الشمال عند قاع صعدة في جبل المخروق فتشهد آثار الحيوانات التي تعود إلى أكثر من ستة آلاف سنة على تربية الثيران وعلى حيوانات مصطادة كالجاموس والثيران البرية وهي تتفق ولا شك مع اقتصاد صيدٍ مختصّ يتمثل في الرسوم الصخرية المنحوتة هناك.» (لويز إينيزان: 24 ــ 25).

4. المستوطنات البشرية: ظهرت مستوطنات بشرية عند الملاجئ وكانت هناك فترتان بحريتان للزراعة في صعدة، وفترة بحرية في رداع انتهت في حدود 5400 ق.م. وظهرت في المنخفضات مستوطنات قرب نهر الجوف وفي حضرموت.

كانت القرى الزراعية قد ظهرت ولكنها لم تستمر، في بعض الأحيان، حيث يعود أهلها للصيد وتدجين الحيوانات. وكان للزراعة الأثر في تغيير حياة الناس وظهور البيوت والحظائر والمراعي ومجاري السيول.

5. الأدوات الحجرية: استمر ظهور الأدوات الحجرية مترافقة مع ظهور الأدوات الزراعية. وربما تكون ظهور أنصاب الميغاليت قد بدأت في نهاية النيوليت، لكنها اتضحت كظاهرة في الكالكوليت. وتم استخراج كسرة من تمثال لدمية صغيرة من الطين المحروق في مستوى أرضي يعود للعصر الحجري الحديث في موقع بخولان. كانت النبال هي العنصر المميز لهذا العصر وهي من أسلحة الرمي المطورة في تقنيتها بالضغط عليها لكي يسهل ضربها للطرائد، وظهرت أدوات الطحن وحجارة الرحى والهاون والمطارق الصغيرة والخرز، وبعض الأدوات المنزلية الحجرية مثل الصحون المسطحة وذات الحافة، والمدقات والقادح والقصعة.

6. الثقافة: سادت الثقافة الزراعية وعبادات الخصب في هذه المرحلة، وظهرت رسومات حيوان الوعل بشكل خاص وهو رمز ديني وطقسي مهم في النيوليت بالإضافة إلى رسوم الصخور المهمة في هذا العصر. ويبدو أن عبادات الخصب عبرت عن نفسها في الفن الصخري بشكل خاص.

عُثر على بعض اللقى الأثرية من العصر الحجري الحديث (6000 ق.م) في وادي (العطف) جنوب مدينة شبوة. وفي مدينة حريضة عثرت البعثة البريطانية على أدوات حجرية من العصر الحجري الحديث وذلك في وادي عمد حول حريضة.

بدأ ظهور الرسوم الصخرية التي اكتشفت في عدة مناطق من محافظة صعدة وبالقرب من مدينة رداع في محافظة البيضاء، والتي تصور مجموعات بشرية وحيوانية وبعض الرموز الغامضة، بالإضافة إلى كهف النابرة الأثري المكتشف حديثاً في محافظة الضالع، وفي محافظة المهرة وجدت معظم مواقع هذا العصر في منطقة ثمود وفي منطقة سناو، وفي حبروت.

سادساً: الكالكوليت (العصر الحجري النحاسي)

(3500 ـ 2800 ق.م)

1. الزمان: لم تتضح مرحلة الكالكوليت بقوة في اليمن بسبب تأخر اكتشاف معدن النحاس من جهة وبسبب اختلاط صناعته وتعدينه مع إنتاج البرونز ومع ذلك فيعتقد أن 3500 ق.م. هو الزمن المناسب لنهاية النيوليت وبداية الكالكوليت.

2. البيئة والمناخ: بقي المناخ المعتدل في اليمن خلال 500 عام في هذا العصر كما كان في عصر النيوليت، وفي منتصف هذا العصر أي في حدود 3000 ق.م حلّ الجفاف في اليمن وجفت الأنهار التي كانت فيه وتراجع عصر الرطوبة. وتشهد على فترة الجفاف الرسومات الصخرية في تجسيدها لموت الحيوانات في هذه المرحلة. وبسبب الجفاف وغياب المياه لم تكن هناك حاجة لوسائل الري البدائية في هذا الزمن.

3. الحيوانات والنباتات: انعكست في الرسومات الصخرية التي نشطت في هذه المرحلة.

4. المستوطنات البشرية: استمرت القرى الزراعية ولم تظهر المدن بعد. وظهرت المجتمعات الريفية.

5. الأدوات الحجرية: استمرت الأدوات الزراعية في هذا العصر، مع الأدوات الحجرية الريفية.

6. الثقافة: تميزت ثقافة الكالكوليت في اليمن بثلاثة مظاهر، هي:

أ. الميغاليت Megalithic: ظهرت في وادي حضرمونت أقدم نصب الميغاليت، وأشهر مواقع الميغاليت هي (حريب القراميش في صنعاء، جبل مصنعة ماريا في ذمار، وادي حريب في شبوة، نصب جبال جردان والروبق المعزولة وسط رملة السبعتين وصحراء الربع الخالي).

وقد تحرّت البعثات الآثارية سهل تهامة الساحلي على البحر الأحمر وكشفت عن سبعة مواقع ذات هياكل ميغاليتية تعود إلى نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد وبداية الألف الثاني قبل الميلاد، والتي كانت كعمارات مقدسة أو كشواهد قبور.

ب. هياكل الصيد القديمة (على شكل الطائرات الورقية) والتي هي أفخاخ لصيد الحيوانات تتكون من غرفة صغيرة في الأرض على شكل رأس طائرة ورقية كالسهم وهي خنادق لإطلاق سهام الصيادين أو فخاخ يسقط فيها الحيوان الذي يُراد اصطياده. ظهرت في اليمن بين محافظتي صنعاء ومأرب وبأشكال مختلفة تضم ممرات طويلة تتوسع لتلتقي ببعضها في ساحة كبيرة مغلقة.

ج. فن الصخور الذي سنفرد له مبحثاً خاصاً في الفصل الخاص بفنون اليمن القديم.

القسم الثاني: العصر البرونزي في اليمن (٢٨٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م)

سادت لزمنٍ طويل فرضية ضعيفة عن العصر البرونزي في اليمن تسمى (فرضية الفجوة الثقافية) والتي تقضي بضعف الدلائل الآثارية على وجود العصر البرونزي بأكمله، والتحام العصر الحجري النحاسي مع العصر الحديدي مباشرة، وهذا موضوع لا يمكن تصوره في منطقة حضارية كاليمن، وقد قامت البعثة الآثارية الإيطالية في عام 1981 باكتشاف العصر البرونزي في خولان الطيال والحدا، في قطاع بدبدة قرب صرواح شمال الجوف في وادي حراب، وعلى المرتفع الجبلي القريب من صنعاء (حضور همدان) وريدة (بيت مجلي).وعززت البعثة الأمريكية في مستوطنة في ذمار ظهور آثار العصر البرونزي والتي بيّنت تنقيباتها، بعد فحص مقتنياتها بالكاربون المشع 14، أن ربع المستوطنة تعود للعصر البرونزي الذي تراوح بين 2500 ـ 1700 ق.م وهي من أقدم المستوطنات المسوّرة في شبه الجزيرة العربية عموماً. Gibson & Wilkinson ا(1995 - 1996)..

جاء في تقرير البعثة الآثارية بأن «مواقع العصر البرونزي (3000 ـ 1000 قبل الميلاد) تشكل حوالي ربع المستوطنات المسجلة والعديد منها مرتبط بمصاطب أثرية مرئية. عدد قليل من هذه المواقع كبير نسبيًا، مع مبانٍ كبيرة مستقيمة الشكل مبنية بالحجارة، ويمكن

تأريخها بواسطة الكربون المشع حتى 2500 ـ 1700 قبل الميلاد. قد تكون بعض مواقع العصر البرونزي ذات التحصينات أقدم المدن المحاطة بأسوار في شبه الجزيرة العربية بأكملها. الفخار من العصر البرونزي مشابه لما وجده الإيطاليون في خولان المجاورة. تشكل مستوطنات العصر الحديدي أو السبئية (أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد) ربعًا آخر من المواقع المسجلة وتقع في جميع أنحاء المنطقة، على قمم التلال وأرضيات الوادي. تصل بعض المواقع إلى 10 ـ 15 هكتارًا. تتميز هذه المواقع بمبانٍ كبيرة مستقيمة الخطوط داخل جدران مركّبة، وبعضها يحتوي على طرق معبدة أو خطوات تؤدي إليها.» (https://www.aiys.org/dhamar).

ثم تعاقبت بعثات آثارية لتكشف لنا بوضوح مراحل العصر البرونزي، وقد أظهرت التنقيبات بأن العصر البرونزي ظهر في المرتفعات العليا والوسطى، وأن آثاره تراوحت بين بدايات الألف الثالث ومنتصف الألف الثاني ق.م.

كان العصر البرونزي الذي حدده دي ميغريه، لأول مرة، في مرتفعات اليمن، قد اقترح أن حياة القرية المستقرة بدأت في المنطقة بحلول منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد واستمرت حتى حوالي 1000 قبل الميلاد مع إنشاء الممالك اليمنية. والتي تأكد أن فيها من العصر البرونزي آثاراً دالة مثل مأرب وشبوة. وعرف الآثاريون أن سكان العصر البرونزي احتلوا بشكل متزايد مكانة بيئية مختلفة تمامًا عن تلك التي كانت موجودة في العصر الحجري الحديث السابق. فعلى سبيل المثال، انتهى الاحتلال الواسع لبحيرات وينابيع الربع الخالي إلى حدٍّ كبير بحلول عام 2500 قبل الميلاد. تميل مواقع العصر البرونزي إلى أن تكون محصورة في الينابيع المرتفعة والأودية جنوب الربع الخالي. يكمن أفضل تفسير لهذا التحول في الاحتلال في فهمنا لجنوب غرب الرياح الموسمية. بدأ نمط رطوبة الصيف تدريجياً في الألفية الثالثة قبل الميلاد بالتراجع ببطء إلى مواضع أكثر حداثة.

(أنظر http://arabian - archaeology.com/arch4bronze.htm)

1. العصر البرونزي المبكر (3000 ـ 2100) ق.م.

(ثقافة الميغاليث: ستوهينج اليمن)

يبدو أن العصر البرونزي ظهر، لأول مرة، في مرتفعات اليمن في حدود 2800 ق.م. واتسمت فترته بالقرى المستقرة ولم تظهر آثار دالة على وجود المدن فيه، واستمرت حتى حوالي 1200 قبل الميلاد، حيث بدأ العصر الحديدي الذي شهد ظهور المدن الأولى في اليمن. وأهم مناطق العصر البرونزي مأرب وشبوة. وكان العصر البرونزي قد عرف إلى الشرق من جنوب الجزيرة العربية في الإمارات وسلطنة عمان منذ فترة طويلة.

يمكن الآن توثيق استيطان المرتفعات الواقعة غربي اليمن في العصر البرونزي على مدى ألفي عام تقريبًا. «فقد قام مشروع إيطالي في خولان ومشروع أمريكي في ذمار بدراسة نمط الاستيطان الإقليمي، والهندسة المعمارية والترتيب داخل الموقع، والتجمعات الثقافية المؤرخة بالكربون المشع لمقاطعتين في المرتفعات على بعد حوالي 50 كم. تكشف مقارنة الفخار المحفور من خمسة مواقع عن استمرارية إقليمية قوية (تقليد العصر البرونزي للمرتفعات الغربية)، ولكن أيضًا درجة من التباين الإقليمي المعاصر والتغير الزمني. تميز الاختلافات الأكثر وضوحًا في ترتيب الموقع والشكل المعماري مستوطنتي خولان وذمار. تصف المواقع في المنطقتين مسارات تنموية متباينة وأيضًا توجهات اقتصادية مختلفة بشكل أساسي: استضاف خولان توجهًا واسعًا وربما عابرًا تم اقتطاعه بعد عام 2000 قبل الميلاد، بينما شهدت ذمار نموًا في حياة المدينة وتكثيفًا زراعيًا متواضعًا، مما وضع مسارًا نحو التعقيد مجتمعات العصر الحديدي التي نشأت محلياً في المرتفعات بعد 1000 قبل الميلاد». (Edens 1999: Abstract).

ثقافة العصر البرونزي المبكر، في اليمن الساحلي. تُظهر الأدلة على أنقاض موقع ديني دائري من عصور ما قبل التاريخ، أو نصب حجرية عالية، تضم تحتها مخبأً للأدوات المصنوعة من سبائك النحاس يعود تاريخها إلى ما بين 2400 و1900 قبل الميلاد، وشظايا هياكل عظمية للأطفال مما يبدو أنها مدافن احتفالية. كل هذا يشير إلى وجود

أشخاص منظمين جيدًا يعيشون في سهل ساحلي جاف كان يُعتقد أنه كان شبه فارغ في هذا الوقت.

يقدم إدوارد كيل، رئيس قسم الشرق الأدنى وحضارة آسيا في متحف أونتاريو الملكي في تورنتو، أدلة أولية على ثقافة العصر البرونزي التي لم يتم دراستها سابقًا في اليمن الساحلي. عثر أعضاء فريقه على أنقاض موقع ديني دائري من عصور ما قبل التاريخ، أو نصب حجرية طويلة من، مبنى من أعمدة من الجرانيت تزن 20 طناً. تم دفنهم عند سفح ميغاليث، اكتشفوا مخبأً لأدوات سبائك النحاس يعود تاريخها إلى ما بين 2400 و1900 قبل الميلاد. وفي الجوار، اكتشفوا شظايا هياكل عظمية للأطفال مما بدا أنها مدافن احتفالية. كل هذا يشير إلى وجود أشخاص منظمين جيدًا يعيشون في سهل ساحلي جاف كان يُعتقد أنه كان شبه فارغ في هذا الوقت. يقول كييل: «افترض الناس أنه لم يكن هناك شيء خلال العصر البرونزي».

يمتد سهل تهامة على طول الطريق أسفل الساحل الغربي لليمن، مروراً بميناء البن السابق في المخا، ثم إلى عدن. هذا الشريط الضيق الطويل من الأراضي شبه الصحراوية المحاط بالبحر الأحمر من جانب وسلسلة جبال إلى الجانب الآخر، يتمتع بقدرة رائعة على أن يكون حارًا جدًا ورطبًا بشكل لا يطاق.

كان إدوارد كيل أول عالم آثار عمل على كشف العصر البرونزي في حدود 1920. وقد اكتشف في تهامة، موقعاً مذهلاً في وسط الصحراء عبارة عن أحجار منصبة متراصة من الجرانيت العملاقة.



أحد الأنصاب الحجرية في سهل تهامة

أطلق عليها الآثاريون في البعثة مصطلح (ستوهينج اليمن) المناظر لستوهينج البريطاني المعروف، كان طوله 3 أمتار، ويزن كل هذه الأعمدة أربعة أطنان تقريبًا بعضها سقط على الأرض، وكان هناك ميغاليث آخر أكثر وحشية، يبلغ ارتفاعه حوالي 8 أمتار، لا يزال مائلاً على الأرض. على بعد مسافة، وكان هناك العديد من الميغاليثات الأكثر نحافة، التي تبدو أشبه بالأعمدة، متناثرة على سطح الأرض.

هذه الأحجار، بالنسبة لبعض السكان المحليين، كانت دائمًا جزءًا من حياتهم. أطلقوا عليهم اسم «المناصيب»، أي «المنتصبات». كانوا يعتقدون أن الأحجار تم نقلها هناك من قبل الجن. وفي موقع يبعد حوالي 300 متر عن الأحجار، حيث، المزيد من النصب الساقطة، كانت هناك منطقة ملحوظة من الحجر المقشر، والمعروفة محليًا باسم «المنجرة»، أو منطقة «القطع». وهو موقع تقطيع الأحجار أو مقلع. في الواقع. كانت رقائق الحجر، في الواقع، نتيجة الشظايا التي ظهرت من الأعمدة الحجرية.

كانت هناك العشرات، إن لم يكن المئات، من الأحجار المنتصبة التي أقيمت عبر المناظر الطبيعية كانت هذه ثقافة قديمة.

هناك عشرات المواقع التي تحتوي على الأعمدة الحجرية المماثلة المنتشرة في جميع أنحاء غرب شبه الجزيرة العربية. يقول كريستوفر إيدنز، وهو باحث مشارك في قسم الشرق الأدنى في متحف جامعة بنسلفانيا: «لقد تم النظر إلى هذه المواقع نوعًا ما، ولكن ليس بدقة شديدة». وقد ظهرت مرافقة لها مخابئ لمادة البرونز، وهو أمر استثنائي لهذه المنطقة. لقد كنت على الأرض.» علاوة على ذلك، فإن الحفريات الجديدة، التي أسفرت عن التاريخ الأول لهذه الميغاليث الغامضة، تثير احتمال وجود شبكة تجارية قديمة وغير متوقعة تعمل على طول هذا الامتداد من ساحل البحر الأحمر. ولا بدّ من البحث العلمي المتواصل للكشف عن العلاقة بين البرونز والميغاليث وطرق التجارة في هذا العصر.



ميغاليث (مناصيب) المدمّان



صفوف ميغاليث المهنديد

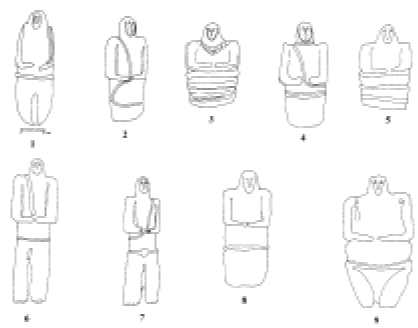
البحوث الحديثة التي أجريت في سهل تهامة الساحلي أعطتنا تصوراً جديداً عن أهمية ثقافة صبر الممتدة على طول الساحل اليمني للبحر الأحمر. فقد تم تحديد سبعة مواقع ذات هياكل مغليثية هناك. تعود إلى نهاية الألف االثالث ـ بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. على طول الوديان الرئيسية. ونظرًا لغياب الحجر في المنطقة، كان لا بد من نقل هذه الآثار الحجرية الكبيرة لمسافات طويلة، وربما تنطوي على دور مهم يلعبه كل من النصب ومواده. هذه الظواهر الثقافية في المناظر الطبيعية تذكرنا بتعليم المناطق المقدسة أو المساحات التي يمكن ملاحظتها خلال الفترات التي سبقت ظهور الممالك العربية الجنوبية.في القرون الميلادية المبكرة تم إعادة استخدام هذه الميغاليثات نفسها في أسس الهياكل الأثرية أو كشواهد القبور.

تقع مستوطنة معليبة في المناطق النائية في عدن (اليمن)، سُكنت منذ نهاية الألفية الثالثة إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. هنا قامت البعثة الأثرية الألمانية الروسية المشتركة بسبر عميق ممتد. تم تسجيل أساسات الأكواخ وقنوات الري عند مستويات طبقية مختلفة مما يدل على استمرار احتلال الموقع. هذه القنوات هي أولى قنوات العصر البرونزي التي تم التنقيب عنها في اليمن. يتم عرض نتائج التنقيب والدراسة النمطية للفخار الذي صاحب الاستيطان، ومع توضيحها بالكامل ووضعها في الإطار الزمني النسبي والمطلق. تمت دراسة الثقافات المادية للعصر البرونزي اليمني، وتحديد الوجوه الأثرية المختلفة واقتراح فترة زمنية مؤقتة. تسمح المقارنات بين الثقافات المادية في اليمن والمناطق المجاورة بفهم أفضل لطبيعة علاقات العصر البرونزي بين اليمن والشام وبين ساحلي البحر الأحمر.

بحلول عام 2500 قبل الميلاد. تميل مواقع العصر البرونزي إلى أن تكون محصورة في الينابيع المرتفعة والوديان جنوب الربع الخالي. يكمن أفضل تفسير لهذا التحول في الاحتلال في فهمنا لجنوب غرب الرياح الموسمية. ابتداءً من الألفية الثالثة قبل الميلاد، تراجع نمط الرطوبة في الصيف ببطء إلى مواضع أكثر حداثة.

ظهر النحاس والبرونز في هذه المرحلة، وهناك الخناجر النحاسية / البرونزية ذات المكانة العالية التي تم العثور عليها من جنوب بلاد ما بين النهرين والبحرين لها نظائرها الفنية في مجموعة واسعة من السكان المحليين في جنوب الجزيرة الممتدة من بير هيما في المملكة العربية السعودية إلى شرق اليمن.

يمكن الآن توثيق عمليات الشراء المتعمد للبخور والاتجار به من المنطقة. تم العثور على منصة بخور في رأس الجنيز ويعود تاريخها إلى منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد وتحتوي على بقايا محتملة من اللبان. كان هذا الموقع الساحلي مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالتجارة البحرية مع بلاد ما بين النهرين.



رسومات لأشخاص في اليمن من العصر البرونزي المبكر

NEWTON1, LYNNE S. AND JURIS ZARINSA 2000: 11:) (170

استمر ظهور الميغاليث على شكل مانهيرات وهي ميغاليث أصغر، وقد سجلت مانهيرات حضرموت والمهرة هذه الأشكال.



أمثلة على التماثيل والمنهير ورسوماتها في محافظتي حضرموت والمهرة.

(NEWTON1, LYNNE S. AND JURIS ZARINSA 2000: 11:167)



تماثيل من مرتفعات حضرموت في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد

(متحف صنعاء الوطني، متحف مأرب)

تشير لنا رسومات الصخور بوضوح زمن رسمها وتقاليد الصيد في ذلك الزمن تلك الصور المقدمة من البعثة من منطقة بير هيما Bir Hima وغيرها من المحليات القريبة «حسب تعريف أناتي»أسلوب واقعي ـ ديناميكي» مبكر (نسميه من الآن فصاعدًا R - D)ولاحقًا «بأسلوب الرأس البيضوي» (ونسميه من الآن فصاعدًا O - H).)، وقد استند هذا التقسيم وعمليات التحقيب على عدة أمورٍ أساسية وملاحظات هي: أولاً، تطبيق مبادئ التراكب والطلاء. ثانياً، بناء على ملاحظات رسوم المعدات مثل السيوف المنجلية، والأقواس المحدبة المزدوجة، ورؤوس الأسهم المستعرضة، محددة أنماط غطاء الرأس، ووجود الأدوات النحاسية / البرونزية، خاصةً»lu ـ 155 اقترح نيت بوميل الخناجر الثقافية والعلاقات والفترات الزمنية. الأبكر احتوى أسلوب R ـ D على مشاهد لأشكال صغيرة في أوضاع العمل مثل الصيد وصيد الأسماك، تربية الماشية والرقص والأداء الأنشطة الاحتفالية. وأشار أناتي لاستخدام الكلاب للصيد، الوجود ليس فقط من الأقواس والسهام ولكن أيضاً من الصولجانات والحراب والعصي. وأكد ارتباطهم بالماشية. كانت الشخصيات ترتدي زخارف عنق مختلفة، وفستان الجسم / تنورة قصيرة أو مخبأ الجنس (ز ـ سترينج). بناءً على المعايير المذكورة أعلاه، خلص أناتي إلى أن دائرة الدفاع الإقليمي لا يمكن أن يكون النمط بعد الألفية الثانية قبل الميلاد وربما كان قبل ذلك. على وجه الخصوص، على أساس في كل مكان وجود خنجر الحلق المجنون، فقد اقترح تاريخ بداية أقرب إلى 2500 قبل الميلاد» (Newton , Zarins .155 :2000)



رسومات صخور من الأسلوب الواقعي ـ الديناميكي، يعود لحوالي 2500 ق.م

2. العصر البرونزي الأوسط (2100 ـ 1550) ق.م.

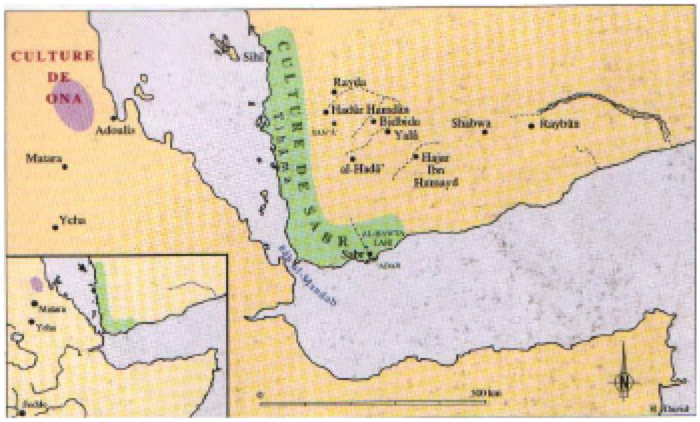
(ظهور أول السدود في اليمن القديم)

تم العثور على آثار هذا العصر في هضبة الجول ووادي حضرموت الخصب الذي يخترقها وتهامة والمرتفعات، وربما تكون أنظمة السدود والجدران الاستنادية، التي يعود تاريخها إلى العصر البرونزي، قد بدأت حوالي الألفية الثالثة قبل الميلاد، في جميع أنحاء منطقة المرتفعات. وتوجيه تدفق المياه، ليكون صالحاً لري الحقول. وتم تكييف الشقوق الطبيعية كصهاريج، بحيث يمكن استخدام المياه التي نزلت خلال موسمي الأمطار، في المواسم الزراعية المعروفة في اليمن.

شهدت مناطق في المرتفعات الشرقية من هضاب اليمن، وهي على ارتفاع 2000 ـ 2300 فوق مستوى سطح البحر، ثقافات متطورة خلال العصر البرونزي. منها تمثال لإلهة الخصوبة، وموقع لأقدم السدود اليمنية لأبناء العصر البرونزي، فقد أعلنت البعثة الألمانية التي أجرت دراسات لأحد السدود القديمة التي سبقت السد الكبير في مأرب، أن بناء ذلك السد كان المرحلة الأخيرة من التجارب السابقة كان ينبغي أن يتم إنشاء ذلك السد قبل السد الكبير في مأرب بفترة تتراوح بين 1000 و2000 سنة.

ثقافة صبر الساحلية

شهد العصر البرونزي الأوسط، ظهور ثقافة نوعية ومهمة وهي ثقافة (صبرSABIR) التي تمتد على الجزء اليمني من الساحل الشرقي للبحر الأحمر، في سهل تهامة «المحاذي للشاطئ على قاعدة مادية مشتركة على أكثر من مسافة 500كم. وهي مسافة تبدأ من سيهي، موقع صيادي صدف تم تحديده بالقرب من حدود المملكة العربية السعودية وغير بعيد من جيزان وتنتهي عند مضيق باب المندب في الجنوب وعند واحدة أبين شرقي عدن. وعند أكبر تجمع للمواقع هذه في ضواحي عدن. هناك تقوم صبر، وهي بلا شك أوسع المواقع الأثرية تلك وأكثرها تعرضاً للتنقيب. ونظراً لافتقارنا إلى نصوص مصدرها المنطقة ذاتها فقد أطلق على أسلوب معاش جماعاتها اسم»ثقافة صبر» وربما كان سكانها الذين امتلكوا وسائل عيش متنوعة يتكلمون اللغة الكوشيتية. كان هذا المجتمع الزراعي الذي يمارس تربية الماشية والسقاية يستغل أيضاً ثروات البحر ومصادر التجارة البعيدة كما يشهد على ذلك ركام الصدف ووجود بضائع ومواد مستوردة» (فوكت وسيدون 1999: 42 ـ 43).



موقع ثقافة صبر الساحلي (نهاية الألف الثاني ـ بداية الألف الأول ق.م)

شغلت العلاقات بين الساحل اليمني والقرن الأفريقي خلال العصر البرونزي اهتمام الباحثين في العقود الأخيرة، فقد زادت معرفتنا بالتطورات الثقافية في الساحل اليمني خلال العصر البرونزي إلى حد كبير من خلال الأبحاث الميدانية للبعثة الألمانية الروسية المشتركة، التي تأسست منذ عام 1994 في خليج عدن (Vogt and Sedov، 1997؛ Vogt and Sedov، 1998). وأسفرت عن نتائج مهمة في هذا الصدد. وكشف التسلسل الأثري في موقع صابر الذي يقع على بعد 25 كم شمال عدن في واحة لحج الخصبة التي تغذي وادي توبان، حيث نظام نهري كبير، منطقة أعلى جبال جنوب اليمن أكثر من ذلك بقليل من 5000 كيلومتر مربع. ذكر الموقع لأول مرة هاملتون في عام 1943 ثم تم مسحه لقد كان كل من هاردينغ 2 ودو 3 في الستينيات من القرن الماضي موضع حفريات تابعة للبعثة الألمانية الروسية المشتركة منذ عام 1994، أسفرت أعمال التنقيب في صابر مستوطنة واسعة مع العمارة الطينية، المباني الضخمة، المناطق السكنية والأكواخ والمناطق الصناعية.

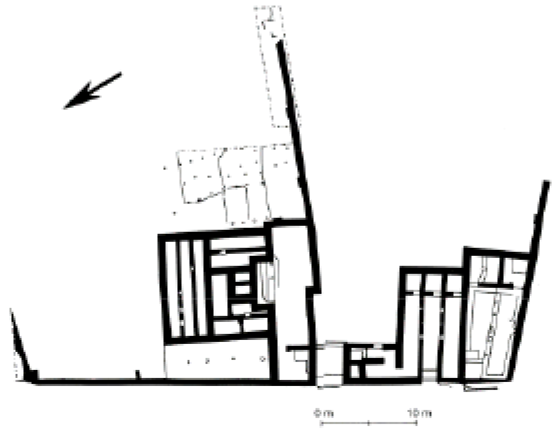
حددت ثقافة صابر كثقافة نوعية من ثقافات العصر البرونزي — التي تم تحديدها بواسطة مجموعة فخار محددة. أدت الحفريات المكثفة في الموقع الرئيسي لصابر (ولاية لحج) إلى رسم صورة لمجتمع معقد، كان له أساس اقتصادي في الزراعة المروية وتربية الحيوانات.

لقد أوضح السبر الستراتيغرافي في الموقع القريب لمعليبة الأسلاف المباشرين لشعب ثقافة صابر. كشفت الحفريات في موقع في عدن وفي مجموعة من القواقع في خور عميرالي (ساحل خليج عدن) عن نمط الكفاف الثاني لثقافة صابر: هنا عاشت المجتمعات الساحلية على الأصداف وجمع الأسماك؛ خلال العصر البرونزي.

تطورت مجموعة الفخار عبر الزمن، بينما كانت تنتمي إلى نفس التقليد. يمكن اكتشاف مرحلتين رئيسيتين: المرحلة الأولى، الموثقة بشكل أساسي في معيليبة، من نهاية الألفية الثالثة إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.المرحلة الثانية، الموثقة بشكل أساسي في صابر، من القرن الثالث عشر إلى القرن التاسع قبل الميلاد، على الأرجح بإعادة احتلال الموقع قبل القرن السادس قبل الميلاد (Buffa 2004: 147).

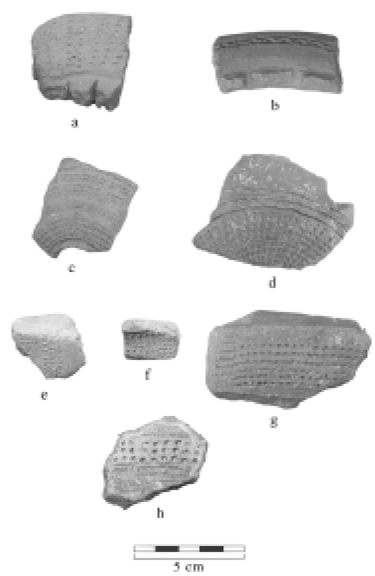
من خلال أوجه التشابه في مجموعات الفخار ذات الصلة، ينتمي هؤلاء الساحليون إلى ثقافة صابر بمرحلتها الأولى، أي: من نهاية الألفية الثالثة إلى بداية الألفية الأولى قبل الميلاد، فقد امتدت ثقافة واحدة من شمال تهامة إلى واحة أبين في خليج عدن. والتي لديها القليل من القواسم المشتركة مع التطورات المعاصرة في المرتفعات وحضرموت من خلال التسلسل الزمني الثابت المرتبط بنمط الفخار الراسخ، على الأقل بالنسبة للمرحلة الأولى، وربط التفاعلات المحتملة لليمن القديم مع القرن الأفريقي.

اليمن الساحلي والساحل الأفريقي يرتبطان في العصر البرونزي بثقافات مشتركة، وتكوين تهامة الثقافي ذو خلفية ثقافية أفريقية، يشمل اليمن الساحلي ومواقع في إريتريا، ولذلك يجب تعزيز فرضية علاقة اليمن بالسواحل الأفريقية خلال العصر البرونزي أكثر من علاقتها بجزيرة العرب. ويجب أن يعكس هذا النموذج السجل الأثري والانتشار الواسع لأنواع الفخار التي لا نجدها في جزيرة العرب. ومع ذلك، فإن الصورة التي تظهر عندما نقارن الثقافات المادية هي صورة معقدة تتضمن بلا شك نوعًا من التفاعل.



مخطط المبنى العام في صبر

Burkhard Vogt and Alexander Sedov



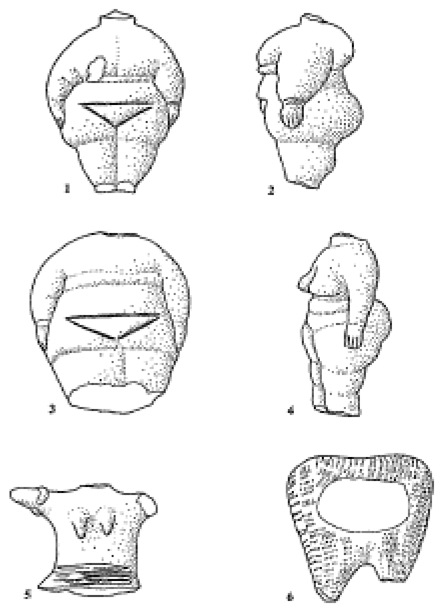
شظايا إناء مثبّت (a - b) وشظايا مبخرة (c - h) من مواقع تهامة المركزية

تظهر فخاريات ثقافة صابر بوضوح في الشظايا الفخرية للجرار، وفي الأواني الفخارية ذات القاعدة والتي بلا قاعدة والمصنوعة بإتقان واضح.

وهناك التماثيل الأنثوية الخمسة التي لثقافة صابر 2، في حدود منتصف الألف الأول قبل الميلاد. ولاشك أنها تعبر عن مبدأ الخصوبة والتكاثر والذي تشير له الأعضاء الأنثوية الكبيرة.



مجموعة متنوعة من أشكال ثقافة صبر 2. وعاء مثبّت ووعاء ذو قاعدة(Vogt 1997: 45)



خمسة تماثيل أنثوية من ثقافة صبر

(Buffa 2004: 148)

«إن استخدام مادة اللبان ثابت في ثقافة صبر. والتشابه بين عدد من الآثار المكتشفة في صبر وفي سيهي وبين آثار الشاطئ المقابل في أفريقيا يمكن أن يكون دليلاً إضافياً: أي أساس مشترك إثني وربما لغوي (اللغة الكوشيتية؟) مما يسمح آنئذ بالتعرف على ثقافة صبر في بلاد البونت. وهو أمر ينطبق على الألف الثاني أكثر من انطباقه على الألف الثالث الذي تبدو فيه بلاد البونت أفريقية حصراً. وتقدم الاكتشافات الأخيرة نمطين من الحجج: أولاً أن العلاقات الثقافية والتجارية بين جنوب غربي الجزيرة العربية وأفريقيا كانت قائمة على أساس وطيد قبل ظهور السبئيين في الحبشة بخمسمائة عام على الأقل باعتبار أن هذا الظهور سابق على القرن الخامس قبل الميلاد. ثانياً أن جنوب غربي الجزيرة العربية لم يكن بأي حال من الأحوال صحراء ثقافية قبل وصول المهاجرين الذين يتكلمون لغة سامية إليه، بل كان ـ على الأقل في عدة مواقع ـ منطقة ثقافية متطورة جداً. على أن القول بالإخصاب المتبادل يبقى في الوقت الراهن عسيراً على الإثبات، لكنه يمكن أن يتعزز بالاكتشافات الأثرية القادمة.» (فوكت وسيدون 1999: 44).



ذكر وأجزاء من تماثيل صغيرة حيوانية وبشرية، من ثقافة صابر نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد، طين مشوي، الارتفاعات 10 سم، 5.1 سم، 4.7، 8.8 سم، 9.9 سم، طول 3.5 سم متحف الحوطة.

تواصلت ثقافة صبر في العصر الحديدي وتلاحمت مع غيرها في بناء الممالك اليمنية، وكانت ثقافتها سامية اللغة تتبع لغوياً للغات المهرية والسقطرية والأثيوبية، وهو ما يشير لأصالتها ومحليتها.

3. العصر البرونزي المتأخر (1550 ـ 1200) ق.م

(ظهور أول المدن اليمنية القديمة)

تنتشر مواقع ومستوطنات العصر البرونزي على معظم مناطق المرتفعات والهضاب والوديان الداخلية في معظم أرجاء المناطق اليمنية، وكان أول من قام باكتشاف ودراسة

المواقع التي تنسب إلى هذه الفترة هي البعثة الأثرية الإيطالية برئاسة عالم الآثار أليساندرو دي ميغريه في مناطق خولان الطيال والحدأ، كما ساهمت البعثة الأمريكية التابعة لجامعة شيكاغو، في الكشف عن العديد من المواقع الأثرية من خلال عمليات المسح والتنقيب التي قامت بها في مناطق مختلفة من محافظتي إب وذمار، ومن أهم النتائج العثور على موقع (حمة القاع) الذي يمثل إحدى المدن المتكاملة من العصر البرونزي.

تقع مدينة حمة القاع في النصف الشمالي الشرقي من هضبة منعزلة شديدة الانحدار على بعد 10 كيلومترات شرق مدينة معبر و27 كيلو متراً شمال ذمار، تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد وتتكون من:

1. سور المدينة: المحيط بها بوضوح في ثلاث جهات الشمالية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية، مشيد من كتل صخرية ضخمة ومزود بثلاث بوابات واحدة تقع في جدار الجهة الشمالية الغربية واثنتان تقعان في الجهتين الجنوبية والشرقية. يتميز طرازها المعماري بخطوط مستقيمة.
2. مجموعات المساكن: التي تشكل وحدات مستطيلة تتخللها الأماكن المفتوحة. تتركز المساكن في ثلثي الموقع الشمالي الشرقي وتغطي مساحة 4 هكتار، ويشكل حجم الموقع ضعف تلك المساحة التي تحتوي على عدة مساكن متناثرة وأماكن مفتوحة.
3. الشوارع الرئيسة: تفصل بين المساكن، وتؤدي إلى البوابات أو إلى هذه التجمعات السكنية، الأمر الذي يبرز تصميماً أساسياً مستقيم الخطوط وواضح المعالم.

كما أن الفحص الذي قامت به هذه البعثة بواسطة الراديو كربون لعينة من بقايا التربة أخذت من على عمق (6أمتار) في سد أضرعة أظهر أن عمرها يبلغ حوالي 4970 ± 80 ق.م، وأهم مواقع العصر البرونزي في محافظة المهرة توجد بالقرب من مدينة الغيضة، والتي تظهر بشكل مجموعات لمستوطنات صغيرة ومتوسطة بالإضافة إلى مواقع الرسوم ومخربشات الصخرية. إلى جانب ذلك اكتشفت عدة

مواقع تعود إلى العصر البرونزي في العديد من المناطق الأخرى، منها (بدبدة) في خولان الطيال، وكذلك منطقة حضور همدان. وتشير تلك المواقع إلى انتشار ثقافة العصر البرونزي في مختلف مناطق جنوب الجزيرة العربية. وتنتشر في محافظة مأرب وخاصة في صرواح وجبل الرويك والثنية أعداد كبيرة من المقابر البرجية تعود إلى العصر البرونزي. وفي محافظة لحج يوجد موقع صبر، الذي يمثل مرحلة الانتقال من العصر البرونزي إلى العصر الحديدي، والذي يبدأ حوالي 1000 ق. م.

شيدت المساكن في شعب منيدر(في حضرموت) بصورة منفردة على مسافات تبعد عن بعضها من 15 ـ 20 متراً، على شكل سلسلة أفقية تمتد على طول سطح القاع الصخري عند التقاء منحدر القاع الصخري، وهذا ساعد في الحفاظ على بعض هذه المساكن نتيجة النتوءات الصخرية العليا التي صانتها من خطر الأحجار المتساقطة من الأعلى الناتجة عن مؤثرات التعرية الطبيعية. كما شيدت أسس المساكن بشكل دائري يتراوح قطرها (5 ـ 6) أمتار من أحجار صخرية قائمة، يبلغ ارتفاع الحجر (0.4 ـ 0.6)، شيدت فوقها الجدران من أحجار غير مشذبة.

اتّضحت في العصر البرونزي المتأخر ظاهرتان رئيسيتان هما:

1.يمنيون ينتجون البخور ويهدونه للملك المصري، من الأسرة 18، تحتمس الثالث 1479–1425 ق.م، الأسرة: يشير إلى وجود صناعة وتجارة البخور في اليمن.

2.تعزيز هجرة الآموريين والتبادل التجاري بين اليمن والمنطقة التي حولها.

ربما كان العصر البرونزي هو زمن بداية هجرة آمورية اختلطت بأهل النيوليت والكالكوليت في اليمن في هذا العصر. فظهرت مستعمرات تجارية وتمّ تمهيد الطرق للقوافل.

بدأت تظهر علامات التحضر في أواسط الألفية الثانية قبل الميلاد في منطقة (صبر) تحديداً والتي تعود إلى العصر البرونزي. حيث وجدت أطلال لمدينة قديمة ولها أسواق ومبانٍ صغيرة وحفر تقود إلى مخابئ لتخزين الأمتعة الثمينة؛ وقد جرت حول هذه االمدينة الصغيرة من قبل مختصين ألمان، وهو ما يشير إلى تأخر ظهور المدن اليمنية في نهاية العصر البرونزي وليس في بدايته.

يمكننا مقارنة بعض أنواع الخناجر اليمنية الموجودة في الرسومات مع ما يقابلها من الخناجر الآمورية في العصر البابلي القديم، وتعزيز احتمال احتاك بين الآموريين واليمنيين.

Newton , Zarins .(160 :2000)

Newton , Zarins .(160 :2000)

ربما في هذا العصر ظهرت دولة البنط في اليمن، والتي لم تؤيد وجودها الآثار اليمنية، بل ذكرتها الآثار المصرية، وذكر بعضهم أنها في الصومال أو إرتيريا، دون تأييد من الآثار أيضاً، نشير لها هنا من باب الأمانة العلمية ولا نعرف إن كانت موجودة فعلاً، فنحن نميل لنشوء الممالك اليمنية في العصر الحديد وليس في العصر البرونزي.

«دولة البنط: يسميها البعض باسم (فوط) والتي قامت في الطرف الجنوبي من البحر الأحمر وعلى جانبي باب المندب، وكان من ملوكها (باريهو) الذي حكم في أواسط الألف الثانية قبل الميلاد وذكر هيرودوتس أن الملك (ساحو رع أو ساهوري) من الأسرة المصرية الخامسة (2743 ـ 2731 ق.م) قد قاد حملة بحرية بطريق البحر الأحمر إلى بلاد تفيض لبناناً على ضفتي باب المندب في الجنوب، وأن الملك المصري سنوسرت الأولى (1980 ـ 1935 ق.م) من الأسرة الثانية عشرة قد افتتح الأمصار المتاخمة للخليج العربي، كما قامت الملكة المصرية (حتشبسوت) من الأسرة الثامنة

عشرة بحملة متكونة من خمس سفن إلى أرض الأرواح أي النبط للحصول على أشجار البخور والأعشاب الثمينة والجواهر وسنن الفيلة والعنبر، وقد استقبلها ملكها (باريهو) وزوجته (آني)، وقد سجلت الملكة المصرية هذه البعثة على جدران «معبد دير البحري» بالأقصر.» (شلالقة 2016: 318).

القسم الثالث: تأريخ اليمن القديم في العصر الحديدي والمملكة السبئية

العصر الحديدي بفتراته الثلاث (الأولى، الثانية، الثالثة) استغرق ما يقرب من 700 عام بين (1200 ـ 500 ق.م)، أما العصر الكلاسيكي الذي من المفترض أن يتلوه فيستغرق ما بين (500 ق.م ـ 467 م) أي ما يقرب من 967 عاماً، لكن اليمن لم تشهد العصر الكلاسيكي بشكله النموذجي وفترته التي ذكرناها، نظرياً، تنقسم بين المملكتين السبئية والحميرية.

ولذلك فإن مجمل أعوام العصرين الحديدي والكلاسيكي تنقسم بين نشوء المملكتين السبئية والحميرية وما رافقهما من الممالك التي اقترنت بهما سلباً وايجاباً.

اعتاد المؤرخون وضع العصر الحديدي كله في مرحلة المملكة السبئية، بالصورة المقربة الآتية:

الملوك السبعة الأوائل من المملكة السبئية وهم (كرب إيل وتر الثاني، سمه علي زارح، كرب إيل وتر الثالث، إيل شرح الأول، يدع إيل بين الخامس، يكرب ملك وتر الرابع، يثع أمر بين الرابع) استغرق حكمهم بين(620 ـ 500 ق.م)، وهي حدود العصر الحديدي التي انتهت عند 500 ق.م. ويصادف ذلك مع بدء مرحلة السيطرة القتبانية (500 ـ 110) ق.م التي شهدت فترتها حرب الممالك اليمنية وتسمى (حقبة اليمن الوسطى) وهي حقبة ازدهار الفن.

ولذلك استمرت المملكة السبئية الأولى، ثم تأتي بعدها المملكة السبئية الثانية التي خاضت الصراع مع الريدانيين الحميريين وغيرهم حتى انتهت في 275 م.

سنأخذ بالتقسيم الخاص بتاريخ اليمن منذ العصر الحديدي وحتى نهاية التاريخ القديم، أي بداية العصر الوسيط، والذي نراه ينقسم إلى خمس مراحل أساسية:

1.المرحلة المبكرة (1200 ـ 900 ق.م) مرحلة القبائل اليمنية المبكرة.

2.المرحلة السبئية (900 ق.م ـ 275 م) وما ظهر من الممالك اليمنية معها.

3.المرحلة السبئية ـ الحميرية (سبأ وذو ريدان) (115 ق.م ـ 100 م)

4.المرحلة الحميرية (110 ق.م –527 م) وما ظهر من الممالك اليمنية معها.

5.المرحلة المتأخرة (527 ق.م ـ 628 م) الهيمنة الحبشية والساسانية .

المبحث الأول: المرحلة المبكرة (١٢٠٠ ـ ١٠٠٠ ق.م) مرحلة ظهور الكتابة المسندية

شغلت القبائل السبئية هذه المرحلة وكانت متفرقة في بدايتها، ثم بدأت بالاتحاد ونشأ عن ذلك الاتحاد القبلي السبئي الذي شكّل بداية ظهور دولة سبأ التي سيحكمها المكاربة.»أرض سبأ هي منطقة مأرب وتمتد إلى الجوف شمالاً ثم ما والاها من المرتفعات والهضاب إلى المشرق ثم مناطق أرحب وخولان وقاع صنعاء وقاع البون، وكانت دولة سبأ في فترات امتداد حكمها تضم مناطق أخرى بل شملت اليمن كله. ومن الممكن أن نحدد أرض سبأ بالأقاليم الجغرافية التي كانت تعبد الإله (إلمقه)، والمناطق التي انتشرت فيها اللهجة السبئية، لكن من الصعب أن نرسم لها حدوداً

سياسية، ففي فترات قوتها ربما توسعت لتشمل اليمن كله، وفي فترة ضعفها لم يتجاوز اتساعها المناطق الشمالية للهضبة الغربية» (القيلي 2003: 11).

يمكننا القولّ، باختصارٍ وبساطة، أن اليمن بدأت بنظام دولة المدينة والذي أخذ شكل الممالك اليمنية المعروفة، ثم عملت مملكة سبأ في العصر الحديدي الثالث تقريباً على محاولة إنشاء مملكة يمنية كبيرة شملت أغلب أرض اليمن ونجحت في ذلك لما يقرب من خمسة قرون، لكنها ستتفكك من جديد وستحل بدلاً عنها دولة حمير، على كامل اليمن، التي تستمر هي الأخرى لما يقرب من خمسة قرون أخرى لتعود وتتفكك لدويلات مدن متفرقة حتى ظهور الإسلام وجعل اليمن كلها ضمن الدولة ثم الإمبراطورية الإسلامية.

يقول دي ميغريه: «وفي كل الأحوال فإن حروف المسند المحززة على قطع خزف لأوانٍ فخارية، عثر عليها في»يلا/ الدريب»، تثبت أن الخط السبئي هو أكثر قد ماً بعكس ما كان يُعتقد به إلى وقتنا الحاضر، وأنه كان منتشراً بكثرة ومستعملاً من قِبل جميع الناس، وهذا ما تثبته النقوش التي اكتشفت ضمن سياق منزلي») 9(. ويشير دي ميغريه إلى أن اكتشاف تلك الحروف كان مفاجأة كبيرة (اللوحتان 4و 5).
وخاصة أنها أرخت بناء على تحليل الفخار نفسه، بالقرن الحادي عشر أو العاشر ق.م على الأقل، وهو ما يعد أقدم دليل على وجود الكتابة السبئية، ويدل كذلك على بدايات أقدم لم تكتشف بعد، مهدت لنضج الكتابة عل النحو الذي نراه في النقوش، كما يدل على وجود ثقافة يمنية خالصة أطلق عليها دي ميغريه، «ما قبل سبئية»، وهي التي أصبحت فيما بعد، «منطقة مملكة سبأ»، بل والمهد السبئي لثقافة جنوب الجزيرة العربية» (المخلافي 2019: 13).

وكذلك وجدت حروف على فخار من ريبون بحضرموت أرخت بالقرن الثاني عشر ق.م. أما «أقصى تاريخ لنقش كامل عثر عليه في اليمن هو ما كشف عنه الألمان في السنوات الأخيرة في المرخ بالقرن التاسع ق.م، وكذلك المستوطنة السبئية في «يلا»

الذي أرخ بالقرن التاسع ق.م، وكذلك حروف المسند التي عثر عليها محزوزة على فخار «يلا» (الصورتان 4 و5) الذي يؤرخ بالقرن العاشر أو الحادي عشر ق.م.» (المخلافي 2019: 31).



الصورتان 4 و5 حيث بقايا الجرار تحمل حروفاً مسندية تعود للقرن 12 ق.م

(المخلافي 2019: 41)

نرى أن أصل السبئيين هو من اليمن نفسها وهم سكان العصور البرونزية وبداية العصر الحديدي، ولا يمكن أن يكونوا قد هاجروا من أي مكان آخر، لكننا نعطي مجالاً للتلاقح الثقافي بينهم وبين الآموريين الذين وفدوا إلى اليمن، بسبب التجارة أو السكن، وأنهم قد يشكلون حافزاً حضارياً من ضمن حوافز أخرى منذ العصر البرونزي.

سيكون من المغامرة التصريح بأسماء تلك القبائل السبئية القديمة دون الاستناد إلى نص أثري بخط المسند، فالمراجع الإسلامية الوسيطة تخلط الأمور ولا تدع الحقائق

كما هي. أما التوراة فلا يمكن الاعتماد عليها كمرجع تأريخي. وهناك نصوص مسندية تشير إلى أربع قبائل مهمة شكّلت سبأ وهي (فيشان، مذحج، همدان، كندة)، أما كلمة سبأ فتشير إلى الحرب والقتال، وتعني (المحاربين، المقاتلين) وهي ليست اسم قبيلة أو أب أعلى لهم.

كان حال اتحاد القبائل السبئي مكوناً من الأذواء والأقيال وهم وجهاء القبائل السبئية التي يذكر بعضها وهي تتعامل مع هذه الألقاب مثل (ذي معاهر، ذي خليل، ذي سحر)...إلخ.

1. الأذواء (الذوون المخاليق): وهو لقب مأخوذ من قطعة الأرض المثمرة بالأشجار والمزروعات والتي كان يسميها اليمنيون (الحفد، ذو) فالمخلق هو الشخص الذي يملك تلك الأرض أو الإقطاعي الذي له أكثر من مخلاق.

2. المقيل: هو الذي يمتلك حقوقاً كثيرة، والذي تكون مكانته عالية جداً تقترب من مكانة الملك أو الأمير. ولذلك أصبحت كلمة (أقيال) مشيرة لأبناء وأحفاد الملوك.

ويبدو أن القبائل بدأت تميل إلى الاتحاد، وقد ضم الاتحاد عدداً كبيراً من القبائل التي لا نعرف، الآن، عنها شيئاً لأنها اختفت، وهناك عدد من القبائل التي ما زالت تحمل اسمها القديم مثل: فيشان وهمدان وكندة مذحج. كانت همدان أرضاً تابعة للسبئيين وعليهم رؤساء من بيت «ذي سمعي »، أما كندة فقد كان جزء منهم يتواجدون في قرية الفاو القريبة من وادي الدواسر.

ولا بدّ من عدم الخلط بين السبئيين في اليمن والسبئيين في بلاد الشام وجنوب وادي الرافدين والذين ربما كانوا زعماء جاليات تجارية سبئية جنوب فلسطين، وعلى تواصلٍ مع سبأ اليمن. كما لا علاقة لنسب المناذرة والغساسنة، مثلاً، بالسبئيين.

ويبدو أن مجلس الاتحاد القبلي السبئي في اليمن تطور إلى جعل أرفع رجل دين كان يطلق عليه لقب (مكرّب) أي (مقرّب القبائل لبعضها البعض) ووضعه كرئيس لهذا الاتحاد القبلي حيث تبدأ المرحلة القادمة من تأريخ سبأ. وتشير النصوص السبئية لتلك القبائل القديمة التي كان المكاربة ينحدرون منها بأسماء مثل «ذو آل ثور» و«أبعل قريتم كهلم وقحطن» أي أرباب قرية كاهل وقحطان، وكانت مذحج وقبائلها من ضمنهم، وأقدم نقش يشير إليهم حكى عن انضمامهم لتمرد ضد الأسر الحاكمة في مأرب.

هناك من يرى أن معين شهدت تطوراً مبكراً، في هذا العصر، وكانت مملكتها قائمة على التجارة والاقتصاد، ولكنها سرعان ما وجدت سبأ منافسة لها، في المجال السياسي والتجاري.

في هذه المرحلة كانت بدايات تكون وظهور الكتابة اليمنية التي أخذت ما يعرف بالخط المسندي، ورغم الخلاف الكبير بين نشأة هذا الخط وجذوره، إلاً أننا يمكن أن نعتبره تشكيلاً جديداً للحروف الأوغاريتية (الكنعانية)، مع الأخذ بنظر الاعتبار بأن ذلك قد حصل بتأثير بدايات غامضة وبعيدة لحرف المسند العّماني الذي تعود جذوره للبكتوغراف السومري. وهو أمر ناقشناه باستفاضة في الفصل الثامن من الكتاب.

المبحث الثاني: المرحلة السبئية (٩٠٠ ق.م ـ ٢٧٥ م)

القبائل الصغيرة أو العشائر التي كونت أصل سبأ كانت في القرن العاشر قبل الميلاد تسعى لتشكيل اتحاد سبئي تقوده، ونتج عن هذا الاتحاد ظهور مملكة سبأ، و«كانت مملكة سبأ هي أقدم الممالك اليمنية في تكوين النظام السياسي كمملكة في القرن العاشر ق.م، إذ إنها مثلت عمود التاريخ اليمني القديم، وينظر إلى الممالك اليمنية

الأخرى على أنها كيانات سياسية معاصرة لها اندمجت معها أو انفصلت عنها من وقت لآخر، حسب قوة السلطة المركزية أو ضعفها، وبمفهوم آخر فقد كانت التجمعات السكانية في اليمن القديم متعاصرة وإن لم تكن قد تبلورت في كيان سياسي معين، ذلك أنه عندما يتشكل كيان سياسي كمملكة معينة تكون التجمعات السكانية الأخرى عبارة عن قبائل صغيرة تتحين الفرص لتكوين كيان سياسي منافس.» (العريقي 2002: 28).

أولاً: المرحلة السبئية المبكرة

المرحلة المكاربية (1000 ـ 620) ق.م

ظهر المكارب في سبأ وحضرموت وقتبان، وشهدت هذه المرحلة صعود المكربيين وهم رجال دين قرّبوا بين القبائل في هذه المناطق، وسيكون التركيز على سبأ لكي نبسط بالتواتر التاريخي، ثم سنذكر الممالك الأخرى في كل هذه الأماكن في الصفحات القادمة.

مرحلة زعامة المكاربة السبئيين هي بدء ظهور رجال الدين الذين قرّبوا بين القبائل التي كانت تشكّل منطقة سبأ، وهناك من يرى أنهم المقربون من الإله (إلمقه) الذي هو إله القمر، وهو رأي ضعيف. وكانت عاصمتهم هي (صرواح). دامت هذه المرحلة أربعة قرون حكم في سبأ ما يقرب من (31 مكرباً)، أولهم يتع أمر بين الأول في حدود 1000 ق.م. وآخرهم ذمار علي ينوف لغاية 620 ق.م.

يُعرّف المكرِّب Mukarrib بأنه لقب يشير إلى الحكام الكهنة من رجال الدين في بداية أغلب الدول اليمنية القديمة، باستثناء معين، وقد بدأ هذا النوع من الحكم في مملكة سبأ في حدود 1000 ق.م، وربما أشارت الكلمة، لغوياً، إلى المقرّب من الإله، أو أنها تشير إلى الرجل الذي قرّب القبائل من بعضها، وإلى منصب الرئيس الفيدرالي للقبائل التي اتحدت وكوّنت دولة سبأ والمرتبطة بعهد، وكان يصدر المراسيم التي

تنفذ قرارات مجلس الأكابر ويترأس مشاريع الحرب والبناء والصيد وطقوس الحج وتجنيد القوات العسكرية.

«عدم وجود تاريخ ثابت لكل مكرب يجعل التواريخ التي وضعها بعض الباحثين لحكم كل مكرب مجرد فرضيات، والثابت منها لا يتعدى نهاية القرن 8 ق.م، والربع الأول من القرن 7 ق.م، بالمقارنة مع المدونات الآشورية، وما عدا ذلك فالكشف عنه مرتبط بالتنقيبات الأثرية في مأرب وغيرها من المناطق الأثرية اليمنية القديمة، وحلاً لهذه المشكلة حددنا مدة حكم مكاربة سبأ منذ بداية القرن 9 ق.م، إلى العقد الثاني من القرن 7 ق.م، ثم تلاهم عهد ملوك سبأ إلى القرن 2 ق.م، وما بعده وجعلنا حكم كل مكرب أو ملك 25 عاماً كمدة قصوى، عدا بعض الحكام كانت مدتهم أقل من 25 عاماً، وعدا آخر مكرب وهو (كرب الـ وتر) كان حكمه أكثر من ذلك، وينطبق هذا الأمر على مكاربة وملوك الدولة اليمنية القديمة الأخرى، وهذا مجرد رأي فقط لترتيب الأحداث في هذا العهد اعتماداً على المدونات الآشورية التي ذكرت بعض حكام آشور ومن عاصرهم من مكاربة سبأ.»(عطبوش2008: 44 ـ 45).

عاصر المكاربة، في سبأ، نشوء الأسرة السرجونية في بلاد آشور، فقد كان المكرب (يتع أمر وتر الثاني) معاصراً للملك الآشوري (سرجون الثاني)، والمكرب (كرب إبل وتر الأول) معاصراً للملك سنحاريب، وكذلك كرب (إيل بين الأول) الذي ظهر اسمه في نص آشوري يعود لسنة 685 ق.م. يتحدث عن الهدايا التي أرسلها هذا المكرب إلى سنحاريب والمكونة من الذهب والفضة وأنواع العطور والأحجار الكريمة.

في مرحلة المكارب كانت دويلات المدن اليمنية تظهر في كل أرجاء اليمن وكان من أبرزها شمال سبأ (نجران) وشرقها (حضرموت) وجنوبها (قتيان) وغربها (معين) وجنوب غربها (أوسان). وستشهد المرحلة القادمة الاصطدام بهذه الدويلات واحتلالها أو ترويضها من قبل سبأ ووضعها في اتحادٍ سبئي.

ولعلّ أكثر المكاربة شهرة وقوة هو (يثع أمر بين الثاني) الذي يحاول التوسع وضم الممالك اليمنية التي تحالفت معها سبأ وينجح في ذلك جزئياً، ثم تتوقف فتوحاته ليكررها بمنوال أوسع وأقوى آخر المكاربة وأول ملوك سبأ وهو (كرب إيل وتر بن ذمار علي).

مكارب سبأ

ثانياً: المملكة السبئية (620 ـ 115) ق.م

يعتبر المكرّب والملك (كرب إيل وتر بن ذمار علي) آخر المكاربة وأول ملوك سبأ، كانت بداية حكمه كمكرب يحمل لقب (مكرب سبأ) لكنه حين بدأ يتوسع بحملة من المعارك العسكرية التي ضم فيها مدناً وممالك أخرى حينها أصبح ملكاً لمملكة سبأ الواسعة ولم يعد لقب مكرب سبأ يناسبه، فهو مؤسس مملكة سبأ التي أصبحت تضم عدة دويلات مدناً وممالك صغيرة في أرجاء اليمن.

دوّن هذا الملك معاركه التي جعلت منه ملك سبأ في نصّ تاريخي مهم جداً يسمى (نقش النصر) مكتوب بخط المسند وباللغة السبئية والذي سنجده في فصل المظهر السياسي مترجماً ومشروحاً بالتفصيل. ويمكننا قراءة جدول ملوك سبأ ومعرفة تفاصيل أعماله وأعمال بعض ملوك سبأ الآخرين.

أعمال (كرب إيل وتر بن ذمار علي) العمرانية تركزت في:

1. إصلاح نظم الري حيث قام بإصلاح المسايل وتقوية جدران السدود.

2. ترميم وتعلية وتقوية دعائم الطابق السفلي منه قصره في مأرب. وتسوير مدن كثيرة منها رداع لم تكن مسورة قبل ذلك وسور وحصن كل الأراضي السبئية ولكنه هدم أسوار المدن الحضرمية والقتبانية رغم أنه أمنهم على أراضيهم.

3. تسجيل أراضٍ كثيرة لملكيته منها «ذو حبَّاب» و«ذو شمَّر» و«ذو فدهم» و«ذو مهجم» وذكر أرض اسمها «خندف» و«عتب» و«الورخ» وأراضٍ استولى عليها من زعيم قبلي يدعى «يعتق ذي خولن» وذي خولن هي خولان.

4. ظهرت بعد هذه الحملات إلهة هي (ذات غضرن) أو «ذات الغضر» المسؤولة عن الثروة والمال والرزق.

5. في صرواح معبد «إلمقه» وأعمدة السور الخارجي الذي يحيط بالمعبد من المرمر، وتشير الكتابات على بعض هذه الأعمدة أن بانيه هو المكرب (يدع آل ذرح).لكنه اكتسب أهميته من وجود نقش النصر في بهوه، وقد وجد النقش على عمود من المرمر في وسط المعبد يشير إلى أن صاحبه هو «كرب إيل وتر».

ملوك المملكة السبئية

انتقال ملوكية سبأ من فيشان إلى همدان

ربما كان كرب إيل وتر الخامس آخر ملك سبئي من سلالة فيشان الملكية المؤسسة لسبأ، وربما كان هو أول ملك موحد (عبد ذو سماوي) وهو توحيد يمني أصيل غير وافد، حصلت بعده اضطرابات جاءت أخيراً بـ (وهب إيل) الذي يعدّ تحولاً نحو سلالة همدان السبئية، الذي استمر من 350 ق.م إلى 130 ق.م عندما حكمت الأسرة الجرتية وهي قريبة من همدان نسلاً، وقبيلة «جرت» ورد ذكرها من «سمهر».

ثم ظهرت أسماء قبائل «ذي خولن» (خولان) التي تشير لها النصوص السبئية بأنهم من «ذو ريدان» (حمير). وهكذا يكون ظهور الريدانيين (الحميريين) قد بدأ، وستنشب عن ذلك حروب ومعارك مع الهمدانيين.

ب. يريم أيمن ملك سبأ (الأسرة الهمدانية): كان الملك السابع والخمسين من ملوك سبأ هو (وهب إيل يحظ الثاني) ضعيفاً وكان ابنه وحفيده كذلك، فقرر الحكماء في

المملكة أن يجعلوا من أحد أقيال حاشد من همدان ملكاً بعد حفيده، فوقع الاختيار على بريم أيمن ومنه بدأ ما يعرف بملوك الأسرة الهمدانية في سبأ، ويقدر زمنه في نهاية القرن الأول قبل الميلاد. وكانت فترته فترة اضطرابات.

وجاء بعده ابنه (علهان نهفان) الذي اتخذ له لقباً جديداً هو (بتع) وأصبح هذا اللقب سبب تسمية هذه المرحلة بـ(البتعية الهمدانية) وسميت أسرة يريم أيمن بالأسرة البتعية الهمدانية أو لقب (بنو بتع وهمدان) الذي يجمع صفة القيالة في همدان وحاشد مع تقديم صفة بن بتع على صفة همدان. وبعد خمس سنوات من حكم يريم أيمن صعد علهان نهفان إلى حكم سبأ.

جـ. علهان نهفان ملك سبأ (بتع همدان): كان قائداً عسكرياً طموحاً وكانت سبأ تعاني من ضعف سياسي واقتصادي بعد أن فقدت عائدات التجارة البحرية التي استولت عليها حمير، فقام بالتحالف مع ملك حضرموت (يدع إيل) ومع ملك الحبشة (جدرت)، وكان هذا التحالف يقف بوجه التوسع الحميري باتجاه الشرق والغرب والشمال. وبدأ هذا التحالف الثلاثي بإرسال جيشين سبئي وحضرمي لمحاصرة الحميريين في (ذات عرمن) وهو حصنهم الحصين وساندتهم قوات حبشية، وهكذا استعادت سبأ وحضرموت والحبشة قوتها ووقفت بوجه طموحات حمير وانتصر الحلف على حمير. وقام علهان بإشراك ولده (شاعر أوتر) كوليّ للعهد، وكان ينوب هذا عن والده في قيالة حاشد وهمدان في منطقة ناعط، ثم ورث الحكم عن والده.

د. شاعر أوتر (أول ملك تلقب بلقب ملك سبأ وذي ريدان): الملك الهمداني الثالث الذي حكم من أواخر القرن الثاني إلى أوائل القرن الثالث للميلاد وحددها البعض من (205 ـ 230)م، وهو أقوى ملوك الأسرة الهمدانية واليمن عموماً فقد السيطرة على اليمن وحاول إقامة دولة مركزية واحدة ضد التدخل الحبشي الذي أصبح ظاهرة خطيرة، وقد نجح بذلك ووحد اليمن لأول مرة منذ القرن الثامن قبل الميلاد (بعد

كرب إل وتر) ثم بسط نفوذ اليمن على السراة وتهامة وعسير، وكان عمله هذا ملهماً لمن سيأتي بعده من ملوك حمير لتوحيد اليمن وقوتها.

اتخذ لقب (ملك سبأ وذي ريدان) لأول مرة. ويبدو أن ذلك قد أغاظ ملك حضرموت (إل عزيلط) الذي بدأ يمد سلطانه إلى ردمان وهو موقع مهم على حدود سبأ وحمير، وكان لهذا العمل أثره في بداية صراع بين سبأ وحضرموت سيضعفهما معاً لصالح حمير.

ابتدأ شاعر أوتر اهتمامه بصنعو (صنعاء) وقصر غمدان بسبب ضعف طريق اللبان التجاري الذي يمر بمأرب (وقصرها سلحين)، وازدهار طريق مدن المرتفعات وبخاصة صنعاء التي برزت كمعسكر حربي. ثم شارك أخاه (حيّو عنتر) في الحكم معه، والذي خلفه فيه.

قام شاعر أوتر بالعمل على إضعاف الحلف الثلاثي ووقف بوجه حضرموت والحبشة وأرسى قوته مع حمير. لكن الحضرميين تحالفوا مع حمير بوجه سبأ، فقام شاعر أوتر بالتحالف مع حمير وحارب حضرموت واسترد منها ردمان وأراضي قتبان.

قامت ثورة على ملك حضرموت بقيادة أحرار بهبنر الذين حكموا حضرموت بعد أسرة (إيل عزيلط) وحاربت سبأ غزيلط بمساندة حمير وهجموا على العاصمة الحضرمية (شبوة وأحرقوا قصرها (شقير) وهجموا على الميناء الحضرمي (قنا).

كان السبئيون يسمون أثيوبيا بـ(أرض حبشت) وكان ملكها في عهد شاعر أوتر هو (جورت) وقد قوي عودهم فأصبحوا يتحكمون بتجارة البحر الأحمر، وكانت مملكتهم (أتسوم) قوية. وقد اصطدمت قوات أوتر معهم أكثر من مرة، فقد حاربهم على حدود قبيلة حاشد ثم في منطقة السهرت ثم في المناطق الشمالية لمملكة سبأ ثم في مدينة ظفار عاصمة حمير. ولم يتمكن من القضاء عليهم.

حكم بعد شاعر أوتر الملك دلحي عثت يرخم) الذي كان عهده قصيراً، ثم إيل شرح يعضب ثم أخوه يزل بين، ويبدو أن هؤلاء الثلاثة كانوا ملوكاً محليين (أي أقيال تلقبوا بلقب ملك) وكانوا يحكمون مناطقهم ويتبعون في الوقت نفسه لشاعر أوتر. وخلالها انتهى حكم الأسرة الهمدانية. ومع مجيء فارع ينهب (من الأسرة الجرتية) انتهى حكم الأسرة الهمدانية نهائياً وكانت أسرته هي آخر أسرة ملكية سبئية في مأرب قبل أن يضم الحميريون سبأ إلى حكمهم بشكل نهائي.

هـ. الأسرة الجرتية:

كوّن فارع ينهب وولداه إل شرح يحضب ويأزل بين وكرب يأمن يهرحب أساس الأسرة الجرتية ثم استمر بقية الملوك حتى نهاية هذه المرحلة.

يبدو أن الأسرة الجرتية تلت الحكم في سبأ من خلال (فارع ينهب) الذي كان موجوداً في أيام شاعر أوتر مع ولديه. الذين وصلوا بعد وفاته إلى مأرب وتلقبوا بلقب (ملك سبأ وذي ريدان) بعد أن عاد الاضطراب في سبأ، وقام هؤلاء بقتال منافسين لهم. وعلى الأرجح أن الحميريين احتلوا مأرب بعد وفاة شاعر أوتر وبقوا فيها سبع سنوات وقام الشرح يحضب وأخوه يازل بين بإخراجهم بالقوة، والهجوم على المدن الحميرية وهزموهم وعادوا بالغنائم والأسرى. فطلب ملك حمير مساعدة الأحباش لكنه فشل في مواجهة الشرح.

وتقوم سبأ بحملة تأديب ضد نجران التي تتآمر مع الأحباش وتنجح بذلك. يختفي ذكر يازل بين على أثر مرض ألمّ به، ويوّرث الحكم من الشرح إلى ولده نشأ كرب يأمن يهرحب.

و. نشأ كرب يامن (يهنعم) يهرحب:

هو ابن الشرح يحضب الذي كان مهتماً بتقديم النذور إلى الإله إلمقه، وقد شنَ حرباً على حضرموت، ويقدر زمن حكمه بحوالي (240 م).

في هذا العصر كانت هناك ملكية في أرض حمير ولها أسرها وملوكها، وقد حكم من ملوك حمير متزامناً نشأ كرب ملكان هما (تاران يعب يهنعم) ويلقب أيضاً بملك سبأ وذي ريدان وهو حليف الملك الحضرمي العزليط ويلقب ملك حضرموت بن عم ذخر، والملك (عمدان بن يهقبض) الذي سك نقود حملت صورته واسم ريدان والقصر الملكي في ظفار.وجاء بعده ستة ملوك لا نعرف أخبارهم، آخرهم ثارن يعب يهنعم.

س. ذمار علي يهبر الثاني:

جاء بعد والده (ثارن يعب يهنعم)، حكم في حدود القرن الرابع الميلادي، ووضع له لقب الثاني تمييزاً له عن ملك حميري أسبق بهذا الاسم.

جاء بعده تسعة ملوك لا نعرف الكثير عن أخبارهم انتهوا بالملك ياسر يهنعم الثاني الذي انتهى معه هذا العصر الانتقالي بين سبأ وحمير، وهو آخر مراحل تاريخ سبأ.

شهدت هذه المرحلة كمّاً هائلاً من المنقوشات المسندية التي تعتبر كنز اليمن التاريخي واللغوي. كما شهدت تطور الزراعة في سبأ مثلما شهدت ارتباك وتراجع الحياة التجارية فيها. وسادت فيها قوة الطبقة الإقطاعية الاجتماعية (الأقيال) على حساب قوة ومركزية الملك. وعرفت هذه الفترة استخدام الخيل في الحرب إضافة للجمال. ولا شك أن الأسلحة تطورت وسنناقش كل هذا في مكانه من هذا الكتاب.

الحرب بين همدان وحِميَّر

1.صعود حاشد

مع مجيء الملك يريم أيمن (145 ــ 115 ق.م)، الذي كان من القيل، وهو من قبائل حاشد، يبدأ صعود حاشد التي حاولت تثبيت ملكها عن طريق تقوية تحالفها مع مملكة حضرموت، ووقف الاثنان بوجه الحميريين الريدانيين وهزموهم في موقعة «ذات عرمن» (ذات العرم). وهزمت حاشد الخولانيين أيضاً وهم من حمير.

لكن الأمور سارت باتجاه خلافات بين سبأ وحضرموت، وورد نص عن معركة بين همدان ومرتزقة تابعين لملك مملكة حضرموت انتهت بانتصار همدان واستيلاء شاعر أوتر على «شبوت» (شبوة) و«ذات غيلم» (ذات غيل) و«ذات غربن» (ذات الغرب) وتعيين «مقتوى» (ضابط) يدعى «سعد أحرس» لمراقبة الحدود. ثم حصلت خلافات مع كندة رغم أنهم من بدو سبأ، فالنصوص المسندية تشير إلى بني كندة ومذحج صراحة بلفظة «أعرب سبأ» أي أعراب أو بدو سبأ، انتهت بانتصار حاشد.

حصلت معارك بين حاشد والحميريين، استغلها الحبشيون فاضطرت حاشد للقضاء عليهم.

2.صعود بكيل

في ظل هذه الفوضى ومنازعات الحكم، ظهرت في آخر أيام شاعر أوتر، أسرة بكيل لتشارك حاشد لقب «ملك سبأ وذي ريدان»، بقيادة «إيل شرح يحضب» وشقيقه «يأزل» وأسرتين حِميَريتين واحدة بقيادة «لعزز يهنف يصدق» (العزيز يهنف يصدق) وأخرى بقيادة «لحيثعة يرخم».

1. المبحث الثالث: المرحلة السبئية ـ الحميرية (سبأ وذو ريدان)

(115 ق.م ـ 100 م)

تشكّل هذه الفترة مرحلة انتقالية بين سبأ وحمير، تبدأ بالملك شاعر أوتر، وهي مرحلة أخذ وردٍّ بين سبأ وحمير، لحين نهاية سبأ في 275 م. وسيادة حمير الكاملة على اليمن مؤتلفة مع مجموعة من الممالك معها.

ولكي نتصور شدة الاضطرابات، في هذه المرحلة، اشتبك الملك إل شرح يحضب مع خمس وعشرين جماعة، بدأ بحملة على الحديدة قرب باب المندب وهي في تهامة، ثم أكمل مسيره شمالاً لعسير (جرش في نصوص المسند)، واشتبك ضد قبيلة عك وهي تهامية قديمة يعدها أهل الأخبار من الأزد، و«أحزب حبشت» حتى جبل جمدان الواقع تحت حكم الأحباش. ووقف بوجه تمرد نجران وعسير.

كان عهد همدان (حاشد وبكيل) مضطرباً وترك آثاراً سيئة على اليمن كلّها، حيث تصحرت الكثير من الأراضي الزراعية، فاضطر المزارعون إلى الرحيل وترك أعمالهم نتيجة الاضطراب وقسوة ملاك الأراضي عليهم كلفت هذه الحروب والمعارك للانفراد بالملك البلاد ثمناً باهظاً.

تبدأ هذه المرحلة من انفصال قبيلة حمير عن مملكة قتبان، التابعة لحضرموت في حينها، وقد أنشأت حمير عاصمة خاصة بها في (ظفار) التي تقع جنوب شرق مدينة (يريم) الحالية. واعتمدوا اللغة السبئية التي تختلف عن اللغة الحميرية.

أصبحت أغلب قتبان في يد حمير ثم خاضوا حروباً مع مملكة سبأ (25 ق.م ـ 100 م) لكنهم حققوا في البداية نصراً ثم انهاروا في 100 م، ونجح السبئيون في

التخلص من حكمهم 100 م، ويبدو أن الغزو الروماني لسبأ عام 25 ق.م بقيادة (إيليوس غالوس) ساعد على ضعف سبأ وهيأ الظرف لاحتلالها من قبل حمير بعد فشل الغزو الروماني وانسحاب جيشه.

ملوك سبأ وذو ريدان

المبحث الرابع: الممالك اليمنية في العصر السبئي

تشكل من اتحاد الأربع ممالك الكبرى في اليمن (سبأ، حضرموت، قتبان، معين) نظام أقرب للنظام الفيدرالي الذي كانت تقوده سبأ. واذا كنا قد تعرفنا على سبأ فلا بد من التعرف على الممالك الثلاث الأخرى.

أولاً: المملكة المعينية

1. المرحلة المبكرة (1500 ـ 850) ق.م.

مملكة يمنية مبكرة نافست سبأ، وشيدت حضارة عريقة في منطقة الجوف باتجاه الربع الخالي وعاصمتها (قرناو)، كان المعينيون تجار اللبان والطيب الأوائل، وكان التنافس بين دولتي معين وسبأ حاداً في هذا المجال، دولة معين اقتصادية الطابع متطورة في ديمقراطيتها وتشاورها، بينما سبأ كانت سياسية الطابع، ولذلك ظهرت مهاجمة السبئيين للقوافل المعينية على الطريق بين معين ونجران للحد من نشاط المعينيين في مراكز ومحطات تجارية مع دول على منافذ البحر المتوسط , وشواطئ الخليج العربي والبحر العربي وأعالي الحجاز شمالاً، وكان حكام معين وراثيين وينقسمون إلى نوعين:

1.ملوك التيجان (الأقيال): وهم الملوك المقيدون بمجامع مدنية كبيرة.

2.ملوك بلا تيجان (رؤساء العشائر): وهم ملوك مقيدون بمجالس عشائرهم.

أهل دولة مدينة ومملكة المعينيين، الذين ظهروا مبكراً في العصر الحديدي، يمتون بصلة نسب للسبئيين والحضرميين، وهناك من يرى أنهم دولة قبيلة (مذحج) التي مكانها منطقة الجوف. منطقتها الحالية شمال اليمن قريبة من صنعاء وتقع على ساحل البحر الأحمر. وقد جاء اسم معين من قبيلة (بنو معين) وهي من قبيلة خولان. بالإضافة إلى قبيلة مذحج هناك قبائل أخرى سكنت في دولة معين هي (معن، ذو غيلان، بنو نشق) وهي قبائل من الكيل وهمدان. نظام الحكم فيها ملكي وراثي، ويلقب الملك بلقب ديني وهو (مزود) بمعنى المقدس. وكان أهل معين يطلقون على أنفسهم، كشعب، اسم (هود).

جدول تسلسل ملوك معين والتزامن مع حكام مملكتي سبأ ونشّان في القرنين الثامن والسابع ق.م.

انظر (عربش 2014: 86).

بعدها كانت حروب سبأ ضد معين ويثل في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، ثم تشكل الإتحاد القبلي بين معين ويثل في بدايات القرن السادس ق.م. وهناك نقش مسندي ييتحدث عن هجوم سبئي على قافلة معينية في عهد (يدع إيل بيّن ابن يتع أمر ملك سبأ)النقش Nashq = Demirjian 1 ـ BL. أنظر (عربش 2014: 86).

2. الاتحاد القبلي المعيني (500 ـ 330) ق.م.

الزمن الدقيق لنشوء الاتحاد القبلي المعيني، من خلال النقوش المسندية، هو القرن الخامس قبل الميلاد، فقد اتفقت القبائل المعينية، بعد ضعف سبأ على تكوين اتحاد يضمها ويشبه الاتحاد السبئي قبل ظهور مملكة سبأ.

ويبدو أن هذا الاتحاد كوّن حلفاً واحداً مع مملكة حضرموت، فقد كان الملك (صادق إل) يتلقب بلقب ملك حضرموت ومعين، ثم تلقب ابنه الملك يفع يتع بن صادق إلى لقب ملك معين فقط، ثم عاد لقب ملك حضرموت ومعين مع الملك (يفع ريام بن إل يفع ريام).

3. مملكة معين (330 ـ 100) ق.م:

استقلت، بصورة نهائية في 330 ق.م، وازدهرت بقوة من الناحية الاقتصادية وامتهن أغلب أهلها بالتجارة، وأصبحت (قرناو) أو (قرن) عاصمة المملكة. وكان المعينيون وسطاء تجاريين بين ممالك ودول اليمن والعالم الخارجي، وانتعشت تجارة الطيوب والبخور مع بلدان مصر والشام والعراق واليونان، واستثمروا طريق اللبان التجاري وأقاموا عليه محطات تجارية خاصة بهم والتي تحولت إلى أماكن مزدهرة لهم.

نتيجة لذلك انتعشت ديانتهم وأقاموا المعابد لآلهتهم داخل وخارج معين، فظهرت في تمنع (عاصمة قتبان) وفي السوا (حاضرة المعافر) وفي حريرة (يلوس اليونانية) ثم شيدوا الأسوار الضخمة لمدنهم الأساسية في يثل (براقش الحالية) التي كانت العاصمة الدينية للدولة المعينية. وقد تجنب المعينيون الحروب والحياة السياسية الفاعلة خاصة على تجارتهم. اختفت المملكة المعينية لأسباب غامضة في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد في حدود 100 ق.م.

ترتيب الخلافة وتواريخ الملوك المعينيين غير مؤكد للغاية؛ يعرض الجدول التالي إعادة بناء Kenneth A. Kitchen.

ومع ذلك، يجب الإشارة إلى أن إعادة البناء الذي قدمه هيرمان فون ويسمان تنحرف عن هذا إلى حدٍّ كبير، وهي محتملة تمامًا.

تسلسل ملوك معين

المرجع: (الثور 1979: 110 ـ 111).

وهناك قائمة أخرى مختلفة أقل عدداً بملوكها:

(Kitchen 1994: 238 - 347).



معبد نكرح (إله الشمس) بمدينة براقش (يثل) القرن 7ق.م

https://www.wikiwand.com/ar/مملكة_دادان

ثانياً: مملكة دادان (ددن)

ينقسم تاريخ مملكة دادان (ددن في الكتابة المسندية) إلى مرحلتين هما:

1. مملكة دادان الأولى (600 ـ 115 ق.م): وهي تابعة للمملكة المعينية، فقد قام المعينيون من الجوف ببناء مستوطنة لهم، في دادان وتيماء شمال الحجاز، أقامت

فيها جالية معينية وجعلوها، أحياناً، العاصمة الثانية لهم ضماناً لانتشارهم وحفظ تراثهم في الفنون والكتابة والتجارة والعمارة والتي ما زالت تشهد بذلك.

درج الملوك المعينيون على تعيين حاكم لهم في ددان مما يعرف بالكبراء أو الأقيال التابعين لهم، وكانوا بدرجة (كبر) وهي درجة تشبه الوزير. بحيث إن هؤلاء الكبراء قسموا ددان إلى أقسام (يسمونها محافد) يديرها رئيس الكبراء فيها) وقد وردت كتابات كثيرة ذكرت أسماء الكبراء والملوك المعينيين. وكان هدف هذه المستعمرة أو المملكة المعينية الشمالية هو تأمين القوافل اليمنية التجارية إلى بلاد الشام.

أقام الددانيون مجتمعاً تجارياً نشطاً ومتحضراً أجاز حرية التملك للمرأة واهتم بالفنون فنحتوا على جبال العلا واتخذوا منه مكاناً لمقابر موتاهم، واشتهرت مدافنهم المميزة هذه ومنها (بيت الاسدين).

من المعابد الددانية (معبد محلب الناقة) الزاخر بالتماثيل الضخمة ونقوش المسند، وكان من آلهتهم (ود، نكرح)، كانت لغتهم هي المعينية وكتابتهم هي المسندية.

2. مملكة ددان الثانية (115ق.م ـ 150م): سنناقشه ضمن الممالك التي عاصرت المملكة الحميرية.

ثالثاً: مملكة نشّان

مملكة يمنية قديمة تقع في محافظة الجوف 100 كم شمال شرق صنعاء، ويسمى موقعها الأثري حالياً بـ (السوداء، الخربة السوداء) الذي يطلّ على الضفة اليسرى من وادي الخارد (البحيرة). وكانت نشان تمتد إلى غرب موقع صنعاء ويسمى دورم في وادي صهر ومدينة شام (كوكبان). ويختلط اسمها، أحياناً، بمدينة نشق المختلفة عنها والتابعة لها أيام سمه يفع. يشكّل سورها القديم مستطيلاً محيطه 1200 م.أول من

وصفها جوزيف هاليفي في 1870م ثم المصريان محمد توفيق سنة 1945م وأحمد فخري سنة 1947.

مراحلها التاريخية:

1. المرحلة المستقلة: ظهرت (نشان) مستقلة في حدود القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، ولم يعرف سوى شخص واحد يحمل لقب ملك: هو سمه يفع يسران بن لبؤان وكانت أراضي المملكة حينذاك تشمل مدينتي نشان ونشق (البيضاء حالياً) ومنطقة تسمى أيك. وقد تقوّض هذا الاستقلال بعد اجتياح كرب إيل المعروف لأغلب مناطق اليمن. وصفها نقش النصر للملك السبئي كرب إل وتر وكيف أنها تمردت عليه مرتين فغزاها وأعادها. «وكان آخر ما اتخذه كرب إل في حق المدينتين هو: أن تجنب حرق نشان، وكان قد أحرق مدناً نشانية كثيرة، واكتفى بإزالة سورها. ثم فرض على سمه يفع أن يقبل بإقامة سبئيين فيها وأن يبني بوسطها معبداً للإله المعبود الوثني السبئي. أما نشق وقد استولى عليها غنيمة لإلمقه ولسبأ، فظلت من يومها مدينة سبئية يتكرر ذكرها في النقوش كأحد المواقع الهامة لسبأ إلى جانب صنعاء، مأرب (جام 577 مثلاً و655) (بافقيه 1993: ج1: 55).

2. مرحلة السيطرة المعينية: بعد حين خضعت نشان لسيطرة مملكة معين حوالي القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. وذكر نقش ملكاً من نشان في هذه المرحلة اسمه ملكو قيه ريد.

3. مرحلة السيطرة السبئية: في القرن الثاني قبل الميلاد وقبل زوال مملكة معين خضعت نشان لسيطرة سبأ.

4. مرحلة السيطرة الحميرية: استولت حمير على نشان بعد انتصارها على سبأ، وكان آخر ذكرٍ لمملكة نشان هو في القرن الرابع الميلادي.

النقوش المتعلقة بنشّان:

عثر في معبد عثتر على 78 نقشاً مكتوبة بلغتين من لغات نقوش اليمن القديم المذابية ـ المعينية والسبئية وقد كانت هذه النقوش موضوعاً لمؤلف بعنوان»جرد نقوش يمنية قديمة، نشرته أليساندرا أفانسيني سنة 1995م.

آلهة ومعابد نشّان:

آلهة نشان التي ذكرتها النقوش هي: عثتر شارقان دود أرق يدع عثتر ذو جرب عثتر نشق، عثتر متب خمر عثتر ذو قبء رحس.

أما معابد نشّن فهي:

1. معبد ريحاف المكرس لمعثتر ويمكن أن يتطابق هذا المعبد الذي يوجد اسمه في عبارة عثتر ذو ريحاف.

2. معبد سيواء وهو معبد متب خمر ويمكن اعتبار موقعه في الجزء الشرقي من المدينة.

3. معبد جربوم وهو معبد عثتر الذي يذكر في عبارة معبد عثتر ذو جربوم ومعبد نحب وهو معبد ودّ الذي لا يعرف موقعه.

4. معبد إلمقه الذي شيد في مركز مدينة نشان بعد انتصار سبأ.



موقع مملكة نشان

الصورة في وادي خب يبعد ما يقرب 100 كيلو شمال الحزم

المراجع:

1.(الأشول 2010)

الأشول، فضل: (نشّان) موطن (بنات عاد) ومطمع حملة إيليوس غالوس إلى اليمن، جريدة الجمهورية يوم 27 ـ 02 ـ 2010.

2. الموسوعة اليمنية ـ مؤسسة العفيف.

رابعاً: مملكة قتبان

1. المرحلة المبكرة (1000 ـ 800) ق.م:

هي المرحلة القبلية الأولى التي كانت فيها القبائل القتبانية تحكم نفسها بنفسها وهو ما يكشفه أقدم نقش قتباني يتحدث عن الاستيطان في قتبان في وقت مبكر من العصر الحديدة الذي نعرفه.

2. مرحلة التحالفات القتبانية (800 ـ 330) ق.م:

دخلت قتبان وقبائلها في تحالفات مع المملكة السبئية في حربها ضد أوسان، وكان من نتائج هذا التحالف أن أصبحت معظم أوسان تحت سيطرة قتبان تدريجياً، فمن وادي بيجان توسعت شرقاً وإلى البحر الأحمر غرباً، ومن مدينة ذمار شمالاً إلى البحر العربي جنوباً.

ثم خاضت قتبان معارك ضد مملكة حضرموت ويبدو أنها حققت بعض المنجزات لصالحها، لكن سبأ انقلبت عليها في القرن الخامس ق.م. وسيطر السبئيون على عاصمة قتبان (تمنع) ثم انسحبوا منها وسلمّوها لأشخاص تعاونوا معهم.

كانت هذه المرحلة هي مرحلة المكاربة في قتبان ويظهر أن أقدمهم كان (علي وتر) من القرن السادس قبل الميلاد.

أما في القرن الخامس ق.م. فيذكر المكرب (ورو إله) الذي كان خاضعاً أو حليفاً لملك سبأ (كرب إل وتر) في حدود 410 ق.م، وهناك (يدع أب ذبيان) صاحب أقدم نقش عثر عليه عند الباب الجنوبي لمدينة تمنع في أواخر القرن الخامس ق.م.



مملكة يثع أمار وتر حوالي 715 ق.م

(Karte: Institut für Geographie Jena / R. Mendler)

3. المملكة القتبانية (330 ـ 100) ق.م:

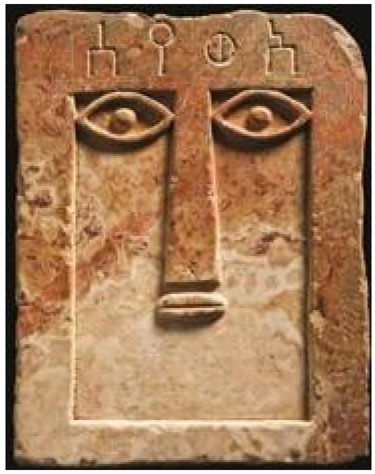
يختلف علماء الآثار على الملك الأول للمملكة القتبانية، فبعضهم يرى أنه (شهر يجال الول) فيما يرى غيرهم أنه (يدع إب ينوف يهنعم). وفي كل الأحوال تظهر قتبان مزدهرة في هذا العصر ومسيطرة على الشريط الساحلي الممتد من باب المندب حتى ما وراء عدن إلى الشرق.

ويبدو أن منصب المكاربة لم يتوقف في قتبان بل استمر مرافقاً لمنصب الملك، وهذا يعني انفصال السلطتين الدينية عن المدينة رسمياً مع بقاء تلازمهما معنوياً ووظيفياً. بحيث نجد أن المكرب (يدع أب ذبيان بن شهر) كان قد سنَّ القوانين والعقوبات بين القبائل القتيانية. وترد عنه نقوش أخرى تخص شق نقيل (مبلقة) وهو طريق جبلي صاعد يربط بين مناطق قتبان وسبأ لتسهيل سير القوافل التجارية المحملة بالبضائع.

أتقن القتبانيون العمران والبناء والحرف وسك العملات الفضية والذهبية التي حملت اسم القصر الملكي (حريب9 في تمنع، فضلاً عن نحت التماثيل بأنواعها المختلفة.

ويبدو أن الضعف دبَّ في المملكة حين ظهرت النزاعات القبلية فيها، حيث تذكر الآثار هجرة الريدانيين، في القرن الثاني قبل الميلاد، مناطقهم قرب العاصمة وذهابهم إلى (قاع رعين) جنوب ذمار.

فقدت الأجزاء الساحلية منذ نهاية القرن الثاني ق.م، لصالح حمير، وهكذا فقدت حركتها التجارية، ثم تعرضت العاصمة (تمنع) لحريق هائل في حدود 100 ق.م، وقد عثر على آثار هذا الحريق في حفريات البعثة الأميركية في هجر كحلان، ولم تنفع محاولات لبناء عاصمة جديدة لهم في (هجر بن حميد)، وحكمت حضرموت أجزاء من قتبان، ثم قامت سبأ باستعادة قتبان حوالي منتصف القرن الثاني للميلاد.



شاهد قبر يعود لقتبان منقوش عليه بخطّ المُسند اسم علم مذكر لصاحب القبر واسمه:(أويس)

المرجع: (عطبوش، عبد الله 2008: 408) و(الثور 1979: 183 ـ 184).

مع ملاحظة أن تواريخ حكمهم مبالغ بها كثيراً، وقد تكون أقل بكثير من هذه الأزمان، انظر (Kitchen 1994: 238 - 347).

تفاخر ملوك قتبان بحملهم أطول لقب ملكي حمله الملوك القتبانيون في تاريخهم يذكر المناطق التي وقعت تحت سيطرتهم، حيث حمل الحكام لقب: مكرب / قتبن / وكل / ولد / عم / وأوسن / وكحد / ودهسم / وتبنو / وكل / يرفأ / أشمس / وأيمنس / بكر / أنبي / وحوكم / ذأمر / وشمر / قظر / قين / رشو / عمم / سحر / وريعن / بعل / ظربت.

المناطق المذكورة في اللقب هي قتبان وكل أراضي ولد عم وأوسان وكحد ويافع وتبن وكل مناطق يرفأ أيسر وأيمن، أما الباقي ألقاب لوظائف دينية وإدارية.. عموماً.. بالنسبة للنقش يتحدث عن المناطق والمزارع والقرى والبيوت التي استعادها القيل يذمر ملك عندما تم تكليفه من قبل الملك يدع أب يجل بن ذمار علي ملك قتبان

لاستعادة المناطق التي وقعت سابقاً تحت حكم سبأ فاستعادها القتبانيون بعد الحروب التي خاضها يدع أب يجل ضد ملوك سبأ.

ربما يكون هذا اللقب أطول لقب ملكيّ في التاريخ!!.

خامساً: مملكة حضرموت

1. المرحلة المبكرة (1000 ـ 800) ق.م:

تقع حضرموت شرق اليمن على ساحل بحر العرب، تمتد حدودها من مشارف وادي بيجان (قتبان) غرباً إلى حدود عُمان شرقاً، ومن البحر العربي جنوباً حتى صحراء الربع الخالي شمالاً، امتدت حدودها البحرية حتى جزيرة (سقطرى) في المحيط الهندي وكانت كلّ من منطقة مهرة ومنطقة ظفار تدخل ضمن نطاق حدودها وربما أبعد من ظفار.

تسمى حضرموت مع بعض الممالك بممالك الوديان، بسبب وقوعها عند الوديان وخصوصاً في مفازة صيهد (رملة السبعتين)، فقد قامت عواصمها على أطراف الوديان، حيث عاصمة حضرموت (شبوة) تقع عند نهاية سلسلة أودية عرمة (العطن) ووادي المعشار.

2. مرحلة المكاربة (800 ـ 330) ق.م:

حكم الكهنة المكاربة حضرموت، وكانت أوسان قد استولت على بعض أراضي حضرموت، لكن حلف حضرموت مع سبأ أعاد لها هذه الأراضي. وكانت لها علاقة مميزة مع معين.

3. مملكة حضرموت (330 ـ 275) ق.م:

ربطت بدع إيل ملك حضرموت علاقة جيدة مع ملك سبأ (كرب إل وتر). وازدهرت حضرموت، ولكن مملكة قتبان خاضت حرباً مع المدن الحضرمية رغم أنهما تدعمان الملك السبئي كرب إل وتر في حربه ضد أوسان خلال القرن السابع ق.م.

وسيطرت حضرموت على تجارة اللبان، وهي المادة الأساسية في صناعة البخور والطب، وكانت زراعتها متطورة وكبيرة. وأصبحت علاقتها مع معين قوية.

وحين انهارت مملكة قتبان في القرن الثاني للميلاد ضمت حضرموت أراضيها لها. وفي أواخر القرن الثاني للميلاد، تحالف ملك حضرموت (يدع أب عيلان) مع الملك السبئي علهان نهيفان ومعهما ملك الحبشة ضد الريدانيين (الحميريين) ونجحوا في ذلك. لكن خلافاً حصل بين ملكي حضرموت (عزيلط) وسبأ (شاعر اوتر) جعل من الخير يهاجم حضرموت ويأسر ملكها ويستعيد أخته التي كانت زوجة لهذا الملك. ثم نشبت معركة بين ملك حضرموت (إل ريام يدم) وملك الريدانيين (كري إيل أيفع) انتصر فيها الريدانيون، وساءت الأمور في حضرموت حتى أسقطت قوات الملك الريداني (شمر يهرعش) مملكة حضرموت وضمت أراضيها لها.

سادساً: مملكة أوسان الأولى

1. المرحلة المبكرة (1000 ـ 800) ق.م:

هي مملكة (أوسن، أوس) تقع جنوب اليمن، وبدأت في وقت مبكر بين العصر الحديدي كقبائل تحكم نفسها عن طريق النظام القبلي المعروف في اليمن.

كان لموقعها الأثر الكبير في ازدهارها اقتصادياً بسبب قربها من ميناء عدن الذي كان ممراً دولياً للتجارة، حيث كانت أراضي أوسان في المنطقة الواقعة بين وادي بيجان وعدن، وكان مركزها في وادي مرخة.

2. مرحلة المكارب (800 ـ 330) ق.م:

يبدو أن أوسان عبدت الإله القمر تحت اسم (ود) وهو الاسم ذاته الذي عبدته به معين، ولا نعرف سبباً واضحاً لذلك رغم بعد المسافة بين المملكتين. وقد حكم أوسان رجال الدين من المكارب. وربما يكون قد نشأ اتحاد قبائلي بين قبائل أوس.

ازدهرت أوسان في هذه الفترة رغم مجاورتها لقتبان التي كانت تنمو بقوة أيضاً وتنافسها على التجارة بحكم موقعها. فتوسعت في أراضي قتبان وحضرموت.

في القرن السابع قبل الميلاد ظهر الملك السبئي (كرب إيل وتر) وقام بتوسيع نفوذ سبأ فاحتل أوسان ودمّر بعض مدنها، وأعاد الأراضي لقتبان وحضرموت، بعد أن قتل ملكها (مرتع).

المدن الهامة في أوسان هي عاصمتها الأولى (مسورة) والثانية (وسوروم) والثالثة (هجر يهر)، ومدينة مرخا وخلّة والسقية وأم ناب وميناء عدن الذي كان الميناء الرئيسي لها. وكانت هذه المدن عماد مملكة أوسان الأولى التي تبعت لسبأ وكان الملك يعتبر ابناً للإله، أي إن صفته الدينية ما زالت قائمة.

3. مملكة أوسان الثانية (100 ق.م ـ 600 م):

يبدو أن مملكة أوسان عادت كدولة تجارية شبه مستقلة رغم نفوذ حمير وسيطرتها عليها. وانتعشت عاصمتها (هجر يهر) متأثرة بالحضارة الهيلنستية التي كانت قد عمّت المنطقة، فبنيت القصور والمعابد والأسواق وأماكن الاستراحة التجارية وكان ملوك أوسان يلبسون ملابس يتضح عليها الأثر الهيلنستي.

امتد نفوذهم إلى أفريقيا التي كان يسمى ساحلها (عند القرن الأفريقي) بالساحل الأوساني. سلك الأوسانيون، خلال هذه المرحلة، سلوكاً يذكرنا بالفينيقيين حيث كوّنوا لهم ما يشبه الشبكة الدولية التجارية التي سيطرت على سواحل التجارة من غرب الهند إلى شرق أفريقيا.

كانت التجارة الخارجية لأوسان مميزة فقد وصلت إلى اليونان وجزرها، وشملت هذه التجارة البهارات والأعشاب وطين الصلصال للمنحوتات واللبان والعطور والبخور.

«ولقد ظلت أوسان باقية، بعد زوال حكومتها، فترة طويلة، إذ ورد ذكرها في أول الأمر في النقوش القتبانية التابعة لقتبان في أيام نهضتها. وفي القرن الثاني للميلاد قرب سقوط قتبان نفسها ذُكرت أوسان في نقش (جامو 62، 31) يعود إلى الحكم المشترك لسعد شمسم أسرع وابنه مرثدام يهحمد ملكي سبأ وذي ريدان، ابنّي الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان. وذلك أثناء المعارك التي دارت بين الملكين وكلّ من حضرموت وقتبان وذي معاهر، وقد تعرضت خلالها كل مدن أوسان وحصونها (كل هجر ومصنع معين أوسن) للدمار. ولعل اسم أوسان قد ظلّ معروفاً ومتداولاً في صورة من الصور حتى بعد مجيء الإسلام فهذا هو الهمذاني (ت 334 هـ) نفسه يروي بعض أخبار اليمن عن رجل اسمه محمد بن أحمد الأوساني. وهذا هو نشوان بن سعيد الحميري (+ 573 هـ) يقول: أم ابن ذو أوسان أو ماذن أم ابن ذو التيجان والأبراج» (بافقيه 1985: 24).

اعتمدت على الري السنوي بالغمر في فصلي الربيع والصيف، عندما غمرت السيول الخاطفة في الوديان الحقول مؤقتًا، تاركة الطمي الخفيف الذي تآكلته الرياح منذ ذلك الحين، كاشفة عن الأنماط القديمة للحقول والخنادق. تم التخلي عن الري الأساسي في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وتشتت السكان. هذه المرة لم يتم إعادة بناء الموقع. كانت هاجر يهر مركز مدينة كبيرة بشكل استثنائي في جنوب الجزيرة العربية، متأثرة بالثقافة الهلنستية، مع المعابد وهيكل القصر المحاط بمساكن من الطوب اللبن، مع موقع محتمل لـ «سوق» أو سوق وخانات تخدم قوافل الجمال. كان أحد ملوكها في هذه الفترة هو الحاكم اليمني الوحيد الذي نال الأوسمة الإلهية. يرتدي تمثاله الصغير الأزياء اليونانية، توجد نقوش أوسان باللغة القتبانية. يتناسب موقع هاجر يهر مع عواصم الممالك الصغيرة الأخرى، عند أفواه الأودية الكبيرة:

ماعين في وادي الجوف، مأرب في وادي ضانا، تمناع في وادي بيحان، هاجر يهير في وادي مرخا وشبوة في وادي إرم.

كان دمار مدينة هجر يهر في القرن الأول قبل الميلاد من قبل الملك السبئي سهلاً، وهرب أهل أوسان إلى عدن والحبشة طبقاً للنصوص السبئية التي تتحدث عن النصر.

سابعاً: مملكة سمعي

بعد أن عرضنا للممالك الكبيرة، ظهرت، في العصر السبئي، الممالك الصغيرة (سُمعي، مأذن، سهمان، مهنأف) والتي كانت تلوذ بالممالك الأكبر في تحالفات واتحادات، وسنبدأ بمملكة سمعي:

الاسم وأصله: أصل سمعي من اسم الإله (سمع) الذي هو إله القمر الذي كانت عبادته منتشرة في القرن السابع قبل الميلاد. وهناك من يرى أن سمع الشعب تعني القبيلة أو الحلف.

الموقع وأهم المدن: تقع أرض سمعي في منطقة تمتد من شرق وشمال وغرب مدينة صنعاء. وأهم مدنها اليوم هي (سنحان)، وتقع في مديرية سنحان وهي أكبر مديريات محافظة صنعاء، فهي جنوب العاصمة، وجنوبها مديرية بلاد الروس وشرقاً مديرية بني بهلول وغرباً مديرية بني مطر. وتشتمل مديرية سنحان على كثير من القرى منها حزيز، ودبر، ودار عمر، ودار سلم» وريمة حميد» وبيت الأحمر وبيت حاضر وسامك.

النقوش: النقش الذي ذكر أول ملك كان اسمه (يهعن ذبين بن سمع إل بن كرب إل) ويكتب أحياناً بصيغة (يهعن ذبين بن إسماعيل بن كربيل)، وقد ذُكر هذا الملك مع ملك سبأ (كرب إيل وتر) أي في القرن السابع قبل الميلاد.

التاريخ: ويرجح المؤرخون أن تأريخها يعود إلى حوالي القرنين التاسع والثامن ق.م. حكمها ملوك منذ القرن السابع قبل الميلاد تزامنوا مع الملك السبئي (كرب إيل وتر) مثل (يهعن ذبين). حيث ظهرت قبائلها ثم اتحدت هذه القبائل. تكونت مملكة سمعي من اتحاد قبلي ضم (ثلث ذي هجرم، ثلث حاشد، ثلث حملان) من بني تبع، وكان يحكمها أقيال. ويحد هذا الائتلاف القبلي شرقاً بلاد خولان وشمالاً الجوف وغرباً أرض بكيل القديمة. أقدم ملوكها هو أفق بن سمه يفع ويسمع إيل، ثم الملك وسمه كرب. وفي القرن السابع قبل الميلاد حكمها الملك يهعن ذبيان بن يسمع إيل بن سمه كرب.

تراوح وضعها بين كونها مملكة، في القرن السابع ق.م، ثم قيالة (مقولة) حكمها قيل كحاكم محلي لثلاثة شعوب (قبائل)، ثم قبيلة حكمها (كبير) خضعت لحكم ثلاث قبائل، وربما كوّنت معها اتحاداً قبلياً، وهي: ذي هجر ومن أقياله بنو سخيم ومن حواضرهم شبام الغراس، حاشد وأقياله بنو همدان ومن حواضرهم ناعط، حملان وأقياله بنو بتع ومن حواضرهم حاز.

كانت قبيلة همدان من قبائل (سمعي) وقد لعبت دوراً مهماً في عهد ملوك سبأ، وتحديداً في عهد آخر ملوك سبأ، ربما بسبب تولي الهمدانيين المسؤولية على القبائل البدوية شمال وشمال شرق اليمن، ثم التحالف معها وتكريس قوة همدان. ونتج عن ذلك حلف همداني الطابع هو حلف (بكيل وحاشد) (معنى بكيل: زعيم، ومعنى حاشد: تجمع) الذي ضم له هذه القبائل البدوية. كانت أسرة همدان أسرة (أقيال) يرأسون أسرة (بتع) الذين يرأسون أسرة (حاشد) وكانت هذه هي قيادة التحالف الأساسي، أما القبائل البدوية المتحالفة معهم فهي قبائل (أرحب، نهم، ويام وأدهم) ثم انضمت لهم متأخرة قبائل مثل خولان بفروعها والحداء وعنس المذحجيتين وسنحان.

وكانت مملكة سمعي من أهم وأوثق الممالك التي تحالفت مع سبأ وأخلصت لها. ثم تبعت للمملكة السبئية الأولى والثانية والثالثة، ثم لمملكة حمير الأولى ثم لمملكة

حمير الثانية (سبأ وذي ريدان وحضرموت والطود والتهائم وأعرابهم) ثم لمملكة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت والطود والتهائم وأعرابهم والسواحل).

القصر الخاص بملكها يسمى (يعد) ومجلس الحكم فيها يسمى (مسود شعب سمعي) والذي يضم زعماء المملكة ورؤساء العشائر والوجهاء فيها.



نقش ملك سمعي: يهعن ذبيان بن يسمع إيل بن سمه كرب

الآلهة والديانة في سمعي:

1. س م ع: إله القمر في القرن السابع ق.م

2. تألب ريام: إله القمر منذ عهد يهعن ذبين. عبدت سمعي، وكذلك همدان، الإله تألب ريام الذي ارتفع مقامه بعد توليهم حكم السبئيين على حساب إله الاتحاد السبئي (إلمقه).

3. عصام (ناعط أو أرحب) , ومدر/أرحب، وفي تلقم / ريدة، حاز / همدان، شبام الغراس، جبل ظنين، بيت الجالد، جبل عمد).

الوعل هو الرمز المقدس لإله القمر، وكانت طقوس الصيد الطقسي تتضمن ذبح الوعل لهذا الإله.

ثامناً: مملكة (أرض) العود

المكان والموقع: أرض جبل يسمى (جبل العود: ارتفاعه إلى 2,942 م) يقع شرق مدينة ظفار يريم حوالي 25 كم بمحافظة إب في رعين الحميرية وتضم مدينة (جيشان) (وهي غير مديرية جيشان بمحافظة أبين حالياً) تحدها بلاد رعين شمالاً وغرباً وبلاد الضالع جنوباً ودمت ومريس شرقاً. كان موقعها يفصل بين دهسم (يافع) في الجنوب ويريم وذمار في شمال الوسط وردمان القتبانية في هذه الفتره شرقاً والمعافر في الغرب.

التاريخ: جاء اسمها من (عودم) المذكور في النقش المسندي المرقم:

واسم عودم هو اسم إله أو جد أعلى لشعبها. يسمى شعبها بـ (ولد عم).
(RES3945/7) النقش في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد وبداية القرن السابع قبل الميلاد بدأ ظهورها وتشكل نظام سياسي فيها وربما كان مستقلاً تحت نفوذ أحد الأذواء، وقد تبعت لسبأ ثم استقلت لفتره ثم سيطرت عليها أوسان ثم عادت لسبأ بعهد كرب إيل وتر ثم سيطر عليها القتبانيون ثم الريدانيون ثم سبأ وذي ريدان ثم سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت ومن جاء بعدهم.

نشبت حروب المنافسة في بداية القرن السابع قبل الميلاد كسبها كرب إيل وتر ملك سبأ وظهر اسم الجبل في نصوصه وهو يشير إلى بناء فرع لمعبد إلمقه الرئيسي في صرواح.

الآثار: عثرت البعثة الألمانية على كتابات قتبانية وآثار لمعبد وأثاث وعدة تماثيل صغيرة خلال فترة تنقيبها القصيرة ومقبرة كبيرة وآثاراً للرماد والحرق وربما كان السبئيون قد قاموا بإحراق عاصمة القتبانيين تمنع ومعها العود.

من آثار أرض العود تماثيل مصرية الطابع، والتمثال البرونزي للإلهة الإغريقية أثينا بخوذتها المعروفة وسترتها المزينة بزخارف كلاسيكية، وهو تمثال مكرّس للإلهة اليمنية شمس، والتمثال يعرف شعبياً بتمثال الأميرة نادين ذ صدقن شمس، وربما حدث هذا الالتباس بسبب الكتابة المسندية على رقبة التمثال وقاعدته. (Sabina 2012: 367).

يتحدث نقش مهم في جبل العود عن المناطق والمزارع والقرى والبيوت التي استعادها القيل يذمر ملك عندما تم تكليفه من قبل الملك يدع أب يجل بن ذمار علي ملك قتبان لاستعادة المناطق التي وقعت سابقاً تحت حكم سبأ فاستعادها القتبانيون بعد الحروب التي خاضها يدع أب يجل ضد ملوك سبأ، ويذكر مسميات مناطق بعضها اندثرت وبعضها ما يزال يحمل نفس الاسم. وكان هذا 500ق.م ولكن سرعان ما عادت إب وما حولها لــ سبأ، ثم تفرد الريدانيون بحكم منطقتهم.

تاسعاً: قبيلة مهأنف Mahaneff tribe

المكان والموقع: قبيلة مهأنف إحدى قبائل منطقة جهران (التابعة لناحية معبر في محافظة ذمار)، وهي امتداد لمدينة ذمار، تقع في المرتفعات الغربية لهضبة اليمن الوعرة غرباً والحوض المنكسر شرقاً، وتمتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب بين جبالٍ يتراوح ارتفاعها ما بين 1500 متر إلى 3000 متر. أما النطاق الجغرافي لقبيلة مهأنف فقد كان متوسطاً بين مملكة سبأ في الشمال ومملكة قتبان، وحمير بعد قتبان في الجنوب.

التاريخ والآثار: بدأ الاستيطان في مكانها منذ العصر الحجري الحديث، وفي العصر البرونزي ظهر الاستيطان والنشاط الزراعي في منطقة جهران، وذلك من خلال مستوطنة حمة القاع كنموذج، من حيث المباني والقطع الأثرية مثل القطع الحجرية والأوبسيديان والقطع الفخارية وأيضاً المدرجات الزراعية.

سكنت قبيلة مهأنف في منطقة جهران من زمن مبكر، أي منذ العصر السبئي المبكر، وكانت خاضعة للمملكة السبئية لحقبة زمنية طويلة حوالي من القرن السادس (ق.م) حتى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، أي ما يقارب سبعمائة سنة تقريباً.

ذكرت قبيلة مهأنف في النقوش السبئية أولاً ثم النقوش الحميرية بلفظتين (مهأنف، مأنف)، أول ذكر لقبيلة مهأنف كان في عصر ملوك سبأ وذي ريدان بمأرب، يرجع إلى عهد الملك عمدان يهقبض ملك سبأ وذي ريدان، الذي يرجع حكمه إلى حوالي النصف الثاني من القرن الأول الميلادي في الفترة ما بين (75 ـ 100م).. كما ذكرت قبيلة مهأنف في نقش ريم / يجعر/ عنن/ شمير / يثبر/ الذين ينتمون إلى (مأذن).

وفي النقوش الحميرية، بشكل خاص، اقترن فيها ذكر قبيلة مهأنف بقبيلة بكيل ـ ألهان وقبيلة ظهر، ولم نعثر على نقش يذكر قبيلة بكيل أو ظهر كقبيلة منفردة وإنما مرتبطة بقبيلة مهأنف في حالة اتحاد.

ومهأنف هي القبيلة والأرض التي كانت تسكنها، فقد كانت تحتل الجزء الأوسط وهو قاع جهران شاملاً الجهة الشرقية من الحداء (منطقة العابسية حالياً) والجهة الغربية من قاع جهران في منطقة ضوران أي (قاع بكيل وقاع الحقل).

كان انتهاج عشائر قبيلة مهأنف لسياسة التحالفات مع قبيلتي بكيل وظهر بقيادة بني مذرحم أقيال قبيلة مهأنف وميلهم إلى الريدانيين، أدى إلى رفع مكانة بني ذي ريدان (الحميريين) وتدعيم قوتهم ضد سبأ، وكان من نتائج ذلك التحالف الثلاثي بين سبأ والأحباش وحضرموت الذي كونته سبأ ضد حمير لمواجهة الزحف والضغط الحميري عليها.

ارتبط ذكرها مع بعض القبائل المجاورة لها جغرافياً مثل: بكيل، ألهان، ظهر، حيث كان ذلك بمثابة اتحاد بينهما بقيادة بني مذرحم أقبال قبيلة مهأنف، وكانت.كانت عشيرة بني مذرحم تتوإلى مهام الكهانة والقيالة في قبيلة مهأنف حيث كانت المهام المناطة

بالكاهن تنقسم إلى قسمين: دينية، وإدارية، تتمثل المهام الدينية في العمل كوسطاء بين الإله والعباد، والقيام بالطقوس الدينية المختلفة وإدارة شؤون المعبد، وتتمثل المهام الإدارية في إدارة القيل لمناطق قبيلة مهأنف لأنه كان يعتبر نائباً للحاكم أو الملك فيها.

الآلهة والديانة: كان يعد عثتر ذو جوفتم المعبود الرئيس والخاص بقبيلة مهأنف، الذي ارتبط ذكره بأقدم ذكر لها في النقوش اليمنية القديمة وكان يسيطر على الحياة الدينية فيها منذ حوالي القرن السادس (ق.م)، وحتى حوالي نهاية القرن الثالث الميلادي، وكان المعبد الخاص به معبد علم الذي كان يكرس فيه العبادات المختلفة. وخلال النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي تقريباً وتحديداً في عهد ملكي كرب يهأمن وابنيه أبي كرب أسعد وأخيه ذرأ أمر أيمن حدثت تحولات في المعتقدات الدينية، وظهرت أول إشارة واضحة وصريحة للتحول الديني من العبادة الفلكية، إلى عبادة رب السماء. (انظر البحري 2009).

عاشراً: نجران في عصر السبئيين Najrān

1. المرحلة المستقلة: كانت نجران مملكة مستقلة منافسة لسبأ سياسياً وتجارياً فقد كانت نقطة محورية في طريق البخور. حيث جميع الطرق من اليمن القديم التي تتجه شمالاً أو غرباً أن تلتقي في نجران، وفيها تشعبت الطرق إلى اتجاهين عامين، الطريق المؤدي شمالاً عبر الحجاز باتجاه مصر والشام وتلك التي تؤدي إلى الشمال الشرقي باتجاه جرها بالقرب من الخليج العربي.

ربما كانت نجران في الأصل اسمًا للواحة بأكملها بما في ذلك جميع المدن والقرى. الاسم القديم للآثار المعروفة الآن باسم «الأخدود»، والتي ربما كانت المدينة المركزية، ربما كان تسمى (رجمات).

2. المرحلة السبئية: تم غزو نجران حوالي عام 685 قبل الميلاد من قبل الملك السبئي المكرب (الملك) كارب إل وتر الأول. ثم قام الملك السبئي اللاحق يثعامر باين الرابع رجامت حوالي 510 قبل الميلاد. يبدو أن نجران كانت تحت حكم المعينيين أو السبئيين في أوقات مختلفة خلال القرون التالية.

3. المرحلة الرومانية: قاد الحاكم الروماني لمصر إيليوس غالوس حملة مكلفة وشاقة وفشلت في نهاية المطاف لغزو اليمن وربح معركة بالقرب من نجران عام 25 قبل الميلاد. احتل المدينة واستخدمها كقاعدة لمهاجمة عاصمة السبئيين في مأرب. وفقًا لسترابو، الذي أطلق عليها اسم (نجرانا).

4. المرحلة الحميرية: عندما غزا الحميريون عام 280 بعد الميلاد المنطقة الشمالية ويبدو أنهم سيطروا أيضًا على نجران. وفي وقت ما خلال القرن الثالث، وقف أهل نجران إلى جانب الأحباش الذين أرسلوا واليًا اسمه صقلمقلم، في النقوش، وسحق الملك الحميري إشراح يهدب هذا التمرد.

هاجم الملك اللخمي العربي الشمالي امرأ القيس نجران عام 328.

مر طريق تجارة اللبان من اليمن عبر نجران ثم إلى فلسطين وسوريا والخليج العربي وبلاد الرافدين وتمكنت المدن على طول طرق القوافل الرئيسية من فرض ضرائب على التجار، وبهذه الطريقة أصبحوا أغنياء. وأصبحت مدينة الأخدود واحدة من أهم المدن التجارية في جنوب الجزيرة العربية، وقد تجلت ثروتها من خلال البناء عالي الجودة للمباني الرئيسية. لا تزال هناك مساحات كبيرة من الأحجار الملبسة، وأنبوب التصريف البرونزي المزخرف. تراجعت أهمية الأخدود عندما اكتشف التجار كيفية الإبحار إلى الهند في الرياح الموسمية.

5. المرحلة اليهودية: حين دخلتها اليهودية بشكلٍ محدود قبل المسيحية.

6. المرحلة المسيحية: قام الإثيوبيون (الأحباش) بغزو ذو نواس وخلعه. وعلى مدى العقود القليلة التالية، كانت المنطقة تحت الحكم الحبشي. وتحت تأثير أكسوم، ازدهر المسيحيون في نجران وبدؤوا تحالفًا مع أكسوم مرة أخرى في بداية القرن السادس.

7. قبلت مدينة الأخدود الإسلام بسهولة في 10 هـ (631 م) وظلت إسلامية بقوة منذ ذلك الحين. تقع بقايا الأخدود جنوب غرب نجران. وكانت جزءًا من اليمن حتى عام 1937.



رمز الهلال والزهرة في الأخدود

https://www.flickr.com/photos/mytripsmypics/7716098310/in/photostream/

Eric Lafforgue

القسم الرابع: تأريخ اليمن القديم خلال ظهور المملكة الحميرية حتى نهايتها

المبحث الأول: المرحلة الحميرية (١١٠ق.م ـ ٥٢٧م)

إذا كانت مملكة سبأ قد شغلت الألف الأول قبل الميلاد منذ قيامها كمملكة مدّت نفوذها في القرن السابع ق.م، إلى أغلب أرض اليمن، فإن مملكة حمير شغلت القرون الميلادية الستة الأولى في بلاد اليمن.

ولعل التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي رافقت اكتشاف حركة الرياح الموسمية والتي أدت إلى تحولات في استخدام الطرق التجارية البرية لحساب الطرق البحرية قد ساعدت في ظهور الدولة الحميرية (سبأ وذي ريدان) في الهضبة اليمنية.

اختلفت الآراء في جغرافيا وتأريخ حمير وقد عرضناها في أكثر من فصل، فقد كانت تسمى بعدة أسماء منها (أرض حميرم، أرض حميرم وردمن، أرض حميرم ورجبتن الرحبة، أرض قتبان وحميرم ودمن...إلخ). ينقسم تاريخ حمير إلى الأقسام الآتية:

أولاً: المرحلة المبكرة (1000 ـ 800) ق.م

يقع الوطن الحميري القديم بين سرو حمير مذجح شرقاً وغرب هضبة اليمن على تهامة، ظهروا في وقت مبكر في تجمعات قبلية ولم يشكلوا كياناً سياسياً معروفاً خلال هذه الفترة. وكانت مناطق يافع وميفعة ورشا هي المناطق الأكثر سكناً لهم.

كانت كلمة حمير تشير إلى اللون الأحمر الذي يرتديه ملكها، وتعني هذه الكلمة في الكتابات المسندية (التحالف القبلي) هذا ينطبق على القبائل الكثيرة التي سكنت أرض حمير والتي تحالفت لتكوين مملكة قوية فيها.

ثانياً: مرحلة احتلال أرض حمير (800 ـ 115) ق.م

كان لسيادة سبأ على أغلب أرض اليمن القديم أثره الواضح في تحجيم ظهور أي كيان سياسي في أرض حمير، وقبيل سيادة سبأ ظهرت سيادة أوسان، وبعدها ظهرت سيادة قتبان على أرض حمير، وهكذا نجد أرض حمير في تبعية متواصلة من أوسان إلى سبأ إلى قتبان.

1. هيمنة أوسان (800 ـ 700) ق.م:

ازدهرت مملكة أوسان منذ القرن السابع قبل الميلاد وأقامت وطنها في وادي مرخة (جنوب شرق وادي بيجاب)، وقد كان لها هيمنة ونفوذ على أرض حمير (دحس، تبتو وتفص، العود) وكانت لها هيمنة على (المعافر، دفيفة، أودية بشبم، جردان، إقليم الدسر، حتان، منيفعة). كانت أوسان مملكة نشطة زراعياً وتجارياً نافست بقوة سبأ، بشكل خاص، وحين جاء ملكها (مرقم) قرر السيطرة على سبأ وكل من تحالف معها (حضرموت وقتبان)، لكن سوء حظه أنه ظهر مع ظهور أقوى ملوك سبأ وهو (كرب إل وتر) الذي استعد لهزيمة أوسان الذي شكل تحالفاً من حضرموت وقتبان وولد عودم وقام بشن ثمان حملات عسكرية على أوسان فأحرق مدنها ودمرها واستولى على كنوزها. وفي حملته الثالثة هاجم موطن الحميريين (دهس وتبنو) ثم (تفيض) وضمها له ثم عاد إلى عاصمة أوسان واقتحمها وانتصر على (مرتم) ملكها. ثم وسّع نفوذ سبأ واتجه نحو الجنوب وبلغ البحر الأحمر وخليج عدن.

2. هيمنة سبأ (700 ـ 300) ق.م:

هيمن (كرب إل وتر) على كل مدن حمير، وأكرمَ أهل العود الذين وقفوا معه ضد أوسان وأعطاهم كل مزارعهم وأرضهم وأصبحت منطقة العود التي تمتد باتجاه أرض رعبن الحميرية في الهضبة تابعة لدهسم.

هكذا أصبحت أرض حمير تابعة لحكم سبأ، وجاء ملوكها لأربعة قرون وكانت تابعة لسبأ لكن مركزية سبأ كانت أضعف مما كانت عليه، فنشطت قتبان على حساب سبأ

وبدأت تستولي على أرض حمير، وكان هناك ا ختلاط اجتماعي وثقافي بين يافع والعود ورعين، وكل هذه المناطق تبلورت في شخصية شكّلت بذرة حمير القادمة رغم هيمنة القتبانيين عليها.

3. هيمنة قتبان على حمير (300 ـ 115) ق.م:

نشبت الحرب بين قتبان وسبأ في عهد الملك (يتع أمر بين) وبعد أن استولت قتبان على مدن سبئية عُقد صلح بينهما، لكن الحروب لم تتوقف طيلة القرن الثالث قبل الميلاد. ومع ظهور الملك الأول لقتبان (يدع أب ذيبان بن شهر) أصبحت أغلب مناطق أوسان وحمير القديمة ضمن ما استولت قتبان.

كان الريدانيون ينتمون إلى أصول قتبانية، حيث ينسبون إلى جبل ريدان بالقرب من مدينة تمنع عاصمة قتبان، ويبدو أنهم نزحوا إلى منطقة رعين في قاع الحقل إلى الجنوب الغربي من مدينة يريم في فترة ما من القرن الثاني قبل الميلاد، وفي موقعهم الجديد شيدوا (قصر ريدان) على جبل مرتفع ليكون مقراً لهم، وحول القصر قامت حاضرتهم ظفار بالقرب من قرية منكث. وهنا صاروا يتلقبون بلقب (ذو)، وهي مرتبة أعلى من القيالة وأقل من الملك، وشملت أذوائيتهم كافة القبائل الحميرية، والتي صارت تدور في فلكهم وبدعم من قبائل حمير ناصب الريدانيون حكام سبأ العداء الذي تطور إلى حروب متتالية كان ملوك سبأ يوجهونها نحو المناطق الحميرية لإخضاعها لسلطتهم، وعلى الرغم من الدمار والتخريب الذي كان يلحق بالمدن والمناطق الحميرية، إلا أنهم كانوا يعيدون بناء الأسوار والحصون من جديد بعد كل هجوم سبئي.

من جهة أخرى قامت بعض مناطق حمير بالانفصال عن قتبان، بسبب استمرار الحرب بين سبأ وقتبان، فتمردت قبيلة (ذبحان) وانفصلت مدن دهس وتبنى ونفيض الحميرية عن قتبان وحاربوا مملكة رعبن المناصرة لسبأ ولم تبق سوى (دثنية) في يد قتبان وتضعضع وضعها. وهكذا أسس الحميريون كياناً لهم يسمى بـ(الأذوائية)، وهو

ما فعله الريدانيون قبلهم، واقتطعوا بعض أراضي قتبان حتى سيطروا، في القرن الأول قبل الميلاد، على شريط الساحل الجنوبي وأمسكوا بتجارته البحرية.

ثالثاً: المملكة الحميرية الأولى (ملوك سبأ وذي ريدان)

1. مرحلة النزاع السبئي الحميري (115ق.م ـ 100م)

حكم في هذه المرحلة (23) ملكاً أولهم شاعر أوتر (شعرم أوتر) وآخرهم ياسر بهنعم الثاني الذي اكتسب شهرته من غزوته لحضرموت وحصوله على الكثير من الغنائم والأسرى.

كانت كلمة حمير تشير إلى اللون الأحمر الذي يرتديه ملكها، وتعني هذه الكلمة في الكتابات المسندية (التحالف القبلي) هذا ينطبق على القبائل الكثيرة التي سكنت أرض حمير والتي تحالفت لتكوين مملكة قوية فيها.

كانت هذه المرحلة بمثابة مرحلة التنازع بين كياني سبأ الهرم القديم وحمير الفتي الجديد، وكان هؤلاء الملوك الثلاثة والعشرين يجمعون سبأ وذي ريدان ككيانين غير مندمجين، ولم تتم وحدتهما في ما عُرف بالمملكة الحميرية إلاّ في نهاية حكم ملكها الأخير (ياسر بهنعم الثاني) ثم ولده الذي يمكن اعتباره أول ملك حميري يجمع شمل المملكتين (سبأ وحمير) في مملكة واحدة وهو شمر يهرعش الثاني.

أ. أزمة سبأ: بدأت أزمة سبأ واضحة في نهاية القرن الأول قبل الميلاد، فقد عصفت المشاكل الداخلية والخارجية بها وضعفت الأسرة الشرعية فيها. وبدأت الأخطار تتجه صوبها من حضرموت وحمير والأحباش.

قام الأقيال للوصول إلى عرشها وسيطرت بعض القبائل على قصر سلحبن الذي كان يرمز للدولة في سبأ. وحاول الملوك السبئيون استعادته ونجحوا، لكن الأمور كانت تتدهور في غير صالحهم.

سقطت الأسرة الحاكمة ووصل الأقيال إلى العرش، وهاجم الحميريون مأرب. قامت قبائل سمعي للدفاع عن سبأ بوجه الحميريين، واستطاع بنو همدان (وهم من أقيال حاشد) الدفاع عن سبأ وتأجيل سقوطها لنصف قرن قادم.

في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي البداية الفعلية للمنافسة الريدانية للأسرة الملكية السبئية الأصلية في مأرب، حيث ادعى الملك الريداني (ياسر يهصدق) في نقوش عهده أنه ملك سبأ وذي ريدان، ويبدو أن وصول نفوذه إلى مدينة (ضاف) في الطرف الشمالي لقاع جهران أسفل (نقيل يسلح) كان سبباً في اتخاذه للقب الجديد (ملك سبأ وذي ريدان). وتذكر النقوش التي سجلت في عهده، قيام بعض أتباعه بإنشاء عدة حصون في مناطق حميرية مختلفة منها على سبيل المثال تحصين مدينة بينون.



تمثال الملك ذمار علي يهبر الثاني، اكتشف في محافظة ذمار

2.المملكة الحميرية (100 ـ 300 م)

خلال احتلالها لممالك قتبان وحضرموت وسبأ

في هذه المرحلة بدأت حمير من جديد تستعيد قوتها حتى غزت كامل سبأ في 175م ثم عادت لمكانها، وبدأت مرحلة تعايش بين المملكتين حتى عام 275 م، رغم وجود العداوة بينهما، واتخذا لقب الملوك ذاته.

في هذه الفترة كانت سبأ تمر بمرحلة ملوك سبأ وذي ريدان، وكان بعضهم أقوياء، وكان من الطبيعي تلاحم الريدانيين والحميريين في كيان واحد، فاعتمد ملوك حمير اللقب نفسه ابتداءً من عهد الملك ياسر يهصدق.

بدأت حمير بالتخطيط لاحتلال اليمن كلها وأدركت أنها يجب أن تؤجل معركتها الفاصلة مع سبأ، وأن تنتبه لاحتلال مملكة قتبان فاحتلتها عام 175م، ثم احتلوا مملكة حضرموت حوالي عام 290م. ثم جاء دور سبأ فاحتلوها عام 275م، وفي 300 م، أصبحت اليمن كلها دولتهم، ولذلك وسّع الملوك الحميريون لقبهم إلى (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) وهي المملكة الحميرية الثانية.

رابعاً: المملكة الحميرية الثانية (300 ـ 375 م)

ملوك «سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت»

مع ظهور الملك الحميري شمر يهرعش الثاني تكون الدولة الحميرية قد حققت طموحها في توحيد اليمن ومدّ نفوذها خارج اليمن، فقد استطاع هذا الملك أن يسيطر على قبائل في الأحساء وساحل الخليج وقبائل مجاورة أخرى. الكتابات المسندية الأولى خلال حكمه لقبّته بـ «بملك سبأ وذي ريدان»، وفي الكتابات المتأخرة لقبته «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت» ومن يمنت هذه ظهر لفظ اليمن.

وهناك ما يشبه الأساطير التاريخية حول توسع حكمه باتجاه فارس والتبت والشام وغيرها، ولم تؤيدها الآثار، وبقي في ظفار ملكاً لليمن لكنه لم يجعل مأرب عاصمة له

لأنه لم يستطع ذلك، وسيصبح سلفه أسعد الكامل ملك اليمن من مأرب بعد قرن.

خامساً: المملكة الحميرية الرابعة (375 ـ 525 م)

(المملكة التوحيدية الأديان)

اليهودية في اليمن القديم:

الراجح أن اليهود بعد الهجوم الروماني على أورشليم في فلسطين عام 70 م، في عصر الإمبراطور تيتوس انتشروا في أرجاء العالم هرباً من بطش الرومان وقمعهم لثورتهم ضدها هناك. فقد تشتت اليهود في المنطقة ومنها جزيرة العرب واليمن بسبب حرية الحياة في هذه المناطق وبُعدها عن نفوذ الرومان في المنطقة.

اختار بعض اليهود اليمن بسبب موقعها وبيئتها وموانئها التي تتصل ببلدان وشعوب كثيرة وتتيح لهم العمل التجاري والمالي الذي أتقنوه. ويرى البعض أن الزمن الذي انتشر اليهود فيه داخل اليمن يعود لزمن الملك الحميري (ياسر أنعم الثالث) في حدود 275م.

أما الآثار اليمنية فإنها تخبرنا بأن «أقدم نقش يحمل سمات الديانة اليهودية هو نقش جربيني بيت الأشول الذي يعود لأواخر القرن الرابع الميلادي وأوائل القرن الخامس الميلادي أي لعهد الملك الحميري (ذرأ أمر أبين) أخو (أبو كرب أسعد) الملك الحميري الشهير ومما يدل على أن اليهودية كانت موجودة آنذاك، وإنما لم تكن منتشرة بصورة واسعة» (جابر وحسين 2015: 156 ـ 157).

ومن المعروف أن الملك (أبا كرب أسعد) حكم بين (390 ـ 420)م. والحقيقة أن والد هذا الملك وهو (ثاران يوهنعم) الذي حكم بين (324 ـ 375)م، هو الذي قام بمحاولة إصلاح ديني عن طريق إلغاء العبادات المحلية المتناثرة وغير الموحدة في مملكة حمير والتي كانت متعددة الآلهة حيث تميز عهده بالاستقرار السياسي

والتنمية الاقتصادية. وجعل أهم سمة مميزة لهذه العملية هي النقوش الحجرية العديدة التي توثق أسماء الملوك ومآثرهم. مثل كتابة النذور للملك يكرب يوهأمن وابنه، أبو كرب وذرع أمر) في عام 324م وعدم ذكر أسماء المعبودات، ولكن اسم (الواحد الرحيم، رب السماء) أو (رب السماوات والأرض) (طوبي 2019: 47).

ورغم أننا لا يمكن أن نجزم بأن هذا الإله الذي أشار له النقش هو الإله اليهودي (يهوا) أو أن الملك (يوهأمن) هو على الديانة اليهودية، لكنها إشارة مهمة تكتمل عندما نعلم أن الملك يكرب يوهأمن قد بنى بيتاً للصلاة يسمى (مكراب) أطلق عليه اسم يهودي ـ آرامي هو (بريك) أي (المبارك).

لا بدّ من التأكيد على أن ملوك اليمن في هذه المرحلة ومنذ (ثاران يوهنعم) في حدود 324 ـ 375)م، ولنقل منذ 350م، بدأت بالاتجاه في الإصلاح الديني الذي يقضي بوجود إله واحد لكل حمير. ونرى أنها تدرجت فيه كما يلي:

1. عبادة (ذي سماوي) إله السماء اليمني وحّده الملك الحميري يكرب يهأيمن. لكن بدايته الأولى تعود لحدود 350 ق.م، حين جعل كرب إيل وتر الخامس السبئي جعل (ذو سماوي) إلهاً واحداً فسادت الاضطرابات بسبب ذلك، وكانت بداية ضعف الدولة السبئية.

2. عبادة (إلمقه) كإله وحيد لليمن الحميرية.

3. عبادة (الرحمن) كإله واحد.

4. التوحيد اليهودي.

5. التوحيد المسيحي.

كل هذه المحاولات جرت واصطدمت فيما بينها، وتعايشت في بعض الأحيان، ووقفت ضد ومع الديانة متعددة الآلهة (القديمة) في اليمن والتي اعتدنا على تسميتها بالوثنية. ويبدو أن كل أشكال وديانات التوحيد هذه فشلت وجلبت الاحتلال والتناحر لحمير واليمن ثم قضت عليها نهائياً قبيل ظهور الإسلام.

يمكننا، إذن، أن نعتبر أن الديانة اليهودية أصبحت الديانة الرسمية للمملكة الحميرية ولكن هذا لا يعني استمرارها كديانة رسمية فقد أصابها نوع من التراجع والانقطاع حتى عصر الملك (يوسف أسار يثأر) الملقب بـ(يوسف ذي نواس، الأجعد) الذي أعلن بشكل قاطع الديانة اليهودية ديانة رسمية وإلغاء الديانة المسيحية التي كانت قد انتشرت وكان هو عليها، هي الأخرى، في اليمن وفي العاصمة ظفار حتى عمل ذي نواس على إزالة المسيحية من اليمن أي كانت الفترة من عهد الملك يكرب بين 384 ـ 523م، هي فترة صراع اليهودية في حمير مع الديانات متعددة الآلهة والمسيحية في اليمن وسندرسها في الفصل الخاص بالمظهر الديني. ويبدو أن نجران كانت من المدن المهمة التي انتشرت فيها اليهودية وأن ما تبقى من يهود فلسطين كانوا على تواصل مع يهود اليمن.

كان يوسف أسار يثأر مسيحياً «أي إنه اعتلى العرش وهو يدين بالنصرانية، ولعله بعد أن اعتنق الديانة اليهودية أطلق على نفسه اسم (يوسف)، أما سبب تخليه عن اللقب الطويل، واكتفائه بلقب (ملك كل الشعوب) فيعود –في اعتقادنا ـ لما يحتويه اللقب الأخير من شمولية تؤكد سعة النفوذ السياسي الذي حظي به. فكان يضم تحت سلطاته كل المنطقة من جنوبها إلى شمالها. حتى قلب شبه الجزيرة العربية، بكل بدوها وحضرها. ويذكرنا هذا اللقب، باللقب الذي تحلى به الملك (امرؤ القيس بن عمر اللخمي) المتوفى عام (328م) فقد لقب بـ(ملك كل العرب) بعد أن شملت سلطاته كل قبائل (معد) و(نزار) و(الأزد)، في شمال ووسط شبه الجزيرة العربية، فالتسمية واحدة، اللهم الاختلاف في كلمة (عرب) عند «امرئ القيس» وكلمة «شعوب» عند (يوسف أسار»، وهذا أمر طبيعي، فالأعراب في النقوش تعني: القبائل

البدوية. أما (الشعوب) فتعني: القبائل المستقرة والمتحضرة.» (الجرو 2002: 230 ـ 259).

كان (يوسف أسار يثأر الذي عُرف عند الإخباريين بـ ذي نؤاس) آخر ملوك حمير، فهو، من الناحية العملية، آخر ملكٍ محلي يمني لكنه هجر لقب الملوك اليمنيين الأخير كملوك لسبأ وذي ريدان ويمنت وتلقب ملوكهم في اليمن بلقب جديد هو (ملك كلّ الشعوب)، فقد جاء بعده في الحكم الأحباش عام 525 وبدأ عهد جديد.

لقد هُزمت القوات اليمنية بزعامة ملكها (يوسف) لأسباب نوجزها في ما هو آت:

«1. عدم تكافؤ القوتين الحبشية ـ البيزنطية واليمنية. وقد مر بنا، كيف أعدت بيزنطة والحبشة لهذا الهجوم عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً، وحشدت ما يزيد على ستين سفينة وما يزيد على (15000) مقاتل.

2. خذلان ملك الحيرة والفرس للملك (الحميري) عندما طلب نجدتهم، فلم ينجدوه بعد أن عقدوا صلحاً مع بيزنطة وعاد رسول (يوسف) من الحيرة خالياً.

3. اتسمت الأوضاع الداخلية لليمن بالتردي، وما وصل إليه جسم الدولة المركزية اليمنية من تمزق، فلم يتمكن (يوسف) من جمع كلمة (حمير) وفضّلوا القتال بشكل انفرادي كل من مقولته.» (الجرو 2002: 270).

وهكذا أدت حماقة (ذو نواس) إلى كل هذه الاضطرابات والتي ختمت بالاحتلال الحبشي.

المسيحية في اليمن القديم:

انتشرت المسيحية أيضاً، في اليمن، عن طريق جزيرة العرب من خلال التجارة، وعن طريق بلاد الشام، وعن طريق بلاد الرافدين، وعن طريق الحبشة بشكل خاص لقربها

من اليمن. أما انتشار المسيحية في اليمن فقد كانت العاصمة الحميرية ظفار مهداً له ّفي عهد (ثاران يوهنعم) أيضاً على أثر زيارة قامت بها بعثة تبشيرية مسيحية بقيادة الأسقف ثيوفينوس، والمكلفة من الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثاني. وبذلك أدت العاصمة الحميرية ريدان (ظفار) دوراً كبيراً نشر المسيحية، وسمحت ببقاء كنائس وأديرة للمسيحيين لإقامة شعائرهم، في كل من نجران وظفار (ريدان) وعدن، وكانت أكبرها في نجران التي أطلق عليها أتباعها كعبة نجران» (جابر وحسين 2015: 158).

«وأبرز البؤر المسيحية التي ظلت تناصب الملك الجديد عداءها وهي أولاً: نجران: المركز التجاري والديني، وملتقى الطرق التجارية التي تنطلق من (نجران) إلى الخليج العربي عبر وادي (الدواسر) و(اليمامة) و(البحرين، وعبر (نجران) تأتي الطريق القادمة من صنعاء، و(مأرب) و(الجوف) والمتجهة إلى الشام، وفي (نجران) توجد جاليات مسيحية متمركزة حول بيت العبادة الذي سمي بكعبة (نجران). ثانياً: ظفار: العاصمة الحميرية والتي سبق وأن احتلها الأحباش وطردهم الملك الحميري (ملكي كرب يهأمن)، إلاّ أنهم عادوا في وقت متأخر في عهد (معدي كرب) بحجة التبشير بالنصرانية وحماية كنائسها. ثالثاً: المناطق الساحلية الغربية (المناطق التهامية) وتقطنها أهم القبائل الموالية للأحباش وهم: (الأشاعر) و(الركب) و(عك) و(فرسان) والواقعة أراضيهم على امتداد الساحل المقابل للحبشة، وقد تمكن الأحباش منذ القرن الأول الميلادي، من إيجاد موطئ قدم لهم في ذلك الإقليم الساحلي، وظلت تلك القبائل وفية لهم بحكم مصالحها الاقتصادية، وبحكم الجوار الجغرافي، خاصة وأن الأحباش امتزجوا بسكان ذلك الإقليم لقرون لا يستهان بها، كما أسسوا لهم مستوطنات وبنوا فيها الكنائس، ومن هنا كانوا ينطلقون إلى المناطق الداخلية كلما سنحت لهم الفرصة بذلك.» (الجرو 2002: 260).

المسيحية التي قدمت من الحبشة (مملكة أكسوم) كانت هي الأخطر بعد اليهودية، فقد حمل نجاشي اليمن (عيزانا) لقب (ملك أكسوم وحمير وريدان وسبأ وسلعين)

أملاً منه في احتلال اليمن، وقد أصبح مسيحياً وفرض المسيحية على شعبه ثم أراد عرضها على اليمن، وربما تكون قد خضعت اليمن له فترة، لكن المسيحية كانت موجودة في ظفار ونجران، وانتشرت في عصر النجاشي (عذبة) بصورة أكبر.

وحين حلّ الاحتلال الحبشي الأول لليمن، في هذه الفترة، في 340م، قاومه الحميريون وتحرروا منه عام 375م، وأدركوا خطر الإصلاح الديني وعادوا لتوحيد آلهتهم بدلاً من الديانتين اليهودية والمسيحية.

المبحث الثاني: المرحلة المتأخرة (٥٢٧ ـ ٦٢٨ م) الهيمنة الحبشية والفارسية

أولاً: الغزو الحبشي لليمن (533 ـ 575) م:

كان يوسف ملك اليمن الحميري اليهودي الديانة (517 ـ 527)م، متطرفاً في عقيدته الدينية وكان معادياً للنشاط التبشيري المسيحي في اليمن فقام بقتل نصارى نجران في الحادثة المشهورة بـ(الأخدود).

وحين بلغ الأمر إلى الإمبراطور البيزنطي الذي كان يرعى شؤون المسيحيين في اليمن من خلال نجاشي الحبشة، أمر الإمبراطور النجاشي بغزو اليمن تحت حجة حماية المسيحيين من جهة وتعزيزاً لنفوذ البيزنطيين (الروم) لوجودهم التجاري في البحر الأحمر والقرن الأفريقي وباب المندب. فقام النجاشي بتجهيز جيش كبير بقيادة (أرباط) وغزا اليمن عام 533م، ودخل اليمن وقضى على ملكها (يوسف، ذو نواس) وتولى حكمها بنفسه. وكان أرباط مستهتراً وقاسياً فثار عليه أتباعه بسبب عدم عدالته في توزيع الغنائم. وقام الملك الحبشي (كالب) بتعيين (سميفع أشوع).

تولى (أبرهة الأشرم) حكم اليمن بعده عام 535م، وخرج عن دولة أكسوم وأعلن عن نفسه ملكاً على اليمن منفرداً بالحكم ولقب نفسه ملك (سبأ وريدان وحضرموت وعرب النجاد وعرب تهامة). وعمل على نشر الديانة المسيحية في جزيرة العرب وبنى في اليمن، من أجل ذلك، معبداً مكعباً في صنعاء سمي (كعبة القليس)، وتروي الروايات التاريخية أنه عمل ذلك ليحج إليها العرب بدلاً من مكة، وقد أثار هذا استياء العرب ورموا القليس بالقاذورات وهو ما دفع بأبرهة لغزو مكة عام 570 م.

بعد أبرهة حكم ابنه أكسوم الحبشي اليمن ثم جاء بعده (سروق وهو الأخ غير الشقيق لأكسوم)، وكانت مقاومة الاحتلال الحبشي في ازدياد بين أهل اليمن. حتى ظهر قائد يمني هو (سيف بن ذي يزن) الذي فكر بالاستعانة بالفرس الساسانيين لتحرير اليمن.

ثانياً: الغزو الفارسي الساساني لليمن (575 ــ 628)م:

تتولى المرويات التاريخية، وليس الآثار، الحديث عن (سيف بن ذي يزن) والغزو الفارسي الذي أسفر عن احتلال فارسي لليمن دام قرابة نصف قرن. وكما هو الحال في مرويات الغزو الحبشي سنعتمد، بحذر، على بعض هذه المرويات عن الغزو الفارسي.

تقول هذه المرويات إن سيف بن ذي يزن كان يلقب بـ(أبي مرّة) وإن اسمه الكامل هو (سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح)، واسمه الحقيقي (الملك معد يكرب ابن الملك الحميري شميفع أشوع ذو يزن) وتغالي المراجع العربية بسلالته التي تردها لأسماء عربية غير مألوفة في الآثار اليمنية.

ويقال إنه كان من أشراف حمير وأذواء وأقيال حمير. ويقال إنه حكم من (قصر غمدان) في صنعاء.

هناك، كما هو معروف، ملحمة شعبية شفاهية ثم دونت في عصور متأخرة عن سيف بن ذي يزن. ولا يمكن، بطبيعة الحال، الاعتماد عليها في أي شيء عن سيرة وحياة سيف بسبب من كونها مثقلة بالبطولات والأعاجيب فهي عمل أدبي يعتمد على الخيال والشعر قبل كل شيء.

الآثار لا تذكر شيئاً عن الاحتلال الفارسي لليمن، ولا تذكر شيئاً عن سيف بن ذي يزن، ولذلك نتحفظ على الرواية التاريخية العربية الإسلامية ونذكر منها الخطوط العامة جداً.

تقول المرويات إن سيف بن ذي يزن فكّر بالاستعانة بالفرس لطرد الأحباش من اليمن فاتصل بملك الساسانيين (كسرى الأول 501 ـ 579)م، الملقب بأنو شيروان العادل، الذي كان حكمه للإمبراطورية الفارسية بين (531 ـ 579) م، وأنه أعان سيفاً بجيش مكوّن من مئات الجنود بقيادة (وهرز) في ست سفن وصلت إلى ساحل عدن وانضم للجيش يمنيون وواجهوا الأحباش الذين كان يقودهم مسروق بن أبرهة، فانتصر وهرز وسيف بن ذي يزن على الأحباش في معركة حضرموت سنة 570م.

أصبحت اليمن ولاية فارسية وأصبح سيف بن ذي يزن ملكاً عليها، ملزماً بدفع خراج سنوي لفارس، وسكن في قصر غمدان في صنعاء مقراً لحكمه. وحكم لمدة أربعة أعوام، وتذكر المرويات أن الأحباش اغتالوا (سيف) في قصره حوالي 574م، وحاولوا إعادة حكمهم على اليمن، لكن الفرس أرسلوا حملة وأعادوا سيطرتهم على اليمن ونصبّوا ابن سيف بن ذي يزن حاكماً بجانب الحاكم الفارسي (وهرز).

في 597/8 أصبح اليمن مقاطعة في الامبراطورية الساسانية تحت إمرة ساتراپ فارسي. وقد كانت اليمن مقاطعة فارسية بالاسم ولكن، بعد أن اغتال الفرس ذي يزن، انقسم اليمن إلى عدد من الممالك المستقلة.

بعد وفاة (وهرز) أقام كسرى ابنه (المزربان) ولما مات هذا أقام (التينجان بن المرزبان) ثم عُزل هذا وعيّن (باذان) الذي أسلم وأدخل الإسلام إلى اليمن. ثم جاء (شهر بن باذان) وأكمل سيرة والده ثم ظهر الأسود العنسي الذي قتل شهر وأخرج المسلمين من اليمن.

ثالثاً: العرب المسلمون في اليمن:

كان من بقايا الفرس في اليمن ما يُعرف بـ(الأبناء) وهي تسمية تطلق على اليمنيين من أصل فارسي، تلك التي جاءت واختلطت مع جيش سيف بن ذي يزن وناصروه ضد الأحباش ومكثوا في اليمن واستمر نسلهم فيها، وما زال ينحدر من أصولهم في قبيلة بني حُشيش (الواقعة شرق صنعاء) في قريتين هما (الفرس والأبناء) الواقعتين في وادي السر من بني حشيش. ولهم وجود آخر في حولان وسنحان.

كان الغزوان والاحتلالان الحبشي والفارسي قد أنهيا حضارة بلد عريق كاليمن، فسببا له إرباكاً واضحاً، ذلك الإرباك الذي بدأ منذ ظهور الأديان الوافدة على اليمن (اليهودية والمسيحية) والتي مهدت لهذين الغزوين فضاعت الهوية الحضارية لليمن.

وحين قام (باذان) الحاكم الفارسي باعتناق الإسلام وإدخال اليمن في الإسلام لم يتغير الأمر وصار هناك من يطالب برحيل هؤلاء ولذلك قام الأسود العنسي (عبهلة) بمحاولة مضادة وقتل حاكم اليمن المسلم (شهر بن باذان) وأخرج سائر من أسلم من اليمن.

وكان العنسي قد ادعى نبوة إله السماء اليمني القديم (ذي سماوي) وأراد أن يكوّن ديناً توحيدياً من التراث اليمني القديم، وسمح بتداول اسم (رحمن) الإله اليمني الآخر.

وقد راجت في هذه الفترة في جزيرة العرب قضية ظهور الأنبياء الموازين للنبي محمد، فكان مسيلمة نبي ربيعة وطليحة نبي مضر والعنسي نبي اليمن.

ويبدو أن المسلمين، خارج اليمن، قرروا قتل العنسي بأمر من قيادة الإسلام، فطلبوا من (فيروز الديلمي) أن يعمل مع زوجته السابقة (آزاد) التي أصبحت زوجة العنسي من أجل قتل العنسي وحصل هذا وقتل فيروز العنسي وعاد المسلمون ونشروا الإسلام من جديد في اليمن منذ عام 632م.

المبحث الثالث: الممالك اليمنية في العصر الحميري

أولاً: مملكة دمت

هناك منطقتان باسم (دمت)، إحداهما منطقة في اليمن وتقع شمال محافظة الضالع وتنتشر فيها الحمّامات الطبيعية التي تحتوي على المياه الكبريتية الساخنة، وقد سميت بهذا الاسم نسبة لملك حميري يسمى (دمت) وأهم أماكنها الطبيعية البحيرة المعلقة على قمة جبل (بالحرضة الكبيرة) ويمر فيها وادي نبأ.

المنطقة الثانية هي (مملكة دمت) التي قامت في شمال أثيوبيا في القرن الثامن قبل الميلاد وذكرت في خط المسند ويبدو أنها قامت بتأثير سبئي أو أن السبئيين الذين قدموا إلى أثيوبيا (الحبشة) هم من أسسوها على اسم مدينة دمت اليمنية، وربما كانت قريبة الصلة زمنياً بمملكة أكسوم الحبشية التي نشأت في القرن الميلادي الأول. وهذا يعني أنها ظهرت بين أفول السبئيين وصعود الحميريين.

ثانياً: مملكة نجران الثانية (المسيحية)

عرفنا نجران الأولى التي جاورت سبأ ونافستها واصطدمت بها مراراً، لكن التاريخ المختلف لنجران ظهر في عصر الحميريين حين ظهرت المسيحية فيها في القرن الميلادي الخامس. ويبدو أن القديس (فيميون) هو الذي نشر المسيحية في نجران التي كانت فيها مدينة تسمى (رقمات) في زمن حمير وتقع على ضفاف وادي نجران في منطقة نجران الحالية، وتبلغ مساحتها أربعة كيلومترات مربعة نقّب الآثاريون فيها فوجدوا المدافن والقبور والفخاريات والمجوهرات الفضية والنحاسية والذهبية، وعثروا على ألواح معدنية مدونة بخط المسند الجنوبي ومسلّة حجرية وسط الحصن عليها رموز دينية. وهناك مباخر ومذابح وتماثيل.

وكانت نجران خاضعة للمملكة الحميرية، وتعرف كمحطة لاستراحة القوافل التجارية. وهناك من يرى أنها أصبحت مسيحية أرثوذوكسية بعد أن أرسل الملوك البيزنطيون لها المبشرين عندما اعتنق ملوك حمير المسيحية.

أصبحت نجران معقل المسيحية في اليمن والمنطقة، وحين أصبح ملك حمير (يوسف أسار يثأر) الذي عرف بـ(ذي نواس) كانت الديانة اليهودية تتعزز في اليمن وكانت تنافس المسيحية، ولكنه شعر بأن المسيحية مدعومة من الإمبراطورية البيزنطية ودولة أكسوم الحبشية وأن هذا كفيل باستعمار اليمن كلها من قبلهما، من خلال المسيحية، فقرر شن حرب واسعة على كل الأماكن التي كانت تدين بالمسيحية. فتوجه جيشه أولاً إلى ظفار يريم وهزم الأحباش والقبائل المتعاونة معهم واستولى على كنيسة (قلسن) ظفار وهدمها، ثم توجه نحو قبيلة (أشعرن) وهزمها ثم نحو المخا وهدم كنيستها، وقتل وأسر وغنم الكثير منهم. ثم جاء دور نجران وهزم قبائل همدان وكندة ومذحج وقبائل نجران وهدم الكنيسة فيها، وهناك أخبار عن قصة أصحاب الأخدود من مسيحيي نجران الذين مزقهم وأحرقهم في أخدود حفره لهم. وقد ذكرت المراجع البيزنطية ذا نواس باسم (دام يانس، دونان) قائد مذبحة نجران وحضرموت ومأرب وحرق أهلها.

حاولت مملكة أكسوم نجدة المسيحيين في اليمن فغزت اليمن ولم تنجح في إسقاط الملك ذي نواس، فأرسل الملك البيزنطي جستين الأول ملك أكسوم (كالب) على رأس جيش حبشي جديد فأسقط حمير عام 525م، وقتل ذو نواس.

ويبدو أن الصراع اليهودي المسيحي استمر في اليمن لفترة طويلة حتى بعد دخول اليمن في الإسلام، وهناك من يذكر أن المسيحية بقيت في نجران حتى القرن الميلادي التاسع (القرن الهجري الثالث) وبعضهم يذكر أنها بقيت حتى القرن الميلادي الثالث عشر.

ثالثاً: مملكة كندة (500 ق.م ـ 633م)

من الصعب النظر لتاريخ (كندة) أو مملكة كندة بمرحلة واحدة، وقد توصلنا إلى أن تأريخها ينقسم إلى ثلاث مراحل مفصلية مهمة هي:

1. كندة (آل ثور) القبيلة والمركز التجاري (500 ـ 145) ق.م:

وهي شبه مملكة ذكرتها خطوط المسند التي كانت كتبت فيها أو في سبأ. وكانت تابعة لسبأ، وكانت في بداياتها مجموعة من القبائل التي اتحدت في اتحاد قبلي أقرب إلى المشيخة وينتشر على مستعمرات متباعدة عن بعضها تترأسها أُسر من كندة.

كانت عاصمتها الأولى (كاهل) على اسم أكبر آلهتهم القديمة، وربما كان للاسم علاقة بقبيلة (كهلان) التي تسكنها. وهي نفسها التي كانت تسمى بـ(ذي كهل) إله كندة في القرن الرابع قبل الميلاد.

كانت كندة تابعة للسبئيين كمركز تجاري يفصل اليمن عن أعراب الجزيرة ويحمي قوافلهم، ولذلك شاع خط المسند في كندة وأصبح وسيلتها الأساسية في المعاملات

التجارية والسياسية. وقد جمعت في آلهتها بين آلهة اليمن المعروفة وبعض آلهة العرب القديمة.

فإلهها المحلي خاص بها واسمه (كاهل) وآلهتها اليمنية (ود، شمس، عثر، أشرق، إل) أما آلهتها العربية فهي (اللات، العزى، مناة).

حكمها آل ثور في هذه المرحلة، وبقيت مقابر ملوكهم، رغم نهب محتوياتها، شاهدة على أسمائهم وتماثيلهم ونصبهم فقد عثر على قبور بعض ملوكها.

وعرفت كندة بتماثيلها الحيوانية وخصوصاً تماثيل الدلافين والجمال البرونزية ورؤوس الأسود والوعل بالقرون النافرة. وكذلك التماثيل البشرية والعاجية وكؤوس وحلى ومسكوكات من الفخار والزمزيات.

وهناك معبد (ذي كهل) في مدينة (كاهل، الفاو) الذي عثر فيه على تماثيل دينية.

كانت لغة كهل سبئية أو (شبه سبئية).

أقام (آل ثور) مملكة مدينية في القرية التي سميت بعدئذ الفاو وأسموا هذه القرية أو العاصمة قرية كاهل (قريتهم كهلن أو كهلم في نصوص المنسد).

2. كندة (الفاو) (145 ق.م ـ حوالي 550 م):

قبيل نهاية المملكة السبئية الأولى تولت الأسرة الهمدانية المُلك في سبأ، فأصبح يريم أيمن (145 ـ 115 ق.م) أول الهمدانيين الملوك، وربما جعل هذا الأمر ملوك كندة يخرجون على سبأ ويتحالفون مع (حمير) التي كانت في طريقها الصاعد للسيطرة على اليمن. ولهذا السبب شنَّ الملك السبئي شاعر أوتر حربه على كندة، وهو الملك الهمداني الثالث، وزعيم قبيلة حاشد، وأنزل قائده (أبو كرب أحرس) الخسائر في قرية كاهل وملكها ربيعة آل ثور وغنم أموالاً وخيولاً كثيرة، ويبدو أن كندة

رضخت قليلاً لسبأ، لكنها عادت وهاجمت سبأ وناصرها الحميريون وأصبحت كندة تابعة لحمير وصار اسم عاصمتها (الفاو).

3. كندة (العربية) (550 ـ 633م):

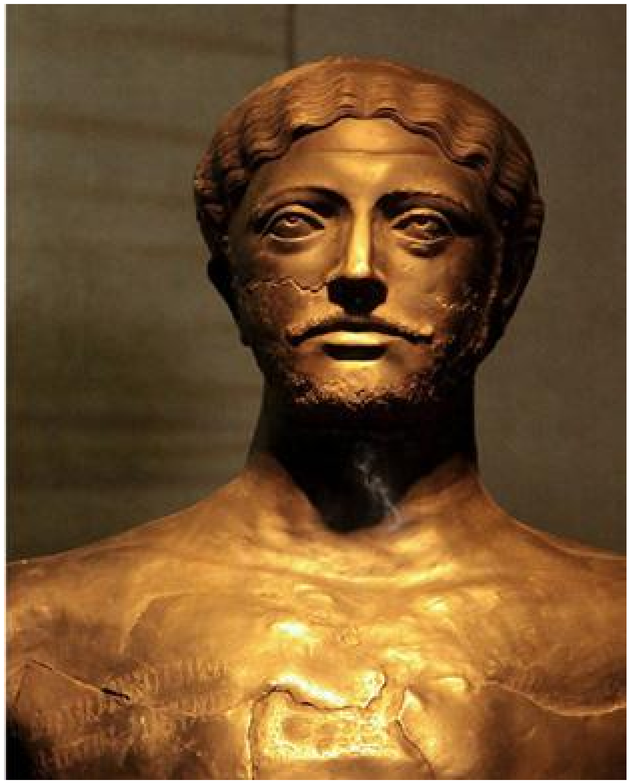
يبدو أن احتلال الأحباش لليمن جعل كندة ذات الميل التجاري تتجه نحو الشمال في تحالفاتها، وقد انتقل مركز ثقلها إلى هناك قريباً من حدود المناذرة ودخلت في معارك وتحالفات مع المناذرة والغساسنة والبيزنطيين وكان ملكهم امرؤ القيس ثم ابنه الحارث. ونرى أن مكانهم في الفاو تحول إلى مركز ثانوي لتسيير أمور التجارة.

رابعاً: مملكة دادان الثانية (115ق.م ـ 150 م)

وهي تابعة للمملكة الحميرية وتظهر قبيلة (ذو لحين) اليمنية تسكن فيها، وهناك إشارة لقيل لحياني تابع لحمير اسمه (أب يدع ذو لحيان). ويبدو أن المملكة انتهت مع حكم شمر يهرعش الأول (حوالي 150م) في الثلث الأخير من حكم المملكة الحميرية الثانية.

وقد نشطت فيها التجارة والزراعة والرعي، وظهرت فيها عملة مسندية الخط. وكانت أهم المكتشفات الأثرية فيها هي المدفن الملكي، قصر الحاكم، تمثال ضخم بارتفاع 3 ـ 4 أمتار، قناع ذهبي للحاكم، مجوهرات ذهبية للزينة، 3000 نقش معيني، 700 مقبرة في جبال دادان، مدافن الأسود...إلخ.

الفصل الثالث: المظهر السياسي



ذمار علي يهبر الثاني ملك حمير الثاني

المبحث الأول: تنظيم الجماعات البشرية ونظام الحكم

أولاً: مقدمة عامة في تدرّج الجماعات البشرية القديمة واليمن القديم

أ.التدرجات العامة للجماعات البشرية

ب.التدرجات الخاصة للجماعات البشرية في اليمن القديم

ظهرت التدرجات العامة للجماعات المبكرة منذ وقت مبكر يرقى إلى بداية العصور التاريخية في اليمن، لكنها اتضّحت أكثر مع بداية العصر الحديدي وظهور الممالك اليمنية، ويمكننا وضع التوصيف العام لها في هذا الجدول:

1.الدولة

دولة المدينة نشأت في وادي الرافدين منذ ظهرت مدينة أريدو في بداية الألف الخامس ق.م، ودولة القطر الواحد (الدولة الوطنية) نشأت في مصر في نهاية الألف الرابع ق.م حين اتحدت مصر العليا ومصر السفلى وكونتا دولة واحدة، وفي اليمن ظهرت المدن في العصر البرونزي، أما المملكة السبئية فكانت أول مملكة مركزية جمعت حولها الممالك الأخرى في وديان صيهد، ومنها رحلت فكرة الدولة للحبشة، ثم ظهرت مدينة كندة اليمنية كوسيط لظهور مدن القوافل في وسط وشمال جزيرة العرب.

لتفسير نشوء الري في Oriental Despotism ربما تصلح نظرية كارل أوغست ويتفوغل في كتابه اليمن القديم أكثر من غيرها من النظريات، والكتاب هو دراسة مقارنة للسلطة الشمولية هو كتاب عن النظرية السياسية والتاريخ المقارن لكارل أوغست ويتفوغل (1896 ـ 1988)، نشرته جامعة ييل في عام 1957، حيث يقدم شرحاً للكيفية التي نشأت بها الحكومات الاستبدادية في المجتمعات «الشرقية»، حيث كانت السيطرة على المياه ضرورية للري والتحكم في الفيضانات. وقد تطلبت إدارة هذه المشاريع بيروقراطيات واسعة النطاق، سيطرت على الاقتصاد والمجتمع والحياة الدينية. ويرى ويتفوغل أن هذا الاستبداد اختفى في حضارتي اليونان وروما، حيث تم توزيع القوة بين المجموعات المتنافسة. يرى الكتاب بأن هذا الشكل من «الاستبداد المائي» كان يميز دولاً ومجتمعات اعتمدت على الري الاصطناعي في بلاد الرافدين ومصر وحوض السند في شبه الجزيرة الهندية وحوض النهر الأصفر في الصين، وفي حضارات الإنكا والمايا والمكسيك والبيرو.

امتلك اليمن القديم أحواضاً مائية كبرى في وديانه التي ذكرناها، ولكنها كانت تحتاج للاحتفاظ بها قبل أن تبددها ظروف المناخ، ولذلك ظهرت فكرة تخزين المياه عن طريق الصهاريج والسدود مبكرة، واستطاع الرجال الذين يمتلكون هذه السدود ويبنونها أن يتمتعوا بذات الطبيعة الاستبدادية الشرقية.

ظهرت الدول اليمنية القديمة في العصر الحديدي، وقد بدأت بدولة المدينة، ثم دولة ضمن اتحاد، ثم دولة كبيرة، وقد كان يرأسها رئيس على شكل حاكم كاهن أو مكرب أو ملك، حسب طبيعتها السياسية، ويمكن فهم مثل هذه الأنواع من الدول بمعرفة من يرأسها.

الحاكم الكاهن:

يخلط الكثيرون بين الحاكم الكاهن والمُكرِّب، لكن الفرق بينهما بيّن وواضح من خلال معرفتنا لما يسمى بتأريخ الدول حسب (التاريخ بالحادثة) حيث «أكثر المؤسسات التي تجيب بالكامل على المتطلبات الكثيرة العدد والصفات المتنوعة هي ـ الحكام الكهنة السبئيون (التاريخ بالحادثة السبئي) هذا النظام المحلي الوحيد للتوريخ، الذي استخدم في الدولة السبئية على امتداد تاريخها كله تقريباً ابتداءً من الزمن المبكر أكثر، الذي تمت دراسته وانتهاءً بالربع الأخير من القرن الثالث الميلادي، تنقسم الأدبيات والوثائق المرتبطة بهذا الموضوع بسهولة يعول عليها في صيغ توريخ باسم الحاكم الكاهن (التاريخ بالحداثة) بصفة دقيقة جداً، تسمح دراستها بتوزيع فئات نقوش أخرى مرتبطة بالحاكم الكاهن)، وعليه فإنه من السهل أن يتم تنفيذ الطلب الأول الخاص بتحديد الدوائر التي تجتذب المصادر بدقة. والتاريخ بالحادثة السبئي. هو النظام الذي استخدمه السبئيون لتسجيل التاريخ، الذي تم وضعه في ترتيب التقويم الزمني وتتابع الأحداث، لقد حدد من حيث الفكرة هذه الأهداف بالذات، التي تهم الباحثين بالدرجة الأولى، يجب أن تكون أدبيات دقيقة ذات معنى واحد مرتبطة بالتأريخ بالحادثة في طبيعتها والمؤرخة بيسر، على الرغم من أن هذا التوريخ لا يمكن فهمه مباشرة باستمرار ويتزامن مع نظام تعدد التوريخ

المألوف لنا، وهكذا فإن دراسة التاريخ بالحادثة تمثل الآفاق الأكثر منطقية والطريق السليم لوضع الترتيب الزمني للعربية الجنوبية.» (لوندين 2004: 26 ـ 27).

ارتبطت وظيفة السقي بالحاكم الكاهن بالإضافة لمهماته الدينية، وكان المدخل لها هو معرفته بالتقاويم ومراقبة الطقس والنجوم، ولذلك كانت وظيفة «السقي وظيفة كهانية مهمة للغاية من غير شك وأن هذه الوظيفة لا تقل بالنسبة للحاكم الكاهن عن الوظائف الكهانية الأخرى لهذا الحاكم. ويعتبر وضع كهذا طبيعياً بالكامل يمتلك نظام حكم الحكام الكهنة والسقي يستند على أسس صارمة يتمثل بمراقبة التقويم، الذي يسمح بتقديم المعلومات عن غرس الزرع والحصاد وفترة نزول الأمطار والجفاف الفصلي...إلخ تتحدث نواة الصيغة ي وم/ س ح ي عن السقي (في الخريف والربيع) في فصل الأمطار الخريفية والربيعية، وعليه يكون أساس نظام الحكام الكهنة مراقبة التقويم (والتنجيم المرتبط به)، هذا التقويم الذي يتخذ هذه الرقابة للعضوية للتقويم الاقتصادي والري. إن دور الري الصناعي معروف جيداً بما فيه الكفاية في الاقتصاد جنوب العربية القديم ولا يحتاج إلى أي توضيح، إذ لا يمكن أن تقوم الزراعة بالكامل بدون الري في ظروف اليمن الطبيعية وبالذات في مناطق مأرب، رغوان، صرواح وخولان، التي تشكل أساس الدولة السبئية في مرحلة المكارب.» (لوندين 2004: 207).

كانت قبائل اتحاد سبأ الثلاث (عدال، خليل، نزحت) هي قبائل الرب (عثتر) ترشّح المواليد الذكور من عشائر معينة فيها، وكان هؤلاء يُنذروهن وينتمون إلى الآلهة نظرياً، وكان عليهم تقديم فدية ليتحرروا من تبعيتهم للمعبد، وبذلك يتهيؤون للصعود لمنصب (الحاكم الكاهن).

حين يبلغ المرشح عمر (28 ـ 50) عاماً يمكنه أن يكون حاكماً كاهناً لمدة سبع سنوات في سبأ (وسنتين في معين وقتبان)، ويبدو أن سبأ اختارت مدتهم على ضوء الدورة الزراعية السباعية كل سبع سنين والتي ربما كانت تتناوب بين الوفرة والقحط، كما هو حالها عند أغلب الشعوب السامية.

«توافق مدة الحاكم الكاهن سبع سنوات تقسيم مجلس الشيوخ إلى ست قبل والملك (سبع) (ذات الصلاحية) (ويحتمل أن المكرب قد كان رئيس هذا المجلس في المرحلة المبكرة). وتوافق الدورة الثلاثية للقبل التي يصعد منها الحكام الكهنة في تقسيم التمثيل في مجلس الشيوخ وتقسيم القبل التي لا يصعد منها الحكام الكهنة أيضاً، في ظل درجات مقامات هذه القبل في مجلس الشيوخ، التي يتم التعبير عنها بتتابع ذكرها في قوام المراسيم، التي تتطابق مع نظام دورة الحكام الكهنة. لقد وجد مبدأ تتابع تغير الحكام الكهنة من قبيلة إلى أخرى وانتقال هذا المنصب من قبيلة إلى أخرى ربما في إطار مجلس الشيوخ، هكذا يقوم الشخص الأخير من أعضاء مجلس الشيوخ بالتوقيع على المرسوم، وهو الذي ينفذ وظائف خاصة جداً في المجلس، وبمقدور هذا الشخص أن ينتمي إلى القبل المختلفة، الممثلة في مجلس الشيوخ مع التقيد بالدورة قبل كل شيء.» (لوندين 2004: 287).

ينتقل المنصب بعدها إلى ثلاث قبائل سبئية، وحين يتوفى الحاكم الكاهن عند أداء طقوس دينية ينتقل منصبه لأخيه حتى اكتمال دورته. وكان هذا المنصب وراثياً في الكثير من الأحيان. وقد كانت حصرية في عشائر معينة من القبيلة، فمثلاً قبيلة خليل كانت في عشائر (بحرم، حزفرم، صبحرم).

لم يكن الحاكم الكاهن، إذن، معتلي منصبه مدى الحياة مثل المكرب، بل كان مقيداً بسنوات قد تتكرر أو لا. ولم يكن يرث منصبه، إلا نادراً، مثل المكرب.

حمل الحاكم الكاهن، من قبيلة خليل مثلاً، الأسماء الآتية (كرب إيل، آل كرب، عم كرب، يتع، أل وتر).

«إن منصب الحاكم الكاهن في جوهره، هو منصب مؤقت باستمرار، إذ يقوم كل حاكم كاهن بتأدية وظيفته لمدة سبع سنوات، وإن كانت مرحلة النشاط الإيجابي للإنسان تستمر فيما بعد إلى حدٍّ ما، لهذا فإنه حتى prlorl بمكان الافتراض بوجود النقوش، التي وضعها الحكام الكهنة قبل أن يصعدوا إلى هذا المنصب أو بعد أن انتهت مدة قيامهم بهذا المنصب،

وبالمناسبة فإن الدراسة الناقصة للحكام الكهنة السبئيين لا تسمح بالحديث بثقة عن ارتباط شخص ما بالحكام الكهنة وإن كان هذا الارتباط لا ينبع مباشرة من نصوص النقوش. ومع ذلك فإنه في الحالة التي يحمل الاسم المميز الخاص للحاكم الكاهن (ملك سبأ) أو (ملك سبأ وذو ريدان) لعله من غير الممكن أن نفسر ذلك بأن هؤلاء الملوك قد قاموا في عهد مبكر من اعتلائهم منصب الملك قد قاموا بتأدية وظائف الحكام الكهنة (وإن كان من غير الممكن إغفال احتمال كهذا بالكامل) ولعله يقف عامل آخر في الأحداث الواقعية، هي أسماء المكارب وألقابهم التي قامت على أسس من غير شك، لهذا لم يكن بمقدور غير المكارب حمل أسماء مميزة خاصة، في حين لم ينتشر هذا المنع بالنسبة للحكام الكهنة.» (لوندي 2004: 250).

المُكرِّب:

المنصب الذي مثّل المرحلة الدينية في الممالك اليمنية الأولى، واسمه مشتّق من المقرّب بين القبائل المتحدة، وكان المكرب هو الرجل الأول في الدولة المتحدة، ومنصبه مدى الحياة ويرثه من والده ويوّرثه لولده وهكذا.

أما الأسماء المميزة للمكرب فهي ستة أسماء: (كرب إيل، يدع إيل، سمه علي، ذمار علي، ثُبّع، أمر يكرب ملك). وكان المكرب يرأس السلطة التنفيذية فقط.

أما الصفات أو النعوت التي حملها المكرب فهي أربع: (وتر، ذريح، ينوف، بين). وإذا كان منصب الحاكم الكاهن نسبياً فإن منصب المكرب كان مطلقاً، أي إنه رأس الدولة. ولم يكن بالإمكان تحوله إلى حاكم كاهن أو أن الأخير يكون مكرباً.

كان المكرب يقوم بالإدارة التنفيذية وتمثيل مجالس القبائل والمدن. و«يعتبر المكارب السبئيون رؤساء الدولة في الوقت نفسه، والمجسدين المباشرين لها أحياناً، وتتحدث الصيغة ذات الفكرة المزدوجة عن هذا: (إلمقه وكرب إل وسبأ) المستخدمة لمعنى الدولة السبئية (راجع 2, 3946, 13, RES 3945). ومن الطبيعي أن نفترض أن الوظائف

الأساسية للمكارب قد كانت الوظائف الحكومية والسياسية والحقيقة أنه تبين دراسة النقوش غير المعيارية للمكارب أنهم قد اشتركوا في الحملات الحربية وفي الوثائق السياسية الهامة، إصدار المراسيم، غقامة حدود أراضي المدن والأراضي الخاص.ومع ذلك تجدر الإشارة مرة أخرى إلى أن نشاط المكارب يسقط من النصوص بأسلوب إسدال الستار بالتستر عنها تحت غطاء المناسك الدينية في شكل النقوش المعمارية للمكارب المأخوذة من نص اللقب...إلخ وإن كانت نقوش المكارب لا تعطي إمكانية فهم هذه الظاهرة الغريبة للغاية.» (لوندين 2004: 247).

في البدايات الأولى لسبأ كان المكاربة لا يمثلون سلطة عليا بوجودهم الشخصي، أي إنهم كانوا يؤدون خدمة ووظيفة تخولها لهم مجالس المسود يمكن أن نراه كمجلسٍ لشيوخ القبائل، فهم مجرد موظفين يتابعون تنفيذ الواجبات المكلفين بها. وهم من أسس لبدايات الدولة السبئية واستطاعوا تقريب القبائل لتكون شعباً واتحاداً قبلياً، ثم كونوا مملكة.

«تبين المراسيم ذات الطبيعة الحقوقية أن هذه الهيئة السيادية العليا قد كانت مجلس الشيوخ. وكقاعدة قام المكارب بمهمة الإدارة التنفيذية حيث قادوا جميع الأعمال (الجارية) في الدولة السبئية ـ ببنيتها الاجتماعية وتأمين نشاط العبادة، وجمع الإتاوات..إلخ، في حالات الضرورة الاستثنائية مثل القيام بالحروب والإصلاحات التشريعية أو الضريبية، لقد كان يعين حاكم خاص يتمتع بالصلاحيات الاستثنائية ـ هو الملك، ولعل هذه الصلاحيات الاستثنائية قد حصل عليها في الواقع العملي الحاكم ـ المكرب القابع في السلطة ربما لوقت محدد.» لوندين 2004: 325).

لم يكونوا كهنة أو سلاطين، بل كانوا يعملون على بناء الحياة المدنية والدينية معاً، «وهكذا فإن تحليل كل نقوش المؤلفين، الذين يعتبرون مكارب، يسمح بتمييز ثلاثة جوانب من نشاط المكارب السبئيين: النشاط الاقتصادي، النشاط الطقوسي، النشاط الحكومي. وبالمناسبة قد كرس للنشاطين الأول والثاني الأغلبية الساحقة من النصوص، في حين يذكر النشاط الثالث على الطريق ولم يشكل محوراً أساسياً في النقوش باستمرار.

والوظيفة الأساسية الاقتصادية للمكرب هي وظيفة البناء لقد قام المكرب بالتشييدات الاجتماعية العامة المتنوعة مثل بناء أسوار المدن والمعابد والسواقي والمشيدات الدفاعية، والمذابح وقنوات الري، أي باختصار كل التشييدات الممكنة ذات الطابع الاجتماعي، وإذا أضفنا أنه معروف لنا كمية غير كبيرة من النقوش المعمارية لأشخاص طبيعيين في مرحلة المكارب فقد، (وهؤلاء الأشخاص ليسوا مكارب) فإنه ينشأ انطباع بأن كل التشييدات الاجتماعية هذه قام بها مكارب سبأ بشكل استثنائي، حتى في تلك الحالة التي يتحدث فيها النقش عن القيام بالعمل المعماري ذي الطبيعة الاجتماعية، التي لم يقم بها المكرب وإنما شخص ما آخر، يحمل هذا الشخص لقب (عبد) المكرب.» لوندين 2004: 246).

نظام الأبكار: وهو أساس نظام حكم المكارب، الذي كان يعتمد الأبكار من المواليد الذكور من قبائل عشائر معينة، ويبدو هؤلاء الأبكار وكأنهم منذورون لآلهة القبائل، أو بتعبير ألطف كانوا يعتبرونهم من نسل أو من حصة تلك الآلهة. وهم مهيؤون للحكم أو أنهم يحضرونهم لاستلام منصب المكرب مستقبلاً، وهذا ما يجعلهم في ذمة الآلهة ويرتبطون بالمعبد، وحين يحين موعد انفصالهم عن المعبد وتوليهم منصب المكرّب كان لابدج من دفع فدية للآلهة مقابل تحررهم من تبعيتهم لها وللمعبد.

كان نظام الأبكار يشترط أن يكون عمر البِكر بين (28 ـ 30) سنة، وأن تكون مدة نفاد منصبه كمكرب سبع سنوات فقط، وهو زمن الدورة الزراعية، واذا توفي خلالها يتولى أخوه الذي يليه في الولادة.

ومن قوانين نظام الأبكار كان انتقال المنصب بين القبائل السبئية الكبرى دورياً، وهي قبل (عدال، خليل، نزحت).

الملك:

أصبح منصب الملك يتضمن تغليب مهمته كرجل دولة على مرجعيته الدينية، ولذلك كان رئيساً للسلطة التشريعية، ثم رئيساً للسلطة التنفيذية بعد انتشار منصب المكرب. وكانت مهمته اقتصادية أيضاً حيث يجمع الإتاوات وتشريعية وضرائبية وعسكرية في حالة نشوب الحروب.

لكن الملك لم يعد ملكاً لمدى الحياة ولم يكن موّرثاً لمنصبه، بالضرورة، إلى نسله أو أخيه. أي إن الملك القادم يجب أن تكون له أهلية شخصية للحصول على لقب الملك سواء كان من عائلة الملك السابق أو لا. كما أن الملك كان مقيداً بصلاحياته في مجلس الشيوخ ولم يكن حكمه مطلقاً.

«بيد أن قبضة الملوك على الممالك الصغيرة ازدادت دقة، فتغيرت صيغة العلاقة القديمة، وزال معها بالتدريج لقب الملك في الممالك الصغيرة التابعة، فظهر بالمقابل أو طغى لقب القيل فيها، فقام نظام القيالة، وهو نوع من الإقطاع القبلي المحلي، الذي يقف على رأسه ملك واحد، وانتفت الحادة إلى لقب المكرب. وهكذا نجد الملك أصبح يتولى المهام الرئيسة الكبرى في الدولة، فهو يتولى النظر في مصالحها السياسية والاقتصادية والخارجية، واعتبر ممثلاً للآلهة على الأرض، لذلك اعتبر المرجع الأعلى للدولة، وهو وحده يملك حق إصدار القوانين وتعيين الموظفين والقادة وكبار رجالات الدولة. وبالرغم من المكانة العالية للملوك فإنهم لم يحكموا حكماً فردياً مطلق الصلاحيات، فقد وجدت إلى جانبهم هيئات أو مجالس استشارية تساعدهم أو توجههم في اتخاذ القرارات وإصدار التشريعات.» (الكهالي 2002: 16).

لقد شبه أ. ج. لوندين في كتابه دولة مكربي سبأ تدرج ظهور الممالك اليمنية القديمة بمثيلاتها في اليونان وقال بأن «وضع الممالك المحلية في اليمن القديم بالمدن الكلاسيكية الإغريقية القديمة قائلاً: تدهش الصيغة التي تشبه بها هذه الممالك المحلية اليمنية بالمدن الإغريقية القديمة، فقد تألفت الممالك اليمنية من: كبير، مجلس الشيوخ، القبيلة، أي السكان الأحرار الذين يتمتعون بالمساواة كمواطنين في المدينة وهو ما يسمح بالقول بأن

المجلس، الشعب، الذي كان موجوداً في المدن الإغريقية قد وجد مشابهاً له في المدن اليمنية، وهي الممالك التي انقسمت إليها الدولة السبئية إدارياً، لقد مثلت الإدارة الذاتية للجماعة في المدينة ونظمت أراضيها حسب مبادئ هذا التقسيم الإداري، يدير المدينة مجلسها، ويمكن أن تكون القبيلة الاجتماع الشعبي العام، وترأس هذه المدن كبير خاص يمكن أن يكن ملكاً أحياناً.» (لوندين 2004: 14).

2.شعب (ش ع ب م)

شعب: اتحادات قبلية حضرية تشمل مجموعات قروية، و/ أو جماعات تسكن المدينة ربطت بينها وحدة المهنة، أو على جماعة ربط بين أفرادها حدث، ثم انتظموا بعده في شكل شعب فالرابطة التي تربط الشعب هي رابطة المواطنة أو المصالح الاقتصادية المشتركة. ويدير الشعب حاكم يسمى (قيل) ويصار لإله واحد يجمع شمل من اتحد في الشعب، فشعب سبأ كان له إله هو (إلمقه) الذي صار إله الدولة السبئية أيضاً.

ظاهرة مؤسسة الأقيال (أمراء الشعوب) الذين تلقبوا بلقب (ملك). ونشط الأقيال، وأصبحوا ينافسون السلطة في مأرب، فكل «قيل»، يحاول أن يكون ملكاً على سبأ، عن طريق إعادة بناء المؤسسة العسكرية السبئية، فكانوا بمثابة الخط الدفاعي الأول في صد أي هجوم على سبأ، هذا الدور العسكري أعطى لهم شرف الريادة السياسية على الإقليم السبئي دون منازع.

برزت مأرب كعاصمة ومدينة لشعب سبأ، كما برزت (صنعاء) في شمال الهضبة الغربية كعاصمة جديدة للدولة السبئية، إلى جانب العاصمة التاريخية (مأرب) التي بدأت تفقد بريقها السياسي، وعظمتها التاريخية.

«إن مصطلحي شعب وذو يشيران إلى نوع من الارتباط الدموي القبلي المتحرر من المكان والزمان. ويمكن أن يكون ذلك هو مركز ترابط القبائل من أهل الشورى أو الملأ فيعلّل عدم ظهورهم في التنظيمات الإدارية المرتبطة بالمكان (المدن)، بينما لا تظهر مجالس المدن في

الملأ الملكي الأعلى. ويعني هذا في الغالب أن مجتمع الدولة السبيئة القديمة كان ذا ولاء مزدوج. فمن جهة كان كل أحرار المجتمع أعضاء كاملي العضوية في المدن والأماكن التي يقيمون فيها، وبهذه الصفة كانوا يشاركون في مجالسها. ومن جهة ثانية كانوا جميعاً ذوي انتساب بعيد إلى إحدى القبائل الست. ولذا لا تظهر تنظيمات المدن في الملأ الشوري الملكي، كما لا تظهر القبائل الست في مجالس المدن.» (لوندين 1973: 27 ـ 28).

المحفد: «صاحب القصر أو المحفد يعرف بـ: «ذي»، وإذا تجمع عدد من الأذواء أو المحافد في مقاطعة كبيرة سمي مخلاف، وكانت مخاليف اليمن كثيرة، قال اليعقوبي: «إنها ثمانية وأربعون مخلفاً» وكان يتولى شؤون المخلاف شيخ أو أمير يقال له «قيل»، وقد برز عدد لا بأس به وأنشؤوا دولاً كبرى» (شلالقة 2016: 318).

المخلاف: مجموعة من المحافد أو الأذواء التي تشكّل دولة.

ويبدو أن مفهوم المكان كان له أهمية كبيرة في الأعراف اليمنية القديمة، ولذلك نرى أن السبئيين حين شكّلوا الاتحاد السبئي الذي ضمّ قبائل متعددة اضطروا لوضع إلهٍ جديد للمكان الجديد وهو العاصمة أو المدينة حيث القبائل النازحة من الأرياف بموقع ومكان جديد، ولذلك أصبح (إلمقه) إله المكان محتفظاً بحقيقة كونه في السماء إلهاً للقمر، وعلى الأرض إلهاً للمياه، وهذا يعني أنه أصبح بوظيفة جديدة تعبر عن المكان الجديد.

«من الطبيعي أن مفهوم ش ع ب بالجنوب العربي لم يقصد به قبيلة بدائية بل الجماعة التي تنتمي إلى قبائل مختلفة، أي ذلك النظام الذي روعي فيه البناء الطبقي التملكي حيث وجدت/ طبقة الأعيان القبلية كما وجدت المهن المختلفة للمجموعات المتعددة في المجتمع، ووجد أيضاً نظام لتقسيم العمل بينها. ويمكننا من متن الرقيم Ry 508 أن نخرج باستقراء مفاده أنه في إطار ش ع ب كانت الجماعة تضم فقط العناصر الحضرية المستقرة من ذي همدان ا ش ع ب ن ذ هـ م د ن، أي أهل المدن، أما العناصر الرحّل من ذي همدان فقد حملوا اسم البدو ا ع ر ب ن؛ ووجد إلى جانبهم «بدو كندة ومراد ومذحج».
(بيغوليفسكيا 1964: 297).

وهكذا أصبحت مهن السكان متنوعة رغم أصولها الزراعية، أي إن الشعب أظهر مهناً جديدة للفلاحين لا تبتعد كثيراً عن مهنهم الزراعية الأصلية مثل تسويق المنتجات الزراعية وحفظها والتحضير لزراعتها.

وكان هذا مدعاة للتمييز والفصل بين مصطلحي (شعب) و(عربن)، فالشعب هو القبائل المتحدة المستقرة في مدينة، أما العربن فهم القبائل البدوية الراحلة التي لا تستقر بمكان محدد.

«العلاقة بين السكان الحضر والرحّل، والتي تتمثل في المقابلة بين اللفظين ش ع ب وع ر ب في الرقيم. فالبروفيسور ماريا هفتر لاحظت أنه عندما طمحت مملكة سبأ في القرن الأول قبل الميلاد إلى إخضاع حمير، كان شطر من جيش هؤلاء الآخرين يتكون من البدو الرحّل. ويرد في رقيم من القرن الثالث ذكر»بدو مأرب» جنباً إلى جنب مع«قبيلة سبأ، حيث نبصر لفظ ع ر ب في مواجهة لفظ ش ع ب (CIH 353)، فيشكل الاثنان معاً إن لم يكن جيشاً واحداً فعلى أية حال جيشاً متحالفاً. من هذا يتضح أن«قبيلة سبأ» قاتلت إلى جانب»بدو مأرب» حيث يرد اسم مأرب كمركز مدني وكموضع رئيسي لقبيلة سبأ.» (بيغوليفسكيا 1964: 296).

«وواقع الأمر أن هذه المقابلة بين المصطلحين مذكورة حتى في أقدم الرقوم، مثال ذلك الرقيم المتعلق بالفترة الوثنية التي عُبد فيها الإله إلمقه. ففيه يعرب إيلرم عن امتنانه للعون الذي لقيه في الحملة التي خرج فيها»ومعه قبيلة سبأ والأعراب» ــ ب ع م/ ش ع ب ن/ س ب أ/ وع ر ب ن/. وفي الرقوم المذكورة أعلاه، وأيضاً في الرقيم الذي نتحدث عنه الآن، نرى أن يترجم لفظ ش ع ب بلفظ «الجماعة»؛ مما سندلل عليه فيما يلي. ومن ثم فإن ترجمة الألفاظ هو: «بجماعات سبأ والأعراب» (الذين لم يدخلوا في تكوين الجماعة) وبهذا فقد ظهر لفظ ع ر ب في رقوم عهد «ملوك سبأ وذي ريدان» في الوقت نفسه الذي تم فيه إعادة تنظيم جيش سبأ ودخل البدو ع ر ب في تكوينه كوحدات مساعدة. وفي الرقوم الأقدم من هذه يطلق ا خ م س الذي وإن اضطلع بالخدمة العسكرية إلاّ أنه لا ينتمي إلى

القبائل. كذلك يرد في الرقوم ذكر الوحدات العسكرية من الرحّل وشبه الرحّل التي لم تدخل في تكوين القبائل. هذا وكان البدو يمثلون الرحّل الخلّص، أما ا خ م س فهي وحدات من العرب شبه الرحّل وفقاً لرأي الباحثين الذين مر ذكرهم.» (بيغوليفسكيا 1964: 296).

«ويمثل أهمية خاصة لفظ ش ع ب الذي يلزم فحص معناه وتحديده تحديداً جيداً. فهذا التنظيم المعقد يتفق حسب رأينا مع مفهوم»الجماعة«، وبهذا سنترجم ذلك اللفظ الوارد بالرقوم. ويرى هارتمان أن لفظ ش ع ب كان في البداية تنظيماً دينياً، أي جماعة ارتبط نشاطها بعبادة إله ما وبمعبد هذا الإله. وقد طوّرت البرفيسورة ماريا هفتر فكرة مؤلف»المسألة العربية« (De Arabische Frage) {وهو هارتمان M. Hartmann} فأكدت في كثير من الصحة أن مفهوم ش ع ب»ببلاد العرب الجنوبية يختلف اختلافاً أساسياً عن مفهوم البدو«. ومن المتفق عليه أن القبيلة Der stamm. The tnibe إنما هي مجموعة كبيرة من الناس تنحدر من صلب جد واحد وتعتبر «أسرة واحدة كبيرة»؛ أما مفهوم ش ع ب «فلا علاقة له البتة بصلة الرحم».» (بيغوليفسكيا 1964: 196).

الشعب لا يتخذ من رابطة الدم السبيل الوحيد لاتحاد القبائل في المدينة، وربما كانت رابطة الدم ضرورية داخل القبيلة وليس داخل الشعب وهذا ما يجعل الفرق واضحاً بينهما «وهذا الرأي لا يمكن قبوله إلاّ إذا تم الاتفاق على أنه في تكوين ش ع ب لم تدخل القبيلة التي ربط بين أفرادها صلة الرحم فحسب، بل وقبائل أخرى ربط بينها إلى جانب صلة الرحم أيضاً الجوار والمصالح المشتركة. وكان على رأس كل قبيلة «رب الأسرة» (شيخها)، أما اتحاد القبائل فكان يضم آباء الأسر المختلفة. وفيما بعد ظهرت الوحدة العليا في صورة «حكومة للطغاة سيطرت على الجماعات الصغيرة». وأما الجماعة التي قامت على أساس المصالح المشتركة، وعلى أساس تقسيم العمل بين مجموعات السكان داخل قبائلها المختلفة، أقول إن هذه الجماعة لم تكوّن بطبيعة الحال تنظيماً يستند إلى علاقة الرحم وحده وإن وجب الاعتراف بأن خلاياه الأولى دخلت في إطار هذا التنظيم الأكثر شمولاً والذي نرى أن يحمل اسم الجماعة. «(بيغوليفسكيا 1964: 297).

كان رئيس أو شيخ القبيلة يسمى (كبيراً)، وكان رئيس الشعب يسمى (قيلاً)، فإذا تميز الشعب وكبر أصبح القيل قريباً من لقب الملك حتى لو كان الملك العام للشعوب موجوداً. حيث يكشف هذا الوضع التنافس الكبير وحجم الوجاهة عند الجميع لكي يبقوا على ألقابهم ويوسعونها لتصبح بحجم لقب الملك. ويعطينا هذا انطباعاً عن حجم الاستحواذ والضراوة التنافسية التي ظلت ملازمة للشخصية اليمنية الغارقة في لمعان وترف الألقاب والعناوين، وهو ما جعل من المستحيل نشوء نظام اجتماعي وسياسي حر يرقى بالبلاد نحو أفق مدنية أكثر رحابة.

«كان على رأس (الشعب) حاكم محلي يحمل لقب ملك، فالملكية هنا ملكية قبلية، وهناك إله يلتف حوله الشعب بمختلف قبائله؛ ومع وجود آلهة محلية لكل قبيلة، فعندما يبرز (الشعب) لأسباب سياسية واقتصادية أو لقوة عسكرية، ويحرز هيمنة على مجموعة من القبائل (الشعوب) المجاورة، يؤدي ذلك إلى نشوء تجمع اجتماعي سياسي جديد، فتأتي عندها الحاجة إلى التمييز بين لقب الملك الأعلى (ملك الملوك) وألقاب الملوك التابعين. وتم ذلك من خلال تطور أدى إلى قيام نظام القيالة وانتشاره فاختفى مع مرور الوقت لقب الملك في الشعوب التابعة، ليحل محله لقب (قيل)، لكن في فترات لاحقة وخاصة في فترات الضعف؛ ظهر من هؤلاء الأقيال من أطلق على نفسه لقب (ملك) سعياً ــ على ما يبدو ــ للوصول إلى حكم الدولة الأم.» (الكهالي 2002: 14).

ربما كان الأصلح لهذه الممالك هو ما نعرفه اليوم بالنظام الكونفدرالي الذي يجعلها مستقلة عن بعضها مع وجود مركز أو عاصمة متفق عليها. لم يحصل هذا كما يجب، فقد كان يظهر لفترة قصيرة ثم يختفي. وحين ظهر في الدولة الحميرية ظهرت الصراعات الدينية لتعيد القلق لهذه الوحدة وهي في نزاعاتها القبلية داخلها من خلال الأديان التوحيدية التي ظهرت منذ القرن الرابع الميلادي.

3.الاتحاد القبلي

يشكل الاتحاد القبلي درجة أقل من الشعب، فهو تمهيد له وخطوة نحوه، وبدون الاتحاد القبلي لا يمكن نشوء الشعب الذي هو أساس الحكم.» كان الاتحاد القبلي الأساس في نشأة وتكون الدولة في اليمن القديم، وهو يضخ عدداً من القبائل والعشائر، فالمجتمع في اليمن القديم يتكون من فئات تضم أسراً متساوية في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، ومن مجموع هذه الأسر تتكون القبيلة التي تتفق مع مجموعة قبائل تماثلها في أنظمتها وإدارتها، فتتحد لتكون الشعب. وقد قام التنظيم الاجتماعي في اليمن القديم في بداية الأمر على مجتمع القرية (بيت) في النقوش، وهو مصطلح يُطلق على كل الجماعة وموقع سكناها، كما يرتبط اسم تلك الجماعة في الغالب بالبيت نفسه (القرية). ثم يبرز لنا شكل آخر من التنظيم الاجتماعي، هو الشعب. وأقدم ذكر للفظة شعب جاءت في نقل النصر (RES 3945) الذي يعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد.» (الكهالي 2002: 11).

الأحلاف والإتحادات:

أصبحت الأحلاف والاتحادات القبلية ضرورة واضحة حين اشتد التنافس على الطرق التجارية وحيازة الأرض ونزعة التملك والحكم، وكانت الأحلاف بين القبائل صيغة أولية لجمع القبائل المتحالف أمام تلك الضرورات والتحديات، وكانت الأحلاف تتطور، أحياناً، بصيغة اتحادات، وأكبر الاتحادات التي ظهرت مبكراً كان (الاتحاد السبئي)، وهو الذي أدى لنشوء الدولة والمملكة السبئية.

البنية القبيلة عبرت عن نفسها، بعد أن اتحدت، في اتحادات قبلية كوّنت لاحقاً أربع ممالك أساسية هي (سبأ وقتبان ومَعيـَّن وحضرموت) وساهم هذا في إعادة صياغة القبائل اليمنية من جديد على أسس مدينية وغير زراعية أو بدوية، فلعب عنصر الاقتصاد والمصالح الدور الأكبر فيها أكثر مما لعبه تكوينها النسلي والقرابي، وكان هذا تحولاً مهماً في بنيتها، المشكلة أن الإخباريين والمؤرخين المسلمين لم يعرفوا التركيب القبلي الصحيح لهذه الممالك ولممالك أخرى مثل (قتبان ومعين) والتي أدخلوا قبائلهما في سبأ أو حِمير.

كان الاتحاد السبئي أقوى الاتحادات لأنه استطاع تكوين نظام، يمكن أن نصنفه على أنه فيدرالي بلغة عصرنا، ضم الممالك الأربع وقبائلها، وهكذا يكون الاتحاد القبلي السبئي، ثم الاتحادات الأخرى، قد صاغت هوية جديدة أكبر من الهوية القبلية القديمة، وهي هوية حضارية سادت في التاريخ القديم حين جمعت القبيلة والمدينة والدين في صيغة واحدة وأصبح لكلّ اتحادٍ إلهاً واحداً أساسياً نُظر له على أنه الأب الذي انحدرت منه قبائل الاتحاد، ورغم ذلك ظل هذا التشكيل قابلاً للانفراط حين تغيب السلطة المركزية للفيدرالية الملكية فتعود الاتحادات والقبائل تعمل لوحدها وربما ضد مركزها السابق، وقد كانت هذه مشكلة بلاد اليمن على مرّ التاريخ وحتى يومنا هذا.

تكوين الدولة السبئية من الاتحادين:

مع بدء العصر الحديدي في اليمن في حدود 1200 ق.م كانت القبائل اليمنية قد استقرت وأنشأت فيما بينها بعض التحالفات والاتحادات. ويبدو أن ظهور المملكة السبئية في حكمها المكاربي جاء نتيجة اندماج اتحادين قبليين حصل في المرحلة المبكرة (1200 ـ 1000) ق.م، من تأريخ سبأ. وهذان الاتحادان هما:

أولاً. اتحاد سبأ: وهو الاتحاد الأول الذي سبق الثاني، وكان يضم ثلاث قبائل كبيرة هي (عدال، خليل، نزحت) وتسمى بقبائل الرب لأن الكهنة يخرجون منها، أي إنها بمثابة القبائل المقدسة المختصة بالشؤون الدينية، ولذلك كان شرط اتحادها أن تكون بمقاعد أكثر في مجلس الشيوخ السبئي العام، وأن ترتبط حصرياً بالإله الأكبر (عثتر) وهو إله كوكب الزهرة. وأن تتبع كل قبيلة من الاتحاد الثاني لقبيلة من قبائل الرب، فقد تبعت قبيلة فيشات لعدال، وقبيلة (واريعن) لقبلة (خليل) وقبيلة واحصرن لقبيلة (نزحت).

ثانياً: اتحاد فيشات: وهو الاتحاد الثاني، الذي كان يضم ثلاث قبائل كبيرة هي (فيشاتن واربعن، واحصرن)، وهي القبائل الدنيوية التي لا يصعد منها الكهنة والتي عددها أقل في مجلس الشيوخ السبئي، والتي ترتبط بالإله (إلمقه) وهو إله المكان والقمر، وأصبح بعد اندماج الاتحادين الإله القومي السبئي.

هناك إشارات في نقوش المسند اليمنية أدت إلى ظهور اتحاد سياسي أشمل كان قد تشكل قبل نشوء المملكة السبئية، وكان قد ضم ثلاثة اتحادات هي اتحادات (سبأ، معين، قتبان)، لكن سبأ انفصلت وتحالفت مع فيشاتن لتكوين المملكة السبئية التي لعبت المدن فيها دوراً مهماً، وبقي حتى أواخر القرن الثاني الميلادي.

«ومن الواضح أن اتحاد القبائل في نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد تحول إلى دولة، نتيجة لتطور وسائل الإنتاج، ونمو التفاوت في الممتلكات وظهور الملكية الفردية للأرض، كما أن بناء المدن الكبيرة والمعابد ومنشآت الري في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وكذلك النقوش الي تم نحتها بصورة رائعة على الحجر والبرونز والتماثيل البرونزية للنبلاء وغير ذلك، يجعلنا نؤكد بثقة أن سبأ في هذه المرحلة قد شهدت تكون المجتمع الطبقي والدولة.» (قائد 2004: 67).

كانت الممالك اليمنية مقيّدة بمجالس شيوخها التي تحدّ من سلطة الاستبداد الملكي بشكل خاص. وكان المكاربة يعملون بجدية كبيرة في مجلس الشيوخ بين مجلسي القبل والهجر.

4.القبيلة

كانت القبيلة هي النواة الأساسية الصلدة في المجتمع اليمني القديم، ويبدو أنها ما زالت تحتفظ بمكانتها هذه حتى اليوم. ورغم أنها كانت تظهر في صورة أوسع مثل (الاتحاد القبلي والشعب) أو في صور أصغر مثل (البيت والأسرة)، لكنها هي النواة الصلبة دائماً.

تتكون القبيلة (قبل) من فروع كبيرة يتفرع من كل فرع منها أخرى صغيرة وتتفرع من هذه العشائر اليمنية.

كانت هناك قبائل الرب المعنية بترشيح الحكام الكهنة والمكربين باعتبارهم منذورين للعمل تحت إمرة الآلهة ولأغراض مقدسة منها رعاية مصالح أبناء القبل والممالك، وكان نظام الأبكار هو الذي يمهد لهذه المهمة لكن نظام الأبكار «فقد معناه كمبدأ في بناء الدولة السبئية

في القرنين الأول ـ الثاني بعد الميلاد لقد ارتبط هذا بتغير أساسي في نظام التراكيب القبلي للدولة، فقد ظهرت قبائل جديدة مثل سمعي وهمدان وسخيم وغيرها، هذه القبائل التي لم تدخل في تركيب مجلس الشيوخ ولم تشترك في نظام الأبكار، وتغير التركيب القبلي الداخلي حيث تحول هذا التركيب إلى مناطقي بالخالص وظهر تقسيم القيل إلى أثلاث وأرباع ونمت صلة القيل بالمدينة بحدة، ولم يعد يقف الكبراء في رأس القبيلة ـ شيوخ القبل وإنما وقف الأقيال في رأس القبل هؤلاء الأشخاص الذين أصبحوا الملوك المحليين بالوراثة أو ولاة الدولة في المناطق.» (لوندين / المقدمة 2004: 16).

كانت القبيلة في سبأ تسمى (معشراً) باللغة السبئية، ثم سادت تسمية (قبل) في اللهجات اليمنية عموماً، كانت قبل سبأ المعنية بالموكية هي أربع قبائل (فيشان، ذو خليل، ذو سحر، ذي معاهر) الذي بدأ حكمهم من بداية العصر الحديدي في القرن الثاني عشر ق.م وحتى القرن الرابع ق.م. وقد تمكنوا في القرن السابع قبل الميلاد تطبيق نظام الحكم الفيدرالي الاتحادي، حين جعلوا لكل قبيلة حكماً ذاتياً يتبع المملكة عسكرياً واقتصادياً، عن طريق ضرائب يدفعها زعماء تلك القبائل في مواسم ومواعيد ثابتة لمركز الدولة في مأرب. كانت طبيعة الأرض اليمنية هي السبب الرئيس وراء ظهور القبيلة وهو أمر موجود في كامل شبه الجزيرة العربية، حيث إن الجبال والقيعان الضيقة حجزت الناس عن بعضها، ما أدى لظهور جماعات متحالفة مع بعضها (القبائل) متوجسة من الآخر القريب منها قبل الغريب.

ويبدو أن ارتفاع القبيلة، بمصالحها الاقتصادية والسياسية، رفعها أكثر حتى تحوّل (الشعب) إلى (مملكة)، وظهرت ممالك اليمن القديمة التي هي عبارة عن دول مدن واسعة النفوذ وقلقة الحدود. لكن اليمن لم تتوحد في دولة أو مملكة واحدة بسبب قوة القبيلة وعدم قدرتها على الانصهار في دولة واحدة واسعة، ولذلك نجد محاولات توحيد اليمن في عصري (سبأ وحمير) غير ناجحة، وربما كانت هي السبب وراء نهايتهما.

كان عامل النسب وقرابة الدم هو أساس القبيلة، ولكن استقرار القبائل وتوسعها وانقسامها جعلها تسكن أقاليم أكثر سعة وظهر مفهوم (القبيلة الإقليمية) وضعف مفهوم (القبيلة

النسلية)، وأصبح عامل الإقليم (الأرض والوحدة الإدارية) هو عامل تماسك أفرادها،» وقد عرف المجتمع اليمني القديم تقسيمين اجتماعيين رئيسيين:

1. تقسيم أفقي: انقسام السكان إلى عشائر وقبائل على أساس الدم والقرابة سواء كانت حقيقة أم وهمية.

2. تقسيم رأسي: انقسام البنية الاجتماعية إلى شرائح وفئات وجماعات اجتماعية على أسس متنوعة (اقتصادية، مهنية، ثقافية، عرقية، اجتماعية.. إلخ).

وهناك تقسيمات أخرى لا تقل أهمية وهي قبائل بدوية (بدو، رعاة) مقابل قبائل مزارعة (مزارعون)، وسكان مدن مقابل سكان الريف، وكذلك أحرار مقابل عبيد.» (الشرجبي 1990: 123).

حاول بعض المعنيين بتاريخ اليمن حصر القبائل الهامة فكان عدد «أهم قبائلها التي تقيم في جبال الهضبة 141 قبيلة وعدد قبائل تهامة اليمن الهامة 27 قبيلة، وتنقسم كل قبيلة من تلك القبائل الكبيرة إلى عدة قبائل صغيرة نذكر منها: قبيلة همدان ـ قبيلة نجران ـ قبيلة يام ـ قبيلة وادعة ـ عيال سريخ ـ آل عامر ـ قبيلة خولان الشام ـ قبيلة ربيع ـ قبيلة سفيان ــ قبيلة بلاد البيضا ــ قبيلة الخمسين ـ قبيلة بلاد ذمار ـ قبيلة رذاع ـ قبيلة الغلقمي ـ قبيلة الصالحي ـ قبيلة بلاد العدين ـ قبيلة الأغابرة. ومن قبائل تهامة اليمن نذكر: قبيلة المسارحة ـ قبيلة العبادلة ـ قبيلة الحارث ـ قبيلة بن محمد ـ قبيلة بني مروان.. إلخ» (فخري 1957: 32 ــ 33).

ولكل قبيلة تقاليدها وعاداتها ولهذا فمن الصعب أن يتحدث أي إنسان عن تلك القبائل بوجه عام، «ولا يعني الانتماء إلى قبيلة واحدة أن أفرادها متساوون في كل شيء، وذلك أن القبيلة عبارة عن صور مصغرة لمجتمع مستقل نسبياً وعليه فالتفاوت بينهم وارد من حيث المكان الاجتماعي والوظائف وفي المهن والحرف» (رودوكناكيس 1958: 130).

كما أن هناك تفاوتاً بين القبائل من حيث الوزن السياسي والاجتماعي، فليست كل القبائل سواء. أما الذي يحكم القبيلة فمشايخها وأعيانها وعقلاؤها. ومن الملفت للنظر أن القبيلة لم تعرف الحكم الاستبدادي أو الفردي فقد كشفت بعد النقوش (قتبانية وسبئية) عن وجود مجلس قبلي يسمى (عهرو) و(عهر) يناقش فيه وجهاء وأعيان القبيلة ما يتعلق بقبيلتهم من أمور هامة مثل الحروب أو فرض الضرائب أو زيادتها مثلاً (الشرجبي 1990: 125).

لفظة (عهر)، في المعجم السبئي، هي «اسم جمع» يعني (سادة) جاءت مرتبطة بدولة أو قبيلة «فيشان» أي «عهر فيشان» بمعنى: سادة قبيلة فيشان.

الأعراب (ع ر ب ن)

يشير مصطلح (عربن) لأمرين: الأول في كونه يعني البدو المقيمين في اليمن، والثاني يعني أنه مرتبط بطبيعة الناس الموجودين في جزيرة العرب بشكل عام والذين يعرفون بالعرب، ويحيلنا هذا إلى تلازم صفة البداوة مع العرب قبل الإسلام بشكل خاص وفي جزيرة العرب على وجه التحديد.

«المجتمع اليمني وإن كان فيه صفات المجتمع الحضري أكثر من أي مجتمع آخر في شبه الجزيرة العربية؛ فإن هناك طبقة ثانية غير الحضر هم الأعراب (البدو)، وإن كانوا يختلفون عن عرب شبه الجزيرة العربية، فهم إلى بدو الجزيرة العربية شبه أعراب، أو وسط بين البداوية وأدنى درجات المجتمع الحضري. وهذه القبائل البدوية لم تبلغ ـ بطبيعة الحال ـ مستوى التطور الاجتماعي الذي بلغته الجماعة (شعب)، حيث ظلت تعيش حياة بدائية في إذار عشائري قبلي، ولم تدخل في تكوين الجماعة ولم تندمج معها، ومن ثم فقد عُرفوا باسم أوسع انتشاراً هو (أعراب) أي البدو. ويوجد ما يقرب من 26 نقشاً تذكر فيها اللفظتان بصورة تختلف عما في اللقب الملكي، حيث ظهرت الأولى خلال النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وظهرت الثانية حوالي سنة 150 ميلادية. ومن الواضح أن الكلمتين لم تستخدما بالمعنى نفسه، فكلمة (عرب) تستخدم في النقوش لتسمية بلاد العرب، وكان يعبر

عن مفهوم البدو الرحل بالكلمة الثانية، وهاك نقشان يعودان إلى القرن السادس الميلادي يضعهما الحضر في مقابل البدو الرحّل.» (الكهالي 2002: 9).

5.البيت

مجتمع القرية (بيت) (بيث) هو مصطلح يطلق على كل الجماعة وموقع سكناها، كما يرتبط اسم تلك الجماعة في الغالب بالبيت نفسه (القرية).

«كانت طبيعة الاستيطان في اليمن القديم تقوم على أ ساس تجمع عدد من الأسر»بيوت» تؤلف نظاماً قبلياً يرأسه رئيس أو شيخ من أبنائها، وتقطن تلك القبيلة مكاناً معيناً يسمى باسمها، ومن ثم تؤلف مجموعة من القبائل ما يسمى»الشعب» أو القبيلة المستقرة أو المتحضرة، وذلك نتيجة للحاجة المشتركة للأعمال الزراعية وري أراضي تلك القبائل، وعدم استطاعة قبيلة واحدة القيام بتلك الأعمال منفردة. وتستوطن القبيلة»الشعب» المدينة التي تسمى باسمها، وينتسب إليها أعضاؤها سياسياً، وكانت تلك المدينة تسمى في النقوش اليمنية القديمة هجر (hgr)، حيث تمثل المركز الإداري للقبيلة الأقوى، ومن هذه القبائل المسيطرة التي كانت تسمى المدن باسمها تكونت الممالك اليمنية القديمة كوحدات سياسية كبرى بنفس الاسم وفي مقدمتها مملكة سبأ، ومن الدلائل على أسبقية مملكة سبأ في هذا الجانب الدراسات الجيومورفولوجية للترسبات الطميية لسد مأرب التي أثبتت أن بداية تاريخ نظام الري والزراعة في حوض مأرب يعود إلى نهاية الألف الثالث، وبداية الألف الثاني ق.م، وهذا الأمر لم يكن ليتم إلا في وجود نوع من النظام المركزي يتولى عملية الإشراف على ذلك العمل.» (العريفي 2002: 28 ـ 29).

يُذكرنا مصطلح (بيت) بالآراميين الذين لازم تجمعاتهم هذا المصطلح، ولا نعرف مدى علاقته بين الآراميين واليمنيين، ورغم أنه أسبق عند الآراميين، لكن معناه مختلف عن اليمنيين، حيث يدل في اليمن على مستوى بسيط لا يتعدى اجتماع بضع عوائل أو أسر، بينما يظهرعند الآراميين بمثابة مقابل لما عرفناه عن دولة المدينة في المشرق القديم.

«إن اسم الموصوف ب ي ث معروف جيداً في جميع اللغات السامية ويقابل لكثرة في النقوش السبئية بمعان مختلفة، وإن كان يصعب تفسيره في الصيغة قيد الدراسة فقط، لأنه الأكثر في معاني الأسماء في الغالب (معبد، بيث، الرب) (راجع على سبيل المثال ب ن/ ك ل/ ء ب ي ت هـ/ في قائمة الحكام الكهنة»من جميع معابده، عثتر». ويستخدم مصطلح ب ي ت بشكل كثير كمعنى بيت (راجع على سبيل المثال ب ي ت/ س ل حـ ن»بيت سلحين»؛ 14 ـ 13, 10 ـ 9, 561؛10 ـ 9, 599 Ja....الخ)، وربما تعني كلمة بيت أحياناً (الأسرة) (راجع على سبيل المثال Nami NN 77 ش ح ح/ ذ ت/ ب ي ث/ هـ ل ك ء م ر) (شحيح من عائلة هلاك أمر). وفي الأخير نقابل حالات متى تكون هذه الكلمة مقروءة مع تسمية القبيلة (مثل ب ي ت ن هـ ن/ ب ي ث/ هـ م د ن/ وب ت ع 13 ـ 12, 651 Ja بيتان بيت همدان وبيت بيع) وقد تعني أرض القبيلة التي تحمل الاسم المناسب لها في سياق الحديث المدروس، ولا بدّ من أن نرى المعنى الأخير بدون شك. وعلى هذا الأساس فإن صيغة ب ب ي ت ن/ س ب ءن (في بيت سبأ) تعني الأرض التي تعود إلى هذا الفرع من قبيلة خليل، ويعزز هذا المعنى احتمال نقش a 1757 –ب ك ل/ س ب ء ن (في كل سبأ) أي مرة أخرى في كل منطقة سبأ، ومع ذلك يبقى غير واضح لماذا وجد في هذه الصيغة مجال نشاط الحاكم الكاهن المحصور في فرع واحد من قبيلة خليل. في حين تتحدث الصيغ الأخرى لهذا النقش عن كل الأرض السبئية.» (لوندين 2004: 208 ـ 209).

6.الأسرة

الأسرة هي الوحدة الأولى في أي مجتمع مهما كان نوعه، وهي في اليمن كذلك تدل على الرجل وزوجته وأبناؤهما، ويمكن أن تضم الأسرة أهل الزوج أو الزوجة.

المبحث الثاني: الهرم السياسي والإداري في اليمن القديم



الهرم السياسي والإداري اليمني القديم

أولاً: رأس الدولة (المملكة)

1.الحاكم الكاهن

أول من حكم في قبائل اليمن لزمن قد يرقى إلى ما قبل بداية العصر الحديدي، أي إلى العصر البرونزي، هو نظام ثيوقراطي ديني يكون فيه الحاكم الكاهن على رأسه.

منصب الحاكم الكاهن منصب خاص وليس منصباً عاماً، أي إنه محدود بسبب نشأته قبل ظهور الاتحاد القبلي السبئي الواسع، ولكنه كان حاضراً في أي اتفاق أو اتحاد قبلي محدود، وظل حاضراً عندما نشأت الدولة السبئية بنظاميها المكربي أو الملكي.

كان أبكار القبيلة (وهم شباب منذورون للآلهة في القبائل) يتهيؤون لمنصب الحكام الكهنة في القبيلة (قبل) فقط، حيث ينتقل من الأب البكر إلى الابن البكر بطريقة وراثية ويستمر لسبع سنوات حين يصبح البكر بعمر يتراوح بين 20 ـ 25 سنة، وكانت هناك ثلاث قبل (قبائل)، في الهيئات العليا والمدن والقبل، فهو يشمل الوحدات المحلية في الدولة السبئية،

وهناك الدورة بين أبكار قبائل (عدال وخليل ونزحت) ولكل قبيلة مجموعة من العشائر تتناوب على المنصب، فعلى سبيل المثال يكون المنصب في قبيلة خليل كما يلي: بكر عشيرة يحرهم ـ بكر عشيرة حزفرم ـ بكر عشيرة صبحرم.

2. المكرب

لا شك أن دور رجل الدين الأكبر (المكرب) كان موجوداً وراسخاً منذ بدايات العصر الحديدي في اليمن القديم، وقد ظهر دوره جلياً واضحاً مع بداية ظهور الممالك اليمنية في حوالي القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. ورغم أنه رجل دين فقد كان يدير الأمور الدنيوية أيضاً أي إنه امتلك إدارة شؤون الدين والدنيا في سبأ وحضرموت وأوسان وقتبان. وكان هذا الأمر قد سهّل المهمة لآخر مكارب سبأ (كرب إيل وتر) الذي كان سبباً في توحيد هذه الكيانات ثم إعلان الملكية فيها.

«ويكتسب اللقب»مكرب» في الدول اليمنية القديمة عموماً، وفي سبأ خصوصاً أهمية بالغة، إذ يمثل أول الألقاب السياسية وأهمها للحكام بعد ظهور نظام الحكم في سبأ، وبالعودة إلى الجذر اللغوي»كرب» يبرز معناه الأول (الجمع والحشد) فهو بذلك»الموحد أو المجمع للشعوب»، ثم الآخر (قرب ـ تقرب) وبذلك فهو مقرب من الآلهة. واستنتج البعض أنه بهذا يجمع ما بين السلطة الدينية والزمنية، أي أن يجمع بين الكهانة والملك، ولا سيما وأن كثيراً من حكام جنوب الجزيرة العربية يعدون أنفسهم من سلالة الآلهة، فالملك ما هو إلا الابن البكر للإله، أي إنهم كانوا كهاناً ويقومون بوظيفة ملك، ولارتباط الحكام المكارب بالطقوس الدينية فقد صنّف عالم الدراسات السبئية (لوندين) النظام السياسي والديني للدولة السبئية بأنه صورة للحاكم الكاهن، ولكن تظل مسألة الادعاء بالابن البكر للإله أو أن السبئيين أبناء الإله السبئي (إلمقه) غير واضحة تماماً ومع ذلك فجوهرها يعطي استعمالاً سياسياً للدين يهدف لتبرير سلطة ذات مسحة دينية.» (العزعزي 2006: 40 ـ 41).

المكربية مرحلة مهدت للملوكية، ولكنها كانت تقوم بأدوارها الدينية والدنيوية بشكل كامل، رغم ميلها لتبرير حكمها وتداوله من خلال المعبد والآلهة بشكل خاص.

«إن المكارب والملوك في (سبأ) من الثابت أن علاقتهم بالمعابد كانت إدارية وسياسية الغرض، منها تبرير السلطة بهالة إلهية مقدسة تستهدف إخضاع الشعب وتوحيده. وصحيح أن المكارب كانوا أكثر نشاطاً من الملوك في الجانب الديني، لفائدته في تسويغ السلطة وحشد الشعوب حول المكرب السبئي، إلا أنه يصح أيضاً القول أن المكارب كانوا حكاماً للكهنة، مثلهم مثل الملوك، كما أن الثابت في جميع الحضارات أن من يمارس الكهانة يكون مقره المعبد وليس القصر» (العزعزي 2006: 100).

كان المكرب هو الحاكم الأعلى الموجه والمختار من الله، كما يراه الآخرون ويرى نفسه، فقد كان الاتقاد سائداً بأنه يستمد سلطته مباشرة من الإله، ويسمى هذا النمط من بالحكم الثيوقراطي والذي يقضي بتشكيل حكومة دينية من الكهنة أو رجال الدين.

لمعرفة الفرق بين الحاكم الكاهن والمكرب يمكن قراءة هذا الجدول:

3. الملك

هو رأس الدولة أو المملكة ورأس الهيئة التشريعية وباسمه تصدر القوانين، أي إنه مقيّد بهيئة تشريعية وليس كحاكم موناركي مطلق. وهو قائد الجيش والمدير لشؤون المملكة من القصر (البيت)، يرعى المواثيق والاتحادات ويعيّن وليّ الأمر، ويحمي الاقتصاد ويعين كبار القادة والموظفين وجباة الضرائب ومدراء الأقاليم ويهبهم العطايا ويكافئ الموالين والمخلصين.

كانت سلطة الملك تعلو على سلطة رجال الدين، فهم لا يتحكمون فيه، وكان مقيداً بما يطلبه مجلس الشيوخ القبائل الذي كان يسمى (مسود).

كان هناك لقب (ملك أريعم) وهو أقل مرتبة من لقب (ملك) لأنه يمثل، في سبأ مثلاً، الزعيم المحلي، العضو في الهيئة التشريعية السياسية في العصر الملكي وخصوصاً في منطقة مأرب.

الملك هو الرأس الأعلى للهيكل الإداري والوظيفي للمملكة وهو الذي يرأس المسود (المجلس السياسي والإداري للدولة) ويرأس التشريع والقضاء وقيادة الجيش.

«تميز النظام الملكي بالحكم الوراثي عادة، حيث ينتقل السلطان من الآباء إلى الأبناء حيث يتولاه الابن الأكبر غالباً ثم ابنه من بعده، ولم يكن الملوك في بلاد اليمن ملوكاً مطلقين لهم سلطان مطلق وحق إلهي في إدارة الدولة، ولكن كانوا ملوكاً يتخذون القرارات بالتشاور مع مجلس نيابي يضم سادة القوم وذوي الرأي من رجال الدولة وسادة القبائل وكبار رجال الدين، وهذا نظام تقدمي يدل على استخدامهم الشورى» (مهران، أمل 2011: 52).

يمكن أن نرصد التحول من المكربية إلى الملكية في القرنين السابع والثامن قبل الميلاد عند سبأ وأوسان فقد كانتا محكومتين بحكم المكاربة، لكم في أوسان، وتحديداً في عهد (مرتعم) مكرب أوسان تغير اللقب إلى الملك حين أراد التوسع لأن الكهان منعوه من التوسع، فقام بتغيير نظام الحكم من ثيوقراطي ديني مكربي إلى ملكي شموليّ. وأصبح الملك مرتعم قادراً على التوسع إلى حضرموت وقتبان وبعض مناطق سبأ. وفي سبأ حصل ما يشبه هذا حين وحد حاكمها المكرب (كرب إيل وتر) والذي أراد التوسع وضم الممالك الصغيرة تحت حكمه فقام بتغيير نظام الحكم وتوسع وضم أوسان له.

ولأننا عرفنا طبيعة المكرب والملك، فلا بدّ من معرفة دقيقة للفرق بينهما، وهو ما نراه في الجدول الآتي:

نظام ولاية العهد والوصاية اليمنية

عندما تكون المملكة قوية يكون فيها مبدأ ولاية العهد للابن أو الأخ هو قانون توريث الحكم. لكنها عندما تضعف يسود فيها الغالب ويُنتهك مبدأ التوريث.

كان المرشح الأكبر لولاية العهد هو الابن البكر، والذي كان يعيش، عادةً، في القصر مع والده، حيث يتم إعداده، من جميع النواحي السياسية والعسكرية، لكي يكون ملكاً. وفي

سبأ كان يعلن عن ولي العهد خلال حياة الملك والده. ويظهر في النقوش، أحياناً، مع والده وهما يحملان اللقب الملكي. وفي حضرموت كانت تجري مراسم تنصيب الملك الجديد في موكب رسمي يحضره كبار رجال الدولة والقادة ورجال الدين.

الحاشية الملكية والقصر

كانت العائلة الملكية وحاشيتها تسكن في القصر الملكي الذي يرمز لهيبة وقوة الدولة، لم تحكم اليمن أية ملكة منفردة بالملوكية، بل كانت زوجات الملوك يحزن على لقب ملكة، وهو لقب تشريفي أكثر مما هو فاعل، بسب الطبيعة المحافظة للحياة الاجتماعية القبلية، ولذلك لم يلعبن أدواراً سياسية كبيرة واضحة للعيان كملكات.

«كان (القصر) رمزاً للسلطة السبئية وقيادتها، وقد واكبت القصور السبئية مجمل التطورات السياسية السبئية، ودليل ذلك انتقال رمز السلطة السبئية من القصر (سلحين) في العاصمة (مأرب) ثم مشاركة قصر (غمدان) له في الأهمية السياسية، وأخيراً إلى قصر (ريدان) في العاصمة (ظفار). ويدل ظهور القصور (سلحين) في (مأرب) وغمدان في (صنعاء) وريدان في (ظفار) أن هذه الظاهرة غير اعتيادية، وإنما حدثت مجاراة لتطورات في الجغرافية السياسية للدولة التي استوجبت ظهور قصور جديدة تواكب تطورات سياسية واقتصادية داخلية وتطمح لتحسين تمركزها للاستفادة من التغيرات الاقتصادية الدولية.» (العزعزي 2006: 110).

ثانياً: الطبقة السياسية والإدارية العليا

1.كبير أقيال

أولاً. الاتحادات:

1. اتحاد شعب: شعب (ش ع ب) هو أول وأقدم اتحاد قبائلي تجاوز قرابة الدم في القبائل حين اتحدت وكونت (شعباً) وهو اتحاد العلاقات الدينية والاجتماعية والاقتصادية

والجغرافية، وأشهر هذه الأنواع حصلت مع (شعب سبأ، شعب حضرموت، شعب قتبان، شعب أوسان، شعب معين، شعب حمير).

2. اتحاد جوم: جوم (ج وم) وهو اتحاد أكثر من (شعب) في تكوين سياسي واحد، وحصل عندما سيطر السبئيون على أغلب ممالك اليمن في القرون السابقة للميلاد، حيث كوّنوا دولة فيدرالية تقريباً وكانوا يعبرون عنها باسم (سبأ أحوم) أي دولة سبأ. وظهرت مع المكارب.

3. اتحاد أشعبن: أشعبن (أ ش ع ب ن) ظهر هذا المصطلح عندما فقدت سبأ السيطرة على ممالك اليمن القديم وبقيت في ما يشبه الاتحاد الشكلي معها دون فاعلية سياسية واضحة، فهو نوع من الاعتراف باستقلال بقية الممالك مثل قتبان ومعين وحضرموت..إلخ وظهرت بعد ظهور الملوك بعد المكارب بقليل حين ضعفت سبأ.

ثانياً: التحالفات:

«هي المعاهدات والعهود التي تعقد بين طرفين أو أكثر، وأفضل مثال لهذه التحالفات كان بين مملكة سبأ والبدو (عربن) الذين كانوا يتنصلون من ولائهم وتحالفاتهم مع المملكة فيثورون وينفصلون عنها ولذلك كانت تعقد مثل هذه التحالفات بين الملك وكبراء القبائل البدوية (عقيل د. ت: 44).

2.قيل

القيل هو رئيس الشعب (جمعه أقيال أو أقوال)، وكانت المملكة تتكون من عدد من الشعب أو الشعوب، التي هي أكبر اتحاد عدة قبائل، ويكاد القيل يأتي بعد الملك في أهميته السياسية، وحين كانت المملكة تضعف وتتفكك يسيطر عليها الأقيال، والأقيال يستطيعون تغيير الملك إذا كان لا يصلح لهذا المكان، وبعضهم يرقى للملوكية، وهم يعتبرون أنفسهم ملوكاً محليين في قبائلهم.

«لكن بعض المناطق لم يحدث فيها التحول إلى لقب (قيل) بهذه الطريقة، وإنما اتخذ مساراً مختلفاً، ومر أحياناً بمرحلة واحدة وسطى على الأقل كان فيها الحاكم يلقب بـ(كبير)، وهذا ما نلمسه من تاريخ دولة سبأ حين أوكل إلى بعض (كبار) العشائر ـ على رأس مستوطنين من العشائر السبئية وأتباعها ـ الاستيلاء على بعض المناطق. أما العلاقة بين (القيل) و(الذو) فلم تتحدد معالمها على وجه الدقة، لكن ثبت من النقوش أنهما تعايشا منذ ما قبل الميلاد، وأنهما يمثلان من ناحية المكانة الاجتماعية لحامل أي منهما وضعاً متشابهاً على وجه الإجمال، فلكل منهما أرض يديرها، وأتباع يحكمهم، على أنه يبدو فيما يتعلق بالأقيال أنهم أو بعضهم كانوا في بداية ظهورهم امراء حلوا مكان بعض ملوك القبائل الصغار الذين كانت تعج بهم اليمن في القدم، وخاصة في النصف الشمالي من نجد اليمن ـ كما أسلفنا ـ غير أن حضرموت لم يعرف حكامها هذا اللقب، بل عرفوا غيره من الألقاب، أبرزها اللقب (ذو)، لكن منذ القرن الرابع الميلادي أخذ اللقب (قيل) في الانتشار، ثم استمر في السمو على غيره من الألقاب، وأصبح يتخذ طابعاً رسمياً أكثر توظيفاً لمعناه، ربما يعود ذلك إلى التفكك الإداري الذي سببه نظام الإدارة المحلية التي شهدها الحكم الحميري في القرن الخامس الميلادي. وبحلول القرن السادس الميلادي وانتشار النزاعات والقلاقل الداخلية التي عمت كل الأقاليم اليمنية تقريباً، أصبح اللقب معبراً عن النزاعات الإقليمية الناتجة عن محاولات النزوع إلى الاستقلال.» (الكهالي 2002: 24 ـ 25).

القيل، إذن، هو لقب لزعيم قبلي يتم تنصيبه إلى مجلس الأقيال، بعد أن ينال دعم قبيلته، لكي يكون له ثقل وتأثير واضحان في المجلس.

3.ذو

الذو: يشبه القيل لكنه ظهر في حضرموت بشكل خاص. ومعناه (صاحب القصر الحاكم أو البيت)، وكان الأذوائية معروفين في شمال اليمن مثل (سمعي، بنو ذي غيمان، حضرموت).

الأذواء لقب شيوخ القبائل وهؤلاء لهم مجلس خاص يسمى مجلس الأذواء، الذي يأتي بعد مجلس الأقيال وهناك منهم من تلقب بـ (قيل) أو منهم من أصبح ملك بعدها. وفي كلّ حال

يقلّ الذو شأناً عن القيل.

ثالثاً: الطبقة السياسية والإدارية الوسطى

1.كبير (رئيس القبيلة)

الكبير: كبير القبيلة أي رئيسها وهو موظف ملكي في حالة المملكة، ومرتبة الكبراء سلطة لها نفوذ قوي كأعيان دولة. الكبير داخل المملكة هو بمثابة الوزير، وكان الكبراء بمثابة الوزراء المختصين بحقول إدارة الدولة وهم يترأسون الأقيان.

2.قين (ممثل المعبد)

قين: وهم رجال الدين المختصون بالمال والإدارة والذين يخضعون للكبراء ويقومون بإدارة المعبد والمدينة وربما قيادة الجيش أو توفير احتياجاته، وتتألف طبقتهم من الأمراء ومن ممثلي المدن وكذلك من رجال الدين (رشو).

رشو: هم رجال الدين بصفة عامة والذين ينصرفون للأمور الدينية ولشؤون المعابد.

3.مقتوى (قائد الجيش)

مقتوى: هو الخازن أو المعاون، فهو نائب الملك أو قيل أو كبير قبيلة وحين يكون نائباً للملك يسمى (مقتوى ملكن) وتغلب عليه صفة العسكرية ولذلك يكون كمستشار عسكري.

4.محرج (حاكم المدينة)

لولا تأسيس المدن في اليمن لكان من الصعب أن ترقى اليمن القديمة لمستوى الحضارة، ورغم أن النظام القبلي بقي في المينة بصيغة الـ (شعب) لكن عدم ذوبان النظام القبلي في المدن هو الذي ساهم في تقويض الحضارة اليمنية.

«ارتكز النظام الإداري السبئي على إدارة التجمعات البشرية الساكنة في المدن (الهجر)، فكانوا يتعاملون مع زعامات الهيئات المحلية لتلك المدن، وكانت تلك الهيئات هي التي تسّير تلك المدن، ومن مسؤولياتها جمع الضرائب وحفظ الأمن فيها، كما أن المدن السبئية تحتكم لهيئة تشريعية خاصة بالمدينة، وكانت المدينة تزود أحياناً الملوك ببعض الجيش عندما تتطلب ضرورة الحرب، ويشابه ذلك الأسلوب الإداري إلى حدٍّ كبير ما يعرف اليوم باسم (المجالس البلدية)، مع فارق أن تلك الزعامات في الغالب كانت تتوارث تلك المناصب على مدنها، وربما كان المقياس الحقيقي لهيمنتها يكمن في أمرين، الأول: أنها تستمد هيبتها من ولائها للملك في (مأرب)، وهي صاحبة الضبط والربط في مناطقها باسمه. والثاني: نابع من أعمالها الإدارية والقضائية وجبايتها للضرائب لغرض إيصالها للعاصمة الملكية، مما جعلها تتمتع بإمكانيات اقتصادية كبيرة، فأصبحت من كبار الملاك.» (العزعزي 2006: 115).

«اهتم مكارب سبأ كثيراً ببناء المدن كونها من ضرورات مرتكزاتهم الاقتصادية والسياسية، وأهم إنجازاتهم في هذا الجانب مدينتا (صرواح ومأرب) اللتان شكلتا علامتين حضاريتين لهم منذ ذلك الوقت حتى اليوم، فقد أولى السبئيون منذ بداية عصرهم اهتماماً كبيراً ببناء المدن، وقد شمل ذلك اختيار موضع المدينة وملاءمته لموقع الدولة السبئية عموماً، وصلاحية ذلك الموضع للهدف السياسي أو الاقتصادي أو العسكري الذي ستنشأ المدينة الجديدة من أجله.

وقد مثل بناء المدن السبئية جزءاً مهماً من استراتيجية بناء الدولة السبئية وتطورها، وبما أن المدينة ظاهرة حضارية يفرضها التمدن ووسائله فقد تطلب بناء المدن من السبئيين إجادة القراءة لمصلحة العوامل (الجغرافية ـ التضاريسية) للبيئة السبئية، وأيضاً العوامل التي تفرضها اتجاهات التمدن (السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية)، وكذلك المتغيرات التاريخية، وقد نجح السبئيون في اختيار المدن القائدة لفعاليات الدولة المختلفة، وأصبح فيما بعد أينما تذكر المدينة السبئية القائدة تذكر سلطة الدولة السبئية.» (العزعزي 2006: 51 ـ 52).

كان الـ (محرج) هو لقب حاكم المدينة أو الولاية أو الإمارة، وهو موظف إداري وخدمي أكثر من كونه شخصاً سياسياً أو قبلياً.

«المصطلحات (هجر) جمعه (أهجر)، والبضع جمعه (أبضع) يشيران إلى مكان مهم داخل المملكة، ومصطلح (هجر) يدلّ على المدينة، أما (بضع) فيدل على الناحية المحيطة بالمدينة أي التابعة لها إدارياً.

هناك ما يشير إلى أن المكرب هو في حقيقته أو بذاته حاكم محلي لمدينة أساسية في دولة سبأ، وربما كان لقب (كبير) يدل على ذلك أيضاً لكنه مرتبط بحكمه للقبيلة بصفة أكثر.المدينة اليمنية لها آلهة ومعابد، ولها وحدات إدارية ونواح (بضع) وكان يلقب حاكم المدينة، بشكل عام، بـ(كبير) أيضاً، ولها مجلس شيوخ يسمى (مسود ـ عرزام) أو (ملأ عرارم) والمواطنون الأحرار فيها يسمون (وشعبن) أو (شعب).أما ما يسمى بـ (أهل الشورة فهم أعضاء مجالس القبائل المؤسسة للاتحادين (سبأ، فيشان).أما مصطلحا (شعب وـ جو ـ يشيران «إلى نوع من الارتباط.... مجالس المدن» (لوندين د. ت: 27 ـ 28).

6.عاقب (قائد جند المدينة)

عاقب: الوالي أو قائد الجند، يختاره الملك ليكون مديراً لمنطقة أو لقطعة عسكرية أو الإقليم أو الإدارة المحلية. وربما كان عميد أسرة وارثة للقب اجتماعي وغير مرتبط بسلطة ملكية. فهو منصب وظيفي يضعه الملك لشخصٍ يختاره بنفسه كنائب له في أي منطقة من المملكة، فهو أقرب ما يكون لما نعرفه اليوم بأمير منطقة أو بمحافظ، وأحياناً يخلف الملك في قصره حتى يعود. وإذا كان عسكرياً سمي (وازعاً).

بنية الدولة السبئية: تصميم المؤلف، بالاستعانة بـ (لوندين 2004: 306)

رابعاً: الطبقة السياسية والإدارية الاستشارية

المجلس السياسي والإداري (مسود)

دلت كلمة (مسود، مزود) على المجلس السياسي والإداري في أغلب الممالك اليمنية القديمة، وكانت هناك أنواع من المسود، أرفعها المسود الذي يترأسه الملك ويضم ممثلين عن مساود المدن والقبائل. ويناقس هذا المسود الأعلى الأمور المهمة والخطير كالحروب ومواجهة الأخطار فضلاً عن ما يتعلق بتسيير الحياة اليومية في المملكة والقوانين التي تسيرها.

«كان السبئيون في العصر الملكي بحاجة إلى نظم تشريعية تنظم الحقوق والواجبات للسلطة وللشعب وتحددها، وهذا الأمر يفسره كثرة النقوش الشريعية في العصر الملكي. فلم تعد الطاعة مستوحاة من هيبة الحاكم وسلطته، بل من مساواته الآخرين، فبروز المجالس التشريعية بشكل واضح في العصر الملكي يدل أن السبئيين (كشعب وسلطة كانوا متجهين تماماً إلى هذا التقنين، وقد أكدت النقوش اليمنية القديمة ومنها النقوش السبئية أن نظام الحكم في اليمن القديم عرف هيئات تشريعية إلى جانب سلطة الملك، إذ أشارت النقوش القانونية السبئية إلى هيئة تشريعية باسم (م س ود ن CIH 601/) وأخرى باسم (م س خ ن ن) (RES 3951).» (العزعزي 2006: 101).

1.مسود الدولة

مجلس الشيوخ السبئي: التكوين والوظائف

عُرف المجلس الاستشاري باسم (مسود، وكان جزءاً مهماً من الدولة اليمنية القديمة فهو يضم مجلس القبائل ومجلس المدن. وكانت الـ (قبل) تتمثل في المجلس وفق حجمها وأهميتها ولا تتمثل العشائر فيه، أما الـ (هجر) أي المدن وكانت المدن الكبيرة ممثلة في المجلس، أما المدن الصغيرة فلا تتمثل فيه.

يتكون المجلس من ما يلي:

1. الملك

2. الأشراف والزعامات الكبيرة

3. ممثلو الـ (قبل) أي القبائل

4. ممثلو الـ (هجر) أي المدن الكبيرة

5. أصحاب الأملاك

6. كبار موظفي الدولة.

في مملكة سبأ القديمة كان الملك هو الذي يقود السلطة التشريعية ولذلك فإنه المجلس كلّه وقد تألف مسود سبأ القديم «من الملك ومن ممثلي ست قبل. تغاير تمثيل القبل الست هذه في مجلس الشيوخ السبئي العام، لقد مُثلت قبيلتا (عدل، خليل) بثلاثة أعضاء في مجلس الشيوخ السبئي العام لكلّ واحد منها، بينما مثلت (نزحت) بعضوين في المجلس ومثلت قبل (فيشان وأيعن وأحصرن) بعضوين في كلّ منها، وهي القبل التي لا يصعد منها الحكام الكهنة، علماً بأن أعضاء مجلس الشيوخ هذا قد كانوا زعماء القبل مع الفارق المشار إليه في تمثيل كل قبيلة في المجلس» (لوندين/ المقدمة 2004: 10).

أما وظائف مجلس الشيوخ السبئي فكانت كما يلي:

1. الوظيفة الطقوسية التي توحّد بين عبادات الآلهة المختلفة للقبائل والمدن.

2. الوظيفة الاقتصادية في تنظيم التجارة والإتاوات.

3. الوظيفة الإدارية التي تنظم حجم تمثيل القبائل والمدن وتشرف عليهم.

لقد شبّه أ. جـ. لوندين الشكل الإداري للمدن اليمنية بما يقابله عند الإغريق.

«غير أنه مع حلول القرن الثالث الميلادي أخذت أهمية (المسود) في التقلص والانهيار، حتى انتهى تماماً في تلك الفترة. ويعود ذلك إلى عدة أسباب اجتمعت في تلك الفترة الزمنية، وهي:

1. انفراد الملوك بالحكم.

2. تنامي قوة المشايخ (الأقيال والأذواء) مع ضعف الملوك أو حاجتهم إليهم، خاصة في فترة الصراعات الداخلية بين الكيانات السياسية آنذاك، ونزوع هؤلاء المشايخ إلى استقلال مناطقهم.

3. الأطماع الخارجية وخاصة الحبشية لاحتلال اليمن، وانشغال الملك وأقياله بمقاومتها.

4. تنامي قوة الأعراب، الذين كانوا في البداية يعملون كمرتزقة في الحروب الداخلية، ثم أصبحوا فيما بعد جزءاً من اللقب الملكي.

نخلص مما سبق إلى أن الجماعة الحاكمة في الدولة كانت تتألف من الملك والبلاط ومن الجماعات الرئيسة ذات التأثير والنفوذ؛ أمثال رجال الدين وكبار الموظفين والقادة العسكريين، ومشايخ القبائل وسادات المدن، وأصحاب الأملاك والأموال.» (الكهالي 2002: 21).

2. المجالس النيابية

إذا كان مجلس الدولة الكبير هو المجلس السياسي والإداري (المسود) الأعلى فقد ظهرت المجالس النيابية التي ساهمت في إدارة المجتمع اليمني القديم، وهناك ثلاثة أنواعٍ من المجالس النيابية وهم:

أ. مجلس القبيلة: وهي مجالس كثيرة تتوزع على عدد القبائل تمثل الشعب تمثيلاً نيابياً، فتمثل هذه المجالس القبائل المختلفة في الهيئات التشريعية، وتعمل على ما يلي:

1. سنّ القوانين والقرارات الصادرة منها .

2. كانت تتولى الإدارة العملية للبلاد بيدها.

3. تعقد اجتماعاتها بمعدل مرتين في العام، أو في حالات الخطر المداهم.

4. وتدعى لعاصمة الدولة من قبل الملك لمناقشة أمور داخلية وخارجية، أو عند الرغبة في إدخال تغييرات مهمة في أنظمة الاقتصاد والسياسة.

ب. مجلس المدينة: مجلس يخص المدن لا القبائل، وهناك مجالس في أغلب المدن اليمنية القديم، وتتولى الأمور الآتية:

1. مناقشة شؤون المدينة في السلم والحرب، واتخاذ القرارات المناسبة.

2. مناقشة النظم التشريعية الهامة التي تصدر عن المجلس التشريعي باسم الملك لإبراز حقوق كل من الدولة والمواطن والتي كانت بمثابة القوانين والشرائع الصادرة باسم الآلهة، ولذلك كانت تُنقش على أسوار المدن أو على أبواب المعابد.

3. إقرار العقوبات التي تطال من يخالف هذه القوانين والشرائع، وكان يعاقب من يخالفها بعقوبتين الأولى هي ما جاءت في التشريعات والثانية تلك التي قررها الآلهة من خلال السلطة الدينية الممثلة بالمعبد وكهنته.

ج. مجلس القيل: حين تطور المجتمع اليمني القديم وازدادت صلاحيات الملوك وتنوعت وبدأت تميل للشأن العام، ظهرت إقطاعيات إقليمية تربط وتنسق علاقة المكان والمصلحة المشتركة فكان على رأس هذه الإقطاعيات زعيم يعرف باﻟ (قيل) وجمعه (أقيال)، وهم طبقة من كبار الإقطاعيين من أصحاب الأراضي الواسعة ومن رؤساء القبائل وكبار السادة من القوم يتمتعون بصلاحيات وسلطات واسعة، والتي ربما جمعت مجلس القبيلة ومجلس المينة في مجلس جديد يعرف بمجلس اﻟ (قيل) وهو الذي يترأسه القيل ويسيطر عليه.

المبحث الثالث: أنظمة الحكم اليمنية

سنحاول رصد أنظمة الحكم في تاريخ اليمن القديم، ورغم أن لهذه الأنظمة أسماءها ومصطلحاتها في لغات شعوبها، ولكننا، ومن أجل تقريب صورتها، سنطلق عليها أيضاً بعض الأوصاف والمصطلحات العالمية لوصف أنظمة الحكم.

1.النظام القبلي

نشأت القبائل اليمنية في وقت مبكر من تاريخها القديم يرجح أن يكون في العصر البرونزي المبكر، وكان يعاد تشكيلها وتحالفاتها بطرق متعددة في العصر الحديدي وما بعده، واستقر التقسيم القبلي في اليمن مع ظهور الإسلام على أربعة اتحادات قبلية، هي: حمير، مذحج، كندة، همدان.

كانت البنية القبلية في التاريخ القديم قائمة على اتحادات قبلية شكلّت أربع ممالك (سبأ وقتبان ومَعيـَّن وحضرموت) ومن هذه الممالك الأربعع انبثقت وتفرعت القبائل اليمنية بشكلها القديم. وكانت أقوى هذه الاتحادات في سبأ التي استطاعت تكوين نظام أشبه بالفيدرالية فضمت الممالك الأربع وقبائلها، وقد وجدت الاتحادات القبلية أن أفضل وأقوى طريقة لصنع هويتها يكون عن طريق الدين والآلهة، وهكذا كان لكلّ الاتحادات إله خاص اعتبرته والدها، أي إن أبناء القبائل تنحدر منه.

ظل النظام القبلي يلعب دوره في ما بعد نشوء مملكة سبأ، فقد كان الملك في سبأ بيد قبيلة أو «معشر» حسب اللفظة السبئية اسمها فيشان وذو خليل وذو سحر وذي معاهر. وكان رئيس أو شيخ القبيلة يسمى (كبيراً).

2.النظام الأوتوقراطي

كان نظام الحكم الذي نفّذه (الكاهن الحاكم) في المدينة اليمنية القديم وفي الدولة السبئية الأولى هو النظام الأوتوقراطي، لأن الكاهن الحاكم كان يعيّن بالاختيار لا بالانتخاب.

الأوتوقراطية مصطلح السلطة المركّزة في يد فرد واحد يمتلك وحدَه كل السلطة، وغالباً ما يستند لأسباب دينية وتفويض إلهي وتخضع لولاء الرعية طوعياً، يختلف عن النظام الديكتاتوري بكون المحكومين يخضعون للسلطة بدافع الخوف.

3. النظام الثيوقراطي (المُكرِّبي)

تتكون كلمة ثيوقراطي من كلمتين، «ثيو» وتعني إلهاً، و«قراط» وتعني الحكم، والكلمة مشتقة من المفردة اليونانية ثيوكراتيا، وتعني حكم الإله.

كان يوسيفيوس فلافيوس أول من استعمل مصطلح (ثيواكراتيا) في القرن الأول الميلادي ليصف الحكومة المناسبة التي يراها اليهود والتي حاولوا رسمها في العصر المكابي. وكان بذلك يواجه بها نظاماً دنيوياً يعاكسها طوره الإغريق وهو النظام الملكي، وكان يرى أن اليهود يختلفون عن العالم المتحضر، وهو يرى أن الثيوقراطية تطبق ما يقوله الله في الكتاب المقدس ورجال الدين في حفاظهم على هذا الدين كمصدر للحكم.

كانت مصر قد رفعت ملوكها الفراعنة لمستوى الآلهة، فكان حكمهم ثيوقراطياً، وكانت الصين، خلال بعض عصورها، قد منحت أباطرتها صفات وألقاباً ذات طبيعة ألوهية مقدسة جعلتهم حكاماً مقدسين كفترة حكم مملكة شانغ وغيرها. وكان حكم الإمبراطورية البيزنطية ثيوقراطياً، ويمكننا القول أن النظام المكربي اليمني هو أحد أقدم الأمثلة على الحكم الثيوقراطي.

حمل رجال الدين على عاتقهم تشكيل وتكوين الاتحادات القبلية الأولى وأهمها الاتحاد السبئي وكان المكرّب لقباً دينياً دالاً على ذلك، فهو المقرِّب بين القبائل والموحد لها من جهة وهو المقرّب للآلهة من جهة أخرى، وكان يرأس إقامة العهد مع الآلهة وطقسه.

4.النظام الملكي

كان النظام الملكي هو أشهر أنظمة الحكم في العالم القديم، فقد نشأ في مدينة أريدو السومرية، كما يقول ثبت الملوك السومري، في حدود 4700 ق.م، وقد شهدت اليمن هذا النوع من الحكم في منتصف الألف الأول ق.م بعد النظام الثيوقراطي المكاربي واستمر حتى القرن الرابع ق.م، وأقام هؤلاء الملوك نظام حكم برئاستهم وعلى شكلٍ فيدرالي، فجعلوا لكل قبيلة أو مقاطعة أو مدينة حكماً ذاتياً يتبع المملكة السبئية عسكرياً واقتصادياً، عن طريق ضرائب يدفعها زعماء تلك القبائل في مواسم ومواعيد ثابتة لمركز الدولة في مأرب. لكن النظام القبلي كان راقداً تحت غشاء رقيق من النظام الملكي ولذلك كانت الممالك اليمنية سرعان ما تعود لقبائلها.. وربما كانت طبيعة الأرض اليمنية هي السبب الرئيس وراء ظهور القبيلة بسبب تقطّع الأرض بالحواجز من الجبال والقيعان الضيقة، وهو ما جعل الناس يتمترسون في جماعات متحالفة خائفة من بعضها.

شرحنا كثيراً عن الملك ومؤسساته في الفقرات السابقة، ونؤكد على أن النظام الملكي في اليمن القديم كان مقيداً، بسبب القبائل والاتحادات القبلية، ولذلك كان يستمد شرعية من مجالس شيوخ القبائل ومجالس المسود. وكان الملك بمثابة (ملك الشعب) بالمصطلح اليمني، ويسمى أحياناً بـ (ملك الملوك) حين يحاول ملوك الممالك الأخرى الاحتفاظ بألقابهم في ظل ممالك متحدة في مملكة واحدة كبيرة تشمل كل أو أغلب البلاد كما حصل مع المملكة السبئية.

5.النظام الموناركي

بدأ النظام الموناركي مع الأديان الشمولية التوحيدية والتي بدأت بدخول اليمن منذ القرن الثالث الميلادي، فقد كان ذو نواس مسيحياً عندما تسلق سلم الملكية الحميرية، وحين اعتلى العرش أصبح يهودياً وأسمى نفسه (يوسف)، وأصبح لقبه (ملك كل الشعوب)، والشعوب، في النظام الاصطلاحي السياسي اليمني القديم، هي القبائل المتحضرة التي سكنت المدن اليمنية، وليس المقصود منها شعوب المنطقة أو العالم. وهكذا تحول نظام

الحكم الحميري في عهده من الحكم الملكي إلى حكم الفرد أو (الواحد) «الموناركي»، فقد كان سلوكه وسلوك الملوك المسيحيين من الغزاة الأحباش، مثل أبرهة، يمضي في هذا الاتجاه، ويتجاهل سيادة البلاد وحرمة قبائلها التي ظلت مصانة طيلة الحكم الملكي، وهذا يعني أن الموناركية الدينية والسياسية حطمت الحضارة اليمنية وسارت بها إلى الزوال.

المبحث الرابع: العلاقات الداخلية

أولاً: الإدارة السياسية

كانت الإدارة السياسية، في اليمن القديم، معقّدة جداً، ولم يكن لها شكل ثابت واحد، بل كانت تتبدل وتتحول من زمنٍ لآخر ومن مملكةٍ لأخرى. كانت سلطة الملك مقيدة بمجلس المسود العام، وكذلك سلطات الآخرين بعده.

العلاقات الخارجية كان يحكمها الملك وبلاطه، وكان الملك وشيخ القبيلة هما من يوقعان الوثائق والمعاهدات الخارجية، للملك، والداخلية، لشيخ القبيلة.

يمكننا التعرف على نمط الإدارة السياسية بعرض بعض مواثيق الوحدة والعهد:

نلاحظ أن الميثاق يستعمل كلمة (يوم) التي ربما تعني حينما، ويختتم العبارة بكلمة (حبلم) ثم (حمرم)، والحبل هوالعهد والذمة والأمان وهو مثل الجوار، والحبل هو التواصل، وكلمة (حمرم) فهي أيضاً إشارة إلى الشدة ولإعطاء هذا الميثاق صفة دينية جعل فى رعاية إله (ال) وحامي (شيم) وجعلا كشاهدين على تلك الوحدة.

يبدو أن دول الجنوب خاضت معارك بينها ووجدت نفسها وقد ضعفت وتشتت شملها أمام الأعداء من خارج اليمن وخصوصاً الأحباش، وجاء هذا الوعد بالسلم بينها ليوحدها، فاستعانت بآلهتها لقيام هذا السلم.

كانت صيغة الاتحادات القبلية أقرب إلى ما نعرفه، اليوم، بالشكل الكونفدرالي (اللامركزي)، أو الفيدرالي (المركزي) أحياناً. وكانت قبائل الاتحاد تسمى بـ (جوم) أي قوم، أما الطوائف والملل الدينية والسياسية فتسمى (إرب، أربي).

وكان توظيف الدين سياسياً أمراً واضحاً في الإدارة السياسية، حيث اقترن الإله بالدولة والملك والتحالف مع الدولة كان يعني التحالف مع إلهها، وهكذا كان الإله (إلمقه) هو إله سبأ والذي يتم الاتفاق باسمه ومعه.

ثانياً: الإدارة الاجتماعية والاقتصادية

التنظيم الاجتماعي اليمني الأول هو مجتمع (القرية)، ثم نشأت الأسر أو البيوت والعشائر، وفي العصر البرونزي ظهرت القبائل كتحالفات نسلٍ ودمٍ في بداياتها، لكنها أصبحت اقتصادية واجتماعية في بداية العصر الحديدي، وظهر نتيجة لاتحاد القبائل ما عرف بالشعوب، والشعب قد يكون سكان قرية، أو قبيلة، أو فئة من الفئات في المجتمع المديني كأصحاب حرفة واحدة، وتطورت علاقة الشعب الاجتماعية من الدم إلى العمل، وأصبحت رابطة المصالح والمواطنة.

كانت الإدارة الاجتماعية تتم عبر المجالس التي كانت تعرف بـ (مسود) وكانت تنظمها القوانين والمراسيم الملكية.

ساهمت الزراعة ثم التجارة ببناء الحضارة اليمنية، وكان ذلك يستدعي إدارة اقتصادية دقيقة وشاملة تستدعي نظاماً إدارياً بيروقراطياً لها.

كانت الزراعة هي الوشيجة الاقتصادية والاجتماعية المتينة، أما التجارة فقد أضعفت المجتمع، برغم مردوداتها، لأنها مهنة قائمة على المال والحيلة والكسل أحياناً، وقد بدأت الدولة السبئية بالضعف حين ضعفت زراعتها وقويت تجارتها، أما حين أصبح الاهتمام

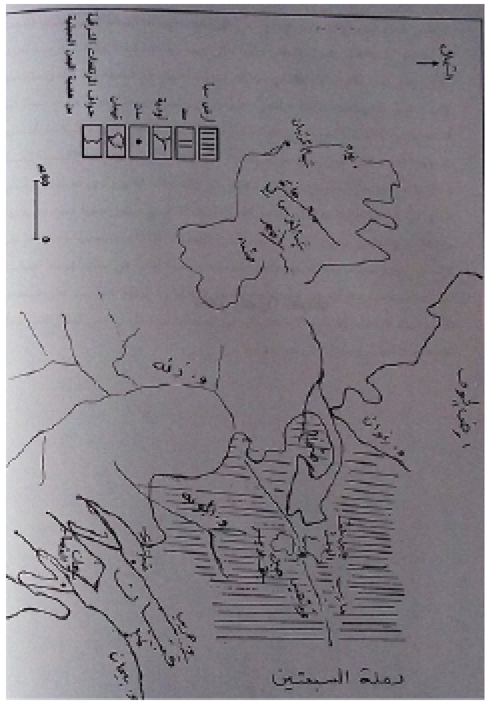
بالتجارة البحرية وضعف طريق البخور البري الذي كانت تسيطر عليه سبأ فمن هنا ظهرت بوادر سقوط سبأ.

ثالثاً: الصراع بين الممالك اليمنية القديمة

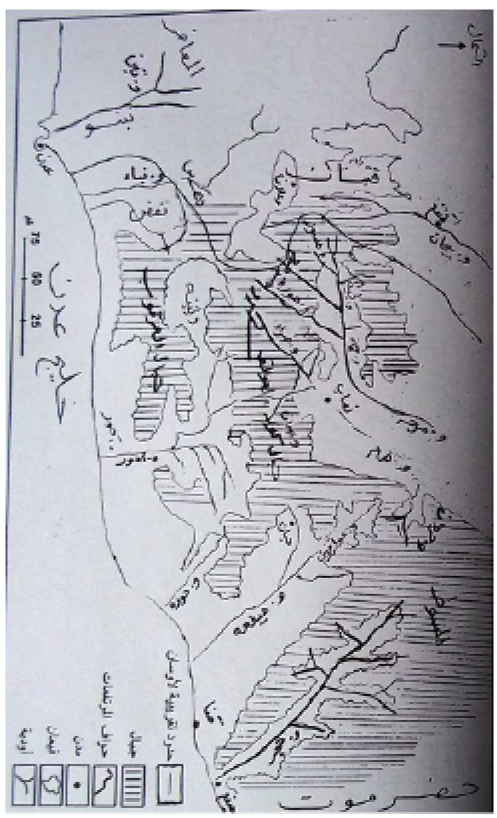
كان الصراع بين الممالك اليمنية القديمة علامة فارقة في الحضارة اليمنية، بل يمكننا جعل هذا الصراع السبب الأول في سقوط حضارة اليمن القديم، كان طويلاً ومملاً ومتناقضاً، وكل هذا يعود للتشكيل القبلي للمالك، تلك القبائل التي لم تذب في الوحدة الحضارية لليمن وكانت مصالحها في النفوذ والوجاهة السياسية هي التي تحركها.

نشأت ممالك اليمن القديم بين القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، من قبائل متحدة، وبنت المدن والعواصم لها، كان ذلك أقرب ما يكون لنظام دويلات المدن الذي كان شائعاً في الشرق الأدنى القديم، وكانت متعايشة ومتزامنة، بعضها كبير ونشط مثل (سبأ، قتبان، حضرموت، معين، أوسان) والأخرى صغير وأقل نشاطاً مثل (سمعي، نجران، نشان، العود، دهسم، دتنت، تبنى، مهأنف)، وكان أغلبها يُحكم بطريقة دينية من قبل الكاهن الحاكم أو من قبل المكرّب، لكن الطموح الذي لازم آخر مكربيين في سبأ (كرب إيل وتر) وأوسان (في عهد (مرتعم) مكرب أوسان) خلخل هذه البيئة السياسية المستقرة وظهرت طموحات التوسع والعنف والصراع بين جميع هذه الممالك، كان التوحيد القسري لها مدمراً رغم وجود مشتركات اللغة والدين والتاريخ، وكان يمكن توحيدها في دولة واحدة بحكمة وروية، ولكن العنف لا ينتج غير العنف، وهذا ما حصل حين أصبح الصراع العنيف قانون العلاقات الداخلية الأعم.

بدأت الحركة من أوسان حين حاول المكرب (مرتعم) توسيع دولته فاعترض عليه رجال الدين والقادة فحوّل منصبه من مكرب إلى ملك وتحولت أوسان إلى مملكة، فأثار هذا حفيظة مكرب طامح في سبأ وهو (كرب إيل وتر) الذي اجتاح ما حوله من الدول والمكربيات، بضمنها أوسان، وتحول من مكرب إلى ملكٍ وأنشأ المملكة السبئية الكبيرة التي حاولت جعل اليمن كلّها دولة واحدة.

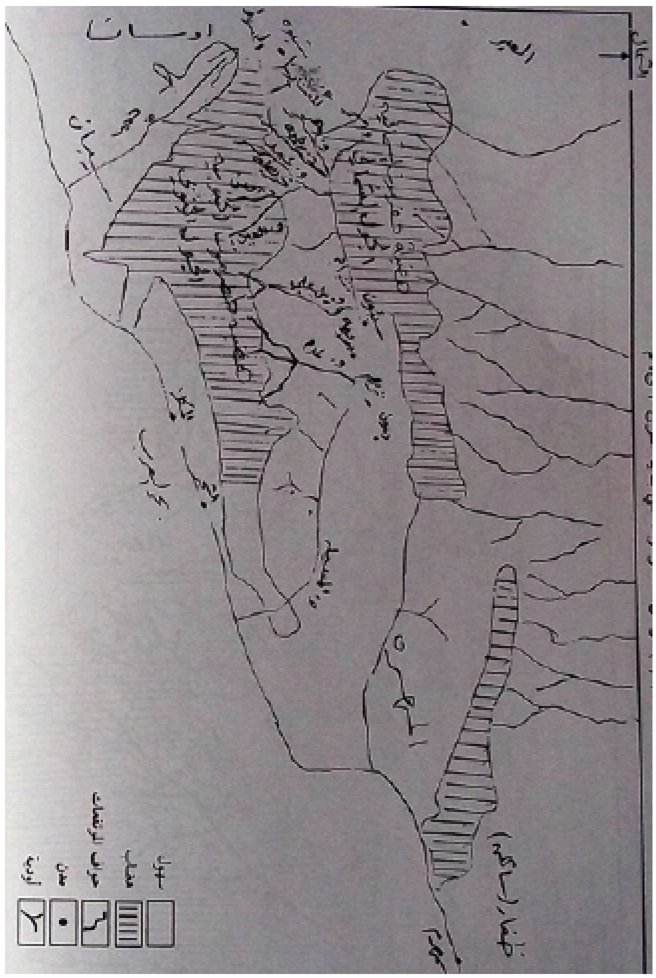


أرض سبأ في بداية القرن السابع ق.م (عطبوش، عبد الله 2008: 394).

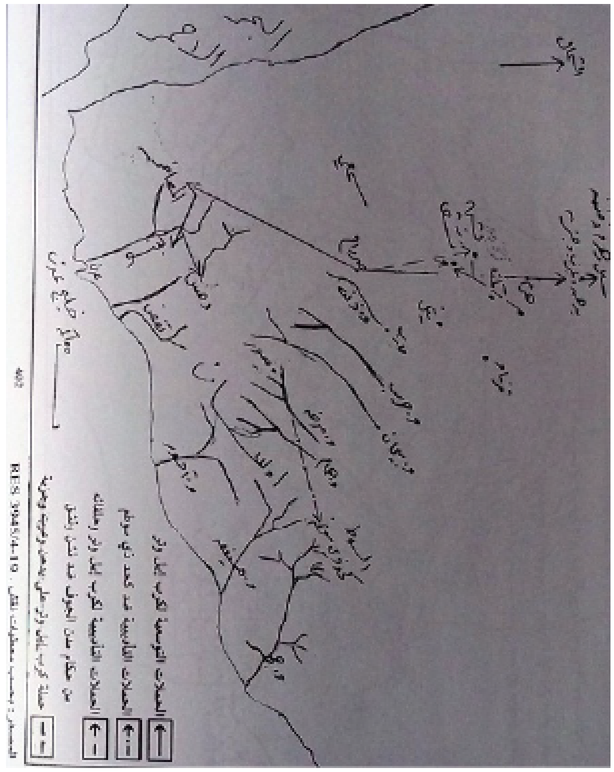


أرض أوسان واتحادها السياسي في القرن السابع ق.م (عطبوش، عبد الله 2008: 395).

كان يمكن لحضرموت أن تشكل نقطة توازن في صراع الممالك اليمنية بحكم سعتها وابتعادها عن محور الصراع المركزي السبئي الحميري، بشكلٍ خاص، لكنها انجرفت في لعبة التحالفات السياسية المضطربة فنالها ما نالها من الحروب والويلات.



أرض حضرموت في بداية القرن السابع ق.م (عطبوش، عبد الله 2008: 396).



الحملات التوسعية لكرب إيل وتر (عطبوش، عبد الله 2008: 402).

كانت الحركة التوسعية لـ (كرب إيل وتر) ترمي إلى الرغبة في الملك والقضاء على أوسان ومملكتها، وقد كانت سبأ طامحة للهيمنة على اقتصاد التجارة الخارجية بشكل خاص. ومع مرور الزمن اتضح أن الصراع بين الممالك اليمنية القديمة كان غرضه الهيمنة والتوسع ولم يكن غرضه توحيد الممالك في دولةٍ واحدة، ويبدو أن ذلك كان بسبب التكوين القبلي لا القومي في جميع الممالك التي اتحدت في سبأ.

ويمكننا وصف العلاقات الداخلية في اليمن على ضوء هذه المقدمة ومن خلال العنف والصراع الذي ساد بين الممالك والذي كانت أهم أسبابه ما يلي:

1. الأسباب الاقتصادية: والتي تتضمن محاولة السيطرة على الأراضي الزراعية والهيمنة على مواردها، وكذلك السيطرة على الريّ وسدوده وأحواض المياه، والسيطرة على الطرق

الخارجية البرية للبخور والمر والعطور واللبان وغيرها، وعلى الموانئ التي تتبادل التجارة مع أفريقيا والهند بشكل خاص.

كانت سبأ قد فرضت على أوسان حصاراً اقتصادياً، ضمن حركتها في الاستيلاء على كل المناطق التي تقع على طريق البخور، الأمر الذي جعل أوسان تنتفض وتحتل أراضي حضرموت وقتبان ودهس وتبني والمعافر والعود، لكنها جوبهت بغزو سبئي كاسح من قبل كرب إيل وتر.

2. الأسباب السياسية: التحوّل من المكربية إلى الملوكية لم يتم في وقت واحد بين جميع الممالك اليمنية، بل كان متدرجاً فقد بدأته أوسان في القرن السابع ق.م، وبعدها مباشرة سبأ، وفي حضرموت بداية القرن 6 ق.م، ولم تتم عمليات التحول للملكية في بقية الممالك إلا في القرن الرابع ق.م.

كانت الدولة الوحيدة التي ظهرت كدولة مدنية، غير دينية، هي معين لأنها تكونت من مدن متحدة وليس من اتحادات قبلية.

المبحث الخامس: العلاقات الخارجية

أولاً: العلاقات اليمنية مع العالم القديم ودوله

1.العلاقات اليمنية العربية:

كان موقع اليمن يتطلب علاقات خارجية محسوبة على جميع الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهو محاط بحاجزين مائيين نشطين تجارياً تفد له مختلف الشعوب للتجارة والعيش والتوطن، ولذلك كان لا بدّ من علاقات خارجية مدروسة لضبط محيطه. أما محيط اليابسة فقد كانت جزيرة العرب عموماً «حلقة اتصال دائم بين شعوب العالم القديم وتخترق شبه الجزيرة العربية عدة طرق، إحداها من اليمن إلى سوريا عن

طريق مكة، وأخرى من اليمن إلى وادي الرافدين عن طريق نجد، والمنطقة الشمالية الشرقية لشبه الجزيرة، وثالثة بين اليمن والمنطقة الشرقية (داوود 1988: 20 ـ 21). (العيدروس 2017: 1 ـ 2).

وهناك ما يشير لعلاقات بين أهل اليمن وعرب شمال الجزيرة، فهناك نقوش تتحدث عن حاكم «تسلمه الهدايا من بيرو، صاحب موصري، ومن شمسي ملكة (عريبو) بلاد العرب، ومن اعمار السبئي، ومن العرب، الذين وصفهم بملوك شاطئ البحر والصحراء، وعلى ما يبدو أن ذلك وقع عقب الانتصارات، التي حققها سرجون على القبائل الأخرى، حيث جاء في النص التالي: «... ومن بيرو ملك موصري وشمسي ملكة (عريبو) بلاد العرب واعمار السبئي وهؤلاء يكونون ملوك شاطئ البحر والصحراء. وكذا استلمت منهم الذهب في شكل مسحوق (تبر) والأحجار الكريمة والعاج وبذور الأبنوس وكل أنواع العطور والخيل والجمال...». (سمسم 2000: 229).

كانت اليمن الجزء الحيوي النابض بالتحضر والتميز في جزيرة العرب، فاليمن، وبضمنها عُمان، هي الوحيدة التي بنت حضارة متفردة في جزيرة العرب، في حين كانت بقية الجزيرة مناطق صحراوية تسكنها مجموعات وقبائل بدوية، وظهرت فيها بعض المدن، وكان ساحلها الشرقي خليطاً من البدو والشعوب الرافدينية والأنباط في قرونه المتأخرة. وكانت طرق التجارة البرية تمر عبر جزيرة العرب للوصول لبلاد الرافدين والنيل وساحل البحر المتوسط وصولاً لبلاد الإغريق.

كان اليمنيون والعرب من أقرب الشعوب السامية تداخلاً واختلاطاً بسبب المكان، وهو ما مهد لاختلاطهما السهل عند شروع المخاض الإسلامي بصفتهم عرباً، فقد تداخلت لغاتهما وبلادهما وتاريخهما المشترك.



طرق التجارة اليمنية العربية القديمة

2.العلاقات اليمنية الآشورية:

ظهرت الدولة اليمنية في زمن ما يعرف بالعصر الآشوري الحديث الذي مثلته امبراطورية آشورية قوية لعبت فيها الأسرة السرجونية أعظم الأدوار في تاريخ العالم القديم. فقد ذكرت «المصادر أن لقب ملك عند السومريين يُدعى «الباتيس»، ويعني أنه الحاكم المدني الديني، أي إنه إلى جانب سلطته الزمنية، كان يقوم بواجبه الكهنوتي، وخدمة بيوت العبادة، أي بمعنى «المكرب»، في الممالك الجنوبية القديمة، وهذا الشبه جاء من تأثير الصلات القديمة بين الشعوب (داوود 1988: 37، 41، دعيم 1995: 38).» (العيدروس 2017: 2 ـ 3).

والبتيس هو الباتيزي أي الكاهن الملك الذي سبق ظهور اللوجال (الملك) في حكم دويلات المدن السومرية، وهو سبق سومري ظهر في حدود الألف الرابع قبل الميلاد.

«وقد جعل هومل نفوذ الملك الآشوري سرجون الثاني يصل حتى اليمن، أي سبأ الأم نفسها، في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، حيث سارع الملك السبئي إلى دفع الجزية إلى ملك

آشور سرجون الثاني على أن ا. موسيل يرى أن الذي سارع بدفع تلك الهدايا، هو المقيم السبئي في واحدة ديدان، التي لم يصل إليها سرجون الثاني، واكتفى بما غنم من مكاسب، في الأطراف الشمالية منها بالإضافة إلى تيماء، وهو المقصود ولم يكن حاكم سبأ الواقعة في العربية الجنوبية.»(سمسم 2000: 230).

وكان الملوك الآشوريون يتسلمون الهدايا من اليمن، وربما من وكلاء يمنيين في شمال جزيرة العرب الذين كان يسكنون مدناً تابعة لليمن، «وهذا ما يؤكده أيضاً نص آخر لسنحاريب يشير فيه إلى أنه تلقى هدايا من كرب إيلو ملك سبأ والأرجح أنه أحد حكام القبائل أو الجاليات السبئية المقيمة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، كما جاء في النص التالي:» عند وضع حجر الأساس للمعبد. معبد مناسبة العام الجديد كان الكتر (الذي.. كرب إيلو ملك)،... أحجار، أحجار كريمة، أعشاب عطرية، طلب إحضارها، من ذلك الكتر، وضعت الحجارة والأعشاب أسفل في قلب الأساس أي في قلب أساس المعبد بمناسبة العام الجديد كما وضعت في قلب الأساس الفضة والذهب والأحجار الكريمة وكومت عليها الحجارة أيضاً ووضعت جميع أنواع الأعشاب العطرية، فأصبح لذلك الأساس بريق ولمعان كالماء في النهر..»(سمسم 2000: 238 ـ 239).

ولعل أشهر النصوص الآشورية في هذا المجال هو ما دونته الحوليات الآشورية حول جزية أرسلت من شخصية سبئية إلى الملك الآشوري سنحاريب، وقد «اختلف المؤرخون في تحديد صفة ذلك الملك ومن يكون ففي حين يرى بعض المؤرخين أنه أحد مكربي سبأ المدعو (كرب إل بين) (كرب إيل بين) هو الذي أرسل الجزية إلى سنحاريب في حوالي 690 ق.م، والذي كان حكمه حسب رأي فلبي ما بين 700 ـ 680 ق.م، في حين أطلق عليه مصطفى العبادي أنه المكرب (كرب إل وتر) الأول وبمقارنته بأسماء مكرب سبأ فإن حكم هذا المكرب يرجع إلى حوالي سنة 620 ق.م، حيث كان آخر المكارب وأول الملوك إلاّ أنه من الملاحظ بعد السنين بين تاريخ سنحاريب وتاريخ المكرب السابق، هذا ولقد جعله عبد العزيز صالح (كرب إيل)، وأن من الجدير بالذكر أن جواد علي، يرى أن إطلاق الآشوريين على مكرب سبأ اسم ملك نابع لكونهم لم يعرفوا لقبه الرسمي أو أنهم لم يهتموا

بذلك فجعلوه ملكاً أو أن اصطلاح مكرب لفظة يمنية لم تستخدم خارج اليمن، فلذلك استخدم الآشوريون لفظة ملك كما يذهب إلى ذلك مصطفى العبادي، وعلى كل، فإن من يذهب إلى أن الاتصال الذي تم بين سنحاريب وأحد مكارب سبأ احتمال ضعيف والأرجح أن ذلك الاتصال تم بين سنحاريب وبين الجاليات السبئية المنتشرة على طريق القوافل في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية ما بين تيماء والجوف، وأن كرب إيلو ما هو إلا سيد قبيلة أو أمير من أمراء العرب القاطنين في تلك النواحي وأن تلك الجالية رأت بعين الاعتبار أن من الأهمية بمكان خطب ودّ الملك الآشوري سرجون الثاني ليأمنوا من بطش آشور وتحمي طرق القوافل التابعة لدولتها الأم من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية والتي لها تجارتها مع بلاد الرافدين والمحافظة على تلك المكانة الاقتصادية، فلم يجدوا بأساً من تقديم مثل تلك الهدايا إلى آشور بغية تأمين تلك المكانة التي هم عليها.» (سمسم 2000: 239 ـ 240).



المسافة من مأرب لنينوى، مقر سنحاريب (الخريطة: معهد الجغرافيا ينا / ر. ميندلر).

(Karte: Institut für Geographie Jena / R. Mendler)

3.العلاقات اليمنية المصرية:

جاء اسم مصر في اللغة اليمنية القديمة، بمختلف لهجاتها، ليشير إلى أمور كثيرة منها بلاد مصر التي كانت تسمى كمت، ونرى أن عموم اللغات السامية، وأبكرها البابلية، قد استخدمت اسم مصر للتدليل على بلاد كمت وهي مصر الحالية فقد جاء اسم «م ص ر: مصطلح جغرافي يشار من خلاله إلى بلاد مصر، وهو في الأكدية بصيغة (مُصُرْ، مِصِرْ، مِزْرُ، مُزِر)، وفي الأوغاريتية بصيغة (م ص ر م)، وفي الفينيقية بصيغة (م ص ر ي م)، وفي الآرامية بصيغة (م ص ر ي ن)، وفي العبرية بصيغة (مِصرايم)، وبصيغة (مِصْر) في العربية الفصحى. والمصريون القدماء أنفسهم لم يطلقوا هذا الاسم على بلادهم، بل كانوا يسمونها في الغالب ك م ت، أي (الأرض، البلاد) السوداء، وأحياناً (ت أوي) «البلدين»، أي مصر العليا ومصر السفلى، أو (إدب وي) «الضفتين» أي ضفتي وادي النيل.» (السعيد 2003: 27 ــ 28).

كانت علاقة اليمن بمصر قوية من خلال البرّ والبحر «وكانت صلة جنوب شبه الجزيرة بمصر عبر سيناء قديمة، حيث يمر خط بري، وجنوباً تقرب الجزيرة من أفريقيا عند باب المندب (حتي 1974: 62؛ يحيى 1979: 29، داوود 1988: 21، دغيم 1995: 36؛ Beyin 2006: 5 ــ 30) وأكبر دليل زيارات موثقة قام بها بعض المصريين إلى جزيرة العرب منها، رحلة «سنوهي» الذي جاب بلاد العرب، خلال الفترة من (2000 ــ 1970 ق.م)، وسمى نفسه (ملكاً بين البدو) (داوود 1988: 21 ــ 24) وأخذ المصريون البخور من شجر «اللبان» من جنوب بلاد العرب (دغيم 1995: 37). وتذكر النصوص في «قصر البنات» في «الجيزة» بمصر، وجود جالية من المعينيين (علي 1980: 120، 123، 124) ويذكر «Plimy» القبائل العربية الكثيرة القاطنة على الجانب الشرقي للنيل (Plimy 1946 ــ 1963: 147 ــ 162) ويُشير «Robin» إلى أن الهجرات العربية إلى خارج الجزيرة العربية كانت خلال القرون الميلادية الثلاثة الأولى (Robin 2005: 133 ــ 155) والعمن خلال الوثائق البردية والنقوش، يضيف «العتيبي» إلى أن الهجرات إلى مصر كانت معظمها جماعية ودائمة (العتيبي 2014: 133 ــ 180).» (العيدروس 2017: 1 ــ 2).



الطرق التجارية القديمة لتجارة اللبان والبخور المقدسة من أرض اليمن وبونت إلى مصر

أ.العلاقة بين المعينيين والمصريين:

«أقدم نقش عربي في مصر يوضح ظاهرة توافد العرب الجنوبيين تجاراً على مصر واستقرارهم فيها، هو النقش المدون بالكتابة العربية الجنوبية على تابوت التاجر المعيني (أو الكاهن) زيد إيل، حيث إنه يلقي ضوءاً على نشاط العرب في مصر منذ عصور البطالمة، ويوضح مدى اندماج هؤلاء العرب وأتباعهم العادات المصرية (حنط على طريقة المصريين ووضع في تابوت). وبالتالي فهذا النص يشير إلى النشاط التجاري الذي كان يمارسه العرب في مصر، وهو تجارة البخور واللبان التي تنتجها جنوب شبه الجزيرة العربية، كما يشير هذا النص إلى أن هذا النشاط كان بالبحر وليس بالبر. وتبين من دراسة النقوش أنها نوعان: نقوش سامية جنوبية (سبئية معينية)، يوجد أغلبها في الطرق التي تخترق الوديان الجنوبية التي تربط بين النيل والبحر الأحمر مثل وادي الحمامات ووادي عباد، ثم نقوش سامية شمالية أغلبها نقوش نبطية.»(رحماني ومدني 1997: 85).

«لقد أقام الفراعنة صداقة مع دولة معين كما أقاموا علاقات مع مستوطناتها في الحجاز وفي ددان (معان مصران: العلا الحالية) ذاتها، وربما كان أيضاً لمصر علاقة وطيدة مع الثموديين وخاصة منذ عصر الدولة الحديثة حيث قام سرجون الثاني (732 ـ 705 ق.م) بتصفية الوجود المصري في شمال الحجاز ممثلاً في الثموديين بسبب وقوفهم ضد آشور،

وبعدهم فعلت بابل نفس الخطوة للقضاء على النفوذ المصري في شمال الحجاز، ومحاولة مد نفوذها جنوباً على شبه الجزيرة العربية لصعوبة إخضاع منطقة شبه الجزيرة العربية خاصة مد النفوذ نحو الجنوب فإن الآشوريين لجؤوا إلى الاكتفاء بفرض نفوذهم السياسي المباشر في هذه المنطقة وذلك بإسقاط الحكومات التي تتعاون مع مصر، ومن هنا فإن الاجتياح الآشوري لمصر والحجاز أثر على العلاقات العربية المصرية، فضلاً عن التغيير السياسي بشبه الجزيرة العربية.»(رحماني ومدني 1997: 93).

ب.العلاقة بين البطالمة في مصر وسبأ وحمير:

«ونخلص إلى أن بطليموس الثاني أكثر البطالمة اهتماماً ببلاد العرب، وأنه سعى لكسب صداقة ملوكها بالوسائل السلمية والدبلوماسية، والتبادل الثقافي والاقتصادي. وذلك لتمتين علاقتهم بمصر، ويلاحظ أنه نتيجة لهذه السياسة الحكيمة التي جمعت بين الدهاء السياسي والقوة، نجح بطليموس الثاني في تحويل جزء من تجارة البهار والبخور في البحر الأحمر إلى ميناء امبيلوني الجديد لصالح حليفة البطالمة؛ الدولة المعينية اللحيانية التي ربطها بحرياً بخط ملاحي دائم الحركة، يربط بالموانئ المصرية على الساحل المصري للبحر الأحمر، مما ألحق ضربة اقتصادية بالسبئيين وحلفائهم الأنباط.» (رحماني ومدني 1997: 107).

«لكن سقوط دولة سبأ عام 115 ق.م، والتي كانت معادية للبطالمة، حل محلها ملوك حمير الذين تلقبوا باسم ملوك حمير وذي ريدان، حيث أنهوا سيطرة حضرموت على البحر الأحمر (جنوبه)، ويرى بعض المؤرخين أن ملوك حمير كانوا أكثر ميلاً للتعامل مع مصر البطلمية، وهذا ما منحهم فرصة للتوسع جنوباً بعد أن زالت ا لعوالق أمام النفوذ البطلمي، ويفسر أحد الباحثين عودة النفوذ المصري، أن الإطاحة بمملكة سبأ على أيدي حمير، والإطاحة المماثلة بملك حبشت في حضرموت يعكس عودة النفوذ البطلمي المصري إلى جنوب البحر الأحمر بعد فترة انحسار طويلة نتيجة الهزيمة التي تلقاها البطالمة في شمال الحجاز على أيدي الأنباط المدعومين من قبل السلوقيين. ولا يستبعد نفس الباحث أن يكون هذا التغيير

السياسي قد تم بتدخل البطالمة، معتمداً في ذلك على صداقة حميمة بين ملوك حمير وملوك البطالمة، وأيضاً من نتائج هذا التدخل البطلمي هجرة حبشت بعد زوال ملكها إلى بلاد أكسوم (الحبشة)، وربما ما يؤكد ذلك أيضاً هو أن الرومان عند قضائهم على البطالمة في مصر سارعوا بإرسال حملة لإسقاط حكم الحميريين.» (رحماني ومدني 1997: 110).

ويبدو أن العلاقات المصرية اليمنية، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، كانت تتغير حسب ظروف البلدين وطبيعة الحكّام فيهما، وليس هناك مقياس واحد ثابت لهذه العلاقة. «ومن هنا يتضح أن العلاقات المصرية العربية وخاصة مع جنوب شبه الجزيرة اتخذت أشكالاً متعددة وفقاً للظروف الدولية من جهة وحسب مقتضيات المصالح من جهة أخرى، وقد سعى كل طرف في ظروفه المناسبة إلى محاولة فرض سيطرته على الآخر أو أن يتخذ شكلاً من أشكال الوصاية. والاحتكار في خلال هذه الفترة من العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية، فإن العامل البشري والحضاري كان يلعب دوره في قولبة التركيبة البشرية مستقبلاً، بحيث انصهرت المجموعات البشرية بالمنطقتين في المحيط السامي وأضفى عليها الإسلام بعداً جديداً.» (سمسم 2000: 229).

4.العلاقات اليمنية اليونانية:

نظر الإغريق قديماً إلى ما سموه العربية السعيدة وهي صفة شاعت عن بلاد اليمن، وكان المعينيون هم أول وأكثر أهل اليمن اتصالاً باليونان والإغريق، فقد ظهرت دولة معين في القرن الخامس قبل الميلاد في الجوف، بعد أن سيطرت مناطق الجوف، بقيادة مدينة يَثُل (براقش) العاصمة الدينية، على طريق اللبان التجاري بمساندة حضرموت وقتبان، ثم اتجه المعينيون شمالاً، وأقاموا المحطات التجارية والمستوطنات المعينية على طرق القوافل التجارية مثل قرْية في وادي الدواسر على الطريق بين نجران والبحرين أي شرق الجزيرة، ومثل دادان في وادي القرى على الطريق بين نجران وغزة، ومن قرنو، العاصمة الرسمية المدنية للدولة المعينية، انطلقوا للتجارة مع فلسطين ومصر واليونان وغيرها.

«تشير النصوص المكتوبة إلى عمق العلاقات بين جنوب شبه الجزيرة مع دول الجوار، والتي تمتد حتى أبعد من البحر الأبيض المتوسط، ومن جملة النصوص المعينية التي عُثر عليها في»ديلوس»ّ اليونانية (ريكمانز 1987: 114) النص الذي يذكر (زيد إيل)، ما يعني وصول المعينيين إلى الجزر اليونانية وإقامتهم فيها، وإتجارهم مع اليونان. هذه الشبكة الواسعة من الطرق البرية، إنما تدل على حركة قوية ونشاط تجاري حيوي ومتعدد، أثمر في اتجاهات أخرى، ظهرت آثاره بشكل واضح، سواء من حيث التأثيرات الفنية والفكرية والدينية، أو من حيث العلاقات السياسية (يحيى 1979: 29).» (العيدروس 2017: 2 ـ 3).

وزيد إيل هذا تاجر معيني يتاجر بالمر والقرفة في مصر أيام بطليموس الثاني حوالي 264 ق.م.

5.العلاقات اليمنية الرومانية:

كان المعينيون من أنشط أهل اليمن القديم في التجارة الخارجية، فنقل تجارهم عملتهم إلى روما وعرف الرومان نوعين منها هي العملة التي باسم المشعل (ذي نار: ويعني بالكتابة المسندية المشعل) وهو المنحوت عليه الشعلة أو الفنار، أما النوع الثاني المنحوت عليه صورة أنثى الصقر (ذي رخمه)، وكان الرومان يلفظونهما: (دي نار) و(دراخما)، واستمر تداول العملتين بين التجار الرومان حتى استقرت التسمية عندهم بـ (دينار) و(دراخما). وحين سكّ الرومان عملتهم الخاصة نقشوا على الذهبية منها الشعلة وأسموها (دينار)، وعلى الفضية النسر وأسموها (دراخما). والغريب أن العرب عموماً أخذوا هذين الاسمين بصيغتهما الرومانية وأطلقوها على عملاتهم دون معرفة أصولها اليمنية المعينية.

ذكر المؤرخ الروماني سترابو أن 120 سفينة رومانية تبحر سنويًا من برنيس تروجلوديتيكا (مدينة قديمة سميت على اسم بطليموس الثاني عند البحر الأحمر) وأنها كانت تمر وتقف عند جنوب الجزيرة العربية، وهي في طريقها إلى الهند، خلال تجارة التوابل.

«وبما أن الإمبراطرية الرومانية كانت تنفق أموالاً طائلة في سبيل استيراد تلك البضائع المهمة لرفاهية الشعب الروماني لذا فإنهم وجدوا من الضروري السيطرة على ذلك الجزء الحيوي من العالم العربي المحتكر لتمك التجارة آنذاك، لذا فقد عقد (أغسطس) (31 ق.م ـ 14 م (العزم على غزو جنوبي شبه الجزيرة العربية للسيطرة على الثروة اليمنية الاقتصادية الكبيرة سواء كانت زراعية كالمر والبخور واللبان وغيرها، أو المعدنية، أو تلك التي يتاجر بها اليمنيون كوسطاء، وكان يهدف (أغسطس) السيطرة على تلك البلاد إما عن طريق الحرب أو كسبهم كأصدقاء سلماً، ومن المؤكد هي صداقة القوي للضعيف ونستطيع القول السيطرة عملياً وإخضاعها باسم الصداقة غير المتكافئة.» (جاسم 2013: 329).

ومن أجل هذا الغرض ولتأمين الطريق البحري من القراصنة، نظم الرومان حملة استكشافية بقيادة إيليوس غالوس، وكان من ضمن غاياتها احتلال ميناء عدن (أو باديمون).لكن الحملة فشلت.

الدور الواضح للقتبانيين كان بداية التصدي للرومان معركة كريبتا (حريب)، وفشل الرومان من تحقيق النصر عليهم، ثم جاء دور السبئيين، وحاكم مأرب بشكلٍ خاص، حاسماً في إفشال الحملة فاستغلوا عجز الرومان عن تحقيق النصر على القتبانيين فحرضوا حكام مدن الجوف ونجران المتحصنين خلف أسوار هذه المدينة لإعلان التمرد على الرومان وهزيمتهم..

كانت تجارة اللبان والمر رائجة في اليمن القديم، إما عن طريق البحر أو بواسطة قوافل الجمال في طريق البخور. الذي كان يبدأ في شبوة في حضرموت، وينتهي في البتراء، وكانت الرحلة تتألف من خمس وستين مرحلة مقسومة على التوقف عن الجمال.

تخلى الرومان عن سياستهم التوسعية واستعملوا الدبلوماسية في عصر الإمبراطور (نيرون) عمد الرومان إلى تحسين علاقتهم التجارية والسياسية مع اليمن فقد كانت له علاقات حسنة مع الملك اليمني (كرب إيل وتر) في حدود القرن الميلادي الأول.

استغل الرومان الصراع بين سبأ وحمير فعقدوا مع الحميريين معاهدة تحالف كان من نتائجها وجود حامية رومانية في ميناء (عدن).



حملة إيليوس غالوس الرومانية على اليمن عام 24 ق.م

ودور القتبانيين والسبئيين ومدن الجوف ونجران في فشلها

6. العلاقات اليمنية البيزنطية والإثيوبية:

أطلق الإغريق اسم أثيوبيا «حيث إن كلمة (أثيوبيا) تعني في الإغريقية أصلاً (أصحاب الوجوه المحترقة) و(أصحاب العيون المحترقة اللامعة)، ولقد تأكد ذلك لدى الباحثين بما وجد عند هوميروس، حيث ذكر الكلمة مرتين في الإلياذة وثلاث مرات في الأوديسة كبلاد بعيدة: (غير أن بوسيدون انطلق إلى الإثيوبيين اللذين يقطنون بمنأى عن البشر...) كما جاء في الأوديسة. وفي العصر الروماني استعمل الاسم وأطلق على المنطقة الواقعة بين النيل

والبحر الأحمر، بما فيها المناطق الغربية لوادي النيل والساحل الغربي من البحر الأحمر.» (رحماني ومدني 1997: 10).

لكن الاسم اليمني (حبشت) هو الذي شاع عنها محلياً، وأصل الاسم من اليمن، ويعود لقبيلة (مهرة حبشت) الحضرمية، وهي القبيلة الكبرى التي هاجرت في أعقاب انهيار سد مأرب. ولأن محصولهم الذي يأتي من هذا المكان انتهى وأصبح في البلاد جدب فقررت بعض القبائل الهجرة ومنها هذه القبيلة إلى القرن الأفريقي وكان، إلى جانبها (الجازانيون/ الأجاعز) من تهامة. وبلي من قضاعة وغيرها، وهم من التجار، فأُطلق عليهم لقب (تقراي) (تاجراي)، وأسسوا مملكة أكسوم القوية لاحقاً وهي تحالف (المهرة الحبشت) وهم الآن (الأمهرا / الأحباش)، والجازانيين، الذين تُنسب إليهم اللغة الجئزية (الجعزية) بفروعها الثلاثة (أمهرية، تقرنيه، وتقري).

توسع النفوذ اليمني في القرن الأفريقي مع تأسيس مملكة دعمت التي كانت تابعة لمملكة سبأ والتي خلفتها مملكة أكسوم في القرن الأفريقي.

مع اقتراب القرون الميلادية أصبحت الحبشة قوية، وضعفت سبأ، فاستعان الملك (علهان نهفان)

بالأحباش في مسلسل صراع الممالك اليمنية الذي لا ينتهي، وبذلك تمكن الأحباش من أن يكون لهم موطئ قدم في اليمن وأن يحتلوا المنطقة الممتدة من ساحل الحجاز من ينبع إلى الساحل المطل على مضيق باب المندب، وتمكنوا من إنحاء ظفار عاصمة الحميريين، وأصبح لهم هيمنة واسعة في تجارة البحر الأحمر، وضعف نفوذ حمير وتجارتها في البحر الأحمر.

تغيرت الأسرة الحاكمة وأصبحت بزعامة الملك (معد كرب يعفر)، الذي كان موالياً للإمبراطورية البيزنطينية الموالية من الناحيتين الدينية والاقتصادية بالحبشة (أكسوم) والتي أصبح اسمها أثيوبيا منذ نحو عام 425 م، بعد أن كان ملك الحبشة (عيزيانا) قد

اعتنق المسيحية نحو 350 م وجعلها الدين الرسمي للحبشة وعملوا على نشرها في اليمن، وقد دخلت المسيحية إلى اليمن من خلال راهب مسيحي يدعى (فيمون) الذي قام ببناء كنيسة في نجران منتصف القرن الرابع الميلادي، وأخذ ينشر المسيحية في شبه الجزيرة العربية.

ثانياً: الزواج السياسي

كان الزواج السياسي في اليمن القديم سائداً بين الممالك والقبائل اليمنية، والغاية منه ترصين التحالفات السياسية التي كان يعجّ بها ذلك الزمن، فقد ذكرت بيغوليفسكيا؛ نينا فكتورفنا، في كتابها من تاريخ اليمن في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، «وكان للمرأة حرية اختيار الزوج وتفضيله على غيره، وإقامة علاقات عاطفية قبل الزواج وخير مثال في ذلك (الشن) وعشيقته (فيوسيكا) إذ ذكر أن (الشن) اخترق قوانين حاكم مدينة مطرة (مطرتم) وبني سخيم التي تقضي بتحريم الزواج من مدينة (مطرة) لأناس من خارجها، وهذا يدل على أن في اليمن نوعين من الزواج داخلي (أي داخل القبيلة أو المدينة) وخارجي (أي خارج القبيلة أو المدينة)، فضلاً عن ذلك كان هناك زواج سياسي تقتضيه مصلحة الدولة، مثال ذلك زواج أخت الملك السبئي شاعر أوتر في القرن الثاني إلى ملك حضرموت.» (الموسوي 2007: 74 ـ 75).



.

مجسم رجل وامرأة من الحجر الجيري/ اليمن

القرنان السابع ــ السادس قبل الميلاد

يجلسان على كرسي مسند، والأذرع المنمقة عند المرفقين مع بروز الساعدين للأمام، والأصابع والقدمين، والثديين الصغيرين في وضع منخفض على الجذع، والرأس الكبير مع أنف ممدود، والعينين والفم 9¼ بوصة (23.5 سم) ارتفاع

ثالثاً: نظاما المعلومات والاتصالات

1.نظام المعلومات

نقوش المسند والزبور بقصر أخبارها ومعلوماتها، بشكل عام، وبصفتها التذكارية الغالبة كانت بمثابة مكتبة معلومات هائلة، صارت عوناً لأجيال اليمن القديم في التحري عن أسماء الملوك والمدن والقرى والأحداث، وهكذا يمكننا اعتبارها سجل معلومات لا ينضب كتبها أهل اليمن القديم بأيديهم.

2.نظام الاتصالات

أ.فن الصخور يكشف أول نظام اتصالات في جزيرة العرب:

يرى (بوريس زاريتز) أن العصر الحجري الحديث في جزيرة العرب شهد ظهور طرقٍ ومعابر تجارية، خاصة في الربع الخالي، حيث ظهرت الأواني والمعدات، التي تنتمي لهذا العصر، على طول المنطقة وفي كل بقعة من شبه الجزيرة العربية في ظفار وفي شمال عمان وفي المناطق الداخلية من اليمن وفي منطقة عسير ومن سروات وتهامة اليمن، وعززتها نماذج من الفن الصخري Rock Art النيوليتية على جدران الصخور والكهوف.

ب.طريق البخور (طريق اللبان):

تعد مدينة سمهرم، ميناءً تاريخياً يقع في ولاية طاقة، ويبعد عن مركزه 8 كم كما يبعد 43كم، ويقع بالاتجاه الشرقي لولاية صلالة، بجوار شاطئ خور روري، وتعود إلى الألف الأول قبل الميلاد، وهي إحدى المدن المهمة التي بنيت بعد ظهور تجارة اللبان ومادة الصمغ أيضاً، وكان أثرها كبيراً على تطور تاريخ المنطقة و.في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد ارتفعت أهمية البخور في الحياة الدينية والعامة في الشرق الأدنى وبلدان المتوسط، وازداد الطلب على اللبان في بلاد ما بين النهرين ووادي النيل وسوريا واليونان وروما، ووصل إلى ذروته في القرون الأولى الميلادية، وكان اللبان أهم سلعة تجارية تصدر من أرض اليمن في مناطق ظفار والشحر وسقطرى والمهرة من حضرموت إلى الغرب وبلاد السند والصين. فظهر ما عرف بـ(طريق البخور) وهو طريق تجاري دولي للقوافل القديمة بين الشرق والغرب وهي قوافل محملة بالبخور والتوابل. وقد أثار» اللبان» في سمرهم وظفار اهتمام المؤرخين الكلاسيكيين الأوائل وكتبوا عنه منذ عام 400 ق.م ابتداءً من هيرودوت ثم بيليني وبطليموس وديودورس وسترابو، وأعطت كتاباتهم أهمية للبان وأشارت إلى ندرته في العالم.

دلت حفريات البعثة الأمريكية في حصن سمهرم (خور ووري) وهو الميناء الشهير لتصدير اللبان أن ظفار كان يطلق عليها في الزمن القديم (أوفير) كما عثر على آثار بالخط المسند تبين أهمية منطقة» سمهرم» مدينة اللبان والبخور.

يبدأ (طريق البخور) من سمهرم وقنا وموزع، على بحر العرب، إلى شمال البحر المتوسط، ويخترق اليمن، وبعد خروجه من اليمن يتفرع إلى طريقين:

1. طريق نجد ثم العراق وفارس.

2. طريق شمال الجزيرة العربية ثم مدينة البتراء في الأردن، ومن بعدها إلى فلسطين على البحر المتوسط. ويأتي إلى البتراء طريق آخر من سيناء في مصر إلى البتراء ويلتقي مع الطريق القادم من شمال الجزيرة العربية.

اكتسبت، اليوم، طرق البخور أهمية آثارية وتاريخية باعتبارها عاملاً يصل بين حضارات الشعوب القديمة وأدرجت في قائمة اليونسكو لمواقع التراث العالمي في عام 2000.



طريق البخور البري من سمهرم وقنا وموزع

الفصل الرابع: المظهر القانوني



نقوش مدينة صرواح

المبحث الأول: العدالة والقانون والمجتمع في اليمن القديم

أولاً: مصادر القوانين والشرائع اليمنية

هي جميع المصادر الرسمية والشعبية التي تساهم في تكوين القوانين الدائمية والمؤقتة والتي تطبقها الدولة على حياة المجتمع. ولم تكن لليمن شرائع مدونة بشكل كامل مثل شريعة أورنمو السومريّ أو حمورابي البابليّ أو السجلات الآشورية القانونية الثلاثة، بل ظهرت بصورة متفرقة في نصوص المسند، ودأب الباحثون على جمعها وتبويبها حسب مكوناتها، رغم أننا نستثني من ذلك قانون تمنع التجاري، والقوانين الحميرية المتأخرة التي ظهرت في القرن السادس للميلاد، في شكل لائحتين منظّمتين.

يمكننا القول أن مصادر القانون في اليمن القديم تنقسم إلى أربعة هي :(الدينية، الرسمية، العملية، الشعبية).

1.المصادر الدينية:

شغلت المعتقدات والطقوس الدينية الجانب الأكبر من الديانة اليمنية، فقد كانت الأساطير ضعيفة إلى حدٍّ كبير، ولذلك نتعرف على هذه القواعد الدينية وشرائعها في المعتقدات والطقوس بشكل خاص، والمعتقدات هي أفكار نظرية موجهة للشرائع الدينية، بينما الطقوس هي الأفعال العملية والشعائر الدينية والتي كانت تنتقل إلى الحياة العامة بصيغة قواعد تنظم حياة المجتمع.

كان المعبد يقوم بتوزيع واستثمار الأرض الزراعية والسقاية والإنتاج وفق قوانين دينية، وكانت الهدايا والنذور والقرابين تقدم وفق المبدأ نفسه، ولذلك كان المعبد هو المكان الذي تودع فيه العقود والاتفاقات والحقوق والواجبات لأنها كانت في يد الآلهة التي تقوم بالعقاب والثواب.

«كانت الديانة الوثنية في اليمن مؤسسة دينية وسياسية واقتصادية. فقد كان أهل اليمن يقدمون الأموال للمعابد أو الآلهة، عرفاناً منهم بالجميل الذي تسديه لهم في شفاء مرضاهم. أو لعودة سالمة لذويهم من سفر، أو منحهم ذرية أو زيادة غلتهم الزراعية، أو لهطول الأمطار، أو الربح الوفير أو الانتصار على الأعداء. وهذا يعني أن أهل اليمن القدماء كانوا يعتقدون أن الآلهة قريبة منهم وتحس بمشاكلهم، وأن ما يصيبهم من خير وشر هو نتيجة رضا أو عدم رضا الآلهة عن تصرفاتهم، ولهذا فإن التقرب للآلهة عندهم كان مبعثه السعادة لهم، وبذلك فإن أساس تصرفاتهم القانونية هو الرغبة في إرضاء الآلهة، ويعد هذا الرضا في معتقدهم رقابة ذاتية على صدق النوايا في تصرفاتهم.» (الفتلاوي 1992 ـ 1993: 65).

تعكس نصوص الكفارة والاعترافات الدينية نوعاً مهماً من القوانين الدينية، فهي المرآة للمخالفات الدينية والاجتماعية معاً مثل إعلان توبة المذنبين واعترافهم (ت ن خ ي)

ودفعهم للكفارة (ت ن ذ ر) عن ذلك إلى معبد الإله المعني بالأمر.» وهناك نوعان من الاعترافات فهناك اعترافات فردية واعترافات جماعية التي يكون الدافع وراءها وقع الجماعة في خطأ أو ارتكابها لخطأ خالفت فيه الإدارة الإلهية، مثال ذلك الاعتراف الذي تقدم به (ثمانية أفراد من مدينة هرم لأنهم تعرضوا للإله بكلام سيئ، وتحملوا الخطأ كجماعة). وهناك اعتراف تقدمت به جماعة دعت نفسها بأهل عثتر (لإهمالهم تقديم صيد المعبد عثر في زمنه المحدد نظراً لذهابهم لمدينة «يثل»)، فنجد بذلك في «نقوش الاعتراف» وضوحاً للعقوبات الإلهية، فكثير من الأخطاء الفردية تكون في مخالفة شروط الطهارة. وهناك شخص يعترف بخطيئة اقترفها وكفر عنها، بسبب تخطيه حدود حرم المعبد وهو غير طاهر، وألقى تراباً في بئري المعبد، وصعد إلى موضع عالٍ ولم يضئ المعبد بالمسارج، لذلك انتابه شعور باقتراف الخطيئة، بحق معبوده (ذي سماوي) فتضرع له واغتم وتاب عن فعل ذلك مرة أخرى ويستدل من دراسة نقوش الاعتراف الخاصة بانتهاك حرمه المعبد، نجد أن هناك آداباً متعارف عليها للمجتمع اليمني القديم، ومن يتجاوزها منهم يتوجب عليه الاعتراف بخطيئته التي ارتكبها ثم يقوم بتقديم ما يطلب منه من كفارة.» (مهران، أمل 2011: 66).

وهناك وفرة غزيرة لهذه النصوص جاءت من مدينة (هرم) في همدان. والجدير بالذكر أن نصوص الاعتراف هذه تذكرنا بطقس الاعتراف المسيحي الذي جاء بعدها بقرون.

كانت المصادر الدينية تأخذ قوتها من المعبد (حيث الآلهة تسنّ القوانين) فهي مقدسة، ومن القصر (حيث الملوك والآلهة يقومون بإطاعة القوانين وتنفيذها) فهي ملزمة وصارمة. وحين يرى الأفراد أن هؤلاء الملوك والشيوخ، بكل قوتهم وجلالهم، يخضعون لقواعد الآلهة فإنهم يخشون هذه القواعد ويحرصون على تطبيقها.

ولعلّ ما يشجع على تطبيق هذه القوانين هو الثقل الاقتصادي والمالي الذي يتمتع به المعبد ويجعل الأفراد يحرصون على إقامة علاقة الطاعة والامتثال له من أجل تأمين المكتسبات التي يمكن أن يحصلوا عليها منه.

من أجل كلّ هذا كانت القواعد الدينية وشرائعها هي الأقوى في مصادر التشريع والقانون، بل إنها كانت تلغي غيرها وخصوصاً في الفترات التي تهيمن فيها المؤسسة الدينية على المؤسسة المدنية والملك والقبيلة.

2.المصادر السياسية:

وهي القوانين والتشريعات المدنية التي تصدرها الدولة، بكافة أنواع مجالسها الرسمية، ومراسيم وقرارات الملك. والمستمدة من واقع حياة الناس ومشكلاتهم وحلولها. وهي مصادر دائمية تصدرها المجالس والهيئات التشريعية، ومصادر مؤقتة تصدرها المراسيم والأوامر الملكية. حيث كانت مجالس الدولة تعمل كمؤسسات تشريعية وتنفيذية، فضلاً عن ما يقوم به الملك في هذين المجالين. وقد حفظت لنا النقوش اليمنية بعض هذه التشريعات والقوانين.

أما التشريع بوصفه مصدراً رسمياً «فهو سن القواعد القانونية وإكسابها قوتها الإلزامية عن طريق سلطة مختصة ووفقاً لإجراءات معينة. وتحرص الدساتير عادة على تحديد السلطة المختصة بالتشريع وتسمى السلطة التشريعيةLegislative power، وبيان الإجراءات الواجب اتباعها من جانب تلك السلطة لممارسة ولايتها التشريعية. وقد يختلف المشرعون الدستوريون في تحديد السلطة التشريعية سواء من حيث التكوين أو من حيث الاختصاص، كما قد يختلفون في تحديد الإجراءات اللازمة لممارسة ولايتها التشريعية. وأما التشريع بوصفه مجموعة الأحكام والقواعد الصادرة عن السلطة التشريعية، فقد اختلف الرأي في تحديد طبيعته. وآية ذلك أن الأحكام التي تسنها السلطة التشريعية قد تتوافر فيها خصائص القاعدة القانونية فتكون عامة واجتماعية وملزمة، وقد لا تتوافر فيها صفة العمومية بالذات.» (عصفور 1954: 107 ـ 109).

المراسيم الملكية كانت تصدر من الملوك والحكام، وتبدو وكأنها صادرة عن الآلهة التي ينتسب الناس لها، وهي تخص الشؤون القانونية للمملكة، وكذلك تخصّ الشعب أو القبلية أو المدن ولا تخص غيرها.

«ولما لكل ملك حاجة إلى القوة التنفيذية لتشريعات الدولة، فقد اتجه إلى تشكيل برلمان يتولى إصدار التشريعات. ويتكون هذا البرلمان من مجلس واحد أو مجلسين. يتكون المجلس الأول من رؤساء القبائل وأصحاب الأراضي الكبيرة وطبقة السادة. أما المجلس الثاني، فإنه يتكون من الملك ورؤساء القبائل والأشراف وأصحاب الأملاك والموظفين الكبار في الدولة. وتقوم هذه المجالس بإصدار التشريعات، خاصة فيما يتعلق، باستثمار الأراضي الزراعية، وجباية الضرائب وتنظيم شؤون الدولة.» (الفتلاوي 1992 ـ 1993: 67).

3.المصادر العملية:

كانت الوثائق اليومية والعقود والمعاملات والمعاهدات تتدفق بشكل عملي دائم من خلال حركة تطبيق القوانين والشرائع، وقد ظهرت مثل هذه المصادر بنقوش المسند كوثائق تحفظ حقوق الناس وتصونها. ولا شك أنها تمثل أفضل مقياس لتطبيق القانون وتتضمن فقرات قانونية تدل على نفاذه واستمرار تطبيقه.

4.المصادر الشعبية والقبلية:

وهي الأعراف والأخلاق التي تعارف عليها المجتمع وورثها جيلاً بعد آخر مع التغيرات الخاصة بالزمان والمكان فيها. فالأعراف هي مجموعة قوانين وضوابط، غير مدونة، يتعارف عليها أفراد المجتمع ويتمسكون بها بحكم العادة والاتفاق الضمني فتتحول إلى سلطة اجتماعية قانونية يمكن أن تكون من أهم مصادر القوانين والتشريعات. الحقيقة أن الأعراف هي المصدر الأكبر للقوانين لأنها نابعة من المجتمع وضوابط عيشه وخصوصاً قبل نشوء الدولة وترسيخ مكانتها في المجتمع.

كان العرف القبلي العشائري هو أساس المجتمع اليمني القديم، ورغم أن المدن كانت لها أعرافها في العيش لكنها لم تستطع العبور على أعراف القبائل، بل حافظت على الكثير منها.

وهذا ما يفسر قولنا أن القبيلة في اليمن كانت وما زالت هي نواة المجتمع الأساسية.ويمكننا تصنيف المحرمات الاجتماعية بأسمائها اليمنية كما يلي:

«1.العيب الأسود أو الأجدم، وهو قيام الفرد أو الجماعة بقتل الضيف أثناء استضافته. وقتل السير وهو الشخص المرسل صحبة شخص آخر وجماعة أخرى من قبيلة إلى قبيلة أخرى. وذلك بقصد حمايته أثناء سيره في أراضي القبيلة. وقتل (القطير) و(الربيع) وهما اللذان ينزلان أرض القبيلة. وتقوم القبيلة بالإعلان بموافقتها على حمايتهما. وكذلك قتل الشخص المسافر عبر أراضي القبيلة. وقتل أي من الأشخاص الذين يعيشون تحت حمايتها. سواء كانوا من الفئات الدنيا أو الفئات الدينية الأقلية. أو العرقية التي تحتل مراكز عليا في سلم الترتيب الاجتماعي والقبيل. وكذلك قتل الفرد أثناء قيامه بالوساطة بين الأطراف المتحاربة أو أثناء قيامه بالتوسط بين فردين متنازعين أو جماعتين متنازعتين. وكذلك قتل المحكم أثناء الاجتماع لبحث النزاع. ففي كل حالة من حالات هذا القتل يحكم العرف اليمني على مرتكب جريمة القتل بتسليم الدية بـ (المهدعش) والتي تعادل إحدى عشرة دية مقابل التنازل عن حق الثأر. إضافة إلى (الحشم). وهو جزاء مادي يدفع بشكل نقود ومواشٍ نتيجة خرق القاتل قواعد العرف القبلي.

2. العيب الأحمر: وهو القتل أخذاً للثأر خلال الفترة التي اتفقت فيها الأطراف المتنازعة على الصلح وتعهدت بعدم الاعتداء. ويحكم على القاتل بـ(المربوع). وذلك بإلزام القاتل بتسليم أربع ديات مع حشومها.

3. العيب الأبيض: وهو قيام شخص بقتل آخر عمداً. أو بدون عمد. ويدفع القاتل الدية الكاملة مع حشومها. (الفتلاوي 1992 ـ 1993: 113).

ثانياً: أشكال القانون في اليمن القديم

المقصود بهذا العنوان هو كيف ظهرت القوانين وصيغة ظهورها سواء من ناحية ارتباطها بالمصادر أو من ناحية تنفيذ شكلها النهائي وهل وجدت القوانين والشرائع مدونة خاصة أم

أنها ظهرت مبعثرة في مجمل النقوش المسندية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة نقول: إن التشريعات والقوانين، في اليمن القديم، ظهرت في ثلاثة أشكال أساسية هي:

1. تشريعات مجالس الدولة: وهي التشريعات التي كانت مجالس الدولة تصدرها في الشؤون العامة للبلاد مثل القوانين الاقتصادية والزراعية والتجارية والاجتماعية، وهي تشريعات ثابتة وشبه دائمة لا يطرأ عليها التغيير إلاّ بقوانين بديلة تصدرها المجالس نفسها، أو بتغيير شكل الدولة مع الزمن.

كان الملك يساهم في إصدار هذه القوانين لا باعتباره ملكاً بل باعتباره جزءاً من مجلس الدولة التشريعي (مسود)، وقد تصدر بتوقيعه لكنها ملك عام للدولة كلها.

كانت مجالس الدولة تحدّ من سلطة الملك في اتخاذ قرارات عامة دون استشارة المجلس وكانت تقيّد يده في الأمور الكبيرة مثل الحرب والاقتصاد والحياة العامة.

2. المراسيم الملكية: وهي القوانين والأوامر والنواهي التي كان يصدرها الملك من قصره دون استشارة رسمية عامة من مجالس الدولة، ربما كان هناك من يتشاور معه من مستشاريه، لكنها تصدر باسمه وتخص المعاملات اليومية لسير شؤون مملكته أو لتعيين كبار موظفي المملكة من المدنيين أو العسكريين وما يتعلق بحياتهم الوظيفية.

كانت المراسيم الملكية لها علاقة بإدارة شؤون الدولة أو ببعض الأمور الخاصة بالبلاط والمواطنين، لكنها لم تكن قوانين بالمعنى الدقيق. ولذلك فهي نتاج ظرفها وحالتها، فهي مؤقتة وقد تتغير من قبل الملك نفسه أو تغيرها تبدلات ظروف الحكم والدولة.

«وقد اتبع ملوك قتبان إجراءات معينة في إصدار المراسيم فهي مثلاً تدون أمام الملك وتذيل باسمه وتوقع منه وتتضمن الإشارة إلى الآلهة لضمان مباركتها أولاً، وقبول الرعية بها

ثانياً بسبب الشرعية التي تضفيها عليها أسماء الآلهة وإجراءات الإصدار، ومن أمثلة هذه المراسيم، المرسوم الآتي: النقش RES 3689، نقل المعنى:

ـ شهر يجل بن يدع أب ملك قتبان أمر وأعلن من حطيم (حطيب) معبد الإله عم

ـ ذو دونم و(كذلك) من رصفهم (رصيف) معبد الإله أنبي الحامي، وذلك تحت الشمس (في النهار بموافقة الشمس) والهلال (في الربع الأول للقمر)

ـ لأتباعه معد كرب بن هير وود إل بن ربح وإخوانهم

ـ أرباب عم ذو لبخ وإناثهم (بدون) نقصان أو تأخير أو إهمال حقوقهم

ـ وهذا بعصمة ود والسرة والحماية (القائمة) من الإله عم والآلهة أثرب

ـ لغرض الوصول إلى حقوقهم.

ـ لذا لأرباب عم ذو لبخ وجماعتهم من النساء (الحق) أن يتخذوا لأنفسهم رابطة

ـ وفقاً لهذا الأمر وبنوده.

ـ وأمر شهر أتباعه أرباب عم ذو لبخ بتدوين وكتابة تلك

ـ البنود في وادي لبخ وفي مطان اجتماعهم في معبد عم ذو لبخ في مدينة ذو عيام تم تاريخه في شهر ذو شبم.

ـ من العام (الذي حكم فيه) عم على ذو جربم الأول، أن هؤلاء الرجال أرباب عم ذو لبخ الذين هم تحت خدمة الملك.

ـ الذين لهم الحق (يسمح لهم المرسوم) بتملك (بعض مزارع التمور والثمار)

ـ وقع هذا المرسوم (الملك شهر

ـ أن تنفيذ هذا السجل (المخطوط) تم الإشراف عليه من قبل نبط عم بن السمع بن هير

ـ وكيل عم ذو لبخ وأربابه.» (العزعزي 2001: 10 ـ 11).

الفرق بين المراسيم الملكية والتشريعات هو أن المراسيم فورية الإصدار ومؤقتة وتصدر لمعالجة أمورٍ طارئة، وتزول بزوال ظرفها، وغالباً ما تخصّ قبيلة أو شعباً أو مدينة، «وعدّت تلك المراسيم وثائق رسمية وطبق عليها ما كان يطبق على النصوص التشريعية من حيث تصديقها رسمياً وتسجيل تاريخها، والإشهاد عليها، ويتولى إعلانها أحد كبار رجال الدولة، ويتم نسخها عدة نسخ وتعلق في مناطق نفوذ الحاكم، وإصدار المراسيم يعكس الأحوال الداخلية فإذا ضعفت سلطة الحاكم أو تولى في فترة اضطراب شديدة نجد أن مراسيمه تكون محدودة العدد من جهة، وموجهة إلى القبائل أو المناطق الخاضعة له مباشرة، ويظهر ذلك واضحاً في فترة ملوك سبأ وذي ريدان حيث لا نجد سوى مرسوم ملكي واحد يشمل قطاعاً كبيراً من أراضي سبأ، وذلك في عهد الملك «شمر يهرعش الحميري»ّ بعد إخضاع سبأ في القرن الثالث الميلادي. كما نرى محاولات من قبل ملوك سبأ في القرن الأول الميلادي أمثال «كرب إيل وتر يهنعم» وابنه «هلك أمر» في فرض سلطاتهما من خلال إصدار العديد من المراسيم والأوامر تقليداً لحكام سبأ السابقين.» (النعيم 2000: 103).

3. التشريعات والأعراف الخاصة: وهي التشريعات القبلية والعشائرية والمعاملات اليومية الجارية المستمدة من أعراف متوارثة أو راسخة، ولا شك أن هذه التشريعات القبلية كانت قوية التأثير والأهمية في الحياة اليومية للناس.

ويمكن اعتبار المسود أو المجلس القبائلي هو المكان الذي تصدر منه هذه التشريعات وكان يضم رؤساء القبائل ويجتمع مرتين في العام الواحد، كانت خلاله تحلّ الخلافات بين المشتكين وتحسم ملكية الأماكن والمواد.

لم يكن العرف القبائلي لوحده أساساً بل كان العرف العام الذي تأخذ به جميع قبائل اليمن والخاص بتسوية الخلافات على الأرض والزرع والمياه، رغم أن هناك خصوصيات قبلية خاصة يؤخذ بها في شؤون الأحوال الخاصة.

«التشريعات في سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وأوسان وحمير تعكس الحيز القانوني والفكري للحضارة اليمنية وقد قامت تشريعات هذه الدول على أعراف كانت سائدة في مناطق قبائلها مما يكسبها سهولة التنفيذ، لذلك نجد في النقش القتباني ما يوحي أنه قد صدر بموجب قانون (عرف) برم. فإلى جانب المجلس الاستشاري القتباني الذي ذكر سابقاً كان يوجد المجلس القبلي، وهو يمثل مجموعة القبائل المتعددة التي تنضوي تحت سيطرة الدولة ويتكون من رؤساء القبائل أو من ينوب عنهم، ويجتمع أعضاؤه مرتين في السنة، وجلساته تعقد في المدينة العاصمة تمنع بناء على أمر ملكي يصدره الملك نفسه،
وتشريعات هذا المجلس كانت تضاهي القوانين التشريعية التي يشارك في إصدارها الملك، ويرجح ظهور هذا المجلس مع ظهور قتبان كياناً سياسياً مستقلاً فضلاً عما تقدم هناك أيضاً وثائق المعاملات التي يمكن استنباط بعض القواعد التشريعية والنظم العرفية منها ومن هذه الوثائق ما تحدد ملكية أرض أو بيت، أو بئر، أو قبر، وغيرها.» (العزعزي 2001: 13).

المبحث الثاني: أنواع القوانين والشرائع اليمنية

تنقسم القوانين والشرائع اليمنية إلى نوعين أساسيين هما: القانون العام والقانون الخاص، ولكلٍّ منهما فروعٌ وتقسيمات نذكرها في هذا الجدول ونشرحها مفصلاً بعده:

أولاً: القانون العام في اليمن القديم

القانون العام هو القانون الذي يخص المصلحة العامة ويصونها وينظمها، وهي مصالح المجتمع كلّه، ولذلك فهو قانون شامل وغير نسبي وهو، بصفة عامة، قانون الدولة

ومؤسساتها ومجالسها وهيئاتها. وأهم فروع القانون العام هي (القانون الدستوري، القانون الدولي، القانون الإداري، القانون المالي).

1.القانون الدستوري

هو القواعد والأحكام والمبادئ الخاصة ببناء أساس الدولة ونظام الحكم وطريقته وانتقاله. ويعرّف علماء القانون هذا النوع من القوانين بأنه مجموعة من القواعد القانونية التي تحدد تكوين الدولة وتكوين الهيئات الحكومية من مركزية ومحلية ووظائف تلك الهيئات. أو أنه «مجموعة القواعد التي تنظم علاقة الدولة بالفرد من الناحية السياسية أي التي تحدد التنظيم السياسي في دولة ما. ويكون مقتضى هذا التعريف تقسيم مجال القانون الدستوري إلى موضوعين رئيسيين: الدولة ونظام الحكم. أما موضوع الدولة فمرده إلى أن القانون الدستوري فرع من القانون العام ومن ثم تبرز فيه الدولة بوصفها صاحبة السلطان العام. وأما موضوع نظام الحكم فمرده إلى الطابع السياسي الذي يتسم به القانون الدستوري، وهو ما يعرف بالتنظيم السياسي للدولة وينصرف أساساً إلى السلطة التشريعية وتبعاً إلى السلطتين التنفيذية والقضائية.» (عصفور 1954: 56).

لم يكن القانون الدستوري واضح المعالم في حضارات الشرق القديم، وفي اليمن لم يكن له لوائح وشرائع وقوانين محددة، لكننا يمكن أن نجمعها ونبوبها حسب مضمونها لصالح فكرة القانون الدستوري وفق الفقرتين الآتيتين:

أ.نظام الحكم الملكي:

تراوح نظام الحكم الملكي بين كونه نظاماً فيدرالياً تكون فيه مملكة أساسية واحدة مثل (سبأ، حمير) تمثل مركز الملكية اليمنية وتضم لها ما يشبه الفيدراليات الملكية الأخرى أو ما أسميناها في الفصل التأريخي بالمدارات السبئية أو الحميرية. وفي حالات ضعف أي من دولتي المركز يتجه النظام الملكي نحو الكونفدرالي حيث تستقل الممالك عن بعضها في إطار بلاد واحدة هي اليمن.

وقد بدأت أغلب الدول القديمة المؤسسة لحضارة اليمن بانتهاج نظام حكم ثيوقراطي أمسك فيه زمام الدولة رجل دين هو (المكرب) ثم أصبح (الملك) هو قائد الدولة، وأصبح هو مالك الأراضي والإقطاعيات والثروات باعتباره، ممثلاً عن الآلهة، يديرها وفق إرادة مقدسة ثم أصبح يديرها وفق إرادة ملكية مدنية. وفي كل هذه الأحوال كان للقبائل دورها الخاص الصلب في تنظيم قوانينها وشرائعها بالتناغم مع الممالك التي انتظمت فيها، وكان لكهنة المعابد (رشو) الدور المميز أيضاً.

وقد نضجت سلطات الملك السياسية والعسكرية والإدارية، والدينية أحياناً واستطاع من خلالها تثبيت حكمه. وهو ما جعله نظاماً موناركياً صارماً يندرج ضمن طرق الاستبداد الشرقي في الحكم، رغم أن هناك ما يقيّده من خلال مجالس الدولة والقبيلة والمدن (المسود)، كما أن الملك لا يدعي الألوهية، وقد يصرّح بأن الآلهة اختارته أو رعته.

ب. تشريعات الدولة:

«هي تلك التشريعات التي تصدرها الدولة بكل هيئاتها التشريعية، يشترك فيها الملك والمجالس، وتختم (و ت ع ل م أ ي) باسم الملك، وتكون مخصصة لقضايا حيوية مثل اقتصاد الدولة ومصالحها، كالعمليات التجارية في عاصمة الدولة، أو منع التصرف المضر بالأرض، وتغريم المخالف، أو تتناول قضايا اجتماعية مهمة ويتسم هذا النوع من التشريعات عادة بوضوح أكثر من التشريعات الطارئة التي يصدرها الملك فقط لأنها تشريعات جماعية. وتعكس هذه التشريعات الهرم السياسي للدولة، الذي يتكون من الملك ومجلس المسود (م س ود ن) الذي كان يضم صفوة الناس من أصحاب الرأي والجاه والسلطان في الدولة ويأتي بعده مجلس الطبن (ط ب ن) الذي يعد مجلس كبار الملاك الذي ينظر في المسائل الخاصة بالملك والأرض وكذلك ينظر في الضرائب التي تجبى عن الزراعة وتأجير الأرض ويبدو أنه ليس مجلساً تمثيلياً بل خاص بكبار ملاك الأرض، ويعود ظهوره إلى أواسط القرن الخامس قبل الميلاد.» (العزعزي 2001: 6 ـ 7).

كان الملك يورّث ملكه إلى أولاده حسب قناعته ودون أن يلتزم بكبير أو صغير منهم، وكانت هناك ثورات تطيح بالملك وتعلن ملوكية جديدة. و«في أواخر القرن الأول قبل الميلاد أصبح النظام الملكي غير وراثي، وأن ابن الملك لم يكن هو الذي يخلف أباه على العرش، وإنما أحد أفراد الطبقة الأرستقراطية، وبذلك تكون ركيزة الوراثة قد انتزعت كذلك من صلاحيات النظام الملكلي» (الفتلاوي 1992: 77).

كانت القبيلة التي ينتمي لها الملك تحظى بامتيازات أكبر، وكان الملك يمثل، بالدرجة الأساسية، رغبات رؤساء القبائل ويمثلهم ولا يمثل كل الناس في البلاد وهو ما جعل صورته عندهم عامة وغير واضحة المعالم.

السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية: لم يكن هناك فصل بين هذه السلطات الثلاث ولم تكن لها حدود صارمة وشخصيات ثابتة، فقد كان الملك أو رئيس الشعب أو القبيلة في تداخل مع مجالس القبائل والمدن وتداخل في السلطات الثلاث.

يأتي على رأس التشريعات القتبانية التشريع الخاص بالدستور القتباني، إذ عالج الكثير من الجوانب التشريعية والتنظيمية والاقتصادية والاجتماعية. وفيما يلي نقل معنى (ترجمة) النقش الخاص به:

«ـ هكذا قضى ووجه وأصدر شهر يهرجب بن هوف عم ملك قتبان ومجلس (الملأ) القتباني في الاجتماع الذي ضم أيضاً ممثلين عن (إداريين وعسكريين).

ـ أعلنوا لمن يرغب في معرفة ما قرره الملك شهر بموجب سلطة شهر، وقتبان وممثلي الموظفين (إداريين وعسكريين).

ـ فأي دعوة أو حكم من شعب قتبان في تمنع والأودية ومن الشعوب الأخرى، أينما اجتمعوا ووافقوا، وناصروا الاتفاق، وفرضوا ودفعوا الأموال (الضرائب) من خلال التفويض (الوفد).

ـ كل ما أعلن أصحاب الأراضي، أو تسببوا في إعلانه من وسط معبد حطب (م) محرم (الإله) عم ذو دونم في تمنع، ومهما كانت التوجيهات والأوامر والأحكام والقرارات في ذلك الاجتماع فهي بإذن وموافقة رئيسهم (الملك) شهر.

ـ وكل أمر وقرار وحكم قرره ملاك الأراضي ومجلس الملأ في ذلك الاجتماع.

ومهما كان الحكم والقرار المتخذ فيما بينهم فلا بدّ أن تحترم تلك الأنظمة الصادرة من مجلس الملاك والمواظفين، وكان التشريع بإذن وموافقة سيدهم شهر.

ـ في تاريخ، شهر ذ برم سنة عسب (م) ذ حضرن (من بني الحضر) وبن شحز الآخر وكما اجتمعوا، وأتموا في المرة الثانية في اجتماعهم.

ـ من ممثلي الشعب القتباني في مجلس (الملأ) وملاك الأراضي في الوديان وفي برم في وسط حرم بيت (الإله) عم ريعان وشحرم في تمنع.

ـ من هذا الشهر ذي تمنع بإخلاص وإطاعة إذن سيدهم شهر في أي قانون يصدر بأمر شهر، ومجلس الملأ القتباني والموظفين والعسكريين.» (العزعزي 2001: 60).

2.القانون الدولي

يعرّف أصحاب المدرسة التقليدية القانون الدولي بكونه «مجموعة من القواعد القانونية التي تنظم العلاقات بين الدول أي إنه لا يتناول إلاّ حقوق وواجبات الدول» (Lautepach 1970: 489).

وقد تفاوتت تعريفات القانون الدولي حسب وجهات النظر، عبر الزمن، ويمكننا أن نضيف ونقول إن القانون الدولي هو «عبارة عن مجموعة من المبادئ والقواعد القانونية الموضوعة من قبل الدول وغيرها من أشخاص القانون الدولي العام بهدف صيانة السلام والأمن والتعاون الدولي وتصان عند الضرورة عن طريق استخدام القوة، تقوم بها الدول

بشكل جماعي أو انفرادي. إن ما يميّز القانون الدولي هو أنه نظام قانوني مستقل يختلف عن الأنظمة القانونية الأخرى. وأن وظيفته الأساسية هي القيام بدور منظّم للعلاقات المنبثقة في جميع ميادين التعايش الدولي. فالقانون الدولي ليس تعبيراً عن الإرادة الذاتية للدول وحسب بل وإنه تعبير للعوالم الموضوعية للتطور الاجتماعي أيضاً» (يادكار 2009: 18).

كان لموقع اليمن القديم الدور الكبير في جعله بؤرة هامة لعلاقات دولية كثيرة في ذلك كالزمن، ولذلك ظهرت مجموعة من الإشارات القانونية الداعمة لفكرة القانون الدولي بين اليمن ودول العالم القديم.

كان للتجارة الخارجية لليمن الدور الكبير في ذلك وخصوصاً تجارة البخور، فقد كان السبئيون أسياد هذه التجارة. كانت سبأ، من ناحية أخرى، قد بدأت باستيطان أرض أثيوبيا وخصوصاً في المنطقة التي أطلق عليها لاحقاً (أكسوم)، فقد عبرت القبائل السبئية البحر الأحمر وسيطروا على الساحل الإرتيري ووصلوا إلى تيغراي وشيدوا فيها، مع السكان المحليين، المدن وكانت هذه المدن أساس دولة أو مملكة الحبشة فيما بعد. لقد كانت هذه الهجرات التجارية سبباً في تنظيم العلاقة الدولية بين سبأ وأثيوبيا وحصل ما يشبه هذا تقريباً مع الساحل الصومالي.

وكانت هناك علاقة قديمة بين مصر واليمن، أساسها تجارة البخور، وظهرت كتابات ونقوش تؤكد علاقة الآشوريين باليمن وملوكها. وشهدت اليمن علاقات واسعة مع بلاد فارس ومع الإغريق والرومان والبيزنطيين. وكانت كلّ هذه العلاقات تنظّم وفق قوانين ومعاهدات دولة متفق عليها.

وكان لازدهار القوال التجارية الدولية ومعرفة طرق الملاحة البحرية في المحيط الهندي الأثر الكبير، خلال القرون الأربعة الأخيرة من قبل الميلاد، في انتعاش التجارة الدولية بين الهند وأفريقيا والتي كانت اليمن بؤرة شبكتها الدولية.» وفي هذه الحقبة الزمنية برز دور المعينيين في التجارة، على المستويين الداخلي والخارجي. وقد عكس ذلك النهوض

الاقتصادي والثقافي، التغيرات الاقتصادية ـ الاجتماعيـة المختلفـة؛ زيـادة الإنتاج الزراعي والحرفي وتطور العلاقات الاجتماعية. على أن ما وجـده البـاحثون من مصادر لا يشير إلى تلك التغيرات بصورة مباشرة، ولكنه يفهم من خلال المعايير الحقوقية. وتظهر النقوش التوسع الكبير في ملكية الأراضي، وزيادة عـدد الأشـجار المثمرة والمنتجة، مثل أشجار النخيل وأشجار البخور والطيوب الأخـرى. ونلاحـظ كذلك أن التشريعات الحقوقية قد ركزت على ثلاثة اتجاهـات: أولاً : تـدعيم نظـام الضرائب والعطايا أو تغييره، التي تدفع لمصلحة المعابد وجهاز الدولـة المحلـي أو المركزي. ثانياً : تحديد القواعد القانونية من أجل استخدام الأراضي أو قنـوات ميـاه الري. ثالثاً : تنظيم قواعد التجارة: أي العلاقة بين البائع والمشتري وضبط ضـرائب التجارة أو رسومها.» (كليب 2011: 346).

شكّلت المعاهدات والأحلاف الدولية في اليمن القديم جانباً مهماً من القانون الدولي لليمن آنذاك. وقد بحثناها في فصل المظهر السياسي.

3.القانون الإداري

هو فرع من فروع القانون العام يهتم بتنظيم وتسيير أنشطة السلطة التنفيذية، ويضع آلية لإدارة المرافق العامة كالمعابد والشرطة والجيش والمحاكم والتجارة وغيرها. ولقد عالج القانون الإداري، في اليمن القديم، ما ذكرناه أعلاه واهتم بأمور الأرض الزراعية وتنظيم الري والسقاية. ونظّم اجتماعات مجالس الدولة والمدن والقبائل.

كان لموظفي الدولة المكانة الأهم في القانون الإداري وكان لقب مدير في اللغة اليمنية القديمة يعرف بـ (كبير)، ولذلك كثر أعداد (الكبراء) في بلاط الممالك وتولوا الإشراف على تطبيق القوانين الإدارية في مختلف الأنشطة العامة.

أما الـ(قين) فهو الموظف الكبير أيضاً والذي كان يطبق القانون الإداري في المعابد والهيئات الدينية، فهو الموظف المدني الذي تتلاقى وظيفته مع الموظف الديني الخاص بالمعبد والذي يسمى (رشو).

كان الملك هو من يقوم بتعيين الكبراء والأقيان ويختارهم من أسر معروفة، وكان يعهد بالوظائف الكبيرة لأبنائه وإخوته وأقاربه، وخصوصاً في أقاليم ومدن المملكة لضبط أمورها الإدارية بحكم ابتعادها عن عاصمة المملكة، وهذا يجعلهم أو يحتم عليهم اتخاذ القرارات المناسبة بحكم قربهم من الملك وثقته بقراراتهم رغم بعد أماكنهم.

لم يكن كلّ حكام الأقاليم من أسرة وأقرباء الملك، فقد يكونون من وجهاء وشيوخ القبائل المؤتلفة في حكم المملكة، وقد يكونون من حكماء وقضاة العدل والقانون، وأحياناً يكونون من القادة العسكريين لضبط الأمور الأمنية في الأقاليم.

4.القانون المالي

هو القانون الذي ينظّم ميزانية الدولة ويحدد نفقات وصادرات وواردات الدولة لدعم كادرها الوظيفي ومستلزماته ولرفاه أفراد المملكة قدر الإمكان.

أ. قانون النفقات: كانت نفقات الدولة تصب في رواتب الموظفين والجيش والبلاط وما ينفق على البناء والعمران العام من قصور ومعابد وهيئات خاصة وعامة. أما واردات الدولة فكانت من الضرائب والتجارة وإيرادات الأراضي الزراعية ومؤسسات الدولة.

ظهر في بعض النقوش اليمنية المسندية ما يشير إلى تنظيم العلاقة المالية بين الدولة والقبائل المنضوية معها. وكذلك بين القبيلة التي ينتمي لها الملك وبقية القبائل. وكان هذا الأمر يثير الكثير من المشاكل بين القبائل بسبب عدم ذوبان النظام القبلي في كيان الدولة أو المملكة، وقد سبق أن أشرنا إلى أن نظام القبيلة أقوى من نظام الدولة في كل تاريخ اليمن حتى يومنا الحالي.

لعب رؤساء القبائل الدور الأهم في دفع إيرادات الدولة من أفرادها، أو في استلام الحصص المالية لأبناء تلك القبائل. وقد كان هناك متسع واضح لقيام القبيلة ببعض الأمور

المتعلقة بالمال والعمران والبناء لوحدها بعيداً عن حسابات القانون المالي للدولة. أما تكاليف الحرب والجيش فكانت تُدفع كضريبة من الأراضي الزراعية ومالكيها.

ب. قانون الإيرادات: كانت إيرادات البلاد والدولة تقوم بالدرجة الأساسية على الزراعة، وكانت الدولة تحصل من الأراضي الزراعية على أثمان بيعها للأعيان أو تأجيرها لهم، وهناك أموال تجنى من محصول الأرض قبل الحصاد.

المصدر الثاني للإيرادات كان من الضرائب التي تؤخذ من السلع التجارية ويسمى (التعشير) وعلى الأراضي الزراعية والتجارة، وقد تجبى الضرائب على شكل حبوب تعطى كطعام للجيش. وهناك في الأقاليم من يقوم بهذه المهمة من الولاة والحكام.

كانت أعمال السخرة تقوم مقام الضرائب في حالة فقر الأفراد حيث يكلفون بأعمال البناء للسدود والطرق والحصون وغيرها.

5.القانون الزراعي

كانت الزراعة هي العصب الأساسي لحياة واقتصاد البلاد، ولذلك اهتم المشرّعون بسنّ قوانين تنظّم الزراعة والري، ولذا فقد صدرت وثائق قانونية تتناول إثبات ملكية الأرض وتحديد حدودها، وتحريم الاعتداء عليها، وتأجيرها واستعمالها وغير ذلك:

1.قوانين العناية بالأرض الزراعية: وأهم ما ورد في هذا المجال قانون الملك القتباني شهر هلل بن ذر أكرب، وجاء في بعض بنوده ما يلي:

«ـ على كل شعب (قبيلة) الاهتمام بأراضيه الزراعية وتعهدها بالعناية والحراثة والزراعة دون تقصير أو تخاذل.

ـ حدد القانون موسم الزراعة لهذه الأعمال الزراعية

ـ الإبقاء على هذا القانون على طول المدى.

ـ أي فرد يتهرب من القيام بواجباته نحو الأراضي يدفع غرامة مالية قدرها عشر قطع نقدية تامة وتقديمه للمحاكمة.

ـ يتولى كبير تمنع تنفيذ هذا العقد.

ـ إذا تخاذل أو قصّر كبير تمنع في تنفيذ القانون، يتولى الملك الإشراف على تنفيذه.

ـ يدون القانون على مداخل البوابة ذو سدو إحدى بوابات تمنع وأرخ هذا القانون في شهر ذو عم، سنة حكم أب على شحز الأولى، وصدق بيد الملك شهر الملك.» (النعيم 2000: 196 ـ 197).

2. قوانين الري: أهم مصدر للري في اليمن هو مياه السيول الموسمية التي كانت تحفظ في سدود وخزانات ويتم استعمالها من قبل المزارعين وفق ضوابطٍ وتعليمات وقوانين، كتلك التي تمنع الزراعة في مجاري السيول:

«هكذا أمر الإله آنبي ومشرعي برم بناء على طلب من الملك يدع اب يجل ملك قتبان بخصوص المناطق التالية»شعبه، ومنت (م)، والضحي، وفريض، ويفع، وذ أن يخضى، وحقل عين (م) من طمى بيحان وذو عدن (م) إلى أعلى من حدود بيحان من الغرب إلى الشرق، وحتى المخطوطات (الأنصبة التي دونت عليها الحدود) التي وضعت كعلامة ورسمت ودونت في خلبصه، باتجاه أعلى المجرى»لتكن هذه المناطق محرمة وحرة من زراعة النخيل، ومن أي حاجز، ومن زراعة نباتات، ومن بناء مجاري وحواجز، وقنوات، ويمنع بناء مجاري أو حواجز أو حراثة لأراضيها، ولتحطم وتهدم أية قنوات وزراعة كائنة في تلك الأراضي ويحرم رفع الماء، أو القيام بشيء لوقف الماء من الجريان من أعلى، وحرمت تلك الأراضي الواردة في المخطوطة من حفر آبار فيها، وهذا التحريم يبدأ من هذا الشهر وإلى الأبد. اتخذ هذا الأمر في اليوم الثالث من ذفقحو الذي بشهر بشم في سنة حكم يقه ملك ذا ذران الأولى.» (النعيم 2000: 203).

6. القانون الحربي

وهو قانون تنظيم المنازعات والحروب بين الدول، ويتضمن مجموعة من التحريمات مثل قتل الأسرى والأسلحة المحرمة ومعاملة الجرحى ومعاملة الشيوخ والنساء والأطفال، وهناك تفاصيل تخص غنائم الحرب وغير ذلك.

كانت الحرب من الطوارئ في حياة اليمنيين ولذلك كان الاستعداد لها يكون عبر وسائل كثيرة منها الدعوة إلى التجنيد وتشكيل المجموعات الخاصة بالقتال وأنواعها من ناحية الأسلحة والوظيفة.

هناك مجموعات قتالية تابعة للدولة تسمى (خميس)، أما القوات الشعبية فتسمى (أسد) وهي ما يتطوع من القبائل، وهناك المرتزقة الذين يقاتلون وفق أجر معين تدفعه لهم الدولة أو القبائل. وكان لهم ما يعرف بـ(العيون) وهم الجواسيس الذين يشكلون استطلاعاً قبل وأثناء وبعد الحرب.

وكان التعامل مع الأسرى مختلفاً حسب مكانة الأسير، وبشكل عام كانوا يستخدمون في أعمال البناء والخدمة وقد يتم تبادلهم مع أسرى المملكة أو القبائل. وهناك قوانين بحق من يتخلف عن القتال من الرجال القادرين على القتال، وكانت الحروب تنتهي إما بالانتصار أو الهزيمة أو الصلح، وكان لكل هذه الأحوال أعراف وقوانين نصت عليها بعض النقوش المسندية.

ثانياً: القانون الخاص في اليمن القديم

هو فرع من القوانين الداخلية للدولة يهتم بتنظيم العلاقات بين الأفراد ويكون دور الدولة هو الإشراف على تطبيقه وتهيئة المستلزمات الخاصة به من محاكم وقوى ضامنة للتنفيذ. ويتكون القانون الخاص من مجموعة من القوانين هي (القانون المدني، قانون الملكية، قانون العقود، قانون الأسرة، قانون التجارة، قانون الأضرار، قانون الهجرة...إلخ).

يختلف القانون الخاص عن العام في كون القانون العام يؤثر في كل أفراد المجتمع، أما القانون الخاص فيؤثر في الأفراد والأسر والمجاميع الاجتماعية والاقتصادية الصغيرة.

1.القانون المدني (قانون الحريات والحقوق الأساسي)

هو مجموعة من القواعد التي تعمل على تنظيم العلاقات بين الأفراد ويتضمن اللجوء للقضاء، ويتضمن علاقة الفرد بأسرته وقوانين الأحوال الشخصية، وقوانين الأهلية والوصاية والإرث والنسب والزواج والطلاق وتنظيم علاقات الأفراد المالية وقوانين الحقوق المدنية.

الحقوق المدنية: وهي قوانين الحماية والسلامة والشرف والتنقل والإقامة والتفكير والزواج والتجارة وحقوق الأسرة.

القبائل اليمنية وأفرادها، رغم تطبعهم في المدينة، لكنهم يرغبون بممارسة الحرية التي نشأوا عليها في الصحراء والأرياف، كما أنهم لا يحبون الذلّ ويحاربون من أجل كرامتهم، وقد كان لتمسكهم بحريتهم وكرامتهم ما جعلهم يفقدون ممالك ودولاً أنشأوها هم أو غيرهم. ولذلك ظلت القبيلة إلى اليوم أساس حضارة وثقافة اليمن وكانت أنسب صيغة قانونية لها هي (الاتحاد القبلي) الذي كان مشروطاً بمصالحها وحريتها. أما الممالك فكانت صيغة قلقة سرعان ما تهتز وتتبدل.

وكان حق الحياة وصيانتها أساس الحريات الأساسية ولذلك لا يجوز قتل الإنسان وإن حصل ذلك فسيكون الثأر مطلباً دائماً كردّ اعتبار لهدر الحياة. وينطبق هذا على مبدأ (العين بالعين) وهو العمل بالمثل في حالة الأذى. ويأتي الشرف كحق متمم لحق الحياة والسلامة وكان يشمل عائلته وأقاربه. ولم يعرف اليمني تقييد الحركة والانتقال ولذلك كان يصعب وضعه في مكان واحد ثابت. ومن الحقوق الأخرى هي الأسرة والتجارة والزواج والتفكير والتملك وغيرها.

الحقوق السياسية: ترسخت ممالك اليمن بوجود رأس الحكم فيها (المكرب) و(الملك) ومجالس المسود في الدولة والقبيلة والمدينة التي كانت تشرّع الأحكام، بينما المكرب والملك ينفذان هذه التشريعات، وكان الملك بمثابة مستشار في هذه المجالس (المساود، المزاود)، كان اسم مسود معين (مزدن معين) و(مسود سبأ) في سبأ.

الحقوق الاقتصادية: كانت الأرض ملك الآلهة والمعابد ثم أصبح الملك صاحب أرض الدولة وهو الذي يمنحها أو يؤجرها أو يأخذها ممن يشاء، ثم أصبحت هناك حصص محدودة للمعابد ورجال الدين لا تملك الدولة سلطاناً عليها.

ويمكننا تقسيم الحقوق الاقتصادية في اليمن إلى:

1. حقوق الزراعة: كانت تتضمن تحديد علامات وأنصاب على الأراضي الزراعية لتصبح مصانة ومحمية من قبل الملك والدولة وتسمى هذه العلامات (و ث ن) وهي أحجار تشبه أحجار الحدود في وادي الرافدين. (وقد عير... جلدة) (مهران، أمل 2011: 55).

وكان من ضمن حقوق الزراعة العمل الجماعي في بناء المدرجات الزراعية في زمن الملك (عمدان يهقبض) حين أمر رجال قبائل (رفة) و(خبزان) للقيام بتحديد هذه المدرجات.

ولعل أهم حقوق الزراعة كانت في استثمار الأرض الزراعية من قبل الملوك، طبقاً لشرائع الآلهة، وزراعتها بما يتناسب من البذور والخضروات والفواكه، فقد كانت هذه الأرض وزراعتها أهم استثمارات الدولة ومواردها المالية، حيث تقوم الدولة باستئجارها لكبار الأعيان والشيوخ ليقوموا باستثمارها من قبل تابعيهم ويقوم بإدارة هذه الأمور موظفون يسمون (ث م ن ي ت ن) أي (الثمانية). وكانت هناك عقود محددة للأعمال الزراعية مثل المحاقلة والمزارعة والمخابرة والمساقاة والخاضرة (انظر مهران، أمل2011: 58).

ومن حقوق الزراعة هو تحديد ملكية هذه الأراضي حسب عقود تسمى (و ت ف)، ووثائق بيتها وشرائها (ص ل ت، ص ل وت) و(ش م ت ن / ع ل م) أي إعلام الشراء.

2. حقوق الري والسقاية: كانت إقامة السدود أحدى حقوق الزراعة من قبل الدولة مثل سد مأرب وكذلك عمليات ترميم السدود وحفر مجاري المياه وبناء القواعد والجدران وإنشاء الخزانات. وكانت هناك حقوق توزيع المياه عن طريق المراسيم الملكية حسب مساحة الأرض المزروعة، والإشراف على ذلك.

3. حقوق التجارة: كان اليمن القديم بلداً تجارياً بسبب موقعه المهم في خطوط التجارة الدولية البرية والبحرية، فضلاً عن التجارة الداخلية، وقد ظهر في الكتابات المسندية ما يشبه معجم الألفاظ التجارية بسبب سعة هذا القطاع الاقتصادي، فضلاً عن النصوص التجارية الكثيرة.

كان من أهم هذه الحقوق حماية التاجر والمواطن معاً وهي (مهران، أمل 2011: 60 ـ 61):

* تحديد أماكن التجارة (أسواق التجارة).

* إعطاء مسؤول السوق صلاحيات الإشراف على أمور التجارة داخل الأسواق.

* منع الأعمال التجارية في الليل منعاً للتلاعب.

*. منع الغش وعقابه بغرامة مالية (50 قطعة نقد ذهبية).

* ضبط الأسعار.

* تنظيم جباية الضرائب.

4. الحقوق الاجتماعية: كانت القبيلة هي الوحدة السياسية الأساسية في اليمن، أما الأسرة فهي الوحدة الاجتماعية الأساسية. وكانت حاجة القبيلة والأسرة قوية جداً للتضامن والأمان والعيش.

كانت المرأة نواة الأسرة وقد حظيت المرأة اليمنية بمكانة رفيعة في أسرتها وفي المجتمع بعملها الديني ككاهنة (رشوت).

وكان لها حضور اقتصادي كتاجرة، وحضور سياسي وإداري حيث شغلت منصب (م ق ت وت) الذي كان له طبيعة عسكرية وقيادية. وكانت حقوقها مصانة في الإرث فهي ترث والدها.

ويبدو أن وأد البنات كان موجوداً في سبأ وخصوصاً في منطقة قبيلة (مطرة) فصدرت مراسيم ملكية بتحريمه.

2.قانون العقوبات

في مقابل الحريات والحقوق الأساسية كان هناك قانون العقوبات الذي كان يشرّع في حالات التجاوز على هذه الحريات والحقوق أو أنها تتجاوز على حريات وحقوق الآخرين. وقد تفاوتت هذه العقوبات بين معنوية ومادية حسب طبيعة الجرم. ولم تكن هناك محاكم تصدر مثل هذه العقوبات، بل كان هناك نوعان من المجالس المختصة بذلك وهما:

1. العقوبات الدينية يصدرها الأقيال أو مجلس الأعيان أ ومجلس العامة.

2. العقوبات المدنية يصدرها مجلس الأعيان (المسود) صاحب السلطة التشريعية والتنفيذية. وقد يصدر الملك مراسيم ببعض العقوبات.

أ. العقوبات الدينية: كانت العقوبات المعنوية الدينية تقضي بما يعرف بـ(الحرمان من العناية الإلهية) وهي عقوبة قاسية تجعل صاحبها منبوذاً على المستويين الاجتماعي والنفسي، وقد تصاب حياته وممتلكاته بـ (الأذى والدمار) وتحلّ عليه ظروف الجوع والقحط والجفاف. وقد أمدتنا النقوش الآثارية بطلبات تمثل هؤلاء المعاقبين يطالبون برفعها من قبل الجهات التي أصدرتها.

أما العقوبات المادية الدينية فهي الغرامات المالية والعينية، فقد تكون عقوبة دخول المعبد بسلاح بقطع نقدية. وتكون أكثر في حالة الاعتداء على أملاك المعبد والآلهة. وكانت هناك عقوبات جسدية مثل قطع اليد أو الجلد أو الاغتسال الإجباري.

وكان الاعتراف أحد أوجه التعامل مع المخطئ وتحدد العقوبة وفق نوع خطيئته. وأهمها تقديم ثور كقربان عن خطيئة بعد الاعتراف.

ب. العقوبات المدنية: كانت في دفع غرامات مالية أو عينية عند الغش التجاري والزراعي. أما القتل فكانت عقوبته الموت مع فقدان أملاك الجاني، بل إن عقوبة الموت كانت حكماً لكل من اعتدى على حرية شخص ببيعه أو استخدامه كعبد. وهناك عقوبة الجلد وتكون بديلاً، في بعض الأحيان، عن دفع الغرامة المالية في حال عدم توفرها. وفي الغالب لم ينفرد الملوك بأحكامهم «ولكن كانوا ملوكاً يتخذون القرارات بالتشاور مع مجلس نيابي يضم سادة القوم وذوي الرأي من رجال الدولة وسادة القبائل وكبار رجال الدين، وهذا نظام تقدمي يدل على استخدامهم الشورى في الحكم، ولعل السبب في ذلك أن العرب من الشعوب التي تميل إلى الأخذ بالرأي والشورى، وقد سمي هذا المجلس في النقوش (م س ود) أو (م ز ود) حيث كان يتمتع بصلاحيات واسعة، لأنه المرجع الأول للدولة وعلى هذا تكون مهمة الملك هي التأكيد من تنفيذ قوانين هذا المجلس التشريعي ومعاقبة من يخرج على تلك القوانين، ليكون الملك مسؤولاً عن نشر قوانين هذا المجلس، ولا يصدر أمراً من الأمور الخطيرة إلا بعد أخذ رأي المجلس واستشارته وأخذ موافقته، فبذلك يكون للملوك مستشارون، فضلاً عن المجالس الاستشارية الرسمية (المزاود) وقد عرفت هذه المجالس في دولة معين ب (م ز د ن / م ع ن) أي (مزود معين). وكان للسبئيين مجالسهم الخاصة بهم تنظر في المسائل التي يحتاج ملوك سبأ إلى أخذ الرأي فيها والوقوف على رأي عقلاء الأمة» (مهران، أمل 2011: 52).

كان الملوك أكثر من غيرهم، مثل رجال الدين أو الأمراء والأقيال، إصداراً للقوانين وتمرساً في معرفتها، وقد كان ملوك المعينيين من أكثر ملوك اليمن نشاطاً في الجوانب التشريعية،

حيث «إن النظم التشريعية الهامة التي تصدر عن المجلس التشريعي باسم الملك لإبراز حقوق كل من الدولة والمواطن، فيتم نقشها علي أسوار المدن أو على أبواب المعابد، حتى يستطيع أفراد الشعب الاطلاع عليها كما ارتكزت هذه التشريعات على أسس دينية حيث تمثل إدارة الآلهة والمخالف لها يعاقب بعقوبتين الأولى هي المنصوص عليها في التشريعات والثانية تفرض من قبل الآلهة، بعد ذلك ازدادت صلاحيات الملوك فيما يختص بالوظائف الحكومية، حيث بدأ التغير في بناء المجتمع اليمني بشكل عام عندما تحول إلى إقطاعيات إقليمية تربطها علاقة المكان والمصلحة المشتركة فكان على رأس هذه الإقطاعيات زعيم عرف في النقوش اليمنية القديمة بلقب (ق ي ل) جمع لكلمة (أقيال)، والأقيال هم طبقة من كبار الإقطاعيين من أصحاب الأراضي الواسعة ومن رؤساء القبائل وكبار السادة من القوم، وكانوا يتمتعون بسلطان واسع، وهناك نقش يتحدث عن مكانة (الأقيال) التي تتصدر المجالس النيابية، وفي هذا الوضع تصبح الألقاب الملكية والامتيازات الملكية أكثر أهمية، وتزداد رغبة الحكام فيها بصورة أكبر.» (مهران، أمل 2011: 53 ـ 54).

وقد تصدر القوانين باسم الآلهة لجعلها أكثر مصداقية وقوة «وقد عثر على نقش يعود إلى «سبأ «يرد فيه ذكر لحماية الأراضي الزراعية في اليمن القديم وقد صدر من قبل الإله «إلمقه «لحماية الأراضي الزراعية والعقوبة التي تقع على كل من يتعدى على الأراضي إما بالغرامة أو بالجلد لردع التعدي على الأراضي الزراعية وحدودها من قبل أي شخص في الدولة فجاء في النقش: هذا أمر صادر من........... ومعه الإله إلمقه، خاص بحماية بيتهم وبركهم ولحماية أساس البركة، وحماية قنواتها، والحقول المحمية، ولا يحق إزالة حدود وأسوار الحقول المثمرة وليمتثل (الكل) بما في هذا الأمر، صدرت هذه الوثيقة في شهر «ذي أبهي «عام حكم......... ومن يتجاوز هذا القرار يدفع غرامة قدرها خمس قطع نقدية من نوع رضيم، أو يجلد خمسين جلدة) (مهران، أمل 2011: 55).

3.قانون الأحوال الشخصية (الأسرة، الإرث، العمل)

قانون الأسرة والأحوال الشخصية

أ.الزواج

1.أنواع الزواج في اليمن وجزيرة العرب القديمة:

2.قوانين وأعراف الزواج في اليمن القديم:

يتضح الدور الضعيف للمرأة في امتلاك حقها بالزواج واختيار الرجل المناسب لها، وضياعها في أنواع غير منضبطة من الزواج، رغم أنها في الزواج التقليدي ترث عن والدها المال والعقار، والمنصب في بعض الأحيان القليلة. ولم تأت النصوص بالكثير عن موضوعي الزواج والطلاق والحقوق المترتبة على ذلك من تملك ورعاية للأبناء، كانت المرأة محجوبة عن الرجال ويصعب رؤيتها والوصول لها.

رغم ذلك فقد كان للمرأة حق التملك، بل كانت بعض السيدات الرفيعات المقام، يرسلن أزواجهن للمتاجرة بأموالهن، كما يشير لذلك نصّ حضرمي، ويمكنها اللجوء للقضاء في حالة الأذى الماديّ الذي يصيبها هي وأسرتها.

كان التعامل مع المرأة، في أغلب الأحيان، يتم من خلال كونها سلعة يتم تقدير ثمنها بين أسرتها ومن يتقدم لزواجها. وكان الزواج يجري بدون قوانين ولا كتاب ولا عقد (وهو الزواج سفاحاً) بل بالاتفاق العلني فقط، وكان رضا الزوج وأهله ورضا أهل الزوجة الأهم من رضا الزوجة. وكان الزواج بين الأقارب وداخل القبيلة هو الأكثر ثباتاً وقوة، ثم يليه الزواج بين القبائل، ثم زواج الإماء والأسيرات والجواري وهو الأقل ثباتاً.

كان والد المرأة يستولي على مهرها أو يأخذ جزءاً منه، وفي كل الأحوال كانت الخلافات تحلّ عن طريق السلطة القضائية سواء كانت في موضوع الأحوال المدنية أو الإرث، وهناك ما يشير لذلك في بعض النصوص، ومنها انتقال الدين وراثياً للأبناء كما هو الحال بانتقال المال والأملاك والمناصب الدينية والمدنية.

لم يكن لعموم نساء اليمن القديم حق في اختيار الرجل المناسب لهن فقد كان ذلك من حق آبائهن وإخوانهن الكبار، لكن بعضاً من الحرائر كنّ يمتلكنّ هذا الحق.

الطلاق: كان الطلاق موجوداً في بعض الحالات كما هو في نقش (YMN 19). حيث يذكر أن صاحبة النقش (خال) قد حصلت على فدية من غرامة طلاقها وبنت بهذه الفدية بيتاً.

الإرث: كان الإرث موجوداً سواء بقوانين تنصّ عليه أو بتقاليد وأعرافٍ موروثة.

4.القانون التجاري

القانون التجاري هو مجموعة الأنظمة والقواعد التي تعنى بالأعمال التجارية والتجار وهو فرع من فروع قانون الأعمال في القانون الخاص، والقانون يحدد تعاملات التجار مع بعضهم ومع المستهلكين لتسهيل أعمال التجارة وتشجيعها ومنع استغلالها وجشعها، وتنظيم النزاعات التجارية.

وقد ظهرت في اليمن القديم قوانين تجارية مختلفة ومتفرقة لا يجمعها تدوين واحد، ولعل أشهر ما عثر عليه في هذا المجال هو قانون سوق شمر القتبني، الذي كتبت على مسلّة حجرية، من ثلاث جهات، كانت قد وضعت في وسط سوق (شمر) في محافظة شبوة مديرية بيحان في مدينة (تمنع) عاصمة قتبان، وهي اليوم تسمى هجر كحلان، أصدر هذا القانون الملك القتباني (شاهر هلال بن يدع) في القرن الرابع قبل الميلاد.

كانت عاصمة قتبان محطة تجارية رئيسية لتجارة اللبان، وكان سوق شمّر أحد أكبر أسواق اللبان، ولذلك جاء هذا القانون لتنظيم هذه التجارة وحماية الجميع من الاستغلال وجباية الضرائب من التجار الأجانب.

قانون تمنع التجاري:

يأتي ظهور هذا القانون كعلامة مشرقة في حياة اليمنيين القدامى وتأريخهم، فهو ينظّم بشكلٍ دقيق حركة السوق وضوابطه ويحفظ مهنية التجارة من اللصوصية والتلاعب، حيث «يأتي في مقدمة التشريعات التجارية النص الذي عرف بقانون تمنع التجاري، ويعد هذا النص من أهم النصوص التشريعية التي تم الكشف عنها حتى الآن، إذ يظهر هذا القانون مدى التطور الفكري الحضاري لدى سكان جنوب الجزيرة، ويكاد يكون النص الوحيد الذي يشتمل على قانون متكامل، يتناول تنظيم التجارة داخل الأراضي القتبانية، ووجود هذا القانون دليل على معرفة سكان المنطقة بالنظم القانونية، ولا يستبعد أن يكون هذا النص نموذجاً لتشريعات أخرى أصدرتها السلطات الحاكمة ليس في مجال التجارة فقط بل في نواحي الحياة كافة، إلا أن الحظ لم يحالفنا بعد في العثور على نصوص متكاملة كهذه بعد، وكل ما حصلنا عليه هي نصوص تتناول عمليات تجارية أخرى محدودة تقتصر على موضوع معين، أو خاص بجماعة معينة. كما سنرى من خلال النصوص التشريعية أو الوثائق الأخرى.» (النعيم 2000: 182).

(انظر: العزعزي 2001: 136 ــ 137)



مسلة قانون سوق شمّر

وهكذا تكون عناصر القانون القتباني التجاري قد تكونت وهي: (الهيئة المشرعة للتشريع. السوق. عاقل السوق. التجار.الضرائب. السلع التجارية. العملة).

5. قانون الحقوق العينية (الملكية والحيازة، العقود، الهجرة)

الحقوق العينية هي السلطة المباشرة على شيء مادي، وتنقسم إلى قسمين هما: حقوق أصلية وحقوق تبعية. وتشمل حقوق الملكية والحيازة والعقود والرهن وغيرها.

أ. حق الملكية: وهو حق الامتلاك للأشياء والأموال بسلطات ثلاث :(الاستعمال، الاستغلال، التصرف) وكانت الأرض خارج حق الملكية الشخصية لأنها ملك الدولة والملك والكهنة والأقيال وغيرها. وكانت ملكية الأرض حلماً بالنسبة للأفراد لكنه صعب التحقيق ولذلك ظلت حقاً من الحقوق الرسمية. أما الأشياء فقد كان للأفراد حق امتلاكها مثل الأدوات المنزلية والأسلحة والحيوانات وغيرها. وهذا نموذج من ثائق تشريعية خاصة بالملكية:

أ. امتلاك البيوت النقش Doe 6

نقل المعنى:

«ـ عم يثع بن حر مم ذ ذر أن تملك شرعاً ووثيقة بناء بيته.

ـ شبعن ومخزنه وديوانه وطابقيه العلويين.

ـ وسوريه وقناتيه وبئره جولم بوثيقة.

ـ الإله أنبي والإله الأعلى (ا ل ت ع ل ي) ووضعه تحت حماية (الآلهة) عثتر وعم وأنبي.

ـ والآلهة الأخرى وملوك قتبان، ليكون هذا البيت له ولأولاده.

ـ ولأتباعه، بقوة عثتر وعم وأنبي وذات صنتم.

ـ وذات ظهرن وبسلطة يدع اب ذبيان.

ـ يهنعم وشهر يجل وأبناءه ومن معه من ملوك قتبان

ـ ود أب. «(العزعزي 2001: 69).

ب. حق العقود: كانت العقود وسيلة لتنظيم عمليات المقايضة والبيع والشراء، وكان لليمنيين عقود البيع والقروض والمضاربة والربا والرهن والتسليف والديون وغيرها..

كانت عقود البيع مادية مقابل سلعة مناظرة أو مال، أو معنوية مقابل جزء من الحرية التي يجب أن يؤديها المشتري لمكان أو سلعة.

ج. عقود المعاهدات: وهي عقود الاتحاد والولاء التي تجري بين القبائل والممالك، وهي ثلاثة أنواع:

«الأول: عقود ولاء يعقدها الحكام بين القبائل الخاضعة لهم والتي تحتل مكانة اجتماعية متساوية، والهدف من هذا النوع من عقود الولاء كما يبدو هو اقتصادي.

والثاني: عقود ولاء يعقدها الحاكم بين جماعة استوطنت حديثاً أو أم بتوطينها إلى جانب أصحاب المنطقة.

والثالث: هي المعاهدات التي تهدف إلى تنظيم العلاقات بين الدول المجاورة والتي جرت بينها حروب.» (النعيم 2000: 105).

د. نصوص الكفّارة والاعترافات العلنية: وهي نصوص المذنبين وطالبي المغفرة والتوبة، وقد ظهرت مثل هذه النصوص في همدان ويثل (براقش) ومأرب وريبوان (في حضرموت) ومعين، ولهذه النصوص صيغ شبه ثابتة تتكون من:

«1. مقدمة تشمل هوية المذنب، التصريح بالاعتراف بالذنب المرتكب، ثم ذكر المعبود المعني بالاعتراف.

2. ذكر المخالفة أو المخالفات.

3. احتمال ذكر العذاب الذي أصيب به المذنب مما دفعه للاعتراف، وذكر القصاص أو الكفارة المستوجبة عليه.

4. طلب الرعاية الإلهية مقابل كفارة يدفعها المذنب ومن المحتمل أن يكون الاعتراف العلني جزءاً من تلك الكفارة، والوعد الصادق بعدم تكرار هذا الخطأ، وتحقير المذنب لنفسه وإذلالها لما فعلت.

5. قد يرد في النص إشارة تدل على أن الاعتراف تم بأمر من المعبود.»(النعيم 2000: 107).

القوانين الخاصة

هناك بعض الأنظمة القانونية الخاصة التي ظهرت في اليمن القديم والتي تمثل ظواهر قانونية ندرجها كما يلي:

أ. نظام الهجرة (الحصانة):

كان نظام الهجرة في اليمن القديم فريداً من نوعه في الحضارات القديمة ويشبه نظام الحصانة الحديث، حيث يُستثنى مجموعة من الأفراد المميزين من أي إجراءات ضدهم بسبب مكانتهم الاعتبارية، وقد أخذ نظام الهجرة عدة أوجه وشروطاً وضرورات وهي:

1. إيقاف الحروب القبلية وفرض الصلح بين المتحاربين.

2. إجهاض التهديد باستعمال القوة أو الاحتلال.

3. يتم اختيار أفراد الهجرة من شيوخ ورؤساء القبائل، ولم يكن هناك أسماء ثابتة لهذا الأمر، ولكن كل من تختاره القبائل يصبح مهجراً (محصناً).

4. أصل نظام الهجرة عرفي قبائلي أخلاقي لمنع الخلافات وتوسعها.

5. أيّ اعتداء على (شخصيات الهجرة) تعقبه عقوبات على الجاني، يتحملها جميع رجل القبائل وليس الجاني المنتسب لهم فقط.

6. يمتاز نظام هجرة الأسواق في اليمن بفرادة عرفية نادرة حيث يستقبل تجار المدن البعيدة قبل يوم لضمان حمايتهم وتكون لهم مكانتهم الاعتبارية في البيع والشراء وحلّ الخلافات.

7. هناك ما يعرف بنظام هجرة الأماكن.

ب. نظام التحكيم: هو اختيار هيئة تحكيمية لفض أنواع النزاعات بين القبائل، تتكون من رجال حكماء عرفتهم القبائل بقدرتهم على حلّ المشاكل، وقد لا تكون قراراتهم ملزمة.

أنواع عقود البيع

لم تكن العقود مكتوبة فقط، بل كانت شفاهية بمجرد التراضي، وكانت الأعراف القبلية هي التي تتصرف بها وتضع شروطها، أما في حالة كتابتها فيحتفظ الطرفان بنسختين من العقد، وتحفظ النسخة الثالثة في المعبد لتشهد الآلهة عليها. وأغلب العقود التي توضع في المعابد هي عقود الصلح وبيع الأرض وما يهم الشأن العام.

البيع يسمى الصفقة ربما لأنهم يصفّقون بالأيدي بعد تمام الاتفاق عليه وتدوينه، والتصافق هو التبادل والتبايع.

قانون الضرائب

هي الهدف الحقيقي لفتح الأسواق التجارية المستقبلة والمصدرة للبضائع. وهي غاية المشرع التجاري للتشريع، وهي الدخل الذي تعتمد عليه الدولة لتوفير ما تحتاج إليه من مصروفات، وقد أكد هذا قانون سوق شمر فالزم جميع التجار بضرورة دفعها بغض النظر عن قبائلهم وبضائعهم وأشار التشريع إلى الضريبة بألفاظ مختلفة وهي (ي ع ر ب) و(و ر

ق م) و(ب ذ ل) وقد اتخذ التشريع التدابير اللازمة لجبايتها وضمان عدم التلاعب فيها ومنها ما يأتي:

1. تركيز التجارة في سوق شمر وإلزام التجار بامتلاك الدكاكين فيه، وبه يجري التحكم والسيطرة على ضرائب كل البضائع التي تدخل إليه عبر أبواب المدينة تمنع. فضلاً عن ضرائب وإيجارات كل دكان.

2. منع التشريع كل سكان تمنع (قتبانيين ومعينيين والمقيمين الآخرين) من تأجير منازلهم مخازن لبضائع للتجار، وألزم كل مخالف بدفع ضريبة السوق في تمنع إلى ملك قتبان، إذ تدفع الضريبة من بضاعة التاجر أو من ممتلكات صاحب المنزل إن لم تف بضاعة التاجر بذلك، وهذا يعني أن ضرائب السوق كانت كبيرة نسبة للمخالفات، وهناك أيضاً ضريبة إضافية على الأجانب إذا تاجروا بالحبوب.

ويبدو أن الضريبة التي تؤخذ كانت نقدية أو عينية، أما قيمة هذه الضريبة في الغالب فإنها كانت تساوي العشر، أو أن منها ما ليس رسماً بل يقوم على رأس المال.» (العزعزي 2001: 142).

«وكانت الضرائب المحصلة لصالح المعابد أو للدولة تصرف للصالح العام كإقامة المشاريع العامة، أو إقامة الولائم الدينية في الأعياد وفي إطعام الحجيج. وفي معين كانت الضرائب تدفع عن طريق المشاركة في بناء المشاريع العامة حتى ولو لم تكن دينية كبناء أسوار المدن، أو حصونها أو مشاريع ري. وكان هناك موظف خاص لجمع الضرائب خاصة في قتبان دعي بـ (ق ظ ر) وكان الملك أحياناً يقوم بهذا الدور خاصة فيما يتعلق بضرائب للمعبود الرسمي للدولة بصفته الكاهن الأعلى، وكان يطلق عليه»ق ظ ر/ ع م«، وشاركه آخرون هذا المنصب»ق ظر/ ع م/ ذ ر ب ح و«أي جابي أموال عم صاحب ربحو، وشارك النساء في تولي هذا المنصب»ق ظ ر ت/ ع م« أي جابية أموال عم، ويبدو أنه منصب مدته سنة واحدة قابلة للتجديد كما يفهم من النصوص»ق ظ ر/ ور ش و/ ع م/ ث ن ت م/« أي جابي ضرائب وكاهن عم للمرة الثانية.» (النعيم 2000: 188 ـ 189).

أنواع عقود الدَين

قانون الهجرة

«كذلك تتمتع بعض الأماكن في اليمن بنظام (الهجرة) فلا يجوز الاقتتال فيها أو الاعتداء. وهذه الأماكن كانت منتشرة في اليمن قبل الإسلام. تخضع لقواعد ونظام خاص بها. ومن تلك الأماكن (المهجرة) أماكن العبادة والمقامات التي وجدت على وجه الخصوص في جنوب شرقي اليمن (حضرموت). وقد ذكر الباحثون أن هناك نوعاً من علامات التشابه بين الأماكن (المهجرة) والتي كانت موجودة قبل الإسلام وعلاقتها بالسياسة القبلية في تلك الفترة. وبين ما هو موجود من معاني ورموز حول بعض الأماكن والهيئات الدينية التي تتمتع بالحصانة ورعاية القبائل اليمنية المعاصرة.» (الفتلاوي 1992 ـ 1993: 135).

المبحث الثالث: السلطات التشريعية في اليمن القديم

1. المجلس العام (المسود)

أولاً: المجالس القبلية: هي مجالس محلية صغيرة تمثل الشعب وقبائله تمثيلاً نيابياً، وتبلغ القبائل بقرارات المجلس لمناقشتها في الهيئات التشريعية المتعددة، وكانت إدارة البلاد بيدها، وكان المجلس يعقد جلساته مرتين في العام وفي عاصمة الدولة بدعوة من الملك في بعض الأحيان، وتجتمع هذه المجالس عندما تظهر أسباب سياسية تتصل بسياسة البلاد الخارجية أو عند تهديد خارجيّ، أو عند الرغبة في إدخال تغيير شامل علي النظام الاقتصادي للدولة.

2.مجالس المدن

«وتعنى بدراسة شؤون المدينة في السلم والحرب إن النظم التشريعية الهامة التي تصدر عن المجلس التشريعي باسم الملك لإبراز حقوق كل من الدولة والمواطن، فيتم نقشها على أسوار المدن أو على أبواب المعابد، حتى يستطيع أفراد الشعب الاطلاع عليها كما ارتكزت هذه التشريعات على أسس دينية حيث تمثل إدارة الآلهة والمخالف لها يعاقب بعقوبتين الأولى هي المنصوص عليها في التشريعات والثانية تفرض من قبل الآلهة، بعد ذلك ازدادت صلاحيات الملوك فيما يختص بالوظائف الحكومية، حيث بدأ التغير في بناء المجتمع اليمني بشكل عام عندما تحول إلى إقطاعيات إقليمية تربطها علاقة المكان والمصلحة المشتركة فكان على رأس هذه الإقطاعيات زعيم عرف في النقوش اليمنية القديمة بلقب (ق ي ل) جمع لكلمة (أقيال)، والأقيال هم طبقة من كبار الإقطاعيين من أصحاب الأراضي الواسعة ومن رؤساء القبائل وكبار السادة من القوم، وكانوا يتمتعون بسلطان واسع، وهناك نقش يتحدث عن مكانة (الأقيال) التي تتصدر المجالس النيابية، وفي هذا الوضع تصبح الألقاب الملكية والامتيازات الملكية أكثر أهمية، وتزداد رغبة الحكام فيها بصورة أكبر.» (مهران، أمل 2011: 53 ـ 54).

ثانياً: المجلس الاستشاري (مسود متعن)

ثالثاً: مجالس القبائل والمدن

«(تقويض) الحكم من قبل الخصوم، فإن ذلك يعني الالتزام بالقرارات، ويبقى للأطراف المتنازعة حرية قبول أو رفض الأحكام الصادرة من المحكمين. وفي بعض الأحيان يشترط المتخاصمون تمتعهم بحرية قبول أو رفض الأحكام الصادرة من المحكمين وهو ما يعرف بـ(طلب النها) عند هيئة تحكيم أخرى، وعند ذلك يحال النزاع إلى (المراغة). وهي أعلى هيئة قضائية في العرف القبلي اليمني. والتي تشبه محاكم الاستئناف والتمييز الحالية، باعتبار قراراتها نهائية. وقد اشتهر بعض المحكمين في اليمن القديم، ومن هؤلاء الأفعى بن الأفعى الجرهمي في شمال اليمن، واعتبره بعض المؤرخين من الملوك لعلو قدره وهيبته ونفاذ حكمه. وكان المحكمون يجلسون في الأماكن العامة التي يجلس فيها أهل البلد أو

في بيوتهم. وإن مصادر حكمهم الأعراف والتقاليد. وكانت لهم دراية وخبرة يكتسبونها من تجاربهم وعلمهم بأحوال الأمم الأخرى، فأثرت في بعضهم مما جعلت لهم ملكة خاصة في القضاء. وقد تتفق القبائل على تسوية المنازعات الناشئة عن الثارات وحقن الدماء، فينتخبون مجلس تحكيم لإصدار قرار يضمن المتخاصمون تنفيذه. وقد يصدرون أحكاماً بإبطال المطالبة ببعض الدماء باعتبارها باطلة لا تستوجب دفع الدية. ويقال لذلك (الشدخ).» (الفتلاوي 1992 ـ 1993: 133).

رابعاً: مجلس الفطنة (الطبن)

كان ملّاك الأراضي الزراعية يسمون، في النقوش اليمنية، بلفظة (طبن) وكان مجلسهم يسمى مجلس الطبن، ويأتي ذكر المجلس مع مجلس المسود وألفاظ أخرى مثل (فقضتن) التي تعني الموظفين، و(بلتن) التي تعني العسكريين، وكل هؤلاء ينتمون لمجلس الطبن، وهو مجلس من مجالس الطبقة الوسطى في اليمن القديم.

خامساً: النظام القضائي

ليست هناك إشارات واضحة عن المحاكم ودور القضاء في اليمن القديم، لكن هذا لا يعني عدم وجود نظام أو هيئة قضائية، فقد كانت مجالس المدن والقبائل (مسود) تقوم بهذا الدور، والدليل على هذا ورود كلمة (ذ م ر) بمعنى القاضي، ووردت عبارة (بعل ذمر) أي (رئيس القضاة أو قاضي القضاة). وكان المعبد (محرم) يقوم بدور القضاء أيضاً وخصوصاً في المواضيع الدينية. وفي اللغة المعينية وردة عبارة (بعل سذمرتن) التي تعني (سيد القضاة)، وفي الحضرمية وردت (تذمريهن) أي قاضيان، ولفظة (محرضد) الخاصة بالآلهة القاضية، ولفظة (حوكم) الخاصة بالإله المشرّع.

سادساً: النظام الإداري للأقاليم

1. السلطة التشريعية: يرأسها الملك، فيصدر المراسيم والأوامر، وتتولاها السلطة القضائية المكونة من شيوخ القبائل وأشراف المدن، وربما كانت هناك محاكم قائمة بذاتها، وقد وردت إشارات نقشية توحي بذلك لأن الآثار لم تؤيد وجود مبانيها.

2. السلطة االتنفيذية: هي السلطة التي تحوّل التشريعات إلى أفعالٍ يومية عن طريق سلطاتها القوية الحريصة على سيادة العدل والأمان، وتكون، بشكلٍ عام، تابعة للجهاز الإداري والعسكري ويشرف الملك عليها، أما القوانين الدينية فيتولى المعبد تنفيذها مع قوات قادرة على تنفيذها معه بمساعدة الأقيال وأعضاء المسود. وهناك مشرفون يراقبون تنفيذ التشريعات ينتشرون في البلاد وفي الأسواق، ويسمى مراقب الريّ (ر ب ق).

المبحث الثالث: مظاهر الحياة القانونية اليمنية

أولاً: الحريات الأساسية

لا نعتقد أن القوانين اليمنية القديمة كفلت الحريات الأساسية، فقد تكون قد فعلت بعضاً من هذا في جوانب محدودة مثل منع القتل والثأر والوأد وغيرها، لكن ذلك لم يمنع حصول خروقات كبيرة للحريات الأساسية، وبمجرد النظر لعمليات الأسر والسبي بين القبائل والممالك اليمنية واستعباد واسترقاق هؤلاء سنعرف كم هي المعاناة كبيرة في ظل حروب ومعارك أهلية لم تنقطع طيلة 1500 عام تقريباً.

ولا بدّ من معرفة أن أكثر الناس الذين سلبت حرياتهم الأساسية هم النساء والأطفال من جميع الطبقات تقريباً، وأكثر ذلك حصل في الطبقات الفقيرة بشكل خاص.

ثانياً: القانون الإداري

النظام الإداري اليمني القديم نظام لامركزي بسبب طبيعة اليمن الجغرافية التي كانت فيها الفواصل الطبيعية وعرة وتنعدم فيها الطرقات السهلة، فضلاً عن اتساع الممالك وعدم التمكن من ضبط الأقاليم النائية فيها، وينفّذ، هذا النظام، أبناء الملك وأقاربه وأهله هم من

يديرون الأقاليم المتحدة إدارياً، وهو ما يجعل ضمان السيطرة عليه مؤكداً أو شبه مؤكد. وقد يكون هذا متسقاً مع فكرة الإعداد والتهيئة لأبناء وإخوان الملك، بشكل خاص، لولاية العهد ثم للملوكية، فهي أشبه بأماكن تدريبٍ عملية على إدارة الحكم.

«إن اختلاف الظروف والأحوال والمجتمعات من منطقة لأخرى تجعل حاكم الإقليم هو الأقدر على حل مشاكلهم الإدارية بسبب معرفة حكام الأقاليم بالظروف والتطورات وطبيعة العلاقات في المجتمع. وهذا ما يتطلب منحهم الصلاحيات الإدارية لمعالجة المشاكل الناجمة عن هذه العلاقات، خاصة عندما اتسعت بعض الدول التي حكمت اليمن في فترات متعددة فشملت أقاليم دول أخرى. وحيث إن طبيعة هذه المجتمعات تختلف تماماً عن طبيعة المجتمع اليمني. ولهذا فإن الحاكم الذي يحكمهم يكون متمكناً من حل مشاكلهم بصورة أفضل من القرارات التي تصدر عن السلطة المركزية في العاصمة لجهلها طبيعة هذه المجتمعات، والظروف التي تمر بها.» (الفتلاوي 1993: 92).

ثالثاً: القانون المالي

لم تكن الواردات والنفقات ثابتة، فهي متغيرة حسب الزمن وحسب الممالك، وكانت الدولة تفرض ضريبة من أجل أمور الحرب والسلاح على الأراضي الزراعية، وكانت تقوم بالصرف على المنشآت العامة التي تخدم الناس، مثل السدود والمعابد والأسواق وغيرها، وكانت القبائل هي التي تقوم باستحصال الضرائب وإيرادات الدولة، وقد تستعين بها في أعمال السخرة والعزم على عملٍ واسع يخدم الجميع. وهذا جدول يوضح نفقات وواردات الممالك والدول اليمنية القديمة:

كلما كانت المملكة قوية زادت إيرادات الدولة، وستعمل تحالفات القبائل على تحصيل وحماية هذه الواردات، فإذا كانت الدولة ضعيفة فستأخذ القبائل حصتها من الضرائب، أما إذا كانت الدولة قوية فستقوم الدولة بتحديد حصص القبائل الحامية لها. وبسبب قوة النظام القبلي الذي صنع هذه الممالك ستبقى الدولة خائفة من غضب القبائل وخروجها عليها، وكانت هناك مقاييس ومعايير للتعامل في الواردات الزراعية والتجارية، فعلى سبيل

المثال» برز دور المعينيين في التجارة، على المستويين الداخلي والخارجي. وقد عكس ذلك النهوض الاقتصادي والثقافي، التغيرات الاقتصادية ـ الاجتماعية المختلفة؛ زيادة الإنتاج الزراعي والحرفي وتطور العلاقات الاجتماعية. على أن ما وجده الباحثون من مصادر لا يشير إلى تلك التغيرات بصورة مباشرة، ولكنه يفهم من خلال المعايير الحقوقية. وتظهر النقوش التوسع الكبير في ملكية الأراضي، وزيادة عدد الأشجار المثمرة والمنتجة، مثل أشجار النخيل وأشجار البخور والطيوب الأخرى. ونلاحظ كذلك أن التشريعات الحقوقية قد ركزت على ثلاثة اتجاهات: أولاً : تدعيم نظام الضرائب والعطايا أو تغييره، التي تدفع لمصلحة المعابد وجهاز الدولة المحلي أو المركزي. ثانياً: تحديد القواعد القانونية من أجل استخدام الأراضي أو قنوات مياه الري. ثالثاً : تنظيم قواعد التجارة: أي العلاقة بين البائع والمشتري وضبط ضرائب التجارة أو رسومها» (كليب 2011: 364).

رابعاً: القانون الدولي

كانت القوانين الدولية في الماضي قريبة من قوانين الحاضر في إطارها العام ومختلفة في تفاصيلها، ويمكننا أن نقسمها إلى نوعين كما في هذا الجدول البسيط:

كانت اليمن تتمتع بمكانة دولية مهمة بسبب إطلالتها على البحرين الأحمر والعربي من جهة، وبسبب طريق البخور الدولي من جهة أخرى، ولذلك احتفظت بحسن تطبيق ما تعرف عليه القانون الدولي آنذاك، لكن حجم الالتزام عند الدول بهذا القانون كأن قليلاً نوعمّا، فقد كانت الدول الإقليمية المهيمنة تخرق هذه القوانين وتتلاعب بها بسبب عدم وجود مؤسسات دولية ترسّخ العلاقات الدولية وتراقبها.

خامساً: قانون العقوبات

كان قانون العقوبات صريحاً وواضحاً في جميع الممالك اليمنية، فقد وقف القتبانيون ضد الثأر القبلي وسنّوا قوانين رادعة ضد القاتل ممثلة بموته (إعدامه) ومنعوا الثأر وعاقبوا من يرتكبه، وحين يلقى القبض على القاتل يودع في مكان خاص يسمى (بيت الآلهة) ريثما

يتم التحقيق معه ويصدر الحكم عليه من قبل القاضي خلال عزله لمدة سبعة أيام، ويصدر القرار باسم مجلس الملأ القتباني الذي هو (المجلس الاستشاري القتباني)، وفيما يلي نصٌّ قانوني قتباني حول هذا الموضوع:

«ـ شرع وأصدر وحرر بدع أب ذبيان بن شهر ملك قتبان وقتبان مسود (مجلس الملأ القتباني).

ـ والفقضة والتبل (الموظفون من إداريين وعسكريين) وردمان و(ل م ل ك) (والملك) ومضحي ويحر (و ب ك ب م ي/ وذ ث).

ـ والبكلنان (و ب ك ل ن هـ ن) وكل الشعوب التي يملكها (يحكمها) يدع أب من المؤتمين (المنتمين لسلطته) (بن/ م أ ت م م/ وأ م م).

ـ (أي) أخ (يقتل) أخاه من قتبان أو من تلك الشعوب، ليحرم (يعاقب هذا الإنسان (القاتل).

ـ ويقضي بإعلان ونشر أمر الملك من تمنع ويجري تحر عن الجريمة.

ـ ومن مانع أو خالف (في أي مكان) أمر وإعلان الملك.

ـ يموت هذا الإنسان المعتدي (الآثم) وحلت نفسه وقضى أن تدفع ديه.

ـ (لأن هذا) جزاء من قتل أو شرع في قتل نفس عنواناً (عمداً).

ـ (صدر هذا التشريع وكتب) في تاريخ (شهر) ذو سلعة سنة حكم غوث الـ ذَعَ.

ـ... مدينة تمنع ووعلان وشيرم.

ـ... قضى وأمر الملك من مدينة شعوب الإله (عم) الذي يقتل قل (..) م

ـ... من أمسك (قبض عليه) بالأرض التي (وقع عليها) القتل لاسيما (منذ) أربعة أيام فلينتح.

ـ في معبد (م ح ر م) الإله للنظر القضائي في حمى الملك، وقراره، وصدق (وقت) التشريع (و ت ع ل مأ ي/ ي د/ ش هـ ر).

ـ بيد (الملك) شهر، ووقع عليه (و ت ع ب م أ ي/ أ ي د و/....) بأيدي ذي طرب ذي در أن، وشهر ذو ذر أن، وصبح كرب ذو هران.» (العزعزي 2001: 103 ــ 104).

التشريعات الدينية

لم تكن التشريعات الدينية بمعزلٍ عن التشريعات المدنية، فقد كانت مساندة لها وداخلة في تركيبها من خلال كون الإلهة هم مصدر التشريع. وكان المعبد يتولى تنظيم ما يخص الدين ومؤسساته من تشريعات تضمن حقوقه وحقوق رجاله.وقد ناقشنا بعضها في هذا الفصل وسنناقشها في الفصل الخاص بالشريعة الدينية في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

الدين السياسي وحاكمية الإله

تتضح صورة الدين السياسي في الانتماء السلالي لآلهة القبائل والممالك وإله الدولة الواحدة مثل سبأ (وهو إلمقه)، فكل هذه الآلهة كانت تعتبر الجدّ الأعلى للمنضوين في عبادتها، وكان ذلك يستدعي التداول السياسي لها والذي يظهر في التشريعات وطريقة الحكم وفي المعاهدات والحروب وغيرها.

كما تتضح هذه الصورة في مجموعة من الطقوس التي كان يمارسها المؤمنون والتي تظهر فيها حاكمية الإله والتي كان يشترك فيها الإله، من خلال المعبد، والملك والناس، وكأنها شكّلت ثالوثاً للصيغة السياسية التي استمرت حتى عصرنا الراهن في (اللّه، الملك، الشعب)، ومن هذه الطقوس:

1. الحَجّ: الذي يتم فيه إعداد وليمة للإله وتتويج الملك وتقديم النذور من قبل الناس كتقديماتٍ وأضاحٍ، ولتجديد الولاء لوحدة الاتحاد السبئي في حالة معبد أوام، وتكريس الحال السياسي في المعابد الأخرى، وأعظم طقوس الحج كانت بالذهاب إلى معبد أوام في

مأرب، وهناك الحج لمعبد تألب ريام في همدان في مملكة سبأ، والحج لمعبد سين ذي أليم في مملكة حضرموت.» واختلف حال الحج حينما اندمجت الزعامات القبلية تحت اتحاد قبلي شامل لعدد من القبائل، بدلالة أن اليمنيين القدماء حافظوا على تأدية الحج في أوقات معينة من كل سنة، إذ كانت جميع المدن والقبائل التي تشكل اتحاد المملكة، تقوم بزيارة معبد الإله الرئيس للدولة الذي يقام فيه الحج.فكان للإله أثر في توجيه أتباعه لأداء واجب ديني معين، فقد أشارت النقوش السبئية بشكل واضح للتبعية الكاملة للمعبود تألب ريام، كونه معبوداً قبلياً ومحلياً للمعبود الرئيس في مملكة سبأ (إلمقه) في أمره لأتباعه من اتحاد قبائل سمعي، لأداء فريضة الحج (الحاضر) في معبد أوام في موسم (أ ب هـ ي)، مكان معين هو مأرب. ويبدو أن صيغة الأمر كانت مباشرة ومن غير إيحاء فرضها الإله تألب على أتباعه وعليهم التقيد به.» (سمار 2020: 238).

2. الصيد المقدس: الذي يتم فيه تكريم الإله والمعبد بصيدٍ حيواني كقربانٍ ويقوم به الملك ويحتفل الناس به. وقد ذكرت النقوش إلهاً خاصاً بالصيد يسمى (كورم) وهناك صيد مقدس لتألب والشمس، وفي قتبان الصيد المقدس يقام للشمس وفي معين الصيد المقدس يقام لـ (حلفان)، وكانت أهم دوافعه في مناسبات الاستسقاء واستنزال المطر. وكان الوعل هو أضحية هذا الطقس، فهو من أكثر الحيوانات تحسساً لقدوم المطر وإشارات البرق قبل حدوثه، وكان موسم طقس صيد الوعل تصل مدته إلى (20) يوماً، حيث يقوم المُكرّب والملك وأتباعه وحاشيته وكبار رجال الدين والدولة والنساء بصيد وعولٍ كثيرةٍ، والغرض من ذلك لكي ترضى الآلهة وخصوصاً آلهة الكواكب (القمر والشمس والزهرة) فتأمر الأمطار بالنزول. وكان الطقس يجري في فترات تسبق مواسم المطر ولا يجب إهماله لأن ذلك سيتسبب في غضب الآلهة وحبس المطر عن الناس، ولذلك كان الطقس مصحوباً بالترقب والمفاجأة والفرح في نهايته والتي تترافق مع نحر الوعول المصطادة وسكب دمها على الأرض العطشى للمطر في الحقول، وتقديم لحمها للمعبد وللذين ساهموا في الطقس.

تخطيطان لمنظر صيد وصياد من منطقة رداع، رسم د.محمد مرقطن

(Maraqten 2015: 211 ,224)

3.الذبح المقدس: حيث الإله ينتظر أضاحيه التي يقوم بها الملك ويقدمها الناس.» تتمظهر حاكمية الإله في هذا الطقس، بحيث يرتبط بالآلهة الكوكبية بشكل خاص مثل الذبح للإله عثتر، الذي تسميه النقوش (ي وم/ ذ ب ح/ ع ث ت ر)، الذي يقوم به المُكرّب (الحاكم) فقط. «وهو جزء من تنظيم أمور الدولة، ويرد هذا الطقس في نقشين (,CIH. 366 bis CIH. 957) ذكرا أن المُكرّب (يدع أل/ ذرح/ بن/ سمه علي)، قام بالذبح للإله عثتر بعد انتهائه من بناء معبدين للإله إلمقه، وقد قام المُكرّب بذبح ثلاث مرات أي أدى الطقس ثلاث مرات في مدة حكمه من أجل التقرب للإله عثتر، وتعبيراً عن اعترافه بسلطان الإله عثتر على دولة سبأ، وشكراً للإله عثتر على مساعدته له في إنجاز ما تم ذكره في النقشين.» (سمار 2020: 247).

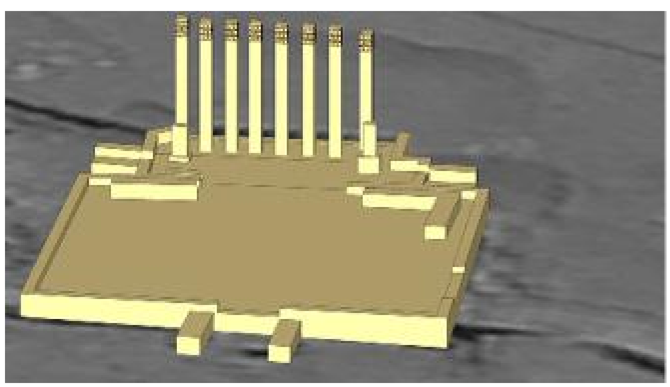


مشهد صيد، وفي الوسط يمسك الرجل برأس وعل، من الجوف اليمني، متحف صانع الوطني

.(YM 1131)

(Maraqten 2015: 225)

4.بناء المعابد: لتكون مقاماً للآلهة ويباركها الملك ويبنيها الناس. ويتمظهر الأثر السياسي للمعبد والإله الذي يُعبد فيه «بأن كل الأعمال التي يقوم بها الملك ولا سيما العسكرية والإنشائية تتم باسم الإله، فهو من يأمر بالقيام بها، بحيث تُنشأ المعابد في الأماكن التي يسيطر عليها الملك؛ لأن الأرض في الأصل مُلك للإله، ومن ثم فإن المعابد المقامة على تلك الأماكن هي مراكز سياسية مهمة تُمثل سلطة الإله والملك، كما هو الحال عندما ضم الملك السبئي (كرب إل وتر) مدينة نشن السوداء المعينية بعد انتصاره عليها، إذ فرض الإله الحاكم إلمقه على أهلها بناء معبد له في وسط المدينة بعد أن وطّن جماعات من السبئيين فيها. وهنا تتجلى المعادلة السياسية بوضوح، التي طرفاها الإله الحاكم الذي يأمر، ونائبه على الأرض من يُنفذ، لا سيما بعد أن تتمدد سلطة الإله السياسية بتمدد سلطة نائبه الحاكم على الأرض، ويغدو إلهاً قومياً بعد أن كان إلهاً قبلياً أو محلياً. وعُد بناء المعابد وترميمها من التقدمات المفروضة على الحكام (المكاربة والملوك) والإداريين والقادة، ففي نقش من نقوش المعبد أوام الموسوم بـ(Ja 551) وهو من نقوش المعبد أوام، صاحب النقش هو (إل شرح بن اسمه علي ذريح) ملك سبأ، قدم للإله إلمقه تملية كل تجويف السور من المداميك.»(سمار 2020: 248).



معبد الشمس، مأرب

المعبد القديم محرم بلقيس (اسم بديل: معبد الملجأ، معبد بلقيس سبأ)، معبد أووان أو يُطلق عليه عمومًا من قبل اليمنيين القدماء «معبد الشمس»)، بالقرب من مأرب، اليمن

والمكون من 8 أعمدة ميغاليثية.

5.طقس المأدبة المقدسّة: وهو طقس تقديم الأضاحي للإله. وكانت التقديمات حيوانية، ويندر جداً أن تكون بشرية، فقد انفرد نقش النصر بذكرها، بشكل عابر والذي ظهر في عهد المُكرّب الملك السبئي (كرب إل وتر بن ذمار علي)، وهناك ما يشير إلى أن الآلهة المعبودة غضبت من «قتل أصحاب مدينة نشان؛ لتمردهم على الآلهة وعلى الملك والدولة. وفي قراءة للنقش (مُكرّب سبأ (كرب إل وتر بن ذمار علي) قام بإراقة (إسالة) سائل عطري في موضع (لقظ) بصفته قرباناً للإله عثتر في معبده فصد، وهناك طقس مشابه جاء في النقوش ومنها على سبيل المثال: (CIH 869)، (CIH. 366) إن المُكرّب أسال حرمتم ثلاث مرات وهي إسالة أو إراقة أو سكب قرباناً سائلاً (قربان خمر، أو قربان ماء)، وبذلك فإن المُكرّب كرب إل وتر قام بسكب أو إراقة سائل عطري، أو قربان من الخمر في موضع (لقظ)، في معبد عثتر المسمى (ف ص د). وقُدّمت التقدمة بأمر الإله الموحى، بمقتضى أمر إلمقه، من قبل الملك (إيل شرح) بداعي النجاة من الحاقد، والنيل منه، والحماية من السوء مثل نقش (Ja 559/4 ـ 5).» (سمار 2020: 251).

6.المآدب المقدسة: وهي مآدب دينية واجتماعية، تقدم فيها الأضاحي الحيوانية للآلهة المعبودة في «كما حدث في معبد الإله إلمقه المسمى أوام في مأرب، وهو الإله القومي لمملكة سبأ، وذلك لتجديد العهود والمواثيق بين حكام سبأ والشعوب (القبائل) التي انضمت إليهم، أو في موسم الحج الخاص بهذا الإله الذي يتم في شهر ذي أبهي من كل عام. ففي النقش الموسوم بـ (AI Aezy Marib 7) وننقل معناه: يُدع إل ذبين أو (ذبيان) بن ذمار قدم للإله إلمقه إله الحرب، يوم أو عندما أولم (أقام احتفالاً دينياً) وصعد إلى تراح (ربما جبل اللوز) وأناره (بإشعال النيران) في الموضع الذي يُسمى فرعت، وقد قام صاحب النقش الذي لم يحمل أي لقب حكام سبأ (مُكرّب، ملك)، وذلك للإشارة إلى صفته الإدارية، فربما ذلك سبق مدة ظهور تلك الألقاب بتقديم القربان (عمل وليمة) كانت تقام سنوياً في هذا الجبل من أجل توثيق العهود بين الحاكم الجديد والشعوب أو القبائل التابعة له أو لممتلكاته، وذلك عند توليته الحكم أو لإقامة الأحلاف الموحدة.» (سمار 2020: 259).

المبحث الخامس: قوانين الممالك اليمنية

أولاً: القوانين القتبانية

سنت مملكة قتبان القوانين بكل أنواعها، لكنها اشتهرت بقوانينها التجارية المنظمة للحركة التجارية في اليمن وخارجها، حيث ظهرت مدينة تمنع (هجر كحلان) هي العاصمة القتبانية الواقعة على وادي بيحان، رائدة في التشريع التجاري، وقانونها (قانون تمنع التجاري) هو أهم النصوص التشريعية في الأعمال والأسواق التجارية في العالم القديم، الأمر الذي يؤشر التطور الفكري والحضاري لقتبان واليمن والقانون تشريع أصدره الملك القتباني (شهر هلل) أو (شهر هلال)، لتنظيم وتعزيز التجارة الداخلية والخارجية والواجبات والعقوبات والضرائب التي تربط التجار بنظام الدولة التشريعي.

ثانياً: القوانين السبئية

اتبع أقدم ملوك سبأ القوانين والتشريعات المعينية في موضوع عودتهم لرأي المسود في إصدار القوانين. مثل قوانين الحرب والقوانين الخاصة بالأرض والزرع والضرائب والتي تمسّ مصالح المسود وقبائلهم. وبعد الموافقة على القانون يحال على الملك لتصديقه ولإعلانه.

تتشابه القوانين القتبانية والقوانين السبئية العامة والقديمة، وتختلف في القوانين الخاصة التي تتعلق بالتشريعات المحلية. وكانت التشريعات السبئية تصدر باسم القصر السبئي، ولذلك اكتسب (قصر سلحين) شهرة كبيرة في هذا المجال، وكان القصر يرمز للملك والسلطة التشريعية الأعلى، ومثل سلحين كانت هناك قصور ملكية أخرى، بالأهمية ذاتها، مثل قصور: غمدن، وعلان وريدان.

ثالثاً: القوانين المعينية

عُرفت المملكة المعينية بقوانينها وتشريعاتها المبكرة، بعضها يتعلق بضرائب المعابد وحقوق الملك وغيرها، فهناك نقش يتناول بناء معبد رصف في مدينة معين «ووضعه تحت حماية الآلهة والشعوب الخاضعة لسلطته، ويشير إلى أهمية سلامة المعابد وأن الاعتداء عليها يعدّ اعتداءً على الآلهة، كما يشير إلى أن هناك نظماً وقواعد قانونية تحرّم الاعتداء على بيوت الآلهة» (النعيم 2000: 707).

وكان بعض قوانينها التجارية مثل قانون تشريع ضريبيّ على المواد الغذائية تكتسب أهمية كبيرة، ويرد في أحد نقوشها تشريع الضرائب في مستوطنة دادان المعينية شمال غرب الجزيرة العربية، حيث يكلف مكرب مَعين تجار دادان بفرض ضرائب الحبوب والتمر والسلع الغذائية على تجارها بمقدار صاعٍ عن كل سلعةٍ ما عدا السلع الخاصة بالإله ود.

نصان قانونيان معينيان:

رابعاً القوانين الحضرمية

عرفت حضرموت القوانين والتشريعات التجارية والدينية، ومنها نص يتناول مخالفة في حق الربة ذات حميم لأنه رفض تلبية رجاء المرأة الضعيفة في توسطه لها عند الربة، ويرجح أن أبكرب كاهن للربة ومن أعماله إيصال رغبات المتعبدين لمعبودهم، كما يرجح أن المرأة كانت فقيرة ولا تقدر على تقديم نذر كاف لاستلهام الربة، لذا طلبت المساعدة منه، ورفضه أغضب الربة عليه، ولكنه أحس بخطئه وكفر عنه.

وهناك نصٌّ قانونيّ آخر مكانه غير مؤكد وربما في أحد الأسواق، يوثّق حدثاً قضائياً، يختلف في أسلوبه ومحتواه عن محتوى النقوش اليمنية القديمة المعروفة، والتي خلفها لنا اليمنيون القدماء بمختلف اللغات، من سبئية، ومعينية، وقتبانية، وحضرمية. يتمثل بكل العناصر القضائية المعروفة؛ المشتكون والقاضي (أو الحاكم)، والشهود والقضية. «إذ لعب س2 ع رم دور الوكيل أو الممثل لشخص يدعى ي هـ وض ع. وقد يكون الأخير شخصاً ذا مرتبة عليا، أو شيخ قبيلة لها دورها في حل القضايا. أما الشخصان الآخران؛ ج ر ي وم، ور

أ ب م فقد وصفا في النقش على أنهما ر ب ي س1 وو«سيداه» ل: س1 ع ر م، حيث كانا مشتركين في القضية، فقام هؤلاء الثلاثة بالاحتكام لدى هـ وض ع، وهذا ما يدل عليه الفعل ج ر وو، الذي أسند إلى ضمير الغائبين، وكان ذلك في خلاف (أ ب ي م)، وصف على أنه الثاني (ث ن ي هـ ن)، وكان مدار هذا النزاع عملية اقتسام التمر (س1 ي ط/ ت م ر (ن). ويبدو أن المحكمين اختلفوا في حصص (أ رب) للتمر التي فرزت لهم، التي كانت، قبل الاحتكام 40 حصة، ولكن رفع عددها لتصبح خمسين بعد الاحتكام. وفي نهاية النقش وثقت عملية الشهادة أو المصادقة على الحكم، إذ قام بهذه العملية شخصان، أحدهما هـ وض ع، المذكور، وس2 ب ع م. تجدر الإشارة هنا إلى أن الأسواق اليمنية منذ عصر ما قبل الإسلام كان لها نظامها وقوانينها التي تحكم البيع والشراء والمقايضة، وغيرها من العمليات التي تجري في السوق، فكل سوق كان له ما يسمى بعاقل السوق، الذي يتمتع بمقدرة على حل القضايا العالقة، والخلافات العارضة، ولا نستطيع الجزم أخيراً في أ م ي هـ وض ع.» (سياجنة 2005: 484).

خامساً: القوانين الحميرية Leges Homerutarum

أطلق الحميريون على القوانين والشرائع اسم (نواميس)، وفرضوا على الدولة والناس حماية هذه النواميس والالتزام بها ومعاقبة من يخالفها، ونتوقع ان تكون حمير قد ورثت الإرث القانوني الذي سبقها في الممالك اليمنية وخصوصاً السبئية، وكان من يخالف تلك القوانين (النواميس) يُنبذ من المجتمع ويطلقون عليه لقب (مكسور ناموس) أي (بلا قانون) وكان إطلاق هذا اللقب على شخص يمثل أكبر إهانة له، وهذا بحد ذاته نبذ له وتجنب التعامل معه، ويبدو أن هذه العبارة ما زالت مستخدمة في اليمن حين أصبحت حمير مسيحية في حدود القرن السادس قبل الميلاد، قام القديس جريجنتي Gregentii Archiepiseopi (وهو من إقليم اللافاز في قرية مويزيا قرب نهر الدانوب).

وكان قد تعين في اليمن من قبل ملك الحبشة، وأصبح قسّا في ظفار، وفي حدود 530 ـ 560 ق.م ظهرت لائحة القوانين الحميرية من جهة رسمية في الدولة الحميرية المسيحية،

وحفظها عمل أدبي إغريقي دونه مؤلف مجهول الهوية تحدث فيه عن سيرة الأسقف جريجنتي وكانت مدونة القوانين الحميرية ملازمة له، لكن ذلك لا يعني أنه هو الذي دونها أو أنه حملها من الدولة البيزنطية لليمن. وشملت فقرات القوانين الكثير من الجوانب القانونية في الإدارة والاقتصاد والقضاء والمجتمع والدين، وهي تعكس المزاج الحميري الجديد في لبوسه المسيحي.» ويعتقد بعض الباحثين أيضاً أن هذه القوانين فرضت على شعب حمير بأمر من الدولة البيزنطية، وأنها مستوحاة من النظم البيزنطية المعاصرة لها، ليتم تطبيقها على شعب جنوب الجزيرة العربية، ويستند هؤلاء في رأيهم إلى وجود تشابه بين هذه القوانين البيزنطية خاصة فيما يتعلق بالنظم الإدارية، كذلك استخدام الكاتب لألفاظ وتعابير قانونية بيزنطية.» (النعيم 2000: 381 ــ 382).

ويبدو أنها ليست كذلك بالكامل فهناك تأثيرات يهودية ومحلية فيها. كما أنه ليس هناك ما يشير إلى تطبيقها بشكل واضح ومستمر. ويبدو أنها دونت بلهجة عربية شمالية أو سريانية في نجران خصوصاً» أن المصادر السريانية أشارت إلى أن سكان المدينة كتبوا رسائلهم التي بعثوا بها إلى رجال الدين المسيحيين في الحيرة والشام باللهجة النجرانية، مما يدل على أنهم استخدموا لهجة غير الحميرية إذ لو كتبوها بالحميرية لما خصت بهذا الاسم (اللهجة النجرانية). ويرجح هذا الاحتمال كون تلك القوانين خاصة بمدينة نجران فقط، إذ لا يعقل أنها دونت باللهجة العربية الشمالية، وهي موضوعة لشعب حميري لأن اللهجة العربية لم تكن قد حققت انتشاراً في جنوب الجزيرة بعد. أما لماذا لم يطلق على سكان نجران لقب عرب وعلى لهجتهم بالعربية، فذلك راجع لكون كلمة عرب لم تكن تستخدم في هذه المرحلة للدلالة على جنس سكان الجزيرة، بل إن العرب أنفسهم لم يطلقوها على أنفسهم بعد.» (النعيم 2000: 388).

«ويحتمل أيضاً أنها دونت بالسريانية بصفتها لغة المسيحية خاصة أصحاب المذهب اليعقوبي الذي حقق نجاحاً وقبولاً في جنوب الجزيرة، وهو مذهب القديس جرجينتي. كما أن أعداداً من السريان والعرب الذين تحدثوا بالسريانية عاشوا في المنطقة كمبشرين، تجاراً، وقساوسة، ويحتمل أن هؤلاء عملوا على ترجمة تعاليم المسيحية لسكان المنطقة

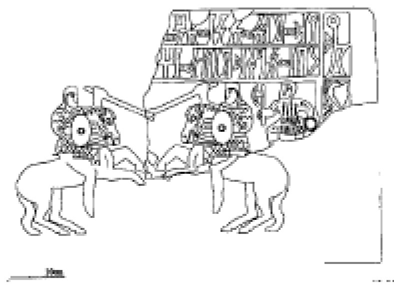
وربما ترجموا الكتاب المقدس أو أجزاء منه للهجة المحلية، ويضعف هذا الاحتمال عدم وجود أثر للسريانية في المنطقة ولم يعثر على نقوش سريانية أو نصوص محلية فيها أثر سرياني مما يدل على عدم استخدامهم لهذه اللغة حتى ولا في الطقوس الدينية وربما كان وجود الكثير من عرب الحيرة والشام عاملاً مساعداً في ترجمة التعاليم الدينية لهم، حيث لم يجدوا حاجة للتعلم، وهكذا نجد أنفسنا عاجزين عن تحديد لغة القوانين الأصلية، حتى نعثر على أدلة واضحة وقوية تؤكد أحد هذه الاحتمالات.» (النعيم 2000: 388 ـ 389).

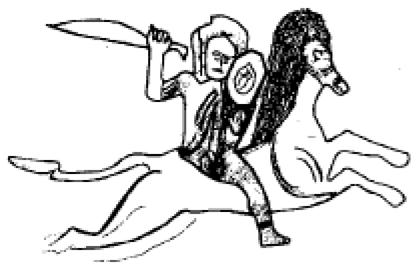
الرأي الراجح أنها كتبت لمدينة نجران وطبقت فيها والتي كانت أساس الديانة المسيحية في اليمن، ولها علاقة ببيئة القوانين المحلية المتوارثة في اليمن القديم.

يتكون القانون من 64 بنداً قانونياً (وهناك بند سقط سهواً من الناسخ)، وهنا أول عشرين بنداً من بنوده القانونية:

عن (النعيم 2000: 348 ـ 354).

الفصل الخامس: المظهر العسكري





المبحث الأول: الجيش والنظام العسكري

أولاً: الدراسات الرائدة عن المظاهر العسكرية والحربية في اليمن القديم

1. دراسة ألفريد بهستون: الحرب في الجنوب العربي القديم (القرنان الثاني والثالث الميلادي).

,«Beeston. A.,»Warfare in Ancient South Arabia (second - third cent.A.D)

.studies is Old South Arabian Epigraphy. Fasc. 3 (1976)

الدراسة الأقدم والأهم والتي تقدم تصوراً شاملاً لطبيعة الحياة العسكرية في اليمن القديم خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، والحروب والنقل والتموين وألقاب القادة العسكريين والنقل.

2. دراسة كريستيان روبن: الحرب والأوبئة في ممالك جنوب الجزيرة العربية حسب نقش مؤرخ (القرن الثاني الميلادي)

Robin, Ch.,» Guerre et épidémie dans les royaumes d'Arabie du sud d'après une inscription datée (IIe siècle de l'ère chrétienne), Académie des .Lettres (1992) ـ Inscriptions et Belles

3. دراسة أندريه كورتاييف: مصادر مادية للقوة الملكية السبئية الوسطى.

Korotayev , Andrey: Material Sources of Middle Sabaean Royal Power , ,(pages 11) 21 ـ East and West, Vol. 45, No. 1/4 (December 1995), pp. 11 Published By: Istituto Italiano per l'Africa e l'Oriente (IsIAO) .https://www.jstor.org/stable/29757203

4. رسالة ماجستير للباحث نبيل عبد الوهاب عبد الغني: الحياة العسكرية في دولة سبأ» قدمت إلى جامعة عدن، اليمن، (2002).

5. دراسة الأستاذة الدكتورة أسمهان الجرو: ملامح من الحياة العسكرية في دولة سبأ في الفترة من القرن 1 ـ 3 الميلادي، مجلة أبحاث اليرموك المجلد 23، العدد 3 (2007).

6. رسالة ماجستير ماهر عبد الله ديوان الوجيه: الأسلحة في اليمن القديم، رسالة ماجستير بإشراف أ. د محمد عبد الله باسلامة، جامعة صنعاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الآثار، صنعاء (2012).)

تعود أغلب معلوماتنا الأصلية عن الحياة العسكرية في اليمن، بشكل عام، للآثار والنقوش المكتشفة في أكثر من موقعٍ، وفي سبأ، بشكل خاص، في القرون الميلادية لنقوش (محرم بلقيس). «ويعتبر نقش النصر (3945) للمكرب والملك السبئي (كرب إل وتر بن ذمار علي) الذي يعود عهده إلى القرن السابع قبل الميلاد واحداً من أهم مصادرنا، فقد «حرص (كرب إل) أن يسجل لنا بفخر، واعتزاز انتصاراته العسكرية من خلال ثمان حملات عسكرية شملت أنحاء واسعة خارج الهضبة الغربية الكبرى، كان الهدف منها كسر شوكة دولة (أوسان) التي يبدو أنها قد خرجت عن إطار السيطرة بمد نفوذها إلى كل الشريط الساحلي لليمن القديم، كما استقطعت أجزاء من دولة قتبان، وأجزاء من دولة حضرموت، من هنا نجد تحالف الدولتين مع سبأ واضحاً في النقش، امتدت تلك الحملات من أنحاء المعافر (الحجرية اليوم)، في الجنوب الغربي قريباً من باب المندب، مروراً بدلتا (تبن)، ودلتا (أبين) حول عدن، فيافع، و(دثينة)، وسلسلة جبال (الكور) وأوديتها، حتى أطراف (حضرموت) من ناحية، و(الجوف) فـ (نجران) من ناحية لقد شكل هذا النقش المصدر الأول إن لم يكن الوحيد لمعارفنا عن بعض جوانب الحياة العسكرية في سبأ خلال القرن السابع قبل الميلاد، ومن خلاله يمكن أن نستنتج عدة أمور: أهمها أن الملك هو القائد الأعلى للجيش. وأن غنائم الجيش يمكن تقسيمها بين أركان الدولة الثلاثة: الإله والملك والشعب. كما نستنتج أن هناك من الأسلحة ما كانت تهز دولة العدو وتفتك به. فقد ذكر النقش أسلوب التدمير كحرق المدن، وتهديم القصور، والمعابد، وطمس الوثائق الأوسانية» (الجرو 2007: 1066).

ثانياً: تاريخ وأسماء الجيش اليمني القديم

1. جنود القبائل القديمة:

بعد الاستقرار الزراعي، في اليمن القديم، ظهرت الحاجة إلى أفراد وجماعات قبلية تكون مهمتها حماية بيوت ومحاصيل القرى والمدن الأولى، وكان من مهماتها القتال عندما تنشب

الخلافات بين العشائر والقبائل والأعراب البدو، فظهر من صفوف الفلاحين والحرفيين من يقوم بهذه المهمة بشكل مؤقت أو دائم.

وأصبح هؤلاء تحت قيادة شيوخ القبائل مباشرة وأصبحت مهماتهم في أيام السلم حفظ الأمن وتنفيذ أوامر الشيوخ، أما في أيام الحرب فكانوا أول من يدافعون ويقاتلون في سبيل قبائلهم.

2. جيوش الممالك اليمنية القديمة:

مع ظهور الممالك اليمنية القديمة، مثل معين وسبأ وحضرموت...إلخ، ظهرت الحاجة لوجود جنود مطوّعين (دائميين) يكونون من القبائل المقرّبة للمكرب أو الملك يتقاضون مقابل ذلك أجوراً ويعملون في حالات السلم على الحفظ الأمن وحماية القوافل والسيطرة على الممالك في حالات التمرد الداخلي وحماية الملك والشخصيات الحاكمة. أما في حالات الحرب فكان واجبهم القتال المباشر لصالح المملكة وآلهتها وملكها وحراسة مدنها.

نشأت جيوش الممالك من الأقسام الآتية:

أ. الجيش النظامي (حرس): وهم جنود الملك المحترفون والمكرسون للدفاع عن المملكة والملك والمجهزون بأفضل أنواع الأسلحة، وكان يقودهم شخص مقرّبٌ من المكرب أوالملك. وهم على استعداد دائم لتنفيذ أوامر الملك أو القائد.

ب. الجيش الشعبي (حرس شعبن): وهم الجيش المكلف أثناء قيام الحرب، بالدفاع عن المملكة والملك والشعب، ترجمة اسمهم هو (الجيش الشعبي) وكان يقودهم أشراف القبائل.

جـ الجيش البدوي (حرس عربن): وهو جيش البدو التابعين للمملكة يحارب مع الجيش النظامي ولا يندمج فيه.

د. عبدهو: وهم الجيش الملحق، أثناء قيام الحرب، والمكوّن من العبيد والخدم ومن بعض أحرار القبائل والتابعين للشيوخ أو الملك.

هـ الجيش بشكل عام: الاسم العام للجيش هو (خميس) (خ م ي س) وربما جاء هذا الاسم من انقسام الخميس إلى خمس فرق (المقدمة، القلب، الميمنة، الميسرة، المؤخرة)، وربما لأنهم يفوزون بخُمس الغنائم. كان الجيش يسمى باللغة اليمنية القديمة (خميس) أما (جيش) (ج ي ش) فهو قطعات محددة من الحشد الأكبر أو من الجيش الرسمي للملكة (حرس). فهو قوة محدودة منوط بها مهام محددة.

وغياب مسمى الخميس في النقوش التي تعود إلى عصر ما قبل الميلاد جعل كثير من الدارسين يتساءلون عما إذا كانت الدول اليمنية القديمة تمتلك جيوشا رسمية (نظامية) خلال تلك الفترة، أم أنها كانت تعتمد على الرجال البالغين من مواطنيها في حروبها، بحيث يعودون إلى أشغالهم المدنية بعد انتهاء الحرب، في وضع مشابه لما كانت عليها الدولة الرومانية قبل عصرها الإمبراطوري، وكذلك ما كانت عليه الدولة العربية الإسلامية في بداية نشوئها.

ولم نجد في النقوش المسندية تفسيرات واضحة لمعنى الخميس، واعتمدت التفسيرات لمعناه على تحليلات للدارسين استندت على مقارنات لظهور مسمى الخميس في جيش الدولة العربية الإسلامية، حيث اعتبر البعض أن مسمى الخميس سببه انقسام الجيش في أرض المعركة إلى خمس فرق ذكرناها (قلب، مقدمة، مؤخرة، ميمنة، ميسرة)، بينما أعاد البعض التسمية إلى حصول الجيش على خمس الغنائم والضرائب، مع تفسيرات أخرى أقل شأناً.

وكانت تتبع كل جيش في هذه الدولة اليمنية القديمة أو تلك مجموعة من التحصينات الدفاعية: حصون وقلاع وأسوار للمدن، ومعسكرات (حيرت)، مع قوات ترابط على حدود الدولة وتكون مستعدة لصد أي هجوم مفاجئ على أراضي الدولة إلى أن يصل المدد من عاصمة الدولة أو من أحد الأقيال التابعين لها.

المعسكرات اليمنية (حير)

يدل مصطلح (حير) المكتوب بخط المسند وباللغة اليمنية على مواقع الجنود في خمس مناطق تشكل أنواع تجمع الجنود قبل وبعد الحرب. أما حال الجنود أثناء الحرب فسنتحدث عنه في موضوع القتال وأساليبه. وهذه المعسكرات وتجمع جنودها تنقسم إلى:

أ. التحشّد: وهي مناطق تجمع الجنود قبل الحرب، حيث يتم تدريب هذه المجاميع وتقسيم تخصصاتها القتالية، وتكون معسكرات التحشّد خارج المدن وتمثل مستودع الجنود الذين يرفدون الجيش والاستعداد للمعركة. ويذكرها نقش بعنوان (Ja 576).

2. الحراسة (وثن): وهي مناطق حراسة المعسكرات أو حراسة الحدود التي تسمى باليمنية (وثن) وهي عبارة عن حجارة حدود يتفق على وضعها بين حدود الممالك والمقاطعات وقد تكون مدونة بخطوط مسندية تدل على مكانها ومعناه، وهي تذكرنا بأحجار الحدود في وادي الرافدين التي تسمى (كودورو) وتذكرها نقوش بالعناوين (Ja 658) (Ja 662) (ja 576) (E).

3. المرابطة (نظر): وهي معسكرات ومناطق القوات العسكرية للجيش النظامي والتي تكون مستعدة لدخول الحرب مباشرة.

4. المراقبة (قرن): وهي معسكرات التربص والتجسس ومراقبة حركات العدو واستعداداته.

5. الانسحاب: وهي معسكرات لانسحاب القوات العسكرية وإعادة تأهيلها وتجهيزها، فهي بمثابة المعسكرات الخلفية التي تعتني بالقوات التي أتعبها القتال أو التي تمنى بهزيمة، كما أنها أماكن لعلاج الجرحى ودفن الموتى أو إرسالهم إلى أهلهم.

6. الإقطاع العسكري: وهي الأراضي التي تُمنح من قبل القادة العسكريين للآلهة التي نصرتها وقد تكون على شكل أراض زراعية أو بساتين مع عبيدها وفلاحيها ليستثمرها

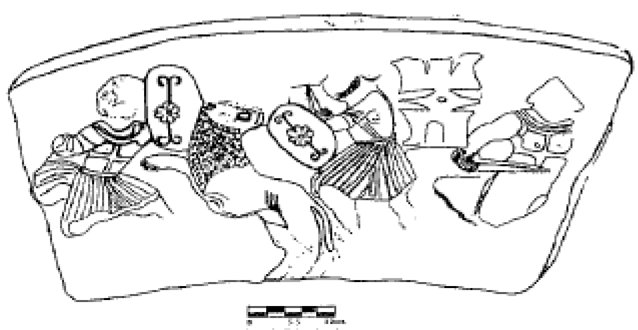
معبد ذلك الإله كما حصل عند عقد الصلح بين (سبأ) و(قتبان) المذكور في النقش (Ja 550). أو أنه يشمل الأراضي التي تمنح للقادة والمراتب الأدنى من العسكريين كهدايا على جهودهم العسكرية.

أساليب القتال والمناورات:

كثرت أساليب القتال بين الكرّ والفرّ ووضع خطط الحرب وحيلها، ومن أهم هذه الأساليب:

1. التحصين: وهو أسلوب استباقي يؤمن المدن ضد هجمات الأعداء عن طريق إقامة الأسوار والأبراج والقلاع والحصون المحيطة بالمدن وبأنواعها والتي تشكل القوة الدفاعية ضد هجوم جنود الأعداء. وكانت الجيوش والمعسكرات تقام خارج هذه التحصينات، وقد تكون ملجأ للجيش في حالة تراجعه.

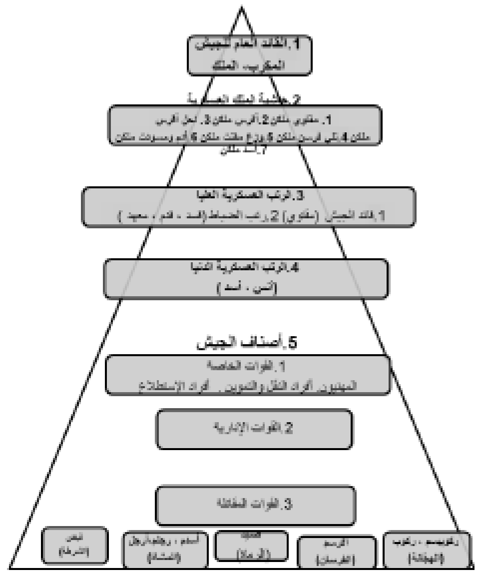
2. الحصار (صور): وهو إجراء تقوم به الجيوش المحاربة لتقطع عن المدن اتصالها بغيرها واحتلالها بقتال أو دون قتال حيث يتجمع المقاتلون حول المدينة وعند تلالها وقرب قلاعها لإرغام المحاصرين على الاستسلام وفتح الأبواب. وقد ذكرته النقوش (Ja 578) (Ja 629) (E 32).



نحت نافر على لوحٍ من الرخام، مشهد يجسد الصراع بين رجل مع أسد

(الوجيه 2012: 292).

المبحث الثاني: الهرم العسكري



الهرم العسكري اليمني

أولاً: القائد العام للجيش: المكرب ثم الملك:

الملك، وقبله المكرب، هو القائد الأعلى للجيش، ومن المؤكد أن أغلب الملوك كانوا قد تدربوا على حمل السلاح وإجادة استعماله قبل تنصيبهم ملوكاً، وفروسية الملك وشجاعته تمنحه شرعية السلطة، وهو القائد العام الأعلى للجيش والذي كان يُصدر الأوامر ويضع الخطط أو يوافق عليها، وكان يرمز لسيادة المملكة، وأغلب الملوك كانوا من المحاربين المتمرسين والأقوياء.

«الملك، أو المكرب في السابق يستمد شرعية سلطته المدنية، والعسكرية من الآلهة مباشرة، فهو وكيل الآلهة على الأرض، وهناك ارتباط قوي يربط أركان الدولة الثلاثة :(الإله، والملك، والشعب) عبرت عنه النقوش بلفظة (ح ب ل م) من أصل الفعل (حبل) والذي يعني: ميثاق. فإقامة العهد مع الآلهة، والملك، والشعب، إنما كان من الطقوس الدينية

المهمة، فثمة عدد من النقوش تعبر عن المؤاخاة والتحالف الوثيق بينهم فكانت الحروب تشن باسم (الإله، والملك، والشعب)، أركان الدولة كما كانت غنائم الحروب توزع أيضاً على أركان الدولة الثلاثة.» (الجرو 2007: 1070).

ولا شك أن هذه النظرة المقدسة التي جمعت الملك والشعب، من خلال الإله، كان لها الأثر البعيد في الحياة السياسية للبلاد واستقرارها، وهي الضامنة لتطبيق السيادة والقانون في البلاد.

لكن هذا الحبل المقدس كاد ينقطع في عصر الصراع بين سبأ وحمير، حيث تمّ فصل الدين عن الدولة، وأصبح الملك هو القائد الفعلي للجيش دون الاعتماد على الإله أو الشعب، بل هو قائد الجيش الفعلي. وهو ما تتحدث عنه نقوش الملكين السبئيين (شاعر أوتر علهان نهفان) و(إيل شرح يحضب الثاني).

أما الأعمال العسكرية للملك فهي:

1. قيادة الجيش في السلم والحرب وينوب عنه قائد الجيش (مقتوي).

2. يقوم بالتكليف لمهمات عسكرية من غير الحرب كالمراقبة والحراسة والمرابطة وتسمى (بلتهو).

3. تعيين الحكام المحليين وتمكينهم من الإدارة السياسية والعسكرية والمدنية حسب ما يراه.

4. عقد التحالفات الحربية والقتالية، وتعيين السفراء والقادة.

5. الحفاظ على أمن التجارة وقوافلها لأنها العصب الاقتصادي للبلاد.

ثانياً: حاشية الملك العسكرية:

مجموعة من الضباط المرتبطين مباشرة بالملك والقصر الملكيّ وهم:

1. مقتوي ملكن (قائد الملك): وهو قائد كتيبة الملك.

2. أفرس ملكن (فرسان الملك) وهم القادة المميزون عند الملك.

3. نحل أفرس ملكن (قائد فرسان الملك) وهو الذي يقود أو يرأس فرسان الملك.

4. تلي (أتلوت) فرسن ملكن (قائد خيّالة الملك): والذي يشرف على خيول الملك وتدريبها مع فرسانها لخوض المعارك.

5. وزع مقتت ملكن (المكلّف من قبل الملك): وهو القائد الذي يكلّفه الملك في مهمة معينة.

6. أدم ومسودت ملكن (الخادم والمضحي للملك): وهو الذي يفدي الملك بحياته أثناء الحرب وربما يكون المرافق والحارس الشخصي للملك.

7. أسد ملكن (أسود الملك): وهم الحراس الملكيون.

8. المرافق العسكري للملك يكون عادة من الـ (قين، ذو).

ثالثاً: الرتب العسكرية العليا:

تتضح صورة هذه المراتب قبل وأثناء نشوب الحروب وتتكون من:

1. الأقيال والأذواء (قيل، ذو) وهم مساعدو الملك أو نوابه في الشؤون العسكرية وكانوا يقومون بواجباتهم بأوامر من الملك لضبط أمور الشعب والقبائل ولهم دور كبير في التجنيد والتنظيم والقتال.

2. قائد الجيش (مقتوي): وهو قائد الجيش الفعلي في الحرب والسلم، ومعنى اسمه (الخادم) أي خادم الملك، وهو المسؤول عن معسكرات الجيش (حيرت) وعن قوات

الحدود. ويساهم مباشرة في الحرب ويأخذ أوامره من الملك.

كلمة (مقتوي، مقتون، مقتو) تعني باللغة اليمنية القديمة ضابطاً عسكرياً، وتعني طبقة من الضباط العسكريين الذين يعينون بهذه الرتبة بمرسوم ملكيّ، وتعني قائد الجيش النظامي (جيش الدولة) أو (جيش المملكة) «وجمعها (مقاتت، مقتوت، مقتويت)، والمقتويون في الغالب يتبعون الملك، ويمكن اعتبارهم من أهم مساعديه، فهم يمثلون خيرة القادة العسكريين، يتولون قيادة قوات مختلفة من شعوب متفرقة يخالطها أحياناً بعض الأعراب؛ بل وينوب المقتوي في بعض الأحيان عن الملك في قيادة الخميس (الجيش الرسمي للدولة) أو أجزاء من الجيش، وقد يكونون في الغالب من الأقيال، أو من المرتبة ذاتها» (الجرو 2007: 1073).

هناك مقتوي ملكن (قائد الملك): وهو قائد كتيبة الملك.هناك (مقتوي) يتبع أمراء الإقطاعيات (الأقيال) وقد يكلف المقتوي بوظيفة سياسية ـ عسكرية من خلال القيام بدور سفير الملك للتفاوض مع الخصم وهناك نساء شغلن مناصب سياسية وإدارية وعسكرية في الدولة كمنصب (مقتوت).

3. رتب الضباط (قسد، منسرت، قدم، معهد)

1. قسد: رتبة أقل من المقتوي تضم العسكريين من الأشراف، ولذلك يكافؤون بالأراض الزراعية مقابل خدمتهم العسكرية ذات الطابع الإداري، فهي لا تحمل سلاحاً.

2. منسرت: قائد فرقة في الجيش.

3. قدم: ومعناها القائد المتقدم الذي يقود مجموعة عسكرية.

4. معهد: وهو ضابط تُعهد له مهمة خاصة عسكرية.

رابعاً: الرتب العسكرية الدنيا

أنس: رئيس الجنود

أسد: الجندي أو المحارب.

خامساً: أصناف الجيش:

1. القوات الخاصة: وهي الرتب غير القتالية التي توفر للجيش ما يحتاجه:

أ. المهنيون: وهم أصحاب الحرف العسكرية من أسلحة وملابس وتجهيزات.

ب. أفراد النقل والتموين: وهم المسؤولون عن توفير الجمال والخيول والمركبات والطعام والشراب للجيش.

جـ. أفراد الاستطلاع: وهم بمثابة الاستخبارات العسكرية والعيون التي تمدّ القيادة بأخبار وتجمعات وخطط واستعدادات العدو.

2. القوات الإدارية: وهم الذين ينظمون الأمور الإدارية للجيش في الحرب والسلم.

3. القوات المقاتلة: وهي القوات الفعلية المجابهة والتي تشكل عامة الجيش، وتقسم إلى عدة أصناف:

أ.ركوبيسم، ركوب (الهجّانة):

وهم فرسان الجمال، أي الجنود الذين يركبون الجمال ويسمون (ركوبيسم، ركوب، ركبت، راكبين) أي ركاب الجمال. «النقش (Ja 575 /15) إن الجمال المدربة على ما يبدو أشركت في الحرب وبأعداد كبيرة تفوق بكثير أعداد الخيول ونفهم من النقش السابق، أنه قد أسندت إلى هذه الفرقة مهمة مواجهة السبئيين بوسط مدينة ذمار، حيث يشار أن الملك (إل شرح يحضب بن فارع ينهب) تقدم لملاقاة (شمر يهمحمد صاحب ذا ريدان) وأتباعه من قبائل حمير وردمان ومضحيم (Jamme 1962: 68) وكان مع إل شرح عندما التقى

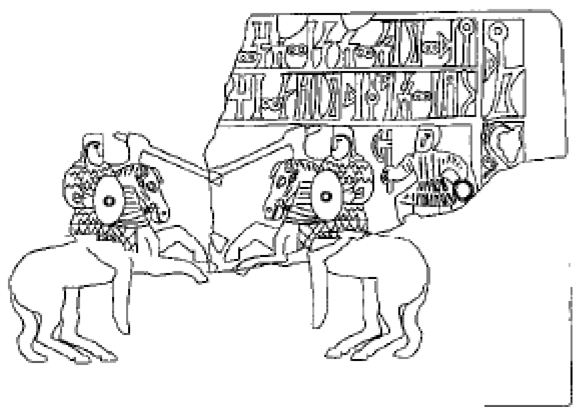
بهم أقياله و(1500) جندي و(40) فارساً، (بافقيه 1985:124) ربما كان إل شرح نفسه أحد الفرسان الأربعين وقائدهم في المسير إلى ظفار وبالمقابل، نجد أن عدد راكبي الجمال في قوام الجيش الحميري الذي تقدم به شمر ذي ريدان كان كبيراً حيث وصل إل (1600) وهذا دليل هام على أن الحميريين أشركوا الجند راكبي الجمال أو ما يمكن أن نسميهم (الهجانة) في حروبهم، بل وكانوا الفئة الأكثر عدداً وعتاداً بعد المشاة. ولضرب أمثلة أخرى من النقوش نأتي إلى ذكر النقش المسجل برقم (Ja 30/665) حيث يخبرنا بقصة تحرك جزء من الخميس في طليعة تقدم بها الملك ياسر بهنعم وابنه ذرا آمر أيمن ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت زينه لكبير أعرابهم سعد تالب بالتقدم بنحو (750) مقاتل (هجان) وسبعون فارساً (العنبي 2007: 344)». (الوجيه 2012: 157 ـ 158).

«يستفاد من النقوش التي ترجع إلى عهد الملك السبئي شمر يهرعش في معرفة أعداد سلاح الهجانة، فالنقش (Sh 32/11 ـ 14) يخبرنا عن حرب شنها الملك شمر يهرعش على مدن وادي حضرموت بحملة ضمت (400) هجان. كما نجد في النقش (Ja 665/16) من زمن الملك الحميري ياسر بهنعم (الثاني) يؤرخ بسنة (305م) يخبرنا عن معركة حدثت بين الجيش الحميري والحضرمي، وقد بلغ عدد راكبي الجمال من جانب الحضارم نحو (3500) و(125) فارساً؛ في مقابل (750) راكب جمل حميري و(70) فارساً (Jamme 1962: 169) من جانبها، أظهرت المنحوتات اليمنية القديمة وبنحت متقن التنفيذ راكبي الجمال (الهجانة) خصوصاً في شواهد القبور حيث صورت جنود يركبون جمالهم المدربة، وهم في وضعيات مختلفة، يتسلحون بالرماح التي تتميز بكونها ذات قناة طويلة، وفي بعض الأحيان يتقدم راكب الجمل في المسير، جندي من فرقة المشاة يتسلح بقوس، والسهام موضوعة في جعبة معلقة على خلف الظهر، ولعل هذا دليل يشير إلى أن جنود فرقة المشاة كانوا في طليعة الجيش اليمني القديم.» (الوجيه 2012: 157 ـ 158).

ب.أفرسم (الفرسان):

وهم فرسان الخيول، ولم تدخل هذه القوات مبكراً في تركيب الجيش اليمني. لكنها حين ظهرت في حدود القرون الميلادية الأولى كان لها التأثير الكبير في تغيير مجرى المعارك، وكانت عبارة (تلي فرس) تعني ساسة الخيول والذين يعتنون بها.

«يمكن تقسيم هذه الفرقة إلى مجموعتين هم أولاً : الرماحون حملة التروس، ثم رماة السهام، وكانوا في طليعة الجيش كما نعتقد وموقعهم في التشكيل القتالي كان في المقدمة من الخميس وربما يكونون هم أول من يصطدم بالأعداء ولا يمنع أن يكون المشاة جزءاً من المقدمة أو الميسرة أو الميمنة، وإنما المشاة تميزاً لهم بأنهم غير الراكبين للجمال أو الخيل (العنبي 2007: 341) وتذكر النقوش تسمية أكثر شيوعاً على صيغة (اسدم) التي تعني صنف المشاة، وهو تشبيههم بأنهم كالأسود في ميادين القتال..! ويمكن أن نميز من خلال النقش (Ja 576) بين الفرسان (أفرسم) و(أسدم)، وهم حتماً المشاة، هذا التصنيف يظهر أيضاً في نقش (روبان) بين رجال مسلحين ورجال من دون سلاح (....). ونظراً لتضاريس اليمن الجبلية فقد اعتمد اليمنيون القدماء على المشاة اعتماداً كبيراً في زحفهم نحو العدو، فإذا كانت الأرض جبلية وعرة تعذرت معها حركة الخيل وهي المهمة التي كانت ضد الأحباش (السروري 2004: 44)، وإذا كان العدو يستوطن أرضاً سهلية في هذه الحالة ربما يتم إشراك فرقة الخيالة نظراً لسرعة الخيول الأمر الذي يمكن الفرسان من إتمام مهمتهم والقضاء على العدو في وقت وجيز وبأقل الخسائر. ويظهر من الشواهد الأثرية المختلفة بأن المشاة هم الفئة الأكثر عدداً وعتاداً، وقد تم تزويدهم بالأسلحة.» (الوجيه 2012: 151).



مشهد حربي يجسد فارساً مع جندي من فرقة المشاة لوح من الرخام ظفار ريدان

(Yule,Robin2007: 359)

ت.صيد (الرماة)

الرماة والقناصون (صيد): وهم حملة الأقواس والسهام.

ث.أسدم، رجلم،أرجل (المشاة)

المشاة (أسدم، رجلم، أرجل): وهم الجنود العاديون من صنف المشاة.



شكل(67) شاهد قبر (A20-210) يمثل محاربين مشاة يتسلحون بالتروس و الرماح الطويل.



شكل(68)_أ شاهد قبر لمحارب من فرقة المشاة (A20-550)

ب_ شاهد قبر لمحاربين من المشاة ، من مدينة ناعط.

رسم الباحث

(الوجيه 2012: 254).

ح.قبض (الشرطة)

وهي وحدات عسكرية تتولى حماية النظام وتطبيق القانون في حالات الحرب والسلم.

المبحث الثالث: الأسلحة اليمنية

جاءت كلمة (س ل ح) بمعنى سلاح، ولا شك أن الأسلحة في اليمن تعود لأزمان قديمة في عصور ما قبل التاريخ لحاجة الإنسان لها، «إن الأسلحة التي استخدمها قدماء اليمنيين، قد استمدت، بطبيعة الحال، جذورها من موروث صناعة الأسلحة والأدوات الحجرية التي

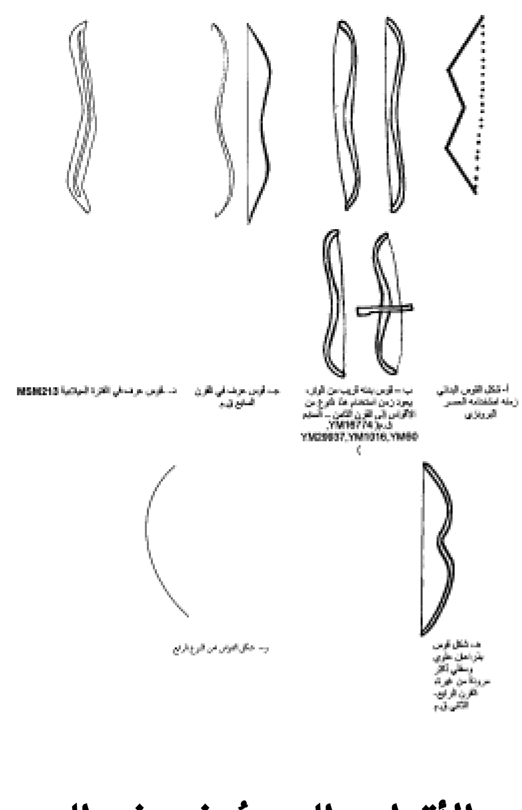
كانت معروفة في حقبة ما قبل التاريخ، ولم تكن في جوهرها سوى تطور للأسلحة القديمة التي عرفها أسلافهم في عصور سابقة مع وجود فوارق بطبيعة الحال تتمثل في المادة الخام والشكل والتقنية. وفي سياق متصل تشير المعطيات الأثرية إلى أن سكان العربية الجنوبية كانوا يستخدمون بعض الأسلحة الحجرية إلى جانب الأسلحة المعدنية كتقليد قديم ورثوه عن أسلافهم ممن عاشوا في العصور الحجرية، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال المعثورات المادية الاستثنائية التي كشف عنها في موقع حُريضة بحضرموت، فضلاً عن ذلك الاكتشاف القديم الذي تم في منطقة المدمن الأثرية الواقعة على ساحل البحر الأحمر، تاريخه يرجع بحسب التقديرات إلى نهاية الألف الثالث وبداية الألفية الثانية ق.م، أيضاً رؤوس السهام الصوانية التي كشف عنها داخل قبر محارب عاش في القرون الميلادية الأولى في منطقة المرضة بمحافظة المحوبت، وغيرها الكثير من الأدلة الأثرية التي يكشف عنها بين الحين والآخر تدعم هذه الحقيقة.» (الوجيه 2012: 146).

تعدد أنواع الأسلحة وطرق وشروط استعمالها «وتذكر النقوش غالباً كلمة (س ل ا ح هـ و) (سلاحهو) كما جاء في نقش (CIH 548، (وهذا النقش عبارة عن حيث سن الإله قانوناً يحرم حمل (6 (قانون ينظم سلوك المتعبدين في معبد الإله (حلفان) السلاح أثناء تأدية الطقوس الدينية ففي الأسطر(1 ـ 4 (نقرأ ما معناه: «يغرم عشر قطع نقدية للإله عثتر وللكهنة كل من يستل سلاحه أثناء تأدية الطقوس الدينية للإله (حلفان)...» وحسب اعتقادنا أن المقصود بالسلاح الخنجر الذي يعد من أهم وأقدم الأسلحة التقليدية، فقد تم العثور على عدد من الخناجر البرونزية يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد» (الجرو 2007: 1084).

القوس والسهم

كان للقوس والسهم دور كبير في عمليات صيد الحيوانات، ثم أصبح سلاحاً فاعلاً في الجيوش اليمنية، واستعمل كأداة دفاعية وهجومية، «لقد لعب رماة السهام من حملة الأقواس (الندافين) دوراً بارزاً في المعارك الحربية التي خاضها قدماء اليمنيين مع

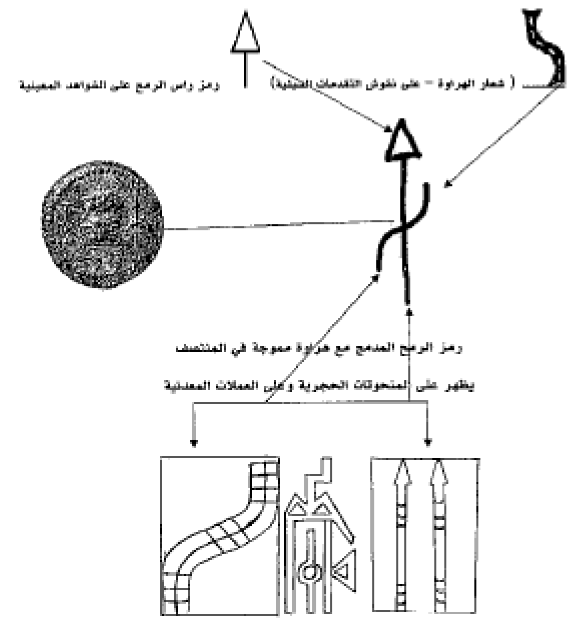
خصومهم، ولعل تواجد جنود هذه الفرقة كانت في مقدمة الجيش نظراً لفعالية سلاح القوس في رشق الأعداء بالسهام من مسافة معينة قبل عملية الاشتباك القريب. لقد فرض عملية طلب مساعدة القواسين في تعقب الأحباش، طبيعة المعركة والمكان الذي جرت فيه، مما استدعى معه الأمر اصطحابهم في ذلك التعقب نظراً لوعورة منطقة المعافر. والمعروف أنه كان للأحباش في تلك الفترة تواجد ملحوظ في أجزاء من إقليم المعافر، ونفهم من سياق النقش أن مجيء قطبان أوكن لنجدة الحمريين المحاصرين في ظفار، قد أربك الأحباش مما أجبرهم على الانسحاب، مع ذلك فنقوش المعسال الجديدة تدل على استمرار الأحباش في محاصرة الأراضي الحميرية منطلقين من المعافر إشارة إلى وصول ابن النجاشي وأحزاب الأحباش إلى أنحاء ظفار ثانية، وأنهم مكثوا هناك سبعة أشهر يترقبون فيما يبدو فرصة للهجوم على العاصمة الحميرية، وكان ذلك في أيام كرب آل ايفع (بافقيه روسان 1980: 19، يافقيه 1985: 114), (Jam 1952: 32 - 35).» (الوجيه 2012: 153).



نماذج من الأقواس التي عُرفت في اليمن القديم

الرمح

كان الرمح حاسماً في حروب المشاة، وفي يد الفرسان، وتفنّن اليمنيون بصناعته من جسد عصا الرمح وقبضته إلى رأسه، وكانوا يضعون رمز الرمح وشعاره قرب قبضته في الهراوة المدمجة مع الرمح، كما في هذه الأشكال:



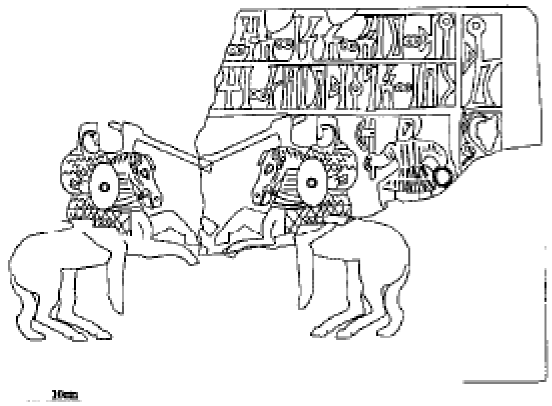
رمز الرمح المزدوج الذي يتميز برأس مثلث الشكل، وإلى اليسار رمز الهراوة المموجة طغراء النقش (MSM149 (يعود النقش إلى القرن السابع ق.م، وربما في فترة لاحقة جرى دمج الرمزين في رمز واحد مركب. (الوجيه 2012: 226).

مكونات سلاح الخيّالة اليمني:

يتكون سلاح الخيالة من ثلاثة عناصر أساسية هي: (الفارس، الحصان، السلاح)، والسلاح هو السيف، الرمح، القسي، وقد «صور اليمنيون القدماء مشاهد تجسد لنا فرساناً على ظهور خيولهم (knightood)، في وضع حركي يُصوبون رماحهم الطويلة إلى الأمام وذلك استعداداً للانقضاض على الأعداء. لقد كان الرمح الذي يتميز بكونه ذا قناة طويلة السلاح

الرئيس للمقاتلين المنتمين إلى هذه الفرقة، إلى أن حل السيف محل الرمح في مرحلة متأخرة كما نعتقد؟ إذ إن السيف كسلاح للفرسان ظهر على الأرجح في القرون الميلادية الأولى؟ للتدليل على ذلك يمكن أن نشير إلى رسم صخري كُشف عنه في منطقة)هَكِر) يمثل مشهداً جانبياً لفارس يعتلي جواده الذي يعدو مسرعاً إلى الأمام، وقد تطايرت عربة الخيل من شدة السرعة. لقد أشهر ذلك الفارس بيمناه سيفاً يتميز بكونه عريضاً عند المنتصف ذا نصل مستقيم متوسط الطول ينتهي بطرف مدبب، له مقبض يبدو رأسه معقوفاً من الطرف السفلي، وهو بهذا التصميم يساعد قبضة اليد من الثبات أكثر على مقبض السيف. ما يمكن ملاحظته على هذا السيف، هو أن تصميم المقبض يُشبه إلى حدٍّ ما مقبض السيف الحديدي.» (الوجيه 2012: 161).

«إن من أروع الأمثلة على المشاهد الحربية التي يمكن أن تستوضح من خلالها نوعيات الأسلحة التي حملها الفرسان وجند المشاة في مرحلة متأخرة من تاريخ اليمن القديم وهم بكامل عدتهم الحربية قد جاء من لوح حجري من ظفار (Yule, Rbin 2007: 358) يعلوه نقش كتابي مؤلف من سطرين تعتبر تلك الأسلحة نموذجاً فريداً لأسلحة الفرسان في الفترة التي شهدت فيها اليمن صراعاً بين ملوك سبأ وذي ريدان وقد ساهمت أحداث تلك الفترة في زيادة مختلف الصناعات الحربية، لقد ظهر الفارس على ذلك اللوح، وهو يتقدم جندي المشاة الواقف خلفه، وكأنه ملك من ملوك الحميريين أو قائد مقتوي يسير بجيشه في زحف نحو الأعداء. لقد ارتدى كامل لباسه العسكري، فهو يلبس زرداً حديدياً غطى النصف العلوي من بدنه، وهو مؤلف من صفائح معدنية تشبه المثلثات التي شبكت فوق بعضها البعض لتشكل في النهاية درعاً قوياً يحمي الفارس من وقع النصال. كما أن الفارس في هذا اللوح ظهر حاملاً بيمناه في وضع حركي رمحاً طويل له سنان مدبب وقضيب عريض، وفي الأخرى ترساً بيضاوي الشكل تتوسطه حلقة دائرية. والظاهر بأنه قد شد إلى مقبض الترس من الخلف رباط الخيل، كما ويضع على رأسه خوذة حربية تقيه من ضربات النصال، لها تدلي من الخلف تغطي منطقة الرقبة، وهي غير مقببة من الأعلى وإنما ظهرت مسطحة لها تدلي آخر من الأمام يغطي الجبهة.» (الوجيه 2012: 162).



مشهد حربي يجسد فارساً مع جنديّ من فرقة المشاة، لوح الرخام، ظفار ريدان

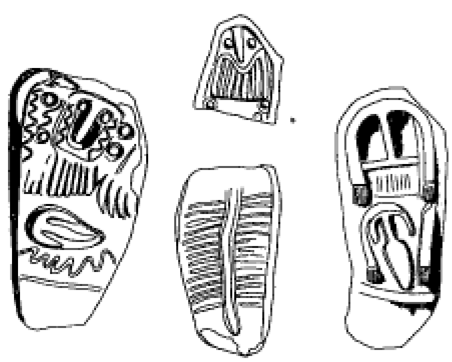
(Yule, Rbin 2007: 359)

«في بحثنا عن أقدم الرموز التي ظهرت في حضارة اليمن، نجد أن قدماء اليمنيين جسدوا شكل القرص الهلالي على أسلحتهم في إشارة رمزية إلى عبادة الإله القمر، وذلك إما جلباً لنصره في الحروب أو درءاً لشره. يمكن الاستدلال على قِدم هذا الرمز من خلال نحت شواهد قبور المحاربين التي تعود إلى الألف الثالث ق.م، في منطقة الجُول القُبالي في حضرموت، وهناك شواهد أخرى مشابهة عُثر عليها في منطقة شبوة والمهرة. لقد استمر الصانع اليمني القديم في الفترة التاريخية في تقليد هذا الرمز على نوع من السيوف تتميز بكونها ذات مقابض هلالية الشكل، يشبه إلى حدٍّ ما الخناجر التي رسمت على شواهد قبور المحاربين من العصر البرونزي السالف ذكرها، شأنها في ذلك شأن الخناجر التي عثر عليها في قبور أور الملكية في بلاد الرافدين. لقد خلص البحث في هذا الشأن إلى نتيجة مفادها أن السيف البرونز من طراز يتميز بمقبض هلالي الشكل، كان له قيمة رمزية أكثر من كونه قد استعمل في عملية المبارزة والطعن، لذا فقد كان سلاحاً رمزياً شأنه شأن الصولجان في حضارة مصر القديمة يعبر عن سلطة الكاهن ومن لهم شأن في المجتمع كما يرمز إلى عبادة الإله القمر. ولحسن الحظ يحتفظ المتحف الحربي بصنعاء بثلاثة سيوف برونزية من هذا

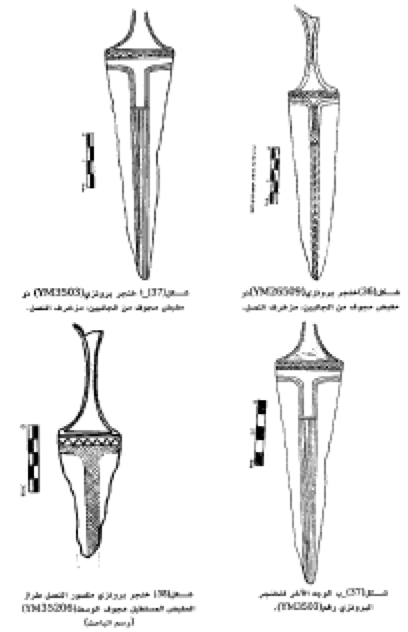
الطراز جيء بمعظمها من مواقع أثرية مختلفة تدخل في إطار منطقة الجوف التي كانت تتبع قديماً مملكة معين.» (الوجيه 2012: 165).

الخنجر

«وفيما يخص الخناجر فالمعروض معظمه من البرونز عدا خنجراً واحداً ضمن مجموعة متحف قصر سينون بحضرموت ولعل طراز الخناجر التي تتميز بكونها ذات مقابض مجوفة من الجانبين هو السائد. لقد كان ذلك الطراز منتشراً في الجزيرة العربية ولا سيما في عُمان وما جاورها ويرجع بعضها إلى منتصف الألف الثاني ق.م، لكن الملاحظ على نصال الخناجر اليمنية من هذا الطراز؛ سيادة الأشكال الزخرفية وتنوعها، وبهذا الشأن ما تزال الزخرفة القديمة المكونة من أشكال هندسية مثلثة الشكل تظهر بشكل واضح على معظم نصال الجنابي التي يحملها اليمنيون اليوم، دليلاً على أصالة تلك القطع واستمرارية ممارسة الفنون اليمنية القديمة إلى عصرنا الحالي.» (الوجيه 2012: 166).



شواهد قبور الألف الثالث ق.م جردان ـ شبوة، ويظهر عليها تجسيد بنحت بارز لخناجر ذات مقابض هلالية الشكل (Pirenne 1990: 28).



(الوجيه 2012: 241).

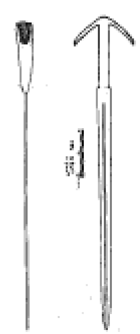
السيف

كان الخنجر الطويل نسبياً يستخدم في الحروب، أما السيف فقد ظهر متأخراً بعد استمرار استخدام الحديد في الصناعات العسكرية، فصنعوا النصل الطويل القوي الذي يمكن المناورة في المبارزة والطعن والاشتباك وكان «يصنع مقبضه ونصله من تشكيل قطعة واحدة من الحديد، وهو مستقيم وقصير في بعض الأحيان، تتراوح أطواله بين (70 ـ 90) سم، وبعرض متقارب يصل إلى (5 ـ 7) سم أما المقبض يصنع من الخشب، أو يُغلف بطبقة رقيقة من البرونز أو الذهب، وتثبت على السيلان الحديدي عبر مسامير التثبيت. لعل ما ذكره (الكندي) من صفات السيوف اليمنية العتيقة ينطبق في غالب الظن على بعض أنواع السيوف الحديدية التي جرى الحديث عنها في هذه الدراسة. كتلك التي اكتشفت في قبور موقع الحصمة، ووادي ضرأ، والحود بمنطقة وراف، وسيف مشابه عثر عليه داخل قبر بمنطقة العُصيبية على مقربة من مدينة ظفار. فهو يذكر بأن طول السيف اليماني العتيق يصل إلى أربعة قدود، ربما كان المقصود من لفظة قدود هو ما يعرف اليوم بشبر

اليد، وطول القد الواحد في متوسط اليد العادية يصل إلى (20) سم، لذا من المحتمل أن تكون أربعة قدود تساوي (80) سم، وبالفعل فإن متوسط طول السيوف الحديدية المكتشفة في مواقع حميرية ما بين (70 ـ 80) سم، وبالقياس مع عرض ثلاث أصابع تامة فإن عرض نصالها لا يتجاوز (6) سم ويردف قائلاً: و«منها العريض الأسفل المخروط الرأس المربع السيلان»، ربما قصد الإشارة إلى أن نصل السيف عريض في منتصف النصل العلوي منها، والطرف السفلي (الشفرة الحادة) أخذت حافتها شكل مخروط الرأس، وذلك الوصف أيضاً ينطبق على نماذج نصال السيوف المكتشفة في مدافن الحصمة الأثرية. إلى جانب السيوف المكتشفة في قبر ذي الحود في منطقة وراف.» (الوجيه 2012: 167).



شكل(82) شاهد قبر(YM869) مرمر، لرجل يحمل بيسراه سيفاً مقبضه هلالي الشكل، الجوبة القرن الأول ق.م- القرن الأول الميلادي



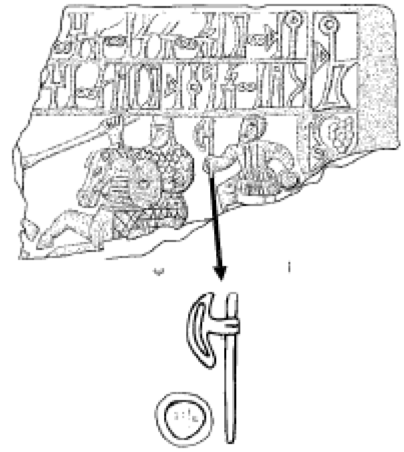
شكل(83) سيف برونزي ذو نصل مستقيم مع مقبض هلالي الشكل، نموذج رقم(1)- MSM9617 الجوبة(1) يشبه نظير له في شاهد القبر رقم(YM869).

(الوجيه 2012: 263).

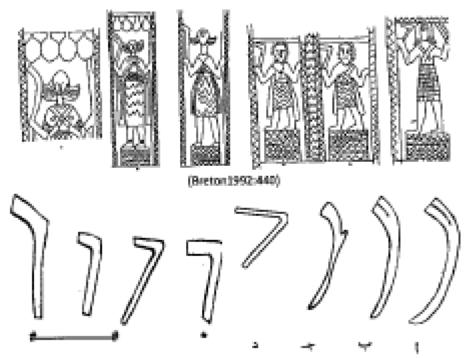
التُرس

الفأس

كان الفأس أداة عسكرية قديمة ومهمة في الحروب، فقد استخدم على نطاق واسع في الفترات التاريخية، وخصوصاً بعد عصر الحديد وتطويعه للاستعمال العسكري.



فأس ذو نصل هلالي مفرّغ الوسط يحمله جنديّ من فرقة المشاة، لوح من الرخام بنحت بارز من ظفار (ريدان) (Yule2007: 359) عن (الوجيه 2012: 249).



نقوش تماثيل نساءٍ يحملن تشكيلة من الأسلحة معبد السوداء (نشان) ـ الجوف، القرن الثامن ق.م. (الوجيه 2012: 239).

الهراوة

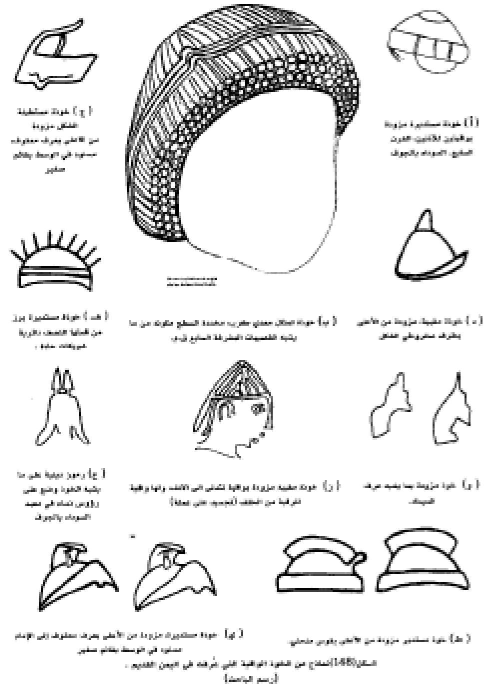
سلاح قديم يظهر مع الحياة اليومية، لم يستخدم في الحروب إلاّ قليلاً، وهو سلاح بسيط يمكن صنعه واستخدامه بسهولة. وجد ضمن الأثاث الجنائزي الذي دُفن مع مومياء منطقة شبام الغراس في حدود القرن الثالث قبل الميلاد.

الدرع الجسدي الواقي

استخدمت الدروع الواقية من الجلد والخشب وألواح المعادن والزرد الحديدية.

الخوذ الواقية

تفنن اليمنيون باستخدام الخوذ الواقية في معاركهم وهي على أنواعٍ وأشكالٍ مختلفة، نراها مجسدة في هذه الأشكال المرفقة.



(الوجيه 2012: 294).

المبحث الرابع: المعارك الداخلية والحروب الخارجية

القسم الأول: المعارك الداخلية

1. معارك القبائل

القبائل (الشعوب) هي الوحدة المجتمعية الكبيرة الصلبة لأهل اليمن القدماء، وقد خاضت القبائل بينها حروباً طاحنة وساد فيها التنافس السياسي/ العسكري بقوة، سواء كان بينها كقبائل أو بينها كقبائل تابعة لممالك يمنية.

المرويات الإخبارية الإسلامية لا تصلح أن تكون مرجعاً لرصد هذه القبائل ومعاركها، ولذا سنعتمد على ما تيسر منها في النقوش المسندية.

أهم قبائل (شعوب) سبأ:

ذكرت النقوش أن الاتحاد السبئي الأول يتكون من عددٍ من القبائل أهمها «فيشان» و«ذي معاهر» و«ذي خليل» و«ذي لحد»، أما القبائل التي ورد ذكرها في القليل من النقوش وكتب الإخباريين، ولا زالت موجودة إلى اليوم، فهي قبائل همدان وكندة ومذحج والأخيرتان كانتا بدواً وأعراباً.

همدان: تنقسم إلى قسمين رئيسين هما: (حاشد وبكيل) وهناك قبائل كبيرة أخرى، ويعود أقدم ذكر لحاشد (حشدم) للقرن الرابع ق.م، أما بكيل فتعود للقرن السادس ق.م، ومنذ القرن الرابع ق.م.

خاضت حاشد وبكيل صراعاً عسكرياً بينها وبين الحميريين، وتمكن زعيم حاشد«يريم أيمن»، من السيطرة على مملكة سبأ في حدود النصف الثاني من القرن الثاني ق.م، ثم انتقلت الملكية إلى بكيل في النصف الثاني من القرن الأول ق.م، ثم انتهت سيطرة بكيل بعد انتصار الحِميَّريين بقيادة«ذمار علي يهبر الأول» في العام 100للميلاد.

كندة: قبيلة يمنية بدوية، أقدم النصوص السبئية التي تشير لها في القرن الثاني ق.م وهي شمال اليمن وعلى تخوم الصحراء، وأشارت نصوص خط المسند إلى كندة ومذحج بـ (أعراب سبأ). خاضت معارك وحروباً كثيرة مع قبائل أخرى.

مذحج حكم، سنحان النخع:

يعود أقدم ذكر لقبيلة مَذحِج في القرن الثاني ق.م وكانوا جزءاً من مملكة كندة، تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي سعد العشيرة وعنس ومراد، يتواجدون في معظم مناطق اليمن وهم قبائل كثيرة مثل النخع.

أهم قبائل (شعوب) حضرموت:

أهم القبائل هي: حضرموت، يهبئر، وذي هجرم، مهرة.

قبيلة حضرموت هي الأكبر وتأتي بعدها مهرة، أما يهبئر وذي جرم فيعتبرون قبيلة واحدة.

أهم قبائل المعافر (معفرن):

سميت المنطقة الجغرافية التي شغروها باليمن كذلك بمعافر وتشمل حدودها الحُجَريَّة تقريباً. لم يكن للمعافر كيان قبلي موحد بل غالباً ما اختلطوا بقبائل أخرى. وهناك من يرى أن المَعافِر قبيلة يمنية قديمة يعود ذكرها إلى القرن السابع قبل الميلاد. والمرجح أن مكان المعافر اليوم جنوب محافظة تعز، وأن القبيلة في وسط تعز.

«وذكرت في أرض المعافر مجموعة أسماء هي (سادم) (ساد)، و(نقبتم) (نقبة) و(ظبر) و(ظلم) و(أروي) و(ذبحن ذ قشرم) و(شرحب) وهي أسماء لشعوب (قبائل) ومدنها وقد حكمت من قبل زعماء محليين مستقلين عن بعضهم وأن أرض المعافر لم يكن بها كيان سياسي واحد في القرن 7 ق.م، ونستدل على ذلك بعدم ذكر نقش RES3945 أي حاكم يجمع شعوبها تحت سلطانه. أما المناطق الممتدة ما بين ى(دهس) شرقاً و(العود) غرباً، و(ردمان) شمالاً والمعافر جنوباً، فقد كانت تحكم من قبل زعماءٍ محليين مستقلين عن بعضهم البعض.» (عطبوش 2008: 78).

أهم قبائل (شعوب) حمير:

حمير (حميرم): قبائل ذكرتهم النصوص السبئية القديمة باسم (ولد عم)، والإله عم هو الإله الأكبر لمملكة قتبان القديمة ولذلك يصعب اعتبارهم من السبئيين، استولوا على«دهسم»، وهي أرض قبيلة يافع والمعافر، واقتتلوا مع سبأ طويلاً، حتى أسقطوها نهائياً قرابة 275 ميلادية. ثم استمروا في حكم اليمن وتبنوا اليهودية والمسيحية، وكان عصرهم عصر ضعف واضطرابات بسبب الحروب الداخلية والخارجية لهم.

2.معارك الممالك

المعارك السبئية الأوسانية:

ظهرت أوسان منذ القرن العاشر قبل الميلاد، وازدهرت اقتصادياً في القرن الثامن قبل الميلاد، فقام ملوكها بتوسيع نفوذهم برغم قتبان وحضرموت، وفي القرن السابع ق.م هاجمتها القوات السبئية بقيادة المكرب ـ الملك كرب إل وتر مكرب سبأ، الذي قتل ملك أوسان (مرتع) ودمر معابدها والقصر الملكي (مسور) ووزعت أراضيها بين مملكة سبأ وحلفائها القتبانيين والحضارمة وقبيلة سيبان، وورث قوتها وأرضها القتبانيون.

وبعد نهاية أوسان امتدت سيطرة سبأ لتشمل مناطق جنوب غرب اليمن من المعافر (تعز) إلى غرب محافظة شبوة الحالية، وسيطرت بالقوة على (حضرموت وقتبان ودول ممالك المدن في منطقة الجوف).

ثم ظهرت مملكة أوسان من جديد في القرن الثاني ق.م تقريباً، وخلال تلك الفترة حكمها خمسة ملوك فقط، عثرواعلى تماثيل لبعضهم، ثم اختفت من جديد في بداية القرن الأول قبل الميلاد تقريباً، وكان هذا الوقت ملتهباً بالصراع السبئي الحميري، الذي ضاعت فيه حين هاجمتها سبأ.

كان شعبها مسالماً ولا يؤمن بالحرب فدمرتها سبأ مرتين، الأولى في القرن السابع ق.م، والثانية في القرن الأول قبل الميلاد، ودمرت مدينة هجر يهر وهرب أهلها إلى عدن

والحبشة طبقاً للنصوص السبئية.

المعارك السبئية الحضرمية:

في القرن السابع ق.م ظهر صراع قوي بين مملكة حضرموت وجارتها قتبان، تعرضت فيه مدن كثيرة في حضرموت للدمار على أيدي القوات القتبانية. لكن قتبان وحضرموت تقدمان دعماً للمكرب الملك السبئي كرب إل وتر في حربه الواسعة التي قضى فيها على مملكة أوسان في القرن السابع قبل الميلاد. ثم ضمت مملكة سبأ كل حضرموت في الاتحاد السبئي الذي صار أساس مملكة سبأ.

ظهرت علاقة خاصة بين مملكة حضرموت ومملكة معين الناشئة أواخر القرن الخامس قبل الميلاد حيث نجد أكثر من ملك يحكم المملكتين معاً، بسبب تجارة البخور والطيوب، واللبان وتسويقه.

كانت حضرموت طرفاً رئيسياً في الصراع، الذي دار في منتصف القرن الثاني للميلاد وأدى إلى انهيار قتبان، وسيطرت حضرموت على معظم الأراضي القتبانية.

وفي أواخر القرن الثاني للميلاد تشكل حلف ثلاثي بين (يدع أب غيلان ملك حضرموت مع الملك السبئي علهان نهفان وملك الحبشة) ضد الريدانيين. وتصاهرت الأسرتان الحاكمتان في سبأ وحضرموت.وهزم الريدانيون. وتعرضت مملكة حضرموت لتمرد داخلي (أحرار يهبئر)، فقام الملك السبئي شاعر أوتر بمناصرة صهره إلعزيلط ملك حضرموت، وقضوا على التمرد وعاد ملك حضرموت إلى منصبه.

لكن العلاقات ساءت بين الملكين فأرسل الملك شاعر أوتر قواته لمهاجمة حضرموت وإسقاط ملكها واقتحمت العاصمة شبوة واستعادت أخت الملك (ملك حلك) وأسرت زوجها إلعزيلط ملك حضرموت واقتادته إلى العاصمة السبئية مأرب وقتل. فسيطرت أسرة حضرمية جديدة من أحرار يهبئر على الحكم بزعامة يدع إل بين بن رب شمس.

المعارك السبئية القتبانية:

ازدهرت قتبان في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وتمكنت من انتزاع كل الأراضي التي كانت تابعة للأوسانيين من السبئيين، ووصلت سيطرتهم إلى مضيق باب المندب وسواحل البحر الأحمر القريبة منه في أرض المعافر.

شهدت دولة قتبان ظهور اضطرابات اقتصادية وسياسية، خصوصاً بعد أن تمكن البطالمة من الوصول المباشر إلى الهند عام 117 ق.م. فانفصلت بعض الشعوب (القبائل) عنها، ومنهم الأوسانيون الذين عملوا على استعادة دولتهم، والريدانيون الذين تحالفوا مع الحميريين، وبنوا عاصمتهم ظفار بالقرب من مدينة يريم الحالية. وقد ظل الحميريون يتوسعون على حساب الدولة القتبانية حتى تمكنوا أن ينتزعوا منها كل المناطق الجنوبية الغربية من اليمن بعد تحول أكثر تجارة طريق البخور البري إلى الطريق البحري في البحر الأحمر.

في أواخر القرن الثاني الميلادي ضغطت عليها ممالك سبأ وحمير وحضرموت فسقطت قتبان في

المعارك السبئية المعينية:

ممالك الجوف عموماً ومنهم السبئيون كانوا ضمن التحديات السبئية في القرن الخامس الميلادي وقد وقعت معين ضمنه، ثم سقطت معين في يد السبئيين خلال القرن الأول قبل الميلاد، وربما كان ذلك إثر حملة عسكرية .

ورغم السقوط السياسي للمعينيين إلا أن دورهم التجاري كشعب استمر في ظل السيطرة السبئية، حيث ظلت المصادر الكلاسيكية تحدثنا عن نشاطهم التجاري وعن نوع من اللبان ينسب إليهم بعد أكثر من قرن على سقوط دولتهم.

ونرى أن أكثر مملكتين حضاريتين وتسعيان لتنمية الثروة والتحضر هما أوسان ومعين، فقد كانت نزعتهما تجارية وتكرهان الحروب، وكان هذا سبباً للأسف يفسر سقوطهما بين الممالك المتطاحنة آنذلك.

المعارك السبئية الحميرية:

أقدم النقوش التي ذكرت حمير هو نص حضرمي (حوالي عام 400 ق.م) يشير إلى بناء سور حول وادي لبنة بحضرموت، ليعيق حمير من التعرض لقوافل مملكة حضرموت، بين شبوة وميناء قنا، ويحجزهم عن تجاوز حضرموت نحو الساحل. كون الحميَّريون، بمعونة الريدانيين كمهاجرين من قتبان، حكومتهم أواخر القرن الثاني قبل الميلادي، في وقت ضعفت فيه مملكة سبأ كثيراً، فبدأ الصراع السبئي الحميري واحتل الحميريون المناطق الوسطى والجنوبية من اليمن، واتخذوا من ظفار يريم عاصمة لهم، أول قيل للحميريين كان شمر ذو ريدان، الذي خاض معارك عديدة ضد إيلي شرح يحضب، كانت حميَّر منقسمة بعضها كان محالفاً لسبأ، وبعضها لا يعترف بحكومة السبئيين، فظهرت أربع سلالات ملكية في اليمن، اثنتان سبئيتان هما (حاشد وبكيل) واثنتان حميريتان، وكل قيل منهم يلقب نفسه بلقب (ملك سبأ وذو ريدان) استمرت صولات المعارك والاضطراب لمدة قرن ونصف من الزمان، وظهر وفق بعض التقديرات اثنا عشر قيل حِميَّري، قبل أن يتمكن الحِميَّريون من تثبيت ملكهم عام 275 للميلاد، بقيادة شمَّر يهرعش. ثم خاض الحميريون صراعاً داخلياً مريراً تحت أغطية اليهودية والمسيحية الوافدتين من خارج اليمن.

خلاصة ما نريد الوصول له أن معظم معارك اليمنيين وقوتهم توجهت نحو بعضهم فاستنزفوا قدرات بلدهم، وكانت حروبهم مع الأعداء من خارج بلادهم قليلة ومحدودة وغير محسومة، وهكذا تكون قوتهم العسكرية قد ضاعت وتبددت بسبب معارك القبائل والمدن والممالك اليمنية، وهو ما أضعف مخزونهم الحضاري وماعجّل بنهاية حضارتهم.

المعارك الحميرية الحضرمية:

في عهد الملك الريداني كرب إل أيفع وقعت معركة بين قواته وبين قوات (إل ريام يدم) ملك حضرموت (بن يدع إل بين) حقق فيها الريدانيون نصراً كبيراً. ثم انتهى حكم مملكة حضرموت في القرن الميلادي الثالث بالهجوم الحميري على يد (شمر يهرعش) وبقيت ضمن ممالك «ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت واليمن وتهامة والمرتفعات» إلى القرن الميلادي السادس عند سقوط مملكة حمير على يد مملكة أكسوم بدعم من ملك القسطنطينية جستين الأول، وحين عاد بعض الاستقلال لحضرموت لم تسلم من اعتداءات أعراب قبيلة كندة التي كانت تستوطن المناطق ما بين مذحج وحضرموت (شرق مأرب والجوف حالياً).

ممالك أفنت بعضها بالقوة العسكرية والحروب، وانتهى الأمر بانفراد حمير بحكم اليمن، لكن حمير سقطت واهتزت أمام الغزو الخارجي للأحباش والساسانيين.

القسم الثاني: الحروب الخارجية

1. الغزو الروماني لليمن (24 ـ 26 ق.م):

بعد أن تمكن الرومان من الاستيلاء على مصر وبلاد الشام وشمال أفريقيا وحوّلوا البحر المتوسط، كله، لسيادة روما، لم يفكروا في احتلال شبه جزيرة العرب مباشرة لمعرفتهم بطبيعتها الصحراوية التي ظلت سبباً مانعاً لجميع الغزاة الذين حاولوا غزوها، ولذلك فكروا باحتلال اليمن ثم احتلال الضفاف الشرقية للبحر الأحمر في جزيرة العرب ليكون البحر الأحمر كلّه خاضعاً لسيادتهم.

جاء ذلك بسبب الاكتشاف المميز لليوناني (هيبالوس) الذي قال بأن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية تهب خلال الصيف والتي يمكن أن تساعد السفن الرومانية في البحر الأحمر في اختصار زمن رحلتها التي ستؤدي إلى إنعاش تجارتها في باب المندب والقرن الأفريقي ثم التوجه إلى الهند. وقد تحقق ذلك بطريقة مبهرة وانتعشت التجارة البحرية

للرومان. ولذلك فكّر الرومان، جدياً، باستعمار البحر الأحمر كلّه، وسيؤثر هذا بشكل مباشر على أعدائهم الفرس الساسانيين.

لا شك أن مثل هذا الطريق التجاري البحري أضعف لطرق التجارية البرية في اليمن وصولاً إلى البحر المتوسط، وأنعشت، من جهة أخرى، موانئ اليمن البحرية (موزع، المخا، عدن، قنا، موشا).

جهز الرومان حملة عسكرية كبيرة بعد أن كلّف الإمبراطور أوكتافيوس (أوغسطس) النائب الروماني له والموجود في مصر (إيليوس غالوس)، وانطلقت الحملة البحرية من مصر حوالي 25 ق.م، حتى وصلت إلى نجران ونزلت من نجران إلى الجوف.

يذكر المؤرخ (سترابو) الذي عاصر والي مصر الروماني (إيليوس غالوس)، وهو قائد الحملة العسكرية الرومانية على اليمن، بأن الحملة كانت مكونة من عشرة آلاف جندي على ظهر أسطول مكون من 21 سفينة و130 حاملة جنود، وكان الوزير النبطي (سيلاس) دليلهم على رأس 1000 نبطيّ. ويبدو أن الحملة وصلت بعد نصف عامٍ إلى نجران، ومنها تقدموا إلى عاصمة سبأ مأرب، حاصر غالوس مأرب دون جدوى لمدة أسبوع، ودارت معركة هزم فيها الرومان بسبب مقاومة السبئيين وبسبب البيئة الصحراوية والأمراض التي أصابت جنودهم، عادوا بعدها إلى مصر، ووصلوا الإسكندرية بعد شهرين.

يبدو أن السبئيين أحسوا بالخطر فعقدوا تحالفاً مع حضرموت والريدانيين الحميريين لمقاومة هذا الغزو، واستطاعت القوات المنتشرة في الجوف أن تقاوم الغزاة وتوقع فيهم خسائر في المعركة ربما كانت عند نهر الخارد، الذي يقع بين نجران ونشق (السوداء).

انسحب الرومان إلى مأرب (عاصمة سبأ) وحاصروها ستة أيام، ونرجّح أن السبئيين وحلفاءهم قاموا بالتعرض للقوات الرومانية وتكبيدها الخسائر. لكن مؤرخي الرومان مثل (سترابون) يقولون إن الانسحاب من حصار مأرب كان بسبب شحة المياه وانتشار الأمراض بين الجنود الرومان، والحقيقة أن هذه أسباب واهية لانسحاب جيش قوي ومتحوّط مثل

الجيش الروماني خصوصاً أن المياه العذبة منتشرة في هذه المناطق، ومن الصعب تصوّر انتشار الأمراض خلال أسبوع من الحصار بين المحاصرين من جيش الرومان. نرجّح بقوة أنهم تعرضوا لمقاومة عنيفة وانسحبوا بسفنهم إلى ساحل الحجاز وهم بأعداد قليلة بعد أن كانوا بأعداد كبيرة، ومن هناك عادت الحملة الفاشلة المهزومة إلى مصر. لكن هذا لم يمنع الرومان من استثمار تجارتهم البحرية عبر البحر الأحمر.

من ناحية أخرى أدرك السبئيون أن خط التجارة البرية الذي كانوا طرفاً فيه بدأ بالضعف والتأثير على حياتهم الاقتصادية، فيما انتعشت موانئ الريدانيين والحميريين عموماً، ولا شك أن هذا رجّح كفّة حمير على سبأ ومهّد لسيادتها.

ويبدو أن الرومان لجأوا إلى أسلوب آخر غير مباشر يتضمن تقوية أسطولهم في البحر الأحمر، وعقد اتفاقيات مع مملكة أكسوم التي يمكن أن تلعب دوراً في السيطرة على اليمن. وقد تحقق هذا حين سيطروا على ميناء عدن (إيوديمون) ليضمنوا طريقاً تجارياً بحرياً مع الهند.

2.الغزو الروماني الثاني لليمن عام 201 م:

هناك أخبار متفرقة عن قيام القيصر سبتموس سفيروس بإرسال حملة عسكرية دخلت اليمن عن طريق (الولاية العربية) التي أنشأها الإمبراطور تراجان بعد القضاء على مملكة النبط عام 105م. ولكن هذه الأخبار ما زالت بحاجة لتأكيد الآثار.

3.الغزو الحبشي الأول لليمن بداية القرن الثالث الميلادي:

«إن النقوش الموسومة بـ(Jamme 574)، (Jamme 575)، (Jamme 576)، (Jamme 630) قد سجلت لنا عدداً من المعارك التي خاضها كل من الملك الحميري (شاعر أوتر) ومعاصره (الشرح يحضب) ملك سبأ وذي ريدان (نحو 50 ـ 20 ق.م) ضد الأحباش وحليفهم (شمر ذي ريدان) وحلفائهم الآخرين. وهناك إشارات إلى هزائم منكرة لحقت

بالأحباش وحلفائهم عند احتلالهم ظفار وبعض السواحل الجنوبية في الجنوب العربي، وقد تحدثت هذه النقوش أيضاً عن حملات تأديب لنجران التي كانت حليفة للأحباش. ويستشف من مجموع النقوش المكتشفة وجود سلسلة من حالات الاحتلال المتكررة لليمن جرت منذ مطلع القرن الأول الميلادي أو قبل ذلك التاريخ حيث حاول الأحباش أن يتمركزوا في اليمن مستغلين حالات الصراع المستمرة بين القبائل العربية والنزاع بين رؤسائها. ويبدو أن الأحباش تمكنوا من دخول ظفار بين عامي (190 ـ 200 م). كما أكد (لينكولوس) على وقوع غزو حبشي لبلاد العرب الجنوبية دام مدة قصيرة وذلك في نهاية القرن الثالث الميلادي.» (جاسم 2009: 226).

دمرت الحروب اليمنية الأهلية، بين الممالك، قوة اليمن واستنفذتها، وكان من الطبيعي أن يستثمر الأحباش هذه الثغرة لينفذوا لليمن ويغزوها، ومن أخطاء تلك المرحلة أن الملك السبئي (علهان نفهان (حكم بين 200 ـ 220 م) قام بعقد حلف مع الملك الحبشي (جدوره) ملك مملكة أكسوم ضد الحميريين، وانضم لهذا الاتفاق ملك حضرموت (أب غيلان)، وقد حصل الأحباش على موطئ قدمٍ في تهامة وسواحل البحر الأحمر التي كانت تحت نفوذ حمير. لكن الحميريين والسبئيين والحضرميين شعروا بفداحة مثل هذه الخسارة فوقفت سبأ ضد الأحباش بقيادة ملكها (شاعر أوتر)، ووقفت حضرموت ضد الأحباش حين هاجموا أهم ميناء حضرمي وهو (قنا) في ساحل البحر العربي وهزموهم، ثم قام الحميريون ومن تحالف معهم (ردمان ومضحى أوسان) بالهجوم على الأحباش. وهكذا اندحر الأحباش وولوا خارج اليمن.

4.الغزو الحبشي الثاني لليمن عام 340 م:

نشر الهندي الآريوسي (ثيوفلس) المسيحية في اليمن، وساهم ذلك بنجاح الغزو الحبشي الثاني لليمن في سنة 340م، حيث كان الأحباش يدينون بالمسيحية. لكنه لم يدم طويلاً، فقد قاومه رجال الدين المتعصبين لديانة اليمن القديمة تعاونوا مع اليمنيين على مقاومة

الأحباش الغزاة، وإخراجهم سنة 378م وأعادوا ديانتهم إلى مكانتها الأولى. كان هذا الغزو يبغي انتزاع التجارة من اليمن، ونشر المسيحية.

كان الملوك الحميريون الذين لجأوا إلى يثرب عند الغزو الحبشي، قد تأثروا بالديانة اليهودية التي كانت منتشرة في يثرب. لكنهم لم يصبحوا يهوداً بل لجأوا إلى عناصر يمنية محلية تجعل التوحيد اليمني هو البديل عن الأديان التوحيدية الوافدة كاليهودية والمسيحية، وتخفف التعدد في الدين اليمني القديم، فملك كرب (والد الملك أسعد كامل) الذي طرد اليهود كان يعبد (ذي سماوي بعل السماوات والأرض)، كما تنص النقوش التي وصلت من زمنه، والتي تشير إلى أن اليمنيين كانوا يؤمنون بإله عظيم هو رب السماوات والأرض، لكنهم لم يتركوا آلهتهم الأخرى؛ كما أنهم لم يدينوا باليهودية التي تعتبر إلهها يهوه، لا بعل، كما يدعوه هذا النقش. ولا بالمسيحية التي ساعد الغزو الحبشي على نشرها.

5. الغزو الحبشي الثالث لليمن (533 ـ 599 م):

ورث الحميريون عن أسلافهم الديانة اليمنية القديمة المتعددة الآلهة، ومع دخول اليهودية إلى اليمن ثم تحول الحميريين إليها بشكل واسع عام 425 م، أصبحت هذه الديانة هي ديانة المملكة لأكثر من قرن بقليل. وسطع نجم يوسف أسار يثأر ولم يكن ابناً لملك، «ولم تسعف المصادر كثيراً في تكوين تصور عن كيفية وزمان وصول ذي نواس إلا أن النقوش التي دونت بأمر من (شرحبل يقول) وأرخ اثنان منهم هما النقش الموسوم بـ(1028Jamme) والنقش الموسوم بـ(507RY) في شهر ذي مزعن من العام 633 حميري الموافق لشهر إيلول من عام 518م، وأرخ النقش الموسوم (508Ry) في شهر ذي قيطن من العام نفسه وهو شهر حزيران، ويعد النقش الموسوم بـ(1028Jamme) الأكثر تفصيلاً للأحداث، إذ يشير إلى أن حرباً استمرت ثلاثة عشر شهراً تمكن الحميريون خلالها من إخراج الأحباش من ظفار ومطاردتهم ومحاربة كل القوى والقبائل التي تحالفت معهم، ثم القضاء على أهل نجران الذين كانوا ينتظرون الغوث من أكسوم، كما أن الحميريين

صدوا محاولة للإثيوبيين من بربرة للنزول في منطقة باب المندب.» (جاسم 2009: 134 ـ 135).

حين وفدت الديانة المسيحية إلى اليمن تعرض أهلها إلى الاضطهاد من قبل ملك الحميريين اليهودي يوسف أسار يثأر (ذو نواس) (517 ـ 527) م، وقام باضطهاد المسيحيين وقتلهم في نجران في حادثة (الأخدود) لأنهم رفضوا الدخول في الديانة اليهودية، وقد سجلت الآثار والروايات اليونانية والسريانية سير (الشهداء المسيحيين) الذين قضوا في هذه الفترة.

عرف الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول (482 ـ 565 م) باضطهاد المسيحيين في اليمن، فأوعز للأحباش بإرسال حملة إلى اليمن لينتقم مما فعله ذو نواس ويضمن طرق التجارة البيزنطية وليكسب موطئ قدم في اليمن ضد الفرس الساسانيين، وقام الأحباش بغزو اليمن وإسقاط (ذي نؤاس). وكان الأحباش قد أحرزوا نصراً سريعاً على القوات الحميرية، وانتهت المملكة الحميرية عام 527م واستبدلت بمملكة مسيحية تابعة للأحباش. ولا نمتلك معلومات دقيقة عن وضع الجيش اليمني القديم في هذه المرحلة في ظل حروب دينية مستمرة.

حرض نجاشي الحبشة على غزو اليمن، بدعمٍ من الدولة البيزنطية، لإعادة السيطرة على الطرق التجارية، والقضاء على منافسيه الفرس، فغزوا وسيطروا عليها، وقضوا على الملك ذي نواس، وكان على رأس قوات الغزو (أرياط الحبشي) نائب وممثل (ليسباس ملك الحبشة) ومعه (أبرهة الأكسومي).. واستنفر (سميفع أشوع) أقيال اليمن لمحاربة الغزاة في المنطقة الساحلية فلم يستجب أغلبهم، فسار (سميفع) على رأس قوة محدودة واصطدم بالغزاة في منطقة الساحل (المخا / تهامة) فهُزم وقُتل.

حاول اليمنيون التخلص من حكم الأحباش، حتى تمكن سيف بن ذي يزن بمساعدة الفرس من القضاء على حكم الأحباش بعد أن استمر احتلالهم لليمن من غزو الأحباش لليمن (525م ـ 599م).

6. الغزو الفارسي الساساني الأول لليمن (570 م):

تم غزو اليمن في عام 570 من قبل قوة ساسانية استكشافية صغيرة بقيادة المحارب الساساني وهرز ثم تم تعيين الأمير الحميري سيف بن ذي يزن ملكًا تابعًا للساسانيين في البلاد، في حين عاد وهرز إلى العاصمة الساسانية طيسفون. لقد كان أحد الأسباب الرئيسية وراء الغزو الساساني هو اهتمامهم بالسيطرة على الطريق التجاري من القسطنطينية إلى الهند والشرق الأقصى، والذي أصبح ممكنًا الآن مع وجود سلطتهم في اليمن.

7.الغزو الفارسي الساساني الثاني لليمن عام 575 أو 578 م:

إعادة الاحتلال الساساني لليمن حدث في 575م أو 578م بعد أن قتلت قوات حبشية من مملكة أكسوم سيف بن ذي يزن واستولت على اليمن، فعاود الساسانيون غزو اليمن لاحقاً وتمكنوا من السيطرة عليها وتعيين ابن سيف معدي كرب حاكماً لليمن.

في عام 575م، قام الملك معدي كرب بالاستنجاد بالفرس الساسانيين لعودة ملوك حمير لحكم اليمن.

شرحنا ذلك بإيجاز في الفصل الثالث، ونتج عن ذلك احتلال الفرس الساسانيين لليمن لما يقرب من نصف قرن.

لا نمتلك المعلومات الدقيقة (الموثقة) عن حال الجيش في هذه المرحلة لأن اليمن تفككت ممالكها واعتمدت على القبائل وجيوشها. وفي جميع الأحوال يتضح من عرضنا هذا أنه كلما ضعفت الدولة أو المملكة في اليمن أصبح دور الجيش ضعيفاً لأنه يتفكك حسب الانتماء القبلي وتقوم القبائل بصنع جيوش غير نظامية، ولذلك تضطر للاستعانة بالقوى من خارج حدود اليمن كالأحباش والبيزنطيين والفرس لكي تعيد لها مكانتها.

نرى بوضوح وصراحة أنه منذ ترك اليمنيون ديانتهم القديمة وتبنوا ديانات التوحيد الوافدة لهم من خارج اليمن أصبحوا ضعفاء ومتمزقين داخل بلادهم وسهلت السيطرة

عليهم، وليس هناك من داع للدفاع عن مواقف هنا وهناك بادرت فيها بعض القوى لاستعادة اليمن القديم. وهذا يوضح لنا بجلاء تلازم الدين والسياسة في حضارة بنت نفسها على هذا الأساس ولذلك فهي بقيت في ترنّح وعدم استقرار منذ صعدت الديانة اليهودية في حمير ثم المسيحية حتى جاء الإسلام وانتهت بعدها حضارة اليمن القديم لتدخل في حضارة دينية شمولية وسيطة وتاريخ وسيط ديني.

القسم الثالث: ضحايا المعارك والحروب

حملت أخبار الحملات المدونة في النقوش المتعلقة بالحروب التي كانت تخوضها الممالك اليمنية بينها أو مع غيرها أموراً تخصّ تعداد الجيش، ومناطق القتال، وطبيعة المعارك والانتصارات التي حققها القواد أو الحكام وتمجيد شخصياتهم، والغنائم التي غنموها، وأعداد القتلى والأسرى الذين وقعوا بأيديهم. وقد انقسم أنواع ضحايا الحرب الأحياء إلى (السبايا، الرهائن، الأسرى).

1.السبايا

جاءت كلمة سبايا في النصوص المسندية (س ب ي) و(س ب ي م) بصيغة فعل بمعنى يسبي وكاسم بمعنى سبايا، ويفسرها المعجم السبئي أنها تعني السبايا من الفئات المحاربة وغير المحاربة، ويفسرها آخرون أنها تعني الأسرى من غير المحاربين وهو المرجّح بسبب أعدادهم الكبيرة، وكانت الإشارة للسبي في النقوش تأتي أحياناً مجملة دون تحديد لأعدادهم ولا أنواعهم، وفي أحيان أخرى تذكر أعدادهم وتحدد أنواعهم، والغالب أن السبايا كانوا من الرجال والنساء والأطفال.

2.الرهائن

جاءت كلمة رهينة في النصوص المسندية (ر هـ ن) والجمع (ر هـ ن ن)، والمقصود منها الأشخاص العُزّل الذين لا يحملون سلاحاً يحاربون به، «وقد سجلت بعض حالات تقديم

الرهائن في اليمن القديم، منها تلك المذكورة في نقش المعسال 5 والذي يشير إلى تقديم، رهائن في عهد ياسر يهنعم (السروري، 2004 م: 87، 89)، وأيضاً النقوش 574 ;576 ;577 وكان هناك نوعان من الرهائن، رهائن من الأولاد والبنات وأخرى من الرؤساء والأحرار(بافقيه وروبان، 1980 م: 19) ويبدو أن ظاهرة تقديم الرهائن بدأت بشكل واضح في القرن الثالث الميلادي(السروري 2004: 90).» (سالم 2013: 57).

3.الأسرى

جاءت كلمة أسير في النصوص المسندية (أ خ ذ، أ خ ي ذ، أ خ ذ م) والجمع (أ خ ذ ت، أ خ ي ذ ت م)، وتختلف الكلمة حين يكون العدد قليلاً من الجنود(أ خ ذ)، أما إذا كان كبيراً ومن الجنود فيكون (أ خ ي ذ ت).

ووردت كلمة (ي أ س ر)، أ س، ر، و) بمعنى (نجا من عراك) وليس الأسير.

الكثير من النقوش كانت تسير إلى أعداد الأسرى رغم قلة عددهم، وكانت تشير لقبائلهم وسكناهم. كما في هذا النص المهم لقادة من سبأ الذين يقدمون تمثالاً برونزياً للإله إلمقه في معبد أوام، ويذكرون عدد قتلى وأسرى أعدائهم.

عن (سالم 2013: 58 ـ 59).

خطوات ما بعد الأسر ومآله

هناك مجموعة من الإجراءات العملية في التعامل مع الأسرى حتى نهاية الأسر، يمكننا أن نجملها بهذه الخطوات على ضوء ما ذكرته النقوش اليمنية:

1. إحصاء الأسرى: هناك اعتقاد بوجود إحصاء دقيق للأسرى، ويشمل الإحصاء أسماءهم وعناوينهم ومعلومات أخرى عنهم. وكانوا أحياناً يبالغون في ذكر أعدادهم كنوع من الحرب النفسية للأعداء.

2. معاملة الأسرى: تختلف معاملة الأسرى تبعاً لمكانتهم، فملوك الممالك حين يؤسرون يعاملون بشكل جيد ويشترط إطلاق سراحهم تنفيذ ما يطلبه منهم، وربما يطلب من جهتهم رهائن مهمين أو يطلب تسليم شخصيات مهمة. وكانت الملكات الأسيرات من زوجات الملوك يعاملن معاملة حسنة.

أما الأسرى والسبايا العاديون فكانوا يكبلون بالقيود بطرقٍ مختلفة. وهناك من يحرسهم ويراقبهم، وهناك أماكن محددة يحتجزون فيها.

3. توزيعهم كغنائم حرب: ربما كان نصيب الملك ربع الأسرى منهم مثلما هو نصيبه من الغنائم، وكان للمعبد حصّة منهم، وكان للقادة والمحاربين نصيب آخر يستخدمونهم في أعمال السخرة وغيرها.

4. قد يكون هناك تبادل للأسرى بين الطرفين المتحاربين. وقد يعود الأسرى لذويهم بشروط يفرضها الطرف الذي يملكهم، وقد يُستعادون بعد معركة لهذا الغرض أو لغيره.

المبحث الخامس: النصوص العسكرية

أولاً: نقوش المعارك والحروب

يرى الباحثون أن نقوش الحرب اليمنية تمتاز بالصدق في سرد أحداثها، ويستدلون على هذا بأنهم يذكرون تفاصيل هزائمهم مثلما يذكرون تفاصيل انتصاراتهم، وهذا يعطيها نوعاً من الواقعية في سرد الأحداث، ويمكننا، بحسب الباحث رصين صالح علي الرصين، التعرف على أهم هذه النصوص كما يلي: (انظر الرصين 2002: 37).

نقش النصــر (نقش صرواح الكبير):

نقشت نصوص هذا النقش على كتلة حجرية جرانيتية كبيرة نحتت بعناية أبعادها (7 مترات طولاً × واحد متر عرضاً × 0.50 متر سمكاً)، وهي ذات لون أبيض مائل إلى الوردي، وضعت داخل المعبد السابق الذكر على كتلة حجرية مشابهة لها ولكنها خالية من الكتابات ويعد نقش النصر الموسوم بـ (RES. 3945)، من أهم مصادر التاريخ اليمني القديم.

نشره لأول مرة مترجماً باللغة الألمانية مع حواش «وتعليقات» (رودو كناكيس)، ضمن منشورات الأكاديمية النمساوية للعلوم في فيينا عام (1927 م)، بالرمز (GL.1000 A)، بحسب (جلازر)، ونشر ضمن نقوش المدونة الفرنسية للنقوش اليمنية القديمة وحمل رمزها (RES.3945 - Repertoir de Epigraphie Semitique).

ونشرت ترجمة للنقش باللغة الألمانية عام (1985م) للدكتور (والتر مولر) ضمن سلسلة» نصوص من البيئة المحيطة بالعهد القديم» وفي كتاب: «تاريخ اليمن القديم» للدكتور محمد عبد القادر بافقيه نجد معنىً مجملاً للنقش إلى جانب تحقيق بعض أسماء المواقع والقبائل التي وردت أسماؤها فيه ودراسة تاريخية للأحداث التاريخية المرتبطة به.

سجل هذا النقش المكرب» كرب إل وتر بن ذمار علي» مكرب سبأ الذي يعيد تاريخ عهده (Wissmann. H. V)، إلى القرن السابع قبل الميلاد.

نقش إل شرح يُحَضِّب (MaMB 212 & 219) (Ja 576 Ja 577):

هما نقشان:

BILQIS _ ’«A. JAMME, W.F.: SABAEAN INSCRIPTIONS FROM MAHR.AM (MARIB) , with foreword by WENDELL PHILLIPS , The Johns Hopkins Press, Baltimore 18,: \:1d., (1962).

وهذه النقوش منشورة في مدونة النقوش العربية الجنوبية dasi بهذا الرابط:

.http://dasi.humnet.unipi.it/index.php?id=dasi_prj_epi

النص الأول:

MaMB 2 I 2 = Geukens 3; _ .Yellowish, slightly grayish sandstone - 576 .cr.JaDeR. pp(67 - 76)

أبعاد وقياسات النقش: 181× 37× 28 cm

نقش يوسف أسار يثأر (Ry 507):

يوسف أسار يثأر الملك الحميري الذي اتخذ اليهودية ديانة له، وحارب بقوة الديانة المسيحية التي كان الأحباش يسعون لنشرها في اليمن.

يبدأ النص بمباركة (إله السماوات والأرض) الملك (يوسف أسار يثأر) ومن معه من الأقيال ويثني على عملهم بحرق الكنيسة وقتل الأحباش في ظفار، وأنه أرسل إلى أقوام أخرى ليفعلوا الشيء ذاته في مخوان، وسبوا أبناء حشيم وسلعم، وبعث لنجران للقبض على الرهائن والفارين منهم، وقد بلغ عدد غنائم الملك ومن تعاون معه من الغنائم: (أربعة عشر ألف قتيل) و(أحد عشر ألف أسير) و(مائتان وتسعون الفاً من الإبل والبقر والماعز).

ثم يذكر النقش زمن تدوين النص وهو: شهر ذو المذرأ عام ستمائة وثلاثة وثلاثون حميرية، وتحديداً عند مرابطة قادة من ذي يزن وهمدان معه.

ويذيّل النص بالحمد والشكر (لإله السماوات والأرض) وجنوده من الملائكة.

ويذكر النص في آخر سطر لك اسم مدوّن النقش.



لوحة منقوشة بالمسند تذكر الحرب بين سبأ وحمير (حوالي 230 ـ 240 م)، حجر جيري بارتفاع 45 سم وعرض 112 سم. عثر عليها في بيت دبان، موجودة في المتحف الوطني بصنعاء.

https://www.akg - images.co.uk/CS.aspx?VP3

ثانياً: القاموس المسندي العسكري

رصد الباحث رصين صالح علي الرصين مايقرب من (300) لفظة مكتوبة بالمسند اليمني تخصّ الحرب، ويكون بذلك قد وضع قاموساً مسندياً عسكرياً، مرتبة حسب الحروف الأبجدية للغة اليمنية، يمكن العودة له ومعرفة ما تعني هذه الألفاظ: (انظر الرصين 2002: 38 ـ 68).

هذه عينة من القاموس العسكري اليمني القديم، وتعكس مفردات الحرب اليمنية مختلف جوانب الحروب والجيوش، ولعلّ عددها الكبير يعكس انشغال القبائل والممالك اليمنية بالمعارك بينها بشكل خاص وهو ما أضعف وسهّل مهمة زوالها فضلاً عن عوامل أخرى مهمة سنذكرها في مكانها.

الفصل السادس: المظهر المدني



مبخرة يظهر عليها نحت بارز لجمل

المبحث الأول: التحضّر في اليمن

أولاً: مقاييس التحضّر في اليمن

المظهر أو العنصر المدني، في أي حضارة كانت، هو الذي يؤشر درجة التحضر ويقيس تقدم هذه الحضارة بالنسبة لما سبقها وما عاصرها من الحضارات. فهو الذي يدخلنا في حوار صريح مع أهل تلك الحضارة وفحص درجة تحضّرها في جوهره وليس في أشكاله وأنواعه.

تنتمي الحضارة اليمنية إلى نمط الحضارات القديمة التي لها مواصفات محددة تختلف عن الحضارات الوسيطة والحديثة. ولكنها تختلف عنها في جوهر تحضرها. ويمكننا القول بأن المظهر المدني يعطينا فكرة عن عمق وجوهر هذا التحضّر، ويمكننا وضع مجموعة من المؤشرات لمعرفة مقياس التحضر هذا، وهي:

1.الأرجحية بين الجانبين المدني والعسكري: تقدم الحضارة اليمنية، للأسف، وجهاً مأزوماً ومشدوداً من الناحية المدنية، فالمعارك والحروب الداخلية فيها لا تنقطع، وهي في اشتعال دائم بين القبائل والمدن والممالك اليمنية، فضلاً عن الغزوات في القرون الأخيرة للأحباش والساسانيين.

النشاط العسكري المتواصل حجّم الجانب المدني وضيّق مساحته، وكانت الرفاهية في الجانب المدني معقودة للأقيال ورؤساء العشار والطبقة الحاكمة وليس لعامة الناس.
ولذلك نرى أن في هذا ما يُضعف من تحضّر اليمن رغم وجود حضارة واضحة المعالم فيه.



رسوم صخرية تمثل فرقة الهجانة والمحاربين فيها، من منطقة ريمة حميد

(الوجيه 2012: 296).

2. صراعات البداوة مع الزراعة والتجارة: يظهر بدو اليمن بوضوح في الحياة العامة على مدى تاريخها، فالبدو (عربن) حاضرون دائماً لمهاجمة مزارع الفلاحين ونهبها، فهم يحتقرون العمل والزراعة بالذات، وكذلك يهاجمون قوافل التجارة التي لا تنقطع في أرض

اليمن وينهبون ما تحمله الجمال. ولكن هذا الوضع ليس بالدائم وغير المسيطر عليه، فقد قام بعض ملوك اليمن باستدراجهم وتشكيل فرق عسكرية منهم مما أضعف بعض هذا النشاط التخريبي. كانت حياة المزارعين وقوتهم بيد الإقطاعيين من خدم الطبقة الحاكم، فقد «ساد الحكم الإقطاعي في اليمن، فكان الملك على رأس المملكة والبلاد تقسم إلى مخاليف «جمع مخلاف» وكل مخلاف يقسم إلى محافد، وكل محفد يقسم إلى قصور أو حصون، وأصحاب المخاليف يسمون أقيالاً وفي الغالب كان المحفد يُنسب إلى أشهر قصر فيه، «جمع ذو» المحافد يسمون أذواء والمخلاف إلى أشهر محفد فيه، وفي بعض الأحيان كان ينسب كل إلى إله المنطقة، وكثيرًا ما كان يطغى أحد الأقيال على مخلاف جاره إذا أنس من نفسه قوة فيضمه إليه، بل وكان يطمع بعض الأحيان أحد الأقيال في الملك، فينزل الملك عن عرشه ويتولى مكانه.» (نافع 2017: 87).



رسم صخريّ لمشهد اشتباكٍ مسلح باستخدام تشكيلة من الأسلحة، منطقة السُنينة

(الوجيه 2012: 295).

3.صراع القبيلة والمدينة: توصل اليمنيون القدماء لصيغة تكاد تنفرد بها اليمن، وهي الموالفة بين القبيلة والمدينة والتي أسموها (الشعب) أي قبائل المدن، فالقبيلة بوضعها القديم مجموعة من العشائر التي تتكون في طبيعة زراعية أو بدوية يسكن أفرادها القرى أو الخيام، أما القبائل التي شكلت نوعاً من الاتحادات القبلية التي جمعت عدة قبائل أو شعوباً فهي القبائل التي سكنت المدن. ورغم أن المدينة لا تتناسب مع القبيلة لكن القبيلة أو القبائل سيطرت على المدن من أجل حكمها وإخضاع أهلها لجميع النشاطات الاقتصادية والسياسية. وقد نجحت في ذلك من هذه الناحية، لكن القبائل كانت وما زالت سبب إفشال التحضر في اليمن لأنها لا يمكن أن تمتثل لشروط المدينة وهي تتقدم وتتطور ـ وتبتعد عن نزعتها القبلية، ولذلك تفشل المدن حين تنمو تطورياً لأنها تفرض صيغاً تتصارع مع القبيلة، لكن القبيلة تعيش في شروط تختارها هي وترفض ما عداها وما يتطور عن المدينة من ثقافة وفنون وتفتح فكري وحريات فردية واجتماعية.

«كانت حكومات اليمن تقوم على قبائل لا تربط بينها روابط القربى بقدر ما تربط روابط المصلحة، وكان نظام الحكم ملكيًّا وراثيًّا في الأبناء أو الإخوة، وفي بعض الأحيان كان يشرك الملك ابنه معه في الحكم على غرار ما كان يصنع ملوك الأسرة الثانية عشرة المصرية، وكان للنساء حق وراثة العرش كالرجال، كما حدث في الدولة المصرية القديمة أيضًا، ولكن الملكية لم تكن مطلقة، بل كانت مقيدة؛ إذ كانت توجد مجالس لها صفة نيابية تمد الملك بالمشورة والنصيحة وتساعده في المسائل التشريعية، تؤيد ذلك النقوش التي كشفت.» (نافع 2017: 87).

4. السلام والأمن: يصعب تصور الأمن والسلام في بيئة محاربة وفيها بدو يهاجمون ويسلبون، وفيها تفاوت طبقي صارخ، نرى أن بيئة المجتمع اليمني كان فيها سلام وأمن في حيزٍ محدود، لكن الناس كانت تعيش حروباً قبلية متواصلة، فضلاً عن كدحهم اليومي في الزراعة والريّ بشكل خاص.

5. التدوين والكتابة: لا شك أن التدوين والكتابة هما من أرفع مظاهر الحياة المدنية، فالتدوين يحتاج معرفة نوعية وتواصلاً كانت تتكفل به الشخصيات المتمكنة من الكتابة وشروطها، ومن خلال التدوين كانت تجري تفاصيل الحياة ويتم توثيقها بخط المسند من شراء وبيع وزواج وطلاق وإرث وغيرها، فهو الدليل المتوارث الدقيق عن حياة الشعوب المتحضرة وقد أنجزه اليمنيون بشكل جيد، وخلّفوا، لحد الآن، ما يقرب من 20 ألف نفشٍ مكتوب.



نقش خط المسند في القرون الميلادية الأولى

6. القوانين والتشريعات: لا يمكن لأي تحضر أن يستمر دون ضوابط قانونية وتشريعية، وكان اليمن حافلاً بها بمختلف أشكالها، صحيح أنه ليس هناك مدونة واحدة شاملة، باستثناء القانون الحميري، الذي كتب متأخراً. لكن القوانين اليمنية غلب عليها الطابع العملي، وكانت حاضرة في تفاصيل الحياة اليومية. والتي تشهد على نضج شرعي وسياسي معاً وتدل على بنيان دولة متقدم وراقٍ.

7. الرفاه الاقتصادي: لا نعتقد أن الرفاه الاقتصادي لليمنيين كان شاملاً وعاماً، بل هو رفاه محدود للأسر الحاكمة والأقيال والذوو والكبراء من رؤساء القبائل.. أما بقية طبقات المجتمع فكانت في كفاف اقتصادي، والدنيا منها كانت في حالة حرمان وجوع بلا شك.

سخّر الحكّام والكهنة فكرة التقديس لاحتكار تجارة اليمن الثمينة، فكانت التوابل والبخور مقدسة ومرتبطة بالآلهة والمعابد ولذلك فهي حصرية ولا يجوز أن يتاجر فيها الناس والعامة، وكانت محتكرة من قبل 3000 عائلة من المسؤولين والأشراف الذين كانوا يدفعون عنها زكاة لمعبد شبوة كما يقول بليني.

وربما كان أفضل وجه مشرقٍ في الجانب الاقتصادي في العملة والأوزان والمكاييل، التي كانت عامة للجميع. رغم أن سك عملتهم كان متأخراً، وقلدوا فيه العملة الرومانية، ولكن صناعتها تدهورت في آخر الأمر.



من العملات اليمنية القديمة

ولذلك نقول إن لقب (اليمن السعيد) كان المقصود به تجارة البخور واللادن والعطور واللبان التي كانت تباع بأسعار خيالية للإغريق والرومان من قبل التجار والطبقة الحاكمة المسيطرة على التجارة داخل اليمن، وبسببها وصفوها بهذا الوصف دون دراية منهم بأحوال الطبقات الأخرى.

ثانياً: العمران الحضاري والفني في اليمن القديم

1.مساهمة العمارة وبناء المدن في التحضّر:

انتعش البناء في اليمن وتفوقوا في أسرار العمارة والمدن، فأنشأوا القصور ومجمعاتها والأبراج والمحافد مثل قصر غمدان وسلحين وناعط ومدر. ومن سدود وأسوارٍ وحصون ومدائن ومعابد وحياض لخزن الماء. ومن أسواقٍ وأسوارٍ ومقرات تجارية وموانئ. وكانوا يأخذون بنظر الاعتبار مناخ الفصول ورياحها، وهذا تناسق آخر يهتم بالبيئة والمناخ.

كان قصر غمدان مذهلاً واستثنائياً، من خلال ما نعرفه عن بقايا آثاره، ومن خلال ما ذكره الهمداني حين وصفه، فقد كان مؤلفاً من عشرين طابقاً، وبين كل سقفين عشرة أذرع، ومن أن بانيه لما بلغ غرفته العليا أطبق سقفها برخامة واحدة شفافة ليس فيه مبالغة، وهذا يعني أنه كان يشبه الزقورة الرافدينية أو الهرم المدرج المصري.

كانت القصور والمعابد والبيوت تزخرف بنقوش كتابية ورسوم تمثل حيوانات أو زخارف من ورق الشجر عن طريق الحفر الغائر في الحجر. أما صناعة تماثيل المباني فكان تنحت من كتلة صماء وليس فيها تعابير واضحة.وكان العقد المدبب ظاهراً فيها.

في هندسة وعمران المدن تميز اليمنيون ببناء أغلب مدنهم على مرتفعات، وكانت مدنهم رغم وجود طابع عام يجمعها لكن خصوصية أغلبها كانت واضحة للعيان. فقد بنوا مدينة مأرب، عاصمة سبأ، على شكل دائري، ومعبد (محرم بلقيس) على شكل بيضوي.

وتعكس مدينة صنعاء الحالية ذلك العمران المتميز الفريد للمدينة اليمنية وطراز تشكيل مبانيها، فهي تنفرد بنظام تزيين حيطان وشبابيك وأبواب وواجهات البيوت بالجبس الأبيض، وتترابط أجزاؤها بطريقة وظيفية وجمالية عالية تتناغم مع نظامها الاجتماعي والأسري.

«تتميز مدينة صنعاء بتاريخها العريق والمكون من توليفة جغرافية وثقافية مميزة بالإضافة لمراحل متعددة من أشكال التطور الحضريّ والسياسي، فضلاً عن كونها أكبر المدن اليمنية وعاصمة البلاد، تقع مدينة صنعاء على هضبة بارتفاع 2300 متر عن سطح البحر، تحيط بها سلسلة من الجبال أهمها جبال نقم وعيبان وتعد المدينة ضمن أعلى مدن

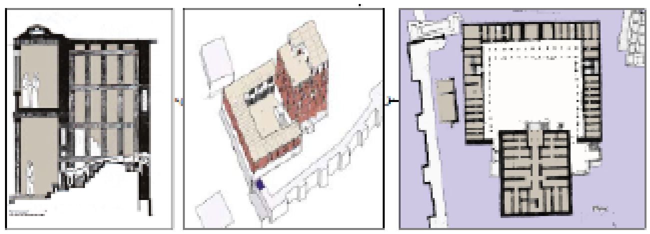
العالم ارتفاعاً فوق سط البحر، كما تتمتع بمناخ شبه جاف حيث يبلغ متوسط الهطول المطري السنوي في نحو 265 ملم، ونادراً ما تتجاوز درجات الحرارة المسجلة 30 درجة مئوية إلاّ أنها تشهد فوارق حرارية كبيرة على مدى ساعات اليوم. تمثل مدينة صنعاء مركزاً تاريخياً هاماً وعاصمة أقدم دول المنطقة، كما تعتبر إحدى أقدم مدن العالم المأهولة بالسكان على مر الزمن، حيث يعود تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي وهو ما يمكن تتبعه من خلال أول ما ورد من ذكر لها في النقوش الأثرية في نقش قديم يعود إلى عهد الملك الحميري شاعر أوتر.» (صنعاء ملف التنيط الحضري 2015: 9).

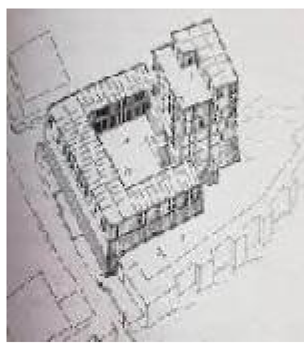
بُنيت صنعاء في العصور السبئة القديمة بسور طويل محيطه 6200 م، وشكله مثل شكل حرف 8 بصورته المعروفة في الكتابة الأوربية، وله 7 أبواب، و30 سوقاً بعضها قديم جداً.

أما مدينة شبام الحضرمية فقد تميزت بالعمارات الطينية العالية، وفقاً لنظام هندسي دقيق توقف عنده الكثير من معماريي العالم، ويعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي وفيها أبنية بارتفاع ثمانية طوابق من الطين.

كانت نزعة البناء العالي ذات جذورٍ دينية، فقد «ظهرت عقيدة تقديس الأماكن المرتفعة والعالية في الحضارة اليمنية القديمة منذ مرحلة التدين البدائية، واستمرت حتى العصور التاريخية وازدهار الممالك اليمنية القديمة في بداية الألف الأول قبل الميلاد. وكانت جبال المناطق الشرقية في اليمن هي الملائمة لتلك الطقوس ومنها جبال (البلق) في مأرب التي تمتد من الجنوب إلى الشمال، وتتصل بجبل (هيلان) شمالاً، ووجدت في تلك السلسلة الجبلية عدداً من المناطق الدينية المقدسة عند اليمنيين منذ القدم حتى وقتنا الحالي، حيث تقام صلاة الاستسقاء ويفدها الناسُ للزيارة، وقدّس اليمنيون تلك القمم وبنوا عليها معابدهم لاعتقادهم بنزول الإله على تلك القمم، وهناك من الجبال المقدسة التي اعتبرت مزارات جبل (حضور وضنين) ورأس (بيت فأس) من رأس جبل (تخلي) ورأس (هنوم) في محافظة صنعاء ورأس (البعكر) في محافظة (إب) ورأس جبل (صبر) في مدينة تعز.» (القادري 2018: 23).

يمثل قصر(شقر) في مدينة شبوة والذي أنشئ في القرن الثالث الميلادي نموذجاً للتميز والفرادة، ويبعد هذا المبنى مسافة 20 متر تقريباً من السور الجنوبي الغربي للمدينة سكنته الأسرة الملكية الحاكمة في القرن الثالث الميلادي، ودمرته القوات السبئية حوالي عام 225م.





القصر الملكي الأثري بشبوة

(القادري 2018: 23)



الطراز المعماري اليمني الفريد

2.مساهمة الفنون:

الفن اليمني القديم في الرسم والنحت وأشكاله التطبيقية حاضر بقوة في الحياة المدنية، وله شخصية فنية يمكن معرفتها بوضوح في منحوتاته الأصيلة، وقد شابت هذه الفنون، في فترات قليلة، نزعات مشرقية أو كلاسيكية (إغريقية ورومانية) وهلنستية، بسبب التجارة واختلاط اليمنيين بالشعوب التي يتاجرون معها، بعضها حقق تفاعلاً إيجابياً مع الفن اليمني، وبعضها قلدوها ولم تجلب لهم التميز بل أثرت هذا الفنون على فنهم الأصيل سلباً، ومثل هذا حصل مع العقائد الدينية الوافدة (كاليهودية والمسيحية) التي لم تجلب لليمن غير الخراب والدمار ومنعتهم من تطوير ديانتهم وعقائدهم القديمة.

اكتشف رائد علم الآثار الأمريكي ويندل فيليبس في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي في مدينة تمنع (عاصمة القتبانيين) ما يقرب من 374 قطعة أثرية قديمة، مع بعثته الآثارية، من المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان، يعود تاريخها بين القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الثاني بعد الميلاد، وقام فيلبس، مع فريق من علماء الآثار المشهورين، بتجميع سجلات تنقيب شاملة لها، ومن هذه القطع زوج من النقوش البارزة البرونزية الكبيرة، منها على شكل لبؤة متسلقة تعلوها شخصية إيروس من القرن الأول قبل الميلاد. اليمن.

وهناك جزء من لوحة من المرمر منحوت بشكل بارز برأس ثور، منتصف القرن الأول، ورأس امرأة (المعروفة باسم أطلق عليها حديثاً هو ميريام) منتصف القرن الأول من المرمر والجص واللازورد. وزوج من الأسود البرونزي المذهل مع شخصية إيروس، إله الحب اليوناني، على ظهورهم. تُعرف الأشكال النحتية المعروفة باسم «أسود تمنع «تدل على تأثر الفن القتباني بالفن الإغريقي، ومن أبرز المجموعات الأخرى رأس مرمر شفاف لامرأة شابة، مع حواجب من اللازورد وتصفيفة شعر على الطراز المصري.

3.الزراعة وفترات السلم والرخاء:

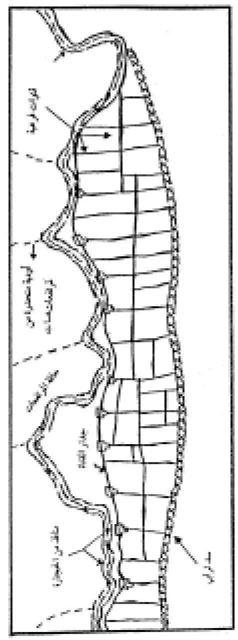
رغم المعارك والحروب الكثيرة التي خاضتها الممالك والمدن اليمنية فيما بينها أو مع الغزاة الأجانب، لكن فترات السلم والبناء والرخاء كانت هي أساس البناء المدني الحضاري في اليمن القديم، ولذلك نشط العمران ونشطت معه الفنون والحياة المدنية، وكان النظام الأسري مستقراً ومنضبطاً بالكثير من الأعراف والقوانين. ورغم أن اليمن شهدت في قرونها الأخيرة سيادة النظام الإقطاعي، لكن الرخاء الزراعي ظلّ قائماً، وكانت طبقات الشعب الدنيا مسيطراً عليها من قبل أشراف وملّاك، وكانت تفرض على الأراضي الضرائب، التي كانت تحدد مع المحاصيل في الحقول، وكان للكهنة الحق في فرض الضرائب وفي أخذ نسبة خاصة بهم، وقد هذه الطبقات الفقيرة في تشييد المباني العامة.



مزارع يمني قديم يتقدمه ثوران لحراثة أرضه

تقديراً منهم للزراعة وأهميتها بعد كشف أسرارها أنشأ أهل اليمن سدود وأنظمة الري بعبقرية نادرة، وما سد مأرب، الذي بني في القرن الثامن قبل الميلاد، إلا أشهرها، كما بسطوا المدرجات الزراعية على الجبال وحفروا الصخور. وفي الشكل المرفق نلاحظ نظام الري في جبل خليص حيث يتم تجميع المياه الساقطة من المرتفعات عبر الأوبئة والشعاب

في قناة يوجد عليها عدد من المنافذ القائمة على الحجارة التي تؤدي إلى مجموعة من الحقول.



نظام الري في جبل خليص

(البريهي 2000: 348).

زرع اليمنيون السهول المنبسطة وسفوح الجبال بعد توضيبها طبقات الواحدة تلو الأخرى، كمدرجات زراعية، واهتموا بالري وحفر القنوات لتوصيل الماء إلى مدرجات السفوح المزروعة، كما أنشؤوا مئات السدود لخزن الماء في أيام المطر ورفع مستواه ليصل إلى السفوح، واهتموا بزراعة النباتات النادرة (كأشجار اللبان واللادن والمر والصمغ) والفواكه والكروم.

4.التجارة اليمنية الداخلية والخارجية:

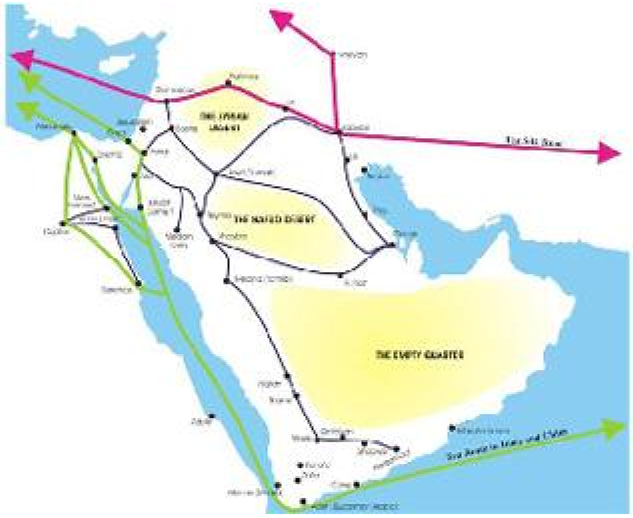
تحسنت الطرق البرية، عبر شبه جزيرة العرب، في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حين استُخدم الجمل في التجارة من قبل اليمنيين، وتم نقل البخور من مركز إنتاجه في قانا (المعروف الآن باسم بئر علي) إلى غزة في مصر. كما حملت قوافل الجمال الذهب والبضائع الثمينة الأخرى التي وصلت إلى قانا ويظهر الرسم التوضيحي العتيق منظرًا لعدن وفيها كبار تجار البخور.

لم تعتمد الدولة السبئية على تجارة التوابل، بل أبدعت في الزراعة وبناء السدود، وأسس الحميريون عاصمتهم في ظفار (وهي الآن قرية صغيرة في منطقة إب).ونشطوا تجارياً عن طريق البحر الأحمر.



كبار تجار اليمن في عدن (لوحة مرسومة حديثاً لأزمان قديمة)

كانت التجارة وجهاً من وجوه السلم والتمدن في اليمن، فقد قامت حضارة اليمن على التجارة بحكم موقعها الفريد بين الحضارات وطرق التجارة الدولية براً وبحراً، فكانت تتاجر مع الهند وجزائر الهند الشرقية وبلاد الصين وسواحل أفريقيا، وظهرت التجارة البرية مع قوافل الإبل الضخمة إلى الشام والعراق ومصروحوض البحر الأبيض المتوسط، حاملة البخور واللادن والمر والذهب والقصدير والعاج والتوابل وريش النعام والقطن والحجارة الكريمة، وكانت القوافل تعود بحاصلات الشمال من الحنطة والزيوت والخمور والمنسوجات والأصباغ والآنية وسبائك الفضة.



طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم

5.الصناعات اليمنية وتصديرها:

اشتهرت اليمن بمصنوعات محددة في العالم القديم مثل المباخر بأنواعها، والأنسجة والقماش التي كانت تصمم بطرق جميلة وبارعة وتصدر خارج اليمن، وكذلك السيوف والخناجر، والحليّ الفاخرة والعطور والأحجار الكريمة والتماثيل المنحوتة، وكانت الدروع اليمنية تصنع من الجلود المدبوغة بعناية، وكانت الخمور اليمنية تصنع من أنواع فاخرة من العنب يصل عددها قرابة المئة نوع.

المبحث الثاني: الموازنة بين الحرب والسلام

أولاً: نظام الحرب أقوى من نظام السلام

النظام السياسي الذي ظهر في اليمن شديد التعقيد والتركيب فقد ظهرت ممالك قديمة تفاوتت بين الضعف والقوة وكبر المساحة وصغرها والطموح والمهادنة، وبرغم أن سبأ سادت كمملكة كبيرة، قبل القرون الميلادية وضمت لها ممالك أخرى، وحمير التي سادت،

بعد القرون الميلادية، وضمت لها ممالك قديمة وجديدة، لكن الممالك الأخرى كانت بين مدّ وجزر خلال توسع نفوذ سبأ ثم حمير.

تمتعت الممالك الأخرى هذه بحكم ذاتي واستقلال وكان لها كيانات سياسية طموحة أيضاً مثل ممالك حضرموت ومعين وأوسان وقتبان وممالك الجوف ونجران وسمعي ودهس والمعافر ومهامر وغيرها.

كانت جميع ممالك اليمن القديم حافلة بالثروات الطبيعية والمعدنية والبشرية والحيوانية والنباتية والمناخية المتنوعة، وكان لكلّ منها تصورات سياسية وتجارية واجتماعية وإدارية متنوعة، وقد أدى هذا إلى التنافس والصراع والاحتلال وسادت حروب ومعارك أهلية استغرقت تاريخ اليمن القديم كلّه، ولذلك نرى أن الموازنة بين الحرب والسلام كانت معدومة، فقد ثقلت كفة الحرب وتفوقت على كفة السلام، وكان نظام الحرب أقوى من نظام السلام بكثير، حتى وهنت ممالك اليمن وضعفت مجتمعاتها وسهل غزوها من الخارج، بل أصبحت الاستعانة بالقوى الأجنبية الخارجية، في القرون الثلاثة الأخيرة من تاريخها، مطلباً من مطالب القوى والممالك المتناحرة في الداخل. وهكذا ساد الوهن والدمار والصراع والمؤامرات داخل البلاد.

هذا الحال يؤدي بالحضارات إلى حتفها ونهايتها وهو ما حصل في اليمن.

الحروب الداخلية التي دمرت حضارة اليمن

لم تهدأ اليمن منذ بداية ظهور ممالكها الأولى حتى نهاية حضارتها بسبب الحروب الداخلية بين هذه الممالك ومدنها وقبائلها، فقد تنامت النزعة السياسية والعسكرية على حساب الحياة المدنية السلمية الآمنة، وكان التعصب القبلي ووجاهة الحُكم والتسيّد على الآخرين اقتصادياً وسياسياً من أهم أسباب هذه الحروب والمعارك.

خاضت جميع الممالك اليمنية القديمة السبئية، القتبانية، الأوسانية، والحميرية حروباً طاحنة بينها وحاولت كلّ منها توسيع نفوذها السياسي والعسكري والاقتصادي، وكان الاتحاد السبئي يترنح بين قوةٍ وضعف، لكنه سقط في النهاية ونتج عن هذا تصادم عنيف بين الممالك، وسعت مملكة حِمير لحيازة المُلك لها، ولعبت الدور ذاته الذي لعبته سبأ قبلها بألف عام، لكنها لم تستطع أن تصون وحدة اليمن في نهاية الأمر بسبب دخول أديان كاليهودية والمسيحية في اليمن كانت مدعومة من أطراف إقليمية. فتفككت وحدة اليمن وحضارتها، وحاولت غزوها قوى خارجية كالدولة الرومانية في سنة 24ق. م والتي حاولت السيطرة على نشاطها التجاري، وتحويل البحر الأحمر إلى بحيرة رومانية، ثم سيطر عليها البيزنطيون والأحباش من خلال الدين المسيحي، ثم استغل الفرس دعمهم لليهودية لأغراض سياسية ليقفوا بوجه بيزنطة وحليفتها الحبشة، وكان اليمنيون في كلّ هذا الصراع يتقاتلون بينهم تحت مسميات جديدة، حتى أُجهز على اليمن في النهاية.

التدخلات الخارجية التي قضت على عراقة تراث اليمن

كان يوسف أسار(ذو نواس) مسيحياً قبل توليه عرش حمير، لكنه أصبح يهودياً حين أصبح ملك حمير وسرعان ما قرر القضاء على المسيحيين في اليمن، فهاجم حامية أكسوم في ظِّفار عاصمة حِمير، وقتل الكثيرين ودمَّر الكنيسة فيها، وكان ملك أكسوم المسيحي كالب قد تضامن مع الإمبراطور البيزنطي كريستيان جستين الأوّل، ضد الفرس عن طريق قطع إمدادات الحرير عنها. واتفقا على مواجهة (ذي نؤاس)، فقام كالب بإرسال أسطولٍ لليمن، عبر البحر الأحمر، وهزم يوسف ذي نوّاس، فنصَّب كالب ملكاً محليًّاً هو (سميفع أشوع)، ثم استولى (أبراهاموس) أو (أبرهة) الحبشي المسيحي، الذي بنى كنيسةً كبيرة أطلق عليها (القليس)، وهو تصحيف لكلمة إكليسيا أي الكنيسة، في مدينة صنعاء، ثم صراعٍ بين أبرهة وقائد حبشي يُدعى (آريات) عام 525، ونتج عن هذا الصراع تمرّد أبرهة.

ساهمت هذه التدخلات الإقليمية الدينية بتدمير حضارة اليمن، وتجلى ذلك في الصراع البيزنطي الفارسي على أرض اليمن، حين قام الملك الفارسي (كسرى الأوَّل) بإرسال قوَّات

لمساعدة قائد يهودي من ذي يزن هو (سيف بن ذي يزن) على طرد الأكسوميين المسيحيين من اليمن، وأصبحت اليمن ضمن دائرةِ نفوذ الإمبراطوريَّة الساسانيَّة. ومُنح سيف بن ذي يزن جزءاً من الحكم في اليمن، لكن الفرس عززوا نفوذهم في اليمن بحملة عسكرية ثانية، وقتلوا سيفاً فانقسمت اليمن إلى ممالك مستقلة تحت نفوذٍ فارسي.

مثل هذه التدخلات الأجنبية قضت على الحياة المدنية في اليمن وعلى وحدة اليمن كلّها، وأفلتت حضارة اليمن القديم.

ثانياً: النظم المدنية في اليمن القديم

1. النظم القانونية: يظهر ذلك القوانين الكثيرة ومنها في تنظيمات سوق شمر الشهير، والتي تشهد على نضج شرعي وسياسي.
2. النظم السياسية
3. النظم الاقتصادية: والسدود وأنظمة الري المتطورة آنذاك؛ تقديراً منهم للزراعة وأهميتها وما سد مأرب إلا أشهرها.
4. العملة والأوزان والمكاييل.
5. النظم الثقافية: الكتابة والنحت وأسرار العمارة وفنونها فأنشؤوا القصور ومجمعات القصور والأبراج المحافد منها: قصر غمدان، وسلحين، وناعط، ومدر كما بسطوا المدرجات الزراعية على الجبال، والمعابد الفخمة والخبرات الفنية، وعلاقات جنوب الجزيرة العربية بشمالها في القرنين الثالث والرابع للميلاد أن المؤثرات الحضارية لأهل اليمن قد وصلت إلى الكيانات القبلية في شمال الجزيرة أيام تبعية الأخيرة لنفوذ سبأ وحمير بعد حملاتهما العسكرية على تلك الكيانات القبلية الشمالية، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما وجد من آثار في عاصمة كندة ومذحج والواقعة في وادي الدواسر، كما تظهر التأثيرات في التماثيل والأواني المنزلية التي كان لها علاقة بمثيلاتها في ممالك جنوب الجزيرة كتمثال الطفل المجنح الذي يشبه في ملامحه كثيراً من ملامح بعض التماثيل القتبانية.

المبحث الثالث: نظام السلام

لعل واحدة من أكثر الأمور التي تُضعف الحياة المدنية في اليمن القديم هي غياب المدارس والتعليم بطريقة تكاد تكون كاملة، فلا أثر في النقوش لما يشير لوجود تعليم واضح بين الناس، وقد كان تعليم خط المسند يجري بطريقة غير مدرسية بل هو نوع من تعلم الحرف والمهن.

هذه الظاهرة تجعلنا نتأمل في مصير الصبيان والبنات والشباب وهم يدخلون في تقاليد القبائل ولا ينتظم التعليم حياتها، وبذلك تُضعفُ النزعة المدنية في الحضارة اليمنية.

كانت المدن اليمنية هي حاضنة هذه الحضارة، ولا شك أن حرفييها هم الذين كانوا سبباً في ديمومة القراءة والكتابة في اليمن بسبب غياب التعليم المنتظم.

أولاً: دور المدن في الحياة المدنية وأثرها على محيطها الإقليمي

كانت أوسان ومعين مملكتي السلام والتجارة بالدرجة الأولى، فلم تكن نزعتهما حربية أو عسكرية، رغم أنهما أجبرتا على خوض الحروب والمعارك الأهلية بين الممالك.

كانت عموم مدن وممالك اليمن تنعم، بشكل عام، بوضع اقتصادي وقانوني يضبط بعض مظاهر الحياة المدنية، وكانت القوانين تصدر بالدرجة الأولى من البلاط الملكيّ، فقد «كانت الأوامر الملكية تصدر على هيئة مراسيم، وتُكتب في غالب الأحيان على لوحات من البرونز أو الحجر وتُعرض في الطرق العامة أو المعابد ليراها الناس جميعًا، وقد عثر المنقبون على مجموعة كبيرة من هذه اللوحات التي كثيرًا ما كانت تُزخرَف من أعلاها أو أسفلها بنقوش مختلفة يمثل بعضها أبا الهول المجنح أو النخيل أو غير ذلك، وكان الملوك يلبسون مآزر محوكة بالذهب ويتحلون بأساور

ثمينة في أذرعهم، ويمكننا أن نستنتج من رسوم الملوك على النقود أنهم كانوا يرسلون شعور رؤوسهم ولا يرسلون شواربهم أو لحاهم، كما كان يفعل قدماء المصريين.» (نافع 2017: 87).

التنازعُ بين القبلية والمدنية كان قائماً، وكانت القبلية تنتصرُ في نهاية الأمر، رغم أنها تتخّذ من عناصر الترف والمدنية وسائل لعيشها، لكنها كانت تحاول إبقاء الناس في حالة تبعية قبلية من أجل السيطرة عليهم،» الشيء المهم في التطور الحضاري للمجتمعات في اليمن القديم أن الشعب مجموعة اجتماعية في مستوى العشيرة وأقل من مستوى الأمة، ومن الطبيعي أن يكون لكل شعب هجر أي مدينة تكون مركزاً له أو سوقاً، وفي بعض الأحيان يحمل اسم الهجر اسم الشعب كما في صرواح، وفي الغالب، يكون لها اسم مختلف عن اسم الشعب كما هو الحال في مأرب العاصمة الثانية للدولة السبئية، ويظهر أن هناك بعض الهجر (المدن) تطورت وأصبحت مراكز حضرية فعلية يسكنها سكان مقيمون من التجار والصناع، وهم لم يكونوا فلاحين فحسب، ومثل هذا في مدينة تمنع (ت م ن ع) العاصمة القتبانية في وادي بيجان.» (العزعزي 2001: 92).

كان يمكن للمدن والأمكنة أن تغطي على أسماء القبائل والشعوب، وكان هذا يحصل ويدوم، لكن الأزمات كانت تعود بالأمور إلى بدايتها» ومن الشعوب من تعرف بأسماء المناطق التي تستقر فيها مثل شعب مدينة أكنط (هـ ج ر ب/ أ ك ن ط) والمقصود به مدينة كانط (وتسمى اليوم ـ خارف) والعشيرة همدان وقبيلة حاشد. وهيمنت بعض القبائل على مناطق وقبائل أوسع وعرفت دول اليمن القديم بأسمائها. وهي دولة سبأ. ودولة معين، ودولة قتبان، ودولة حضرموت. ودولة أوسان، ودولة حمير، وجميعها لم تسم عواصمها بأسمائها، ومنها شعب أو قبيلة قتبان بعد أن أصبحت دولة اتخذت من مدينة تمنع عاصمة رئيسة لها. ولكن لا ندري هل هي التي سمتها بهذا الاسم؟ أم أن اسمها كان موجوداً بل أن تكون عاصمة لدولة قتبان. لم يكن للشعب في اليمن القديم ولاء نسبي ضيق، وإنما قام على وحدة اجتماعية قوامها المصالح المشتركة

(سكن وزراعة وتجارة وضرائب ونظام حكم)، لأفراد، ضمن إطار جغرافي جعلهم يشاركون جميعاً في نشاط عام شمل السياسة والاقتصاد والاجتماع والدين والجيش، وتخلو أسماء شعوب اليمن القديم مما يصطلح عليه بالأسماء الطوطمية أو البشرية قدر احتوائها على ما يشير إلى محيط جغرافي أو معلم من معالم الطبيعة (واد أو جبل أو عين ماء) أو دينية (معبد أو إله محلي خاص). (العزعزي 2001: 93).

مع كلّ هذا ظهرت الملامح الوظيفية للمدن وكانت هذه خطوة حضارية عظيمة لتجاوز القبلية داخل الحضارة اليمنية فانقسمت المدن على أساس وظيفي، في تطور حضاريّ مهم، كما نلمس هذا في معاينة وفحص هذا الجدول:

لقد استمر هذا التصاعد الحضاري للمدينة على حساب القبيلة وظهرت نتائجه خارج اليمن أيضاً في دائرة نفوذ وتأثير الحضارة اليمنية، فقد أظهرت دراسة علمية حديثة حول علاقات جنوب الجزيرة العربية بشمالها في القرنين الثالث والرابع للميلاد أن المؤثرات الحضارية لأهل اليمن قد وصلت إلى الكيانات القبلية في شمال الجزيرة أيام تبعية الأخيرة لنفوذ سبأ وحمير بعد حملاتهما العسكرية على تلك الكيانات القبلية الشمالية، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما وجد من آثار في عاصمة كندة ومذحج والواقعة في وادي الدواسر، كما تظهر التأثيرات في التماثيل والأواني المنزلية التي كان لها علاقة بمثيلاتها في ممالك جنوب الجزيرة كتمثال الطفل المجنح الذي يشبه في ملامحه كثيراً من ملامح بعض التماثيل القتبانية.

ثانياً: النظام التداولي للسلطة والمجالس

شهد حكم المكاربة في اليمن منذ الألف الأول قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي، نظاماً جيداً لتداول السلطة والمجالس الشعبية يناسب حياة البلاد وتعدد تجاذبها القبلي. واستطاعت سبأ أن تصوغ نظاماً مدنياً جيداً رغم استخدامها جيوش

القبائل لتبرير العنف والسلطة في بداية تأسيس ملكيتها المهيمنة. وانقسمت الدولة السبئية إلى:

1.الهيئات العليا: وتتكون من اتحادين قبليين هما :

اتحاد سبأ المكون من ثلاث قبائل هي: عدال، خليل، نزحت.

اتحاد فيشان المكون من ثلاث قبائل هي: فيشان، أربعن، أحصرن.

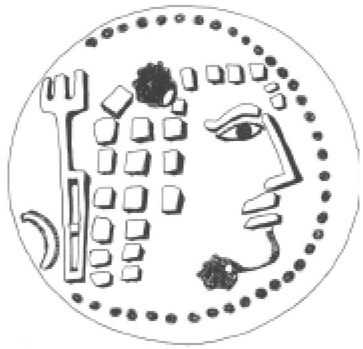
أ. السلطة التشريعية على قمة هذه الهيئات وتتكون من مجلس الشيوخ الذي يضم رؤساء القبائل وعلى رأسها الملك.

ب. السلطة التنفيذية: وتتكون من مجالس تنفيذية وكان المكرب هو الذي يديرها.

2. الهيئات المحلية: وتتكون من مجالس المدن ووحداتها الإدارية.

ورغم أن الملك والمجلس التشريعي كانا يمثلان مركزية الدولة، لكن الكثير من المدن كانت تتمتع بلامركزية الدولة، ويعكس هذا النظام حرية المدن في تطورها وتحضرها.

الفصل السابع: المظهر الاقتصادي





صورة لعملة دولة سبأ في عهد الملك عمدان بين الأب ويهقبض الابن

المبحث الأول: الصفات العامة للاقتصاد اليمني والهرم الاقتصادي

أولاً: الصفات العامة للاقتصاد اليمني

1. الزراعة هي أساس الاقتصاد اليمني القديم، ورغم غياب الأنهار والأمطار الثابتة، ورغم وجود مجاري السيول والأمطار الموسمية، فقد أسهمت طبيعية اليمن في سطحها

وخصوبة تربتها ووفرة مياهها، غير النهرية، والمتعددة الأشكال، ومناخها في ازدهار اقتصادي واضح.

2. تفوق العامل البشري المتمثل بالمزارعين القدماء ومن يساعدهم في تقنيات الريّ والزراعة كان له الدور الحاسم في نشوء اقتصاد زراعي متفوّق.

3. استثمار المرتفعات التي تميزت اليمن بها عن طريق بناء المدرجات الزراعية واستغلال مياه الغيول، وبناء الصهاريج والسدود.

4. التجارة الخارجية لليمن القديم هي العمود الثاني للاقتصاد اليمني، وبشكل خاص تجارة البخور واللبان والعطور والمواد المتعلقة بهما، فقد أكسبت اليمن مالاًوفيراً وسمعة في العالم القديم كله ونشّطت طرقها التجارية في أرجاء ذلك العالم.

5. تطوير استخدام الجمل من التنقل التقليدي في صحراء جزيرة العرب إلى وسيلة نقل تجارية على شكل قوافل طويلة» حيث أمكن نقل السلع اليمنية مثل اللبان، والمر وغيرهما من المواد التي كانت تستخدم في الطقوس الدينية، وصناعات العطور والأدوية والتحنيط إلى الأسواق الشمالية حول البحر الأبيض المتوسط، ويبدو أن الاستئناس الفعلي للجمل في اليمن القديم تم في الربع الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد، في حوالي 1300 ق.م، وقد ارتبط ذلك بزيادة النشاط الزراعي في الأودية التي ازدهرت على ضفافها ممالك اليمن القديم.» (العريقي 2002: 27).

6. دعم قوة الاقتصاد الزراعي والتجاري بالقوة والسلطة والقانون الذي يحافظ على أنظمة الريّ وسنّ القوانين الخاصة بالتجارة والأسواق ومراقبة أسعار السلع، وتوزيع الأراضي الزراعية والمياه.

7. وضع التسهيلات الكاملة لتسويق المنتجات الزراعية والحرفية والصناعية والتجارية المتنوعة في الأسواق المحلية والخارجية.

ثانياً: الهرم الاقتصادي اليمني

1. المرتبة الاقتصادية العالية:

أ. الملك والعائلة الملكية: كان الملك وأسرته والبلاط اليمني يملكون أكبر الثروات ويتحكم بها، فهم من يوجه حركة الحياة الاقتصادية.

ب. الأعيان وأصحاب الأملاك الزراعية: استثمرت الطبقة الأرستقراطية من الأعيان وأصحاب الأملاك الزراعية نفوذها ووجاهتها وحصلت على مقاليد أمور التجارة والزراعة في البلاد.

2. المرتبة الاقتصادية الوسطى:

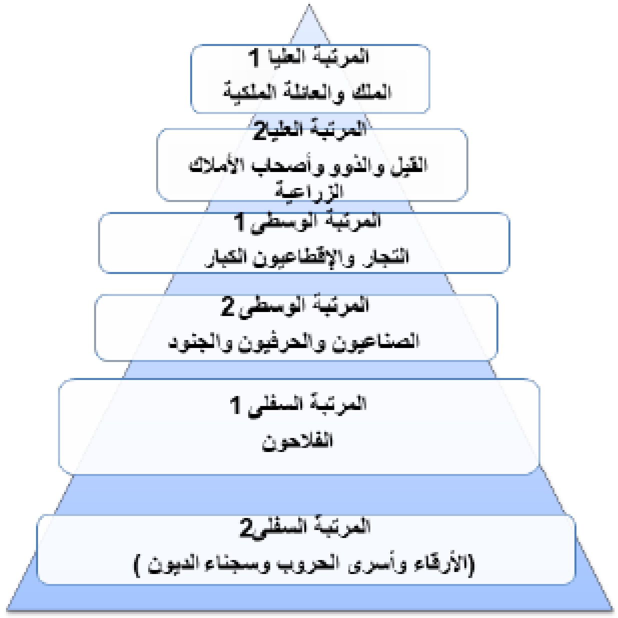
أ. الصناعيون المرتبطون بنقابة: تكونت الطبقة الوسطى من الصناعيين والحرفيين المرتبطين بنقابة خاصة بمدنهم والتي كانت تحميهم وتعمل على احتكار المهن والصناعات لصالحها، وشكل هؤلاء رأس المرتبة الوسطى.

ب. الصناعيون والحرفيون والمزارعون: تشكل هذه الفئات عامة الطبقة الوسطى، وهي الكثرة الأكبر من اليمنيين الأحرار.

3. المرتبة الاقتصادية السفلى:

أ. الأقنان المربوطون بالمزارع الكبرى: ويشكّل هؤلاء القسم الفقير من الشعب الآشوري وأغلبهم من الفلاحين.

ب. الأرقاء وأسرى الحروب وسجناء الديون: ويشكّل هؤلاء العبيد والأسرى من الشعوب الأخرى وهم يباعون ويشترون مع الأرض.



الهرم الاقتصادي اليمني (طبقات المجتمع الاقتصادية)

النظام الطبقي الاقتصادي لأهل اليمن القديم يتكون من ثلاث طبقات أساسية ينقسم كلّ منها إلى قسمين، أي إن هناك ست طبقات فرعية وهي كما يلي:

أولاً: المرتبة العليا:التي تتكون من:

1. الملك والعائلة الملكية: وهي الطبقة المالكة الأكثر رفاهية من الناحية الاقتصادية، فهي تسكن القصور وتسيطر على الحصة الأكبر من موارد التجارة والزراعة بشكل خاص، كان الملوك اليمنيون الأوائل يعتمدون على السلام بين ممالكهم ليحققوا الثراء الاقتصادي المحسوب لهم، لكن الأمر اختلف مع الملوك الذين جاؤوا بعدهم حيث أصبح هاجس الحرب وسيلة لهذا الثراء.

2. القيل والذوو وأصحاب الأملاك الزراعية: وهم أثرياء الشعوب والقبائل اليمنية والذين كانت لهم سلطات كبيرة تجعلهم ملاّكاً للأرض والثروة.

ثانياً: المرتبة الوسطى: التي تتكون من:

1. التجار والإقطاعيون الكبار: يتمتع أغلب التجار بمستوى اقتصادي جيد، لكنه مستوىً قلق يخضع لظروف الحرب والسلام ولعلاقة التجار بالطبقة العليا وحمايتهم لهم. وينطبق هذا على الإقطاعيين الذين يديرون الأرض للذوو والأقيال، وقد يمتلكونها أحياناً.

2. الصناعيون والحرفيون والجنود: وهم الذين يكدّون ليحصلوا على معاشهم المتوسط أو البسيط، وتشكل هذه الطبقة أغلبية كبيرة.

ثالثاً: المرتبة السفلى: التي تتكون من :

1. الفلاحون: كان الفلاحون يعيشون كفاف أيامهم اقتصادياً، وهم مربوطون بأرضهم يكدحون فيها ليلاً ونهاراً، وعبر مواسم الزراعة كلّها.

2. الأرقاء وأسرى الحروب وسجناء الديون: هؤلاء هم أضعف الطبقات اقتصادياً، وهم أقرب إلى العبيد والخدم.

المبحث الثاني: الزراعة

أولاً: تأريخ الزراعة في اليمن القديم

بداية الزراعة في اليمن: بدأت الزراعة في اليمن القديم في العصر الحجري القديم (نيوليت) في حدود 7000 ق.م، وهو ما عرضناه في الفصل الخاص بتاريخ اليمن القديم. لكن هذه الزراعة لم تكن واسعة الانتشار ولم تنشأ عنها قرى واسعة ونظامية إلاّ بعد مضي ما يقرب من أربعة آلاف عام، أي مع بداية العصر البرونزي في اليمن.

لم تكن المناطق الزراعية الأولى، في اليمن، شاملة وواسعة، بل كانت هناك بدايات محدودة المكان في الجبال وسفوحها في حدود الألف السابع ق.م، ثم سرعان ما انتشرت نحو المنخفضات، ثم الأراضي السهلية في الوديان في حدود الألف الثاني ق.م. «ويبدو أن بداية

الزراعة قد ارتبطت بظهور الجفاف الذي أدى إلى نقصان في غزارة جريان الأنهار، وبالتالي تناقص الغذاء، مما حدا بالسكان إلى إيجاد غذائهم بأنفسهم، وبذلك بدأت الزراعة عن طريق بذر الحبوب على طمي الوديان بعدما ينقضي موسم جريان المياه، ذلك أن الأمطار لم تكن تكفي من أجل زراعة مسقية» (برونر 1999: 53).

ولعل ما يؤيد هذا هو العثور «على العديد من الأدوات الحجرية في مناطق متفرقة من اليمن (ريبون، وهجر المسيل، وهجر تمرة، ووادي الجوبة، وغيرها)، ويعود تاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ، فخمس من الفؤوس المكتشفة في مأرب والجوف يرجح أنها تعود إلى العصر الحجري الحديث، وغيرها من الأدوات المسماة بالقزمية من المؤكد أنها مرتبطة بالمستوطنات الزراعية التي يرجع تاريخها إلى العصر الحديدي. وانتشار استعمال تلك الأدوات في عدة مناطق يؤكد الحركة التوسعية للعملية الزراعية في اليمن القديم.» (دماج 2009: 7).

الأقاليم الزراعية في اليمن: مع رسوخ التقاليد الزراعية في العصور التاريخية ترسخت الزراعة في إقليمين هما:

أولاً: محيط مفازة صيهد (رملة السبعتين): وهو الإقليم الذي سادت فيه الزراعة خلال الألف الأول قبل الميلاد وشهد ظهور الممالك السبئية وما رافقها في المدار السبئي. وهو سهل رملي ملحي تتعانق فيه أودية كثيرة وروافد كثيرة. وتشمل:

أ. أراضي وروافد دولة معين (وادي الجوف.)

ب. أراضي وروافد دولة سبأ (وادي أذنة).

ت. أراضي وروافد دولة قتبان (وادي بيحان ووادي حريب).

ث. أراضي وروافد دولة أوسان (وادي مرخة، وادي شرجان، وادي ضراء، وادي بنا، وادي تبن، وادي حجر).

ح. أراضي وروافد دولة حضرموت (وادي حضرموت، وادي دوعن، وادي المعشار).

ثانياً: إقليم المرتفعات الوسطى والسهول الساحلية: وهو خصب التربة وغزير الأمطار، وأهم الأودية التي تصبّفي السهول الساحلية الغربية: وديان: مور، سردد، سهام، موزع... وغيرها.

ويذكر الهمداني أن في اليمن آباراً عجيبة هي: البئر المعطلة في ريدة، وبئر تسمى سراقة وهي لقبيلة مراد في أسفل الجوف، ذات ماء عذب، وبئر سام في صنعاء، وبئر ذي يزن ما بين زبيد وعدن، وبرهوت في حضرموت وبئر ميمون، وهناك العديد من الآبار المنتشرة في مناطق اليمن.(دماج 2009: 46).

يمكن تقسيم ملكية الأراضي الزراعية في اليمن القديم إلى الأنواع الآتية:

1. أراضي الدولة: من الناحية العملية تعود ملكية أغلب الأراضي الزراعية للملك وللدولة، وقد تضيف لها ما تستصلحه من الأراضي البور أو التي تستولي عليها الدولة نتيجة الحروب والغزوات أو التي تشتريها من الجوار.

2. أراضي المعابد: تستولي المعابد على الأرض بحكم ادّعائها أن الأرض ملك الآلهة لأنها هي التي تساعد الدول والملوك في حيازتها والسيطرة عليها بالقوة أو الحروب ولذلك لا بدّ أن تكون للمعابد حصتها منها. ولذا يهب الملك بعض الأراضي للمعبد ورجال الدين، وقد تكون هدية من ملاّك الأرض للمعابد كنذور.

3. أراضي الأقيال والأذواء: تلك التي يمنحها الملك لهولاء الأمراء ولرجال الدولة الكبار والقادة العسكريين كمكافأة لولائهم وخدماتهم. وأحياناً يقوم هؤلاء بشرائها لتعزيز مكانتهم الاقتصادية والاجتماعية.

4. أراضي أفراد (الشعب) من الفلاحين الذين يعملون فيها كمصدر عيشٍ لهم، وقد أصبحت أحياناً بيد ما نعرفه اليوم من الإقطاعيين الذين كانوا ينظمون عمل الفلاحين فيها من أجل

استثمارها في مواسم الزراعة لهم ولمن يفلح فيها.

«من جانبه يؤكد «رودو كناكيس» على أن الزراعة كانت العمود الفقري للحياتين الاقتصادية والسياسية للدولة اليمنية القديمة وعليه فإن القول باعتبار التجارة هي أساس الحضارة اليمنية وأساس توفير الفائض الاقتصادي يعد قولاً لا يعتمد على شواهد عملية مؤكدة بل إنه ينافي حقيقة التاريخ الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع اليمني، ولهذا فإن الرؤية العلمية الأكثر قبولاً تعتبر الزراعة هي أساس الحضارة اليمنية، وأساس قيام الدولة والمدنية هما عنصران أساسيان «الزراعة والتجارة» واللذان شكلا أهم عنصرين لتوفير الفائض الاقتصادي للدولة، وقد تكون التجارة هي الأساس الهام والمصدر الأول لبناء المدن وتوفير الفائض الاقتصادي في شمال الجزيرة العربية وتلك حقيقة تاريخية تتناسب وظروف تلك المنطقة، في هذا الصدد يشير خلدون النقيب في دراسته الهامة عن المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية إلى أسبقية التجارة أو نمط الإنتاج المركنتالي على اقتصاد الرعي والغزو في المجتمع الخليجي وهو في ذلك ينطلق من أن طبيعة الأرض الزراعية في الخليج لم تكن ملائمة لقيام زراعة تشكل الأساس والفائض الاقتصادي للدولة، حيث إن تلك المدن لا تملك مقومات الاعتماد الذاتي في الغذاء والماء وكانت بالتالي أقرب إلى مراكز التجارة، «الترانزيت» أو المرور للقوافل التجارية المتنوعة.» (الصلاحي 2002: 12).

ثانياً: الفصول والمواسم الزراعية

تختلف أسماء الفصول السنوية الأربعة عن المواسم الزراعية، وهناك جدل واسع، في هذا الأمر، بين الباحثين، بسبب اختلاف ما تذكره النقوش حسب أماكنها، فقد» اختلفت الآراء حول معنى «قيظ»، فقد عد اسماً لفصل الصيف، ويرى آخرون أنه اسم لموسم زراعي، وهناك من له رأي آخر، «فالقياظ» اسم غلة من غلال فصل الشتاء، ويتم حصادها في بداية فصل الربيع، وشهر «ذوقيظن» أو «ذوقيظم» هو من شهور الربيع وليس له علاقة بمعنى حرّ الصيف. كما أوردت النقوش لفظة أخرى هي «قيض» بمعنى»بادل»، «قايض»،

«عاوض»، إلا أن هناك من عدها مرادفة للفظة «قيظ». وترى الباحثة أن كلتا اللفظتين «قيظ وقيض» مختلفتان فالأولى تعني شهراً؛ وذلك لورودها في النقوش ضمن الشهور الزراعية الأخرى، أو بذكر لفظة «ورخ» التي تعني بتاريخ، أما «قيض» فتعني الأرض التي أُبدلت بزراعة محصول آخر- خاصة البقول - بعد انتهاء حصاد موسم «الصراب»، وفي ضوء ذلك ربما قُصد بهما الموسم الزراعي الثاني، بمعنى إما باسم الشهر الذي تحصد فيه المحاصيل الزراعية وهو «القيظ»، أو باسم «قيض» الدالة على معنى المبادل.» (دماج 2009: 180).

ويمكننا، إجمالاً وضع هذا الجدول المبسط الذي يكاد يكون موضع اتفاق نسبي حول المواسم والفصول وشهورها.

الفصول والموسم الزراعية وأوقاتها وأمطارها

التقويم الزراعي

لا شك أن وضع تقويم أو روزنامة زراعية أمر يختلف من زمن لزمن ومن مكان لمكان، وبسبب اختلاف بيئة وممالك اليمن ظهرت مجموعة من الاختلافات، لكن هذا لا يمنع من ترتيب تقويم زراعي مدعوم بالملاحظات والاختلافات، ويجسد هذا الجدول التقويم الزراعي الذي نظمناه من مراجع مختلفة:

التقويم الزراعي، انظر (دماج 2009: 19 ـ 24).

أنواع المعاملات الزراعية

انظر (مهران، أمل 2011: 58).

ثالثاً: النباتات الطبية والعطرية

1.البخوريات

كان للبخور أهمية استثنائية في حياة شعوب العالم القديم واليمن القديم بشكل خاص، فهو بالإضافة إلى أهميته الدينية في الطقوس والمعابد، فقد كان يستخدم في تحضير العقاقير الطبية، ويوصى به في الوصفات الطبية، وليس هناك بلاد أشهر وأعرق من اليمن القديم في إنتاج وتجارة البخور والطيوب، بسبب انتشار زراعة أشجارها الخاصة والغريبة التي انفردت بزراعتها دون سائر البلدان.

كانت اليمن «وهي المكان الوحيد الذي ينتج اللبان Libanos والمر Smyrna والقرفة kinnamon واللادن والمستكة Ladonon. ويتكبد العرب في جمعها ـ باستثناء المر ـ مصاعب كثيرة. فلكي يجمعوا اللبان يحرقون صمغ الميعة storax، والدخان المتصاعد منه يبعد الأفاعي الطائرة، وهي ذاتها التي تغزو مصر، وتتصف بأنها صغيرة الحجم وذات ألوان عديدة، وتتواجد بأعداد كبيرة على الأشجار التي تحمل البخور، والطريقة الوحيدة للتخلص منها هي إبعادها باستخدام الدخان المنبعث من احتراق صمغ الميعة.» (الشيبة 2008: 20).

وكانت اليمن قبلة الناظرين في طريق البخور الرئيسي المعروف والقوافل تجارة المارة به. وأصبح له الدور المميز في الحياة الاقتصادية والصحية والاجتماعية في اليمن، حيث كان سبباً في ارتفاع مستوى معيشتهم، وقد بلغت أسعار البخوريات والعطور اليمنية أسعاراً لا يمكن تصورها «ففي عام 75 ميلادي، كان أفضل اللبان يكلّف ستة دنانير رومانية مقابل نصف كيلو، وهو ما يساوي أكثر من راتب معظم الرومانيين عن أسبوعين، في حين أن نصف كيلو من اللادن يباع بأربعة دنانير ونصف الكيلو من المرّ (الذي كان مرغوباً بشدة بوصفه دواءً) يصل إلى 50 ديناراً، أما القرفة (وهي شديدة الندرة)فقد كان نصف الكيلو يباع بألف وخمسمائة دينار.» (غروم 1999: 74).

أما طرق تجارته فانقسمت إلى الطرق البرية المتمثلة في طريق واحد هو طريق البخور، وطرق فرعية متصلة به: جنوبية وشمالية، وهناك الطرق البحرية من موانئ اليمن

والمتجهة غرباً تجاه الساحل الشرقي الأفريقي، أو شرقاً تجاه الموانئ الهندية، وهناك محطات تجارة البخور والموانئ البحرية التي كانت تنطلق منها السفن المتاجرة بالبخور.

تسمى المباخر أو المجامر: م ق ط ر (مقطر) حيث «ق ط ر، م ق ط ر (جمع)،م ق ط ر ت (اسم)، "مقطرة "، " مجمرة " (للبخور)، ورد في نقش CIH 338/8))، وقد عرفت المبخرة في لغة اليمن القديم باسم (م ق ط ر) (81)، فقد أتت كثير من النقوش بهذا الاسم، وقد عثر على نماذج عديدة منها مصنوعة من مواد مختلفة، ولاحظت مباخر جيرية رخامية، ذات غطاء مفتوح من الأعلى، وتوجد بعض المباخر مفتوحة (مبخرة برونزية) في مقدمتها وعل، وبعضها الآخر ثور..

وهي ذات أشكال متعددة دائرية وغيرها، وقد تفنن الإنسان اليمني القديم في عملها، وقد نقش على بعضها اسم البخور الذي يحرق فيها، واسم صاحبها، واسم المعبد الذي خصصت له، والإله الذي نذرت له، وهناك قطع أثرية تعطينا الحفريات غير الشرعية فكرة وإن لم تكن كاملة عن نوعية القطع في المعابد مذابح، مباخر، موائد إراقة السوائل (الخمور)» (عبد الله، محمد أسوان، البخور والمباخر في العربية الجنوبية من خلال المعطيات الأثرية والتاريخية 4، موقع آفاق التاريخ 16/04/2020،)https://wefaq.net/c/horizons/67.

وتحفل الآثار بالعدد الكبير من المباخر المتعددة الأصناف والأنواع والأشكال، والأوعية الحافظة للبخور على هيئة جرار صغيرة أو بشكل صناديق لها أغطية.

المذبح الدائري على القاعدة المخروطية من معبد بران، المذبح العمودي فريد من نوعه وقديم نسبياً، وهناك المذبح المزين بقرص وهلال ظهر منذ القرن الخامس قبل الميلاد واستمرت في الظهور في بلاد اليمن وفي الحبشة وهي تحمل نقوشاً خاصة بالنذور.

أولاً البخوريات

1. اللُبان

انظر (دماج 2009: 55 ـ 70).

انتعشت تجارة البخور واللبان في القرن الأول قبل الميلاد، وانتعشت معه دولة سبأ ومدارها الاتحادي الذي كانت تدور فيه أغلب الممالك اليمنية في زمنها، وأصبح الطريق التجاري لها دولياً» كانت قوافل اللبان تنطلق من شبوة إلى معين غرباً كي تتلافى عبور الربع الخالي. وكانت هناك بعد ذلك دروب مختلفة تلتف من حول كثبان صحراء رملة السبعتين، على مرّ الزمن، سوى أنه في القرون الأخيرة، حين كانت قتبان في أوج عظمتها، كان الطريق يمر على وجه الاحتمال بمدينة تمنع عاصمة هذه المملكة، وذلك بعد أن تم إعداد ممر مبلقة الجبلي الخطير (في شمال تمنع) لتسهيل المرور. أما قوافل المرّ فقد كانت تصل إلى الدرب الكبير في هذا المسار. وكان الدرب يتجه من مأرب نحو الشمال مارّاً عبر نجران، ودبدان (حيث كان للمعينيين فيها مستعمرة)، ثم بترا وغزة؛ أما التجار القادمون من جرها على الخليج الفارسي فقد كانوا يذهبون من جهتهم بالطيوب باتجاه الشرق وبلاد الرافدين. كانت الرحلة تنقسم إلى خمس وستين محطة، تتخللها نقاط لدفع رسوم باهظة وضرائب حق المرور وخلافها من الضرائب على امتداد الطريق.» (غروم 1999: 73).

لكن الطريق البري لهذه التجارة بدأ بالضعف، وقد ساهمت الإمبراطورية الرومانية بإضعافه بعد أن عجزت في السيطرة عليه، و«انطلاقاً من القرن الأولى الميلادي كانت التجارة تتم بالتدريج عن طريق البحر. وكانت السفن الرومانية وعلى متنها طواقم يونانية تحمل الطيوب إلى الموانئ المصرية على البحر الأحمر، وكذلك كميات كبيرة من التوابل القادمة من الهند؛ ومن هناك كانت البضائع النفيسة تنقل بواسطة الجمال على درب مجهز باستراحات ماء وصولاً إلى النيل الذي كان يؤدي إلى الإسكندرية، العاصمة الشرقية لإمبراطورية روما. وقد زالت أهمية الطريق البري إثر الحروب الداخلية في بلاد اليمن، وربما كان ذلك قبل زمن طويل من انهيار الطلب على اللبان في روما مع تبني الديانة المسيحية ـ باعتبار أن هذه الخيرة لم تستخدم اللبان لعشائرها إلا فيما بعد.» (غروم 1999: 73).

2. المُرّ

انظر (دماج 2009: 70 ـ 74).

3. الذِهْب

نوع من أنواع البخور كان يستخدم كبخور في المعابد، وربما كان له استخدامات طبية مثل أنواع المحاصيل الطبية والعطرية الأخرى، نوع من البخور يسمى الطيب الذي يعمل للحلي وفيه خلط من الفضة والنحاس، وهو أحد أنواع المواد العطرية التي تدخل في تركيب البخور؛ كونه جاء ذكره في النقوش ضمن أسماء محاصيل طبية وعطرية أخرى ـ كما أسلفنا ـ كما يستخدم في المعابد، وربما في الاستخدامات الطبية أيضاً.

4. الصرف

أحد أنواع البخور (صرفم) ربما كان اليمنيون يصنعون بعض تماثيل التقديمات منه.

ألفاظ البخور وما يتعلق به:

المرجع: عبد الله، محمد أسوان، البخور والمباخر في العربية الجنوبية من خلال المعطيات الأثرية والتاريخية، موقع آفاق التاريخ 16/04/2020،
(https://wefaq.net/c/horizons/75)

ثانياً: الطيوب

العطور التي تصنع من النباتات العطرية سواء كانت صلبة أو سائلة، وهناك أنواع من الطيوب التي تقدم كقرابين للمعبودات.

1.القُسط

2. السليخة

3. قليمة: كان يستخدم كبخور في المعابد، واستخدم في الوصفات الطبية الخاصة بالكلى لكونه يدرّ البول، وفي الطمث، وهو يعالج السعال وآلام الكبد والمعدة.

4. كمكام: استخدم كبخور في المعابد وكتقدمة للآلهة، وكمادة طبية وعطرية.

5. ضرو: استخدم كبخور في المعابد ولصناعة العطور. ويستعمل كسواك، لورقه استعمالات طبية حيث يوضع في زيت العطر ويتداوى به من خشونة الصدر، ووجع الحلق. ودهن حبه يطرد الرياح البلغمية، وينفع من الإسهال، وإذا طبخ ورق الضرو بالدهن وقطر في الأذن؛ نفع من وجعها، أما إذا طبخ بماء وتمضمض به عمل على شد اللثة. ويسهل عسر الولادة؛ ولذلك سمي المنقذ. كما ينفع رماد أوراقه إذا خلط بالماء وطبخ ويشرب بعد أن يصفى في شفاء وجع الخاصرة.

6. لادن: يستعمل كبخور عطري في المعابد، ويدخل في صناعة العطور وعلاج الأمراض، فهو مليّن، وينفع في أمراض الرحم مدر نافع للنزلات والسعال ووجع الأذن، ويقوي الكبد والمعدة. وهو أفضل ما عولج به الشَعر في جميع الأعراض، وكل شيء في هذه الشجرة يستخدم في التداوي.

7. رند: كان الرند يستخدم في المعابد اليمنية بخوراً للمعبودات. وللرند فوائد طبية، فإذا أخذ من ورقه مسحوقاً وضمد به نفع من لسع النحل والزنابير، أما حبه فينفع قرحة المعدة، والرئة، وعسر النفس إذا استعمل مع العسل، ولحاؤه يفتت الحصى، وينفع من علل الكبد، وإن رش نقعه في البيت طرد الذباب، وإذا طبخ ورقه بالخل نفع من وجع الأسنان.

8. قطر: من المحاصيل الطبية والعطرية يؤكد استخدامه في المعابد اليمنية القديمة.

9. نعم: استخدام النعم في المعابد كبخور للمعبودات. ومن المحتمـل أن يكون قد تم استخدامه كما المحاصيل الطبية والعطرية التي ورد ذكرها على المباخر.

10. قبل: من المحاصيل الطبية والعطرية فـي نقوش المسند يؤكد استخدامه في المعابد اليمنية القديمة. ويرجح أن يكون له استخدامات أخرى كما لتلك المحاصيل التي يـدخل بعضها في الأدوية.

11. حذك: من المحاصـيل الطبيـة والعطريـة يؤكـد استخدامه في المعابد اليمنية القديمة.

12. أظم: يستخدم في المعابد اليمنية بخوراً للمعبودات. ومـن المرجح أنه استخدم كما المحاصيل الطبية والعطرية التـي ورد ذكرها على المباخر.

الأعشاب الطبية والعطرية المحتملة

ورد ذكرها في النقوش المسـندية، وقـد يكون تم الاستفادة منها في الاستخدامات الطبية وغيرها. وهي كما يلي:

رابعاً: المحاصيل الزراعية الغذائية

المحاصيل الزراعية في اليمن هي عماد الاقتصاد ومعيشة الناس، وكانت سبب الاكتفاء الذاتي لليمن القديم، ولعل الجهد الذي كان يبذله الفلاحون اليمنيون لا يعادله جهد آخر، فهو الوجه المشرق للحضارة اليمنية، وهو الوجه المضاد لما كانت تسفكه الحروب والنزاعات الداخلية في اليمن.

حملت النقوش اليمنية المكتوبة أسماء المحاصيل الزراعية كالحبوب والخضروات والفواكه، وفيما يلي هذا الجدول الموجز لهذه المحاصيل وأماكن زراعته واستعمالاتها الأخرى من غير الغذاء اليومي:

انظر (دماج 2009: 102 ـ).

الفواكه

انظر (دماج 2009: 110 ـ 114).

الخضروات والبقول:

انظر (دماج 2009: 114 ـ 117).

خامساً: الثروة الحيوانية

كانت ذرية الحيوانات تسمى (ن س ل)، وكانت تربية الحيوانات أمراً بديهياً في حياة اليمنيين القدماء ترافق عملهم في الزراعة بشكل خاص وتعتبر تربيتها نوعاً من الحرف، وكانت الحيوانات التي تقع ضمن الثروة الحيوانية كثيرة، وسنذكرها في هذا الجدول (ما عدا الطيور والأسماك وحيوانات البحر):

المبحث الثالث: الريّ

أولاً: أنواع الريّ في اليمن القديم

اعتمدت الزراعة على الأمطار الموسمية، في عصور ما قبل التاريخ، ولذلك نشأ موسمان للزراعة بدأ الأول في نيسان حيث الأمطار الغزيرة وكان هذا الموسم ربيعياً، أما الثاني فهو موسم خريفي (خ ر ف) يبدأ بين شهري تموز وآب بسبب سقوط الأمطار الموسمية أيضاً. وفي كلا الحالين كانت الزراعة تتم بوضع البذور في الأرض قبل هطول الأمطار بقليل، أو ببذرها في الطمي الناتج عن الأمطار والسيول بعدها.

من هنا جاءت فكرة الريّ الذي يمكن السيطرة عليه في العام كلّه، ولذلك ظهر الريّ في اليمن مبكراً مع بداية العصر البرونزي قبل الألف الثالث ق.م، «حيث عثر على بقايا قنوات

ريّ بدائية تعود إلى تلك الفترة. ففي منطقة مأرب عثر على منشآت ري ضخمة تقع في مجرى وادي ذنة أنشئت على فترات متلاحقة. وجرى تحديد التسلسل التاريخي لبداية الريّ عن طريق بعض العناصر بواسطة كاربون 14، وكانت النتيجة أن الريّ بدأ في مأرب بالألف الثالث ق.م، وفي وادي مرحة يعود إلى الألف الرابع ق.م، أما في حضرموت فقد مارس السكان الريّ البدائي خلال عصر البرونز، وقد ترتب على ذلك ظهور الجماعات الزراعية في أعالي الأودية هناك» (دماج 2009: 7 ـ 8).

في عصور ما قبل التاريخ شملت الزراعة أنواعاً مختلفة من النباتات والمحاصيل مثل الحنطة والشعير والذرة والدخن والشوفان والذرة البيضاء، ولم يتم التأكد بعد من زراعة النخيل والقطن.

أما في العصور التاريخية فقد اتسعت مديات الزراعة وشملت أغلب ما نعرفه من المحاصيل الزراعية المألوفة، وكانت تخزن في حفر عميقة داخل البيوت، واستخدمت الأدوات الفخارية للخزن أحياناً.

اختلفت تواريخ ظهور الري في بلاد اليمن، فعلى سبيل المثال بدأ الري في وادي مرخة في الألف الرابع ق.م، وفي مأرب بالألف الثالث ق.م، وفي حضرموت في العصر البرونزي، وفي منطقة صبر (لحج) في الألف الثاني ق.م. أما أقدم زراعة تعتمد على الري فقد ظهرت في وادي الجوبة في حدود 3200 ق.م.

1. المطر المباشر: يبدو أن تقسيم الفصول والمواسم الزراعية في اليمن القديم قام على أساس كثافة الأمطار منذ بداية الفصول وتناقصها التدريجي.

يبدأ فصل الصيف من منتصف (مارس/ آذار) وهو غزير الأمطار يسمى (دثأ) وفيه الموسم الزراعي الأول واسمه (الصراب) وهو الموسم الأكبر بسبب غزارة الأمطار. ويستمر لثلاثة أشهر.

وتقلّ الأمطار في فصل الخريف (قياظ) في منتصف الشهر السادس (حزيران) وفيه الموسم الزراعي الثاني، وتقلٌّ أكثر في الشتاء (سعسع) الذي يبدأ في منتصف الشهر التاسع بل إنه يكون بارداً وجافاً. ويزداد الجفاف مع شهر الربيع (مليم، ملي).

هذا الأمر غير المألوف، والذي يشبه بعض مناطق الهند، هو الذي يقلب التصورات رأساً على عقب.

يقوم اليمنيون ببناء المدرجات (جروب)، وتسمى عملية بناء المدرجات باليمنية (جرب) وهي ما زالت موجودة بالاسم نفسه في محافظة حجّة (منطقة بني الخولي) وفي مناطق محافظة ذمار. وأهم مزروعات المدرجات هي الكروم.

2. السواقي (المسإيل): وتسمى باليمنية (منخي) و(مأتو) وهي ما يتجمع من الأمطار في المرتفعات غير المستصلحة لتحويل المياه المستصلحة أو بذهابها إلى السدود والخزانات والصهاريج. وكانت تقام على أطراف الأودية والمنحدرات أيضاً وفيما كانت المياه تتوزع إلى الأرض المزروعة أو إلى الأحواض والخزّانات. وأشهرها ساقية مدينة (ربدة) وساقية جبل شبام كوكبان.

3. الصهاريج الأرضية (نقب): ابتكر اليمنيون حفر الصهاريج تحت الأرض، والتي ما زالت آثارها عند قمم الجبال، كانت تُخزّن فيها مياه الأمطار، وكانت أحياناً مزدوجة قريبة من بعضها واحدة للخزن العام وواحدة لاستقبال الماء الصافي بعد ركود الطين في الأولى.

سمى الحضرميون الصهاريج الأرضية بـ(نقب)، وكان يصل طول بعضها إلى عدة كيلومترات وتطلى بمادة تعرف بـ(القضاض) حتى لا يتسرب الماء منها، وتُزود بالأعمدة داخلها لكي تعرف مناسيب المياه في أعماقها ولكي يتم التوزيع العادل لحصص الفلاحين من المياه التي فيها.

ربما بدأ ظهور الصهاريج الأرضية في حدود القرنين الخامس ق.م، والأول الميلادي. أشهر الصهاريج هي صهاريج مدينة (حريب)، وصهريج (جبل برط).

4. حُفر كريف: الكريف هو الحفرة تحت الأرض والمطلية بالقضاض، وهو نوع من الصهاريج التي تجمع فيها الأمطار الذي تبنى فيه الأعمدة. والتي تسقّف فوهتها، وهي حفر صنعتها الطبيعة أو تمّ حفرها لأغراض أخرى لكنها تحوّرت لأغراض خزن المياه من الأمطار أو السواقي والقنوات أشهرها كريف (خولان، رداع...إلخ).

5. الصهاريج العادية: وهي مخصصة لشرب المياه فقط. بعد تصفية الماء المطري أو النهري وخزنه للشرب.

6. المآخذ (جمعها مآخذت): وهي سدود حجرية قوية تبنى في الأماكن الأضيق في الوديان، لها جدار واحد ضخم مطلي بالقضاض، وتظهر على جانبيه القنوات الخاصة بتصريف المياه وأشهرها سدود (شاحك ـ ذي يفد، العرم).

7. المأجل: بركة تسوّر بالحجارة وتطلى بالقضاض، تجمع المياه وتستخدم للحاجة في السقي.

8. البركة: وهي البرك الطبيعية التي تظهر بعد سقوط الأمطار.

9. المياه الجوفية: وهي مياه الأمطار التي تصل إلى أعماق الأرض وتظهر أحياناً على شكل ينابيع أو غيول وهي على أنواع:

أ. الغيول والعيون: مياه تسيل من جوف الأرض في أنهار وسواقي تسمى (غيل) جمعها (أغيل) وعندما تتوسع تسمى (بقر)، وهناك الـ(عين) جمعها (أعين).

ب. الآبار: تنفع في الجفاف تسمى (بارُ) وحفرها (برُ)و (عشق)، وتوسيعها (ناي)، و(قيح) أي طينها وحصصها.

ثانياً: سدود اليمن القديم

لم تكن هناك أنهار كبيرة دائمة الجريان في اليمن ليستعين بها المزارعون في سقي أرضهم، فقد كانت هناك وديان كبرى تجري فيها الروافد المؤقتة مثل وديان (الجوف، ذنة، بيجان، مرخة) تصب فيها مياه السيول الجارفة المتكونة من الأمطار الموسمية والنازلة من قمم الجبال والهضاب في كل عام مرتين (نيسان / أيار) و(تموز / آب) وهي محملة بالطمي، وتصب هذه الوديان في وادي حضرموت الذي يصب في المحيط الهندي.

استطاع اليمنيون القدماء استخدام مياه السيول، واعتبار مستعمرات الطمي الراكدة أراضٍ زراعية، «الرواسب من الغرين الدقيق، والرمال والطمي والطين المودعة بعد تسرّب المياه تؤلف الحقل. هكذا بنيت على امتداد العصور في كل جانب من جانب مجاري الوديان وبعزيمة البشر مساحات واسعة مسطحة ذات لون أصفر فاقع، سماكتها من 2 إلى 15 متراً، ويمكن التعرف على هذه المساحات من الأرض القديمة على الرغم من تعريتها اليوم بواسطة التآكلات الواضحة بسبب الانجراف والتي تحاذي أسفل المنحدرات السوداء. وقد خلفت الجماعات البشرية التي كانت تعيش قديماً على أراضي اليمن والتي أنتجت ما نسميه حضارة جنوب الجزيرة العربية وراءها الآثار المادية الدالة على تقنية بارعة في السيطرة على المياه استطاعوا بفضلها أن ينتجوا مزيداً من الغذاء كل سنة، متيحين بذلك إمكان توفير احتياطات وأن يستمتعوا بخير المقايضة ما دام التبادل ينتج الثروة. هذا ما تعنيه بقايا السطوح المروية وآثار الأعمال المائية القائمة بالقرب من المعابد أو المدن أو آثار البيوت المصحوبة بالفخار المكسّر أو بأدوات الاستعمال اليومي أو القبور أو النقوش التذكارية.» (جانتل 1999: 76).

لعبت الرطوبة الدور الثاني بعد الأنهار في استخدامها في السقي، لأن» الأمطار لم تكن تكفي من أجل زراعة مسقية. وشيئاً فشيئاً كان يحتفظ برطوبة الطمي بواسطة حواجز بدائية، من أجل حمل الماء إلى الحقول عند الضرورة من جهة، ومن أجل توسيع الأراضي المزروعة القائمة بصورة طبيعية فوق مستوى جريان مياه الوديان من جهة أخرى. ولا بد

أن الفلاحين قد لاحظوا دون شك أن نظام السقي البدائي هذا كان يجلب إلى الحقول طمياً شديد الخصوبة. إن استخدام هذه الطريقة في تحسين الأراضي بواسطة نظام الري أمر ثابت في أماكن شتى من مأرب. فقد بنيت على الصخور البازلتية جدران صغيرة محكمة لتحجز الماء؛ وكان الطمي إذ يستقر في أعلى مجاري الوديان يعطي خلال عدة عشرات من السنين أراضٍ جديدة قابلة للزراعة. كان من المهم مع ذلك ألا تتعرض هذه الأراضي المكتسبة حديثاً وبالتالي الهشة إلى الانجراف بفعل مياه السيول: ففي مأرب كانت تحمى بواسطة وضع حجارة في القنوات تحرك عند الحاجة لتصريف مياه السيول الزائدة.» (برونر 1999: 53).

لكن الطمي ترسب في الحقول وارتفت طبقات منه لتحجب الزرع عن عمقه المطلوب، وكان لا بدّ من ابتكار نظام سقي وري يخلو من الطمي فكانت فكرة إقامة السدود التي يرسب فيها الطمي ويطفو الماء القابل للسقي دون صعوبة. بدأت فكرة السد من حفر قناة رئيسية يحاذي أرض الطمي المزروعة، وإنجاز منحدر أقل من منحدر الوادي ووضع سدٍّ في نهايته لحجز المياه، ثم التحكم بتوزيعها.

اجتمعت الطبيعة مع عبقرية أهل اليمن القدماء في صناعة السدود التي كانت تحفظ لهم مياههم وتوجهها، فقد عمّت أرض اليمن السدود المتقنة الصنع، وقد أحصى الباحثون ما يقرب من مئة سد قديم كان لها الفضل في العيش الزراعي الرغيد في اليمن السعيد. وقد قام القاضي إسماعيل بن علي الأكوع بوضع إحصاء مفيد للغاية لسدود اليمن القديم في كتابه: سدود اليمن (انظر الأكوع 1995: 10 ـ 20).

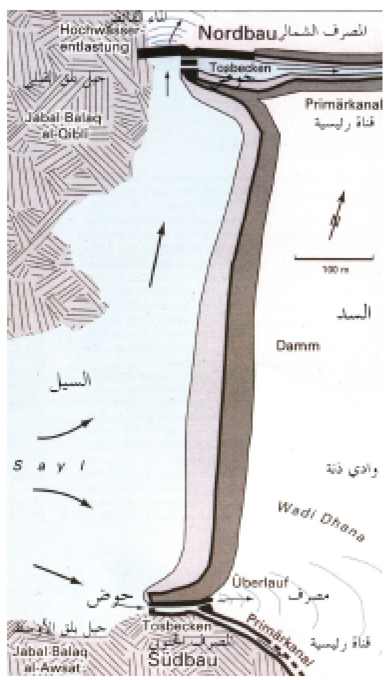
كان السد يسمى في اللغة اليمنية القديمة (عرمن، أو عرم). أما أشهر السدود القديمة فهي سدود: مأرب، قتاب، شعران وطمعان، عباد لحج، ساجر، الخانق، شاحل، أضرعة..إلخ

ولعل الأمر يحتاج كتاباً طويلاً للحديث عن هذه المعجزة الهندسية في بناء السدود اليمنية القديمة، لكننا سنختار الحديث عن أهم سدّ عرفته اليمن في تاريخها وأصبح مثار شهرتها وهو سد مأرب.

يقع سدّ مأرب في محافظة (مأرب) اليمنية وتعود بداياته إلى القرن الثامن ق.م، وهو أ حد أقدم سدود العالم القديم، أنشأه السبئيون في (وادي أذنه) الذي كان يستقبل الأمطار الموسمية الهائلة، ولذا أقيم السد على منحدر الوادي في شكل أخدود كبير يشق الجبال على تخوم الصحراء في مفازة صيهد (رملة السبعتين).



(المخلافي 2019: 46).



مخطط سد مأرب

عن (المرقطن 2013: 214)

ظهرت عدة نقوش، في موقع سد مأرب عند مخرج وادي أذنه باتجاه واحة مأرب، تؤرخ بناء السد في القرن الثامن ق. م. أحدها نقش مكتوب بطريقة المحراث مقوش على صخرٍ في مدخل الوادي بارتفاع 7أمتار، وربما كان يعني سدّا آخر قريباً من سد مأرب.

Maraqten - Marib 4

وكانت تكمن، أهميته في تهدئة المياه المندفعة عند (CIH وتطورها جزء من المصرف الجنوبي (622

فتح المصرف قبل أن توزع إلى القناة الرئيسية باتجاه الواحة الجنوبية.

النص: يوضح كيف تكوّن خزان حبابض.

نقش كوربوس 623: يوضّح بناء المصرف الجنوبي

قام به المكرب السبئي سمهو علي ينوف بن ذمر علي في القرن السادس ق.م، وهو مكتوب بخط المحراث.

نص يوضح كيف حصل شخص على حق استخدام مجرى الماء.

المبحث الرابع: الحرف والصناعات

أولاً: الحرف

1.الحرف الرعوية:

كان الرعي من أقدم الحرف في التاريخ بعد الصيد، وكانت بدايته في اليمن قبل عصر الزراعة النيوليتي، أي في حدود الألفين الثامن والسابع قبل الميلاد بعد أن استأنس

الإنسان الحيوانات ودجنها، وجاءت كلمة (م ر ع ت) في الكتابة المسندية لتشير إلى اسم المرعى، وجمعها (م ر ع ي) بمعنى الرعي.

«للقبيلة مراع خاصة بها لا يشاركها أحد فيها، ونلمس ذلك من خلال نقش جاء فيه: «إن المعبود تالب (وهو إله الرعي في جنوب الجزيرة العربية) يحمي مراعٍ معينة لصالح قبيلة ويحذر المجاورين لها من رعي ماشيتهم فيها». وهناك أيضاً مراع خاصة (المعابد)، حيث ورد في نص:»إن المعبود تالب يمنع رعي الماشية في منطقة محددة تابعة للمعبد». وجميع المراعي الخاصة والمذكورة آنفاً، تدخل ضمن نظام الأراضي المحمية، والتي عُرفت بنقوش المسند الجنوبي بلفظة: م ح م ت وم ح م ي م، أي: المحماة والمحمى، بمعنى: الأرض المحماة أو الحمى. وهي الأرض الخصبة التي يمنعون العامة من الرعي فيها حتى ينمو الكلأ وترعى دواب الخاصة بها.» (البريهي 2000: 140).

«في نصوص المسند بمعنى مرعى، يدل بوضوح على علاقتهما الوطيدة بالعشب والكلأ، والكلأ في عرف القبيلة ملك لأفرادها، يرعون فيها بحرية تامة، ولا يحق للغريب دخول مرعى غير مرعى قبيلته، وبالرغم من أن هذه المراعي ملك للطبيعة إلا أنها بيد من يستولي عليها بالقوة، وهو صاحبها ما دام قائماً عليها، وإذا ما ارتحل عنها سقط حقه فيها، وانتقل هذا الحق إلى النازل الجديد، وبذلك تكون الأراضي الرعوية عامة، ومشاعة بين جميع أبناء القبيلة. إلا أن هذه الملكيات الخاصة أو العامة عادة ما تزول بانتهاء العشب. وعلى أي حال فإن المراعي (العامة) لا تدخل في ملك أحد، ويرعى فيها كل أبناء الحي، وجميع أبناء القبيلة، وتعرف بالمراعي المتنقلة أو مراعي الأعراب، فهي موسمية، وتعتمد على الرطوبة التي تتركها الأمطار على سطح البوادي.» (البريهي 2000: 141).

هناك المراعي الخاصة التي تسمى (ع ش ب ت) وتسمى أيضاً (م ح ج ر ت) التي هي المراعي التي فيها أشجار، وتحظى هذه المراعي بعناية وسقاية خاصة، ولذلك يصبح عشبها دائمياً، وترعى فيها الماشية والأغنام والخيول طيلة العام.

وكانت مراعي الملوك والأقيال تسمى (ذ ود) وهي مراعي باذخة ومعتنى بها.

أما (م ر ب ض) فهي مراعي الدولة التي لا يسمح الرعي فيها إلاّ بنوع من التصريح والإجازة.

المراعي العامة تسمى (ك ل أ) أي عشب وهي الحقول البرية التي ينمو فيها العشب بشكل تلقائي، وتسمى أيضاً (ع ش ب ت وك ل أ).

وتسمى حرفة الرعي ب (ر ع ي)، ويسمى حارس الدواب (ق ر ش ت)، وهناك ما يعرف بالشركاء الذين يرثون مهنة الرعي ويمتهنونها لأنفسهم ولغيرهم، وقد يملكون من الحيوانات ما يرعون بها.

وهناك حرفة الوسم أي الذين يوسمون الحيوانات بعلامات خاصة.

«وس م، س م ت (اسم)،»وسم، سمة، علامة» ك 553+554/2. عُرفت الوسوم على الحيوانات في مرحلة ما قبل الكتابة حيث عثر عليها متحدة مع أشكال الحيوانات المرسومة على الصخر. حيث نقشت على أجساد الجمال والبقر. (شكل رقم 14)، وغالباً ما تكون مطابقة لحروف البادية. (شكل رقم 15)، والوسم: أثر الكي والجمع وسوم، وقد وسمه وسماً وسمة إذا أثر فيه بسمة وكي.»وفي الحديث» أنه كان يسم إبل الصدقة: أي يُعلم عليها بالكي. والجمل أكثر ذوات الأربع شهرة بين الأعراب، وأكثرهم تشابهاً، لهذا اتخذت كل قبيلة في الجزيرة العربية وسماً أو وشماً لها تضعه بواسطة الكي على حيواناتها، حفاظاً عليها من الضياع والسرقة. ولا يحق لقبيلة أن توسم حيواناتها بعلامات أخرى. (شكل رقم 16).» (البريهي 2000: 149).

2.الحرف الزراعية:

كانت الفلاحة أهم الحرف الزراعية، وكان لها خصوصيتها في اليمن فقد تضمنت الزراعة في مياه السيول داخل بطون الأودية المتكونة من الأمطار، وتضمنت الزراعة على مياه الأمطار وهو ما يعرف باسم الزراعة البعلية، حيث تكون التربة خصبة صالحة للزراعة بعد

جفاف الأمطار حين تنثر الحبوب فيها باستخدام عصاً مدببة لحفرها السطحي ثم تغطى بالتراب بعد البذر.

وهناك الزراعة على مياه الآبار والعيون وعند أماكن الخزانات والصهاريج التي تحفظ مياه الأمطار. وهناك الزراعة التقليدية عن طريق الحراثة وبذر البذور فيها، ويتم الحرث في الأراضي السهلية أو في أراضي المرتفعات والمدرجات بواسطة المعول أو الفأس.

ثانياً: الصناعات

لعبت الصناعات اليدوية دوراً مهماً في الاقتصاد اليمني بالقديم بعد التجارة والزراعة، وكيف ساهم عمال الصناعات المعندية فيها، وجاء في النقوش اليمنية أن «ن ك ر (اسم)، «العامل المضيف»، «العامل الأجنبي». وجاءت هذه اللفظة في نقش يمن 13/ 12 كما يلي: وأ هـ ي ل/ ن ك ر هـ م و/ وش ع ب هـ م و/ ر د م ن/ وخ ول ن. وتفسيرها: وقوى عمالهم المجلوبين وقبيلتهم ردمان وخولان. أي إن العمل قد تم إنجازه بعون عمالهم المجلوبين من خارج منطقتهم وبتعاون قبيلتهم ردمان وخولان، كما ورد في نقش ر 5094/ 3، 4 ما يلي: ب ل ي / م ر د أ م/ ب ك ل م/ أ و/ ن ك ر م، ومعناها: بلا مساعدين سواء كانوا من داخل القبيلة أو خارجها. ووردت أيضاً في نقش ك 81/ 6 بمعنى: ابتلى، أصاب. وتعتبر العمالة من دعائم المقومات الصناعية الأساسية وكانت متوفرة في المنطقة سواء كانوا من بعض العرب أو الموالي والرقيق. حيث ذكر الهمداني في حديثه عن معدن الرضراض: «أن أهله جميعاً من الفرس، ممن تأوب إليه في الجاهلية، وأيام بني أمية وبني العباس، وكانوا يسمون فرس المعدن، فوجد بصنعاء منهم بنو سردويه وبنو مهدويه، وبنو زنجويه، وبنو بردويه وبنو حمدويه. كما وجدت أسر مسؤولة عن سك العملة السبئية لمدة طويلة مثل: أسرة «حي ابلتم».» (البريهي 2000: 290).

1.الصناعة الفخارية

رغم ندرة الفخار في الطبقات العميقة في جميع المواقع الأثرية اليمنية، لكنه متوفر على سطوح المواقع الأثرية بالآلاف في شكل «شقف «لأوانٍ مكسرة بسبب الحفر العشوائي غير القانوني للآثار.

يرى الدكتور عبدة عثمان أن تفسير ندرته يكمن في التعرف على المواد الخام، غير المواد التي استخدمت في صناعة الفخار التي استخدمها في صناعة أواني وأدوات لتجهيز وطبخ الطعام وتقديمه، أو المواد التي استخدمت لنقل وحفظ الماء والسوائل الأخرى، أو أدوات التخزين. فالمعلومات العلمية والأدلة الأثرية المتوفرة، وهي كثيرة، تظهر أن اليمنيين استخدموا مواد متوفرة في صناعة ما كانوا يحتاجونه من الأواني التي ذكرت مثل الألبستر الذي يتوفر بكميات كبيرة في اليمن، الاستياتيت (الحجر الصابوني) التي صنعت منها الحرض، جلود الحيوانات صنع منها أدوات لنقل المياه وتخزين الحبوب، الزجاج، البرونز والنحاس والحديد استخدم التي استخدم جميعها في صناعة الأواني المنزلية والمسارج والخشب.

هذا الاستخدام الواسع للأواني المصنعة من الأحجار والخشب والجلود قلل من شيوع صناعة واستخدام الفخار في اليمن، وهذا يفسر لنا لماذا الفخار هو نادر في الطبقات الثقافية المطمورة في المواقع الأثرية في اليمن.

كان صنع الفخار يدويا ً ولم تستخدم العجلة الفخارية بشكل واسع في الصناعة الفخارية، واستخدموا العلف والقش والحصى كمواد تقوية في صناعة الفخار، وهي مواد يندر استخدامها في الصناعات الفخارية ويقلل من قيمتها، واستخدام الطلاء والزخرفة الغائرة في الأواني ولم يتجاوزوا في ذلك ما كان معمولاً به في ثقافة العصر البرونزي الثاني في بلاد الشام، بل نجد أن معظم صناعاتهم تشبه صناعة العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي في ثقافات بلاد الشام.، وأكدوا على صناعة الأواني الكبيرة الحجم (الزير) التي يتجاوز طولها ذراع اليد، حيث لا يستطيع الفخاري التحكم في رطوبة العجينة، استخدم الفخاريون في اليمن تقنية التنعيم التي كان معمولاً بها في البلدان

الأخرى وذلك بإضافة طبقة رقيقة ناعمة وخفيفة جداً ذي لون أحمر غامق على سطح الآنية من الداخل.

كل هذه الأمور جعلت الصناعات الفخارية اليمنية القديمة نادرة ومصنوعة بمستوىً بسيط.



فخار سبئي

2.صناعة المباخر:



المباخر وقرابين البخور

Räucheraltäre (Foto: DAI / Irmgard Wagner)

3.الصناعات المعدنية:

أ. الصناعات الحديدية (ف ر ز ن): فرزن هو اسم الحديد في اللغات اليمنية القديمة، ومن أهم صناعاته في اليمن هو الأسلحة، كالخناجر والسيوف والرماح. وهناك صناعات حديدية أخرى مثل ألواح تقوية الحصون الحديدية، والمساحي والفؤوس والإبر والمخايط والحلقات وغيرها.

ب. الصناعات الرصاصية (ص هـ ر): يستعمل الرصاص في أساسات تقوية الأعمدة المعمارية، ووصل الأحجار.. وغيرها.

ج. الصناعات البرونزية (ذ هـ ب م): ذهبم وذهب تعني البرونز أو نحاس» ذ هـ ب: تختلف لهجات النقوش العربية الجنوبية القديمة في دلالة كلمة ذهب عن سائر اللغات السامية الأخرى، فبينما هي في عربية النقوش الجنوبية القديمة تعني»نحاس»، تفيد معنى»ذهب» في اللغات السامية الأخرى.» (السعيد 2003: 29).

ومن صناعات البرونز التماثيل بكل أنواعها وصناعة أدوات الإضاءة كالمصابيح والأسرجة، وصناعة اللوحات الفنية والأواني والمكاييل والموازين، والأجراس وغيرها.

د. الصناعات الفضية والذهبية (صرفن فضة، طيبم ذهب): ونصنع منها التماثيل والنقود والحلي والمجوهرات.

هـ. المصنوعات المختلفة: مثل صناعة الأحجار الكريمة.

المبحث الرابع: التجارة

ظهرت الملامح المميزة للتجارة في اليمن القديم مع بداية العصر البرونزي، وقام السبئيون والمعينيون بقيادة التجارة البرية والبحرية في الجزيرة العربية وخارجها مع مصر والحبشة والهند وحتى الصين. وكان التبادل التجاري، في الدولة السبئية، يشمل البخور والتوابل واللبان والذهب والفضة والأحجار الكريمة.

أولاً: التجارة الداخلية

كانت تتم بين الممالك والمدن اليمنية، وقد بدأت مبكراً ولكنها نشطت» عند ملتقى القرنين الرابع ـ الثالث قبل الميلاد تمكن المعينيون من تأسيس شبكة من المستوطنات التجارية على طول شبه الجزيرة العربية، كانت أبرزها المستوطنة المعينية في تمنع،(حاضرة قتبان ـ المعينييون بتمنع(m’nm/btmn) في الجنوب ومستوطنة العلا(ددان)، إلى الشمال من يثرب في الشمال. في شمال غربي الحجاز، وفي أراضي الأمير اللحياني وجد ما يشبه البورصة التجارية، في الوقت الحالي. عن ذلك تتحدث نقوش كثيرة وجدت بين أطلال قرية العلا، وهي التي يشير إليها المختصون في التاريخ القديم باسم:» ددان». كما تم العثور هناك على مقابر عديدة لتجار معينيين يمثلون عصور زمنية مختلفة. وفضلاً عن ذلك فإن النقوش التي وجدت في ددان(تم العثور على حوالي مائتي نقش معيني) تذكر عدد من الملوك المعينيين ومعبد معيني، كان في الوقت نفسهعبارة عن مركز تموين نقدي للعمليات التجارية هناك. وباختصار كانت المستوطنة المعينية في ددان عبارة عن مجتمع صغير للجالية المعينية هناك، يرأسها كبير» (كليب 2011: 343).

هناك نص يعود إلى «قتبان» عبارة عن مرسوم أصدره الملك(شهرهلل بن يدع أب) ملك قتبان لتنظيم أمور التجارة وعن واجبات التاجر والضرائب التي يجب أن يدفعها إلى الحكومة، وأمر بإعلانه وتدوينه ليقف عليه جميع تجار عاصمته مدينة «تمنع» (كحلان في الوقت الحالي)، وليقف عليه جميع التجار الذين يقصدون عاصمته أيضاً بقصد الإتجار، وقد تم تدوين المرسوم على حجر يبلغ طوله مترين، ووضع في الحي المعروف بـ (شمر)» (مهران، أمل 2011: 60).

فيما يلي جدول السلع المحلية التي كانت التجارة الداخلية تقوم على أساسها بين المدن والممالك اليمنية القديمة:

جدول السلع المحلية (ناشر 2009: 213).

ثانياً: التجارة الخارجية

الطرق التجارية: هي شبكة واسعة وطويلة من الطرق البرية والبحرية، كان أغلبها يسمى باسم سلعها، التي تربط الأسواق التجارية في الحواضر والمدن مع بعضها، نشأت في العصر القديم لنقل البضائع والسلع التجارية ويتفرع عن الطريق التجاري الرئيس سلسلة من المسارات والتوقفات المستخدمة في النقل التجاري للبضائع. يمكن استخدام المصطلح أيضًا للإشارة إلى التجارة على المسطحات المائية. يسمح الطريق للوصول إلى الأسواق البعيدة، ويحتوي مسار التجارة الواحد على الشرايين لمسافات طويلة، والتي قد تكون مرتبطة أيضًا بشبكات أصغر من طرق النقل التجارية وغير التجارية. بعض هذه الطرق عرفها الأوروبيون وبعضها ليس من المؤكد أنهم عرفوها. وفيما يلي الطرق التجارية في العالم القديم والتي لها علاقة باليمن القديم هي:

أما الطرق الدولية الثانوية التي لها علاقة باليمن فهي طريق الحرير، طريق الكهرمان.

1.التجارة البريّة:

«عند بداية الألف الأول قبل الميلاد، حدث تطور واضح في تقنية الري في بلاد العرب الجنوبية، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع إنتاج المحاصيل الزراعية. ومن ثم تحولت بعض المحاصيل إلى سلع تجارية. ومن المهم أن نعرف الدور المهم الذي أدته تقنية زراعة الأشجار في كل من؛ مملكة أوسان وبعدها قتبان وكذلك في مملكة حضرموت، التي تعطي محصول البخور. لقد اشتهرت سلعة اللادان والمر والكندر والطيوب الأخرى، وأصبحت تجد لها إقبالاً شديداً في كل بلاد الشرق الأدنى وحوض البحر المتوسط. وكانت تلك

الطيوب تستخدم في المعابد في أثناء تأدية الطقوس الدينية، وفي تحنيط الموتى، ودخلت في تحضير العقاقير الطبية، وكذلك زينة لأفراد المجتمع، فضلاً عن أن بعضها يعطي روائح طيبة. وبذلك كانت قيمتها مرتفعة جداً.» (كليب 2011: 333).

لعبت حضرموت دوراً كبيراً في بداية الانطلاق فمنها تتجه القوافل صوب نَجْرَان حيث تقع أسواق البضاعة القادمة من اليمن. وعليه فقد كان أمن القوافل يعتمد على التحالفات والاتفاقات المبرمة مع القبائل شبه البدوية التي تسيطر على الأراضي الممتدة من شمال اليمن إلى دَادَان (العُلَا) ومن تَيْمَاء وبلاد النِّبْطِين ومن قرية الفَاو إلى جَرْهَا. وحين ظهر المعينيون كتجارٍ لهم صلة بهذه التجارة. فقد سيطرت مملكة مَعِيْن في الجوف على تجارة القوافل خلال الفترة اليونانية.

«بلغت العمليات التجارية المعينية أوج ازدهارها خلال القرنين الرابع ـ الثاني ق.م. ووصلت قوافلها، كما لاحظنا، حتى مناطق بحر إيجه. في هذه الأثناء لم تستطع أن تبقى هذه التجارة مهنة عربية جنوبية خاصة، إذ برز لها منافسون من مناطق مختلفة. فقد كتب أراتوستين في عصره يقول: إن التجار المسافرين إلى جنوب بلاد العرب، من أجل البخور هم من إيلة. ثم أكد ذلك في وقت لاحق بليني الأكبر ربما هنا أثرت الحوافز التي كان يقدمها للتجار البطالمة (حكام مصر)، وفي ما بعد الإدارة الرومانية في مصر في زيادة التجارة. حيث كانت القوافل التجارية تنطلق بآلاف الجمال.» (كليب 2011: 350).

«كانت قوافل اللبان تنطلق من شبوة إلى معين غرباً كي تتلافى عبور الربع الخالي. وكانت هناك بعد ذلك دروب مختلفة تلتف من حول كثبان صحراء رملة السبعتين، على مر الزمن، سوى أنه في القرون الأخيرة، حين كانت قتبان في أوج عظمتها، كان الطريق يمر على وجه الاحتمال بمدينة تمنع عاصمة هذه المملكة، وذلك بعد أن تم إعداد ممر مبلقة الجبلي الخطير (في شمال تمنع) لتسهيل المرور. أما قوافل المرّ فقد كانت تصل إلى الدرب الكبير في هذا المسار، وكانت الدرب يتجه من مأرب نحو الشمال ماراً عبر نجران، وديدان (حيث كان للمعينيين فيها مستعمرة)، ثم بترا وغزة؛ أما التجار القادمون من جرها على الخليج

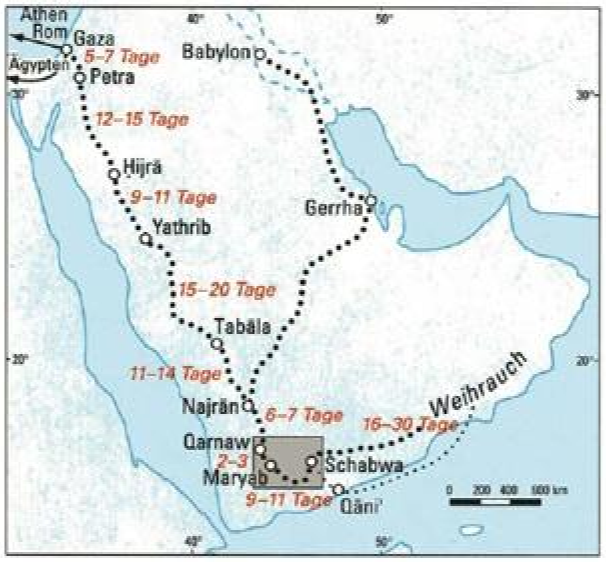
الفراسي فقد كانوا يذهبون من جهتهم بالطيوب باتجاه الشرق وبلاد الرافدين.» (غروم 1999: 73).

يلتقي الطريق البحري براً بشبوة في حضرموت ويتحول إلى طريق بري يصل إلى البتراء ومنها إلى غزة فمصر. وكان هذا الطريق يربط بحراً الهند وسيلان والصين بمدينة عُمان عبر البحر الأحمر وصولاً إلى مصر.

طريق البخور (العطور): طريق تجارة القوافل القديمة بين الشرق والغرب، وكانت قوافله محملة بالبخوروالتوابل وسلع الشرق إلى أوربا، وكان يبدأ من سواحل اليمن على بحر العرب وينقسم إلى طريقين:

أ.طريق نجد والعراق وفارس، وكان باتجاه الشمال وصولاً إلى جرهاء، ومنها إلى بلاد ما بين النهرين، إما براً أو في قوارب تبحر في الخليج العربي وصولاً إلى نهر الفرات. ومن هناك كانت البضائع تتوزع في أسواق المنطقة ونحو فارس.

ب.طريق البتراء والأردن وفلسطين ثم إلى البحر المتوسط. ويتفرع من البتراء نحو مصر، باتجاه شمال جزيرة العرب نحو شمال البحر المتوسط في الطريق البري الموازي للبحر الأحمر تتفرع منه خطوط تتجه غرباً وشرقاً. كانت نقطة الانطلاق في قتبان، وحضرموت، وسبأ شمالاً.



طريق البخور بفرعيه

Weihrauchstraße (Foto: Jemen - Katalog, München 2000, 257)

2.التجارة البحرية:

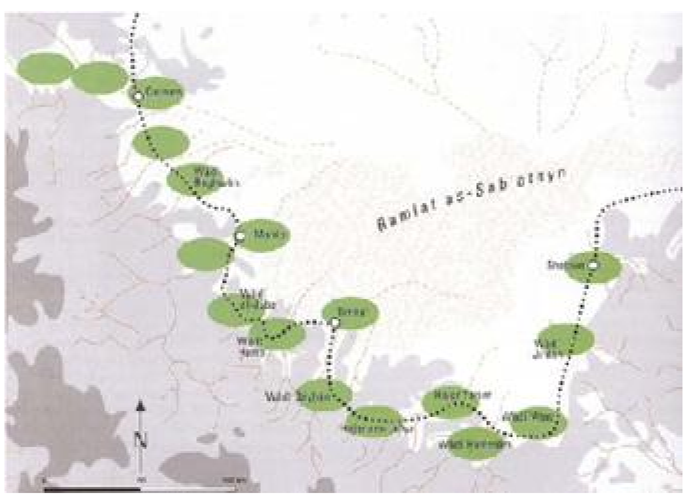
أنتجت السواحل اليمنية الطويلة خبرة كافية عند اليمنيين وبقول لزمن طويل محتفظين بأسرار الملاحة في المحيط الهندي، حتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، وحين اهتدى (هيبالوس) إلى سرّ استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الصيف، أصبح اليونانيون والرومان منافسين لليمنيين في الملاحة بالمحيط الهندي، وقد ساعد ذلك على تقصير وتقليل أمد الرحلة من البحر الأحمر إلى مداخل الهند، حينها بدأ الرومان يقومون برحلات بحرية منتظمة إلى بلاد الهند دون الاعتماد على ملاحي اليمن.

«كانت معرفة نظام الرياح الموسمية (الرياح التجارية) التي تهب في شمالي المحيط الهندي، في الشتاء وفي الصيف، أن ساعدت السفن التجارية على الإبحار مباشرة من الموانئ الغربية للهند، إلى موانئ الشواطئ الجنوبية الغربية لشبه جزيرة العرب، وكان يتم الإبحار في هذا الاتجاه في الشتاء والربيع، وفي الاتجاه المعاكس صيفاً. الأمر الذي وظفه

العرب الجنوبيون بصورة فعالة في المساهمة الحضارية مع بقية دول العالم القديم في حوضي المحيط الهندي والبحر المتوسط. وبذلك استفاد الهنود والعرب من هبوب الرياح هذه، والإتجار مع شمال شرقي أفريقيا، فضلاً عن استفادة العرب من تجارة الترانزيت(المرور).» (كليب 2011: 344).

كانت الرحلة بين اليمن وروما تنقسم إلى «خمس وستين محطة، تتخللها نقاط لدفع رسوم باهظة وضرائب حق المرور وخلافها من الضرائب على امتداد الطريق. وانطلاقاً من القرن الأول الميلادي كانت التجارة تتم بالتدريج عن طريق البحر. وكانت السفن الرومانية وعلى متنها طواقم يونانية تحمل الطيوب إلى الموانئ المصرية على البحر الأحمر، وكذلك كميات كبيرة من التوابل القادمة من الهند؛ ومن هناك كانت البضائع النفيسة تنقل بواسطة الجمال على درب مجهز باستراحات ماء وصولاً إلى النيل الذي كان يؤدي إلى الإسكندرية، العاصمة الشرقية لإمبراطورية روما. وقد زالت أهمية الطريق البري إثر الحروب الداخلية في بلاد اليمن، وربما كان ذلك قبل زمن طويل من انهيار الطلب على اللبان في روما مع تبني الديانة المسيحية ـ باعتبار أن هذه الأخيرة لم تستخدم اللبان لشعائرها إلا فيما بعد.» (غروم 1999: 73).

المراكز التجارية البرية



12 محطة في جنوب شبه الجزيرة العربية

(Foto: Jemen - Katalog, München 2000, 258)

المرافئ والمراكز التجارية البحرية:

الطريق الجبلي:

هو الطريق التجاري الممتد من مناطق إنتاج البخور واللبان في ظفار مروراً بميناء قناء وصولاً إلى الجزيرة العربية، فقد كان» لموقع اليمن الجغرافي الاستراتيجي على مفترق طرق التجارة العالمية آنذاك، فضل في احتكار تجارة العديد من البضائع والسلع المحلية المطلوبة عالمياً مثل اللبان، والمر، والبخور وتصديرها دوراً مهماً في تنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية، وقد تجلى ذلك من خلال إقامة المحطات التجارية على طول الطريق التجاري الممتد من مناطق إنتاجها في ظفار مروراً بميناء قناء وصولاً إلى الجزيرة العربية. فضلاً عن طرق خط التجارة الجبلية وأهمها الطريق التجاري الذي عرف بدرب أسعد الكامل نسبة إلى الملك الحميري أبي كرب أسعد الذي رصف بالحجارة ويمتد من ظفار عاصمة حمير إلى الطائف. وطريق رحلة الشتاء والصيف الذي يمتد من عدن مروراً بالجند في تعز وذمار، وصنعاء، وصعدة، وجرش، والطائف ومطة، ويثرب وتبوك، ومعان، وبصرى وصولاً إلى دمشق.» (حنشور 2011: 43).

السلع الأجنبية المصدّرة لليمن:

يمكننا، إجمالاً، معرفة السلع الأجنبية التي كانت تُصدّر لليمن من خارجها في هذا الجدول:

جدول السلع الأجنبية (ناشر 2009: 214).

المبحث الخامس: ظواهر اقتصادية يمنية

أولاً: المقايضة

كان اليمنيون، في عصور ما قبل التاريخ والعصور البرونزية، يعملون بنظام المقايضة بالمواد الآتية:

1. المحار لأن لها أشكالاً متشابهة وذات أحجام مختلفة ولها التكوين الطبيعي نفسه، وهناك محار رسم عليه رؤوس آدمية وعلى حافاتها بأحرف مسند مركبة لتعطي اسم الشخص صاحب الصورة استخدم كعملة.

2. الأحجار الكريمة المرسومة والمنقوشة بالمسند إلى جانب أشكال حيوانية كالبومة بشكل خاص وطيور أخرى وحروف مسندية.

3. قطع من المعادن كالنحاس والبرونز والفضة في بداية الألف الثالث قبل الميلاد.

4. أحجار كريمة مخلوطة بمعادن: حيث يعرض كتاب (موسوعة النقود في اليمن عبر العصور)، الذي أصدره البنك المركزي اليمني، الأحجار وقد حفرت عليها صور آدمية وحيوانية وطيور، كما يعرض لنقود النمط المعروفة بالبومة وهو عبارة عن حجر كريم خلط بمعادن بشكل مثلث يعتقد أنه سك في الألف الثالثة قبل الميلاد. وهناك عدد من العملات الفضية من هذا الطراز منها مجموعة بأحجام مختلفة تتميز بأن على الوجه رأس امرأة أو رجل متجهاً للجانب الأيسر وتملأ مساحة الوجه ملامح بارزة، وفي الظهر شكل البومة الواقفة على فرع نباتي أفقي ويتجه الجسم للجانب الأيسر بينما يلتفت الرأس للأمام بعيون واسعة ومدورة ومنقار مدبب. ويقدم الكتاب عملة رأس امرأة والبومة من فئات الدرهم والنصف والربع ومواصفاتها من الأمام والخلف.

ثانياً: العملة اليمنية

اتخذ أهل الرافدين الأوزان الفضية والذهبية المسكوكة كنوع من العملة، واتخذ الصينيون من القواقع والصدف مادة للمقايضة، وذكر المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت أن الليديين

أول من تعامل بعملة واضحة المعالم، فهم أول من ابتكر العملة الذهبية والفضية حوالي القرن السادس ق.م، ثم سكّ الإغريق النقود بعدهم من طرف المدن الإغريقية المطلة على البحر الأبيض المتوسط. وظهرت العملات الفارسية من العهد البارتي والمسكوكات الساسانية، ويبدو أن اليمن تأثرت بالعملات اليونانية التي دخلتها فبدأت بسك النقود.

وهناك من يرى أن مسكوكات الشرق الأقصى، الصين واليابان وكوريا والهند وماليزيا، تختلف عن المسكوكات الغربية من حيث الشكل والحجم، وأن الصينيين هم أول من ضرب النقود بطريقة بدائية بشكل بيضوي وسمك كبير وتحمل على وجهيها رسوماً غير واضحة لحيوانات وكان المعدن المستخدم في صنعتها هو سبيكة من الذهب والفضة في القرن السابع ق.م.

وهكذا نجد أن بدايات العملة منذ السومريين والآشوريين، ثم الليديين، وهناك الصين في الأقاصي، كلّها، بدايات متنوعة ومختلفة للعملة وطبيعتها، وهذا جزء مما يدرسه علم النميات Numismatics وهو العلم الذي يتناول النقود القديمة التي بطل تداولها والأوزان والأختام الدارسة، والذي يعرف العملات «بأنها تلك القطع من المعدن المصهور أو المطروق، التي تصدرها السلطة الحاكمة لتسيير التعامل، وتحمل على كل وجه من وجهيها رسماً أو نقشاً بارزاً ذا طراز خاص عن موضوع معين» (الشافعي 1980: 44).

كانت بداية العملة النقدية في اليمن القديم تعود لنهاية القرن الخامس قبل الميلاد وبداية القرن الرابع قبل الميلاد مقلدة النمط الأثيني. وجاءت رموز البومة وغصن الزيتون لتعطيها مميزاتها التشكيلية، وقد أشار أربعون نقشاً إلى تسمية العملة النقدية، وكان اسمها هو«بلط»، كانت العملة القتبانية في الفترة الأولى كلها من الفضة، وقد قلدت العملات الأثينية ذات الأسلوب القديم التي تقدم على الوجه رأس أثينا وعلى القفا بومة مع غصن زيتون. مع وجود أسماء حريب وريدان وشقير.

عرف أهل اليمن النقود في معاملاتهم التجارية واليومية، فقد استعملوا نقوداً من صنعهم، سُكت من ذهب وفضة ونحاس ومن معادن أخرى، كما أنهم تعاملوا، مع غيرهم، بالنقود

الأجنبية مثل النقود اليونانية والرومانية والحبشية والفارسية وقد عثر على نماذج منها في حضرموت، وقد زاد تعامل أهل اليمن بالنقود الحبشية والساسانية في أثناء الاحتلا ل الحبشي والساسانيين لليمن.

استعملوا النقود في معاملاتهم التجارية والتعامل اليومي من الأحجار والأصداف والفضة والنحاس وقد «وجدت على بعضها في جنوب الجزيرة العربية اسم الملك الذي أمر بضربها كما صور عليها صور كراس إنسان ووجه طير مع بعض الرموز والكتابات بالخط المسند ووجود في بعض النقود صورة هلال وكوكب 3. ومنها ما رسم عليها رأس رجل يحيط به شجرعلى هيئة دائرة وقد تدلى شعره إلى العنق وكتب عليه الحرف المسند كما تحمل النقود رموزاً لها علاقات بالديانات السائدة في البلاد آنذاك ومنها الهلال إشارة إلى القمر وكذلك الهلال وداخله نجمة وتثبت النقوش نصوصاً عديدة تدل على تداول النقود التعامل بها وترجع بعض المراجع أن أقدم النقود يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الثالث ق.م» (الويس 2016: 196).

يمكن تحديد تأريخ بداية العملة في اليمن مع تداول العملة الفضية (تترا دراخما) في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد 449 ـ 419 قبل الميلاد، ثم بدأ تقليدها الشرقي المحلي، وهذه العملة، التي وجدت في اليمن، فيها نقشان حيث تقف البومة على غصن زيتون، وهو هلال في أعلى اليسار أمام وأثينا ترتدي خوذة مزخرفة. وفقًا لبعض العلماء، فإن مصطلح (بلاتات/ بلات) balatat/balat الذي ظهر في القرون الأخيرة قبل الميلاد، والذي يُترجم عادةً على أنه عملات معدنية، هو تعديل للكلمة اليونانية.pallav / pallavde التي تشير في هذه الفترة الزمنية إلى رأس الإلهة بالاس أثينا.

وهذا ما تؤيده دراسة الباحثين ألكساندر سيدوف وبربارا دافيد، حيث تذكر أنها حصلت في بداية القرن الرابع ق.م، وأنها اقتدت بنموذج عملات أثينا القديمة الأسلوب وتعتمد في هذا الاستنتاج على ما كتبه جيفيل الذي كتب دراسته حول العملات اليمنية لصالح المتحف البريطاني.

أما جواد علي، في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، فيرى أن هناك تأثيراً ساسانياً في نشأة النقود اليمنية، بسبب التشابه بينها، وأن للتجارة بين بلاد فارس واليمن أثراً في هذه النشأة.(انظر سيدوف ودافيد 1999).



العملة الفضية الأثينية (تترادراخما: أربعة دراهم) التي عثر عليها في اليمن

_ arabia _ southern _ of _ https://traveltoeat.com/kingdoms
/london _ museum _ british

تاريخ العملات اليمنية القديمة:

استخدم اليمنيون القدامى الأحجار العادية ثم الكريمة المطعمة بالمعادن النفيسة كعملات مميزة بنقوش على هيئة صور لملوك وصور لرموزٍ وحيوانات.

استخدم السبئيون عملات منقوش عليها رسوم لملوك سبأ في قطع ذهبية منقوش عليها ملك وصقر، وعلى بعضها رأس الثور والإله إلمقه.

النقود القتبانية، التي تعود إلى عهد سبأ وذي ريدان والعصر الحميري، تعود إلى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، وفي دولة معين عثر على بعضها مزينة بنقوش لملك دولة معين.

مصادر أخرى ترى» أن هذا التاريخ أو ما وصلت إليه الاكتشافات للنقوش بنصوص عن النقود التي قد تكون مضروبة في تاريخ أقدم. وقد عرف النظام النقدي لممالك جنوب الجزيرة العربية بالدراهم الفضية اليمنية وقد سك المعينيون باليمن مسكوكات فضية خاصة بهم، وقد ذكرت النقوش أسماء المسكوكات المتداولة في لفظ (بلط)، ومعناها COIN نقد في الإنكليزية أو (بلط) في عربيتنا بمعنى لصق بالأرض وافتقر وأيضاً، (مصعم)، مصع(بمعنى نصع وخلص، أي خالصة من كل غش صحيحة من الغش و(رضيم) ولفظة (خبصم، خبصت)» (الويس 2016: 197).

النقود، إذن، كانت مستعملة ويرجع أقدمها إلى نحو 449 ق.م وقد ورد ذكر بعضها مع أسماء ملوك سبئيين وقتبانيين في تدوين عقود زارعية أو ضرائب ولا شك أن التعامل بالنقد في اليمن قبل الإسلام قد تعارفت عليه مدن الدويلات الحضارية بعد أن صارت تتمتع بمكانة ممتاز مع شعوب الحضارات الغربية وغيرها مما أهلها للمبادرة بسك عملة مستقلة ذات طابع محلي بعد أن ظلت فتر ة من الزمن تتعامل بالنقود الذي يحمل رموز وأسماء ملوك الجزيرة العربية.

التطور النوعي جاء مع سك النقود اليمنية في عصر مملكة حضرموت حيث سك النقود من معدن البرونز ومعادن أخرى، حيث صُممت العملة اليمنية القديمة على غرار العملات اليونانية القديمة. فقد كانت العملات المعدنية الفضية معروفة جيدًا فيها، في حين أن العملات البرونزية والذهبية نادرة نسبيًا.

مراحل العملات اليمنية:

1. العملة المقلدة للعملة الإثينية: أقدم عملة يمنية سكت حوالي 300 قبل الميلاد. وهو يتألف من تقليد للتترادراخما الأثينية القديمة الطراز. ومسكوكات أثينا والتي يرجع تاريخ

ضرب النماذج المبكرة منها في بلاد الإغريق إلى حوالي سنة 575 ق.م، وكان ينقش على وجه تلك النماذج رأس المعبودة أثينا لابسة خوذة مزينة من الأمام بغصن زيتون تتدلى منه ثلاث ورقات وشعرها مربوط بعصابة، ونقش على الظهر بومة متجهة إلى اليمين وخلفها غصن زيتون.

2. عملة الحروف المكتوبة: هي التي كانت تحتوي على أحرف مختلفة على ظهرها لم يتم فهم أهميتها بعد.

3. العملة قتبانية الأولى: يظهر فيها رسم رأس على الوجهين، وعلى ظهرها اسم دولة السك في تمنع.

وهناك من يرى أن العملات القتبانية الأولى ظهرت في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد، وفقاً لما تم العثور عليه من العملات القتبانية الثلاث في جنوب شرق تركيا والتي طبع على اثنتين منها حرف الكاف بخط المسند ، أما الثالث فقد طبع عليه حرف الباء بخط المسند، ويرجع تاريخ هذه العملات للفترة ما بين سنتي 475 ـ 400 ق.م، وتعد هذه بمثابة المرحلة الأولى في تعريب العملات الإغريقية التي قامت بها الممالك العربية الجنوبية.(د. فرج الله أحمد يوسف \ مسكوكات الممالك العربية قبل الإسلام).

4. العملة القتبانبة الثانية: تظهر فيها بومة على ظهر الصورة مع اسم شهر هلال والحرفين« يانوف مونوغرام».

كانت مملكة قتبان أول مملكة تقوم بضرب المسكوكات منذ أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت مسكوكاتها، في البداية، تقليدًا للمسكوكات الإغريقية التي نقش على وجهها رأس المعبودة أثينا مرتدية خوذة مزينة بأوراق زيتون، أما على ظهرها فقد رسمت بومة وبجوارها هلال وغصن زيتون والشعار الإغريقي AOE الدال على قيمة المسكوكة، أو اسم المعبودة أثينا، وكانت الإصدارات الأولى من السكة القتبانية مشابهة تمامًا للسكة الإغريقية

وتميزت السكة القتبانية بإضافة حروف بخط المسند على وجه أثينا لتحديد القيمة النقدية للمسكوكات ونقش شعار الملك القتباني على الظهر.

5. العملة السبئية: ضربت مملكة سبأ المسكوكات على النمط الإغريقي، وأقدمها في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، والتأثيرات الإغريقية واضحة عليها (على وجهها رأس المعبودة أثينا مرتدية خوذة وحولها أغصان الزيتون)، أما على الظهر (صورة البومة مع أغصان الزيتون، والهلال، وحذف الشعار الإغريقي AOE)، ونقش بدلاً منه حروف بخط المسند تدل على القيمة النقدية للمسكوكات. وفي أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الأول قبل الميلاد صدرت في مملكة سبأ مسكوكات جديدة تخلصت من التأثيرات الأجنبية في الوجه الذي نقش به صورة رجل ملتح يلبس تاجًا على رأسه، ويعتقد أن هذا الرجل يمثل الملك أو يرمز لإلمقه معبود سبأ الرئيس، وظلت التأثيرات الأجنبية باقية في نقوش الظهر إذ ظلت توجد صورة البومة باقية وهي تقف على قارورة وسجل بجوارها الشعار الإغريقي AOE.

6. العملة المقلدة للنمط الأثيني الجديد: في القرن الثاني قبل الميلاد، الذي يقلد النمط الأثيني الجديد الرباعي الأثيني، مع الاحتفاظ بالأساطير والرموز الأحادية للقطع النقدية السابقة.

7. العملة المقلدة للعملة الرومانية: حيث لا تحتوي على نقش، بل على رموز أو حرف واحد فقط. ربما لها علاقة ببعثة Aelius Gallus في عام 25 قبل الميلاد، حيث ظهرت عناصر من العملات المعدنية الرومانية في هذا السك. والظاهر أن المسكوكات السبئية لم تتخلص تمامًا من التأثيرات الأجنبية، فمنذ منتصف القرن الأول قبل الميلاد ضربت مسكوكات مزجت بين التأثيرات الإغريقية والرومانية معًا، فقد نقش على وجه هذه المسكوكات رأس رجل يشبه رأس الإمبراطور الروماني أغسطسAugustus، أما على الظهر فقد ظلت صورة البومة الواقفة على القارورة، كل هذا يشير لاستمرار التأثيرات الإغريقية.

8. العملة الحضرمية: ضربت باكورة مسكوكاتها على النمط الإغريقي، ثم أقلعت عن التأثيرات الأجنبية. وظهرت مجموعة حضرمية واحدة مختلفة تمامًا. تصور ثورًا مُسمى بالإله سين، ورأسًا بتاج مشع أو نسر، بترتيبات مختلفة .وهي العملات الأنضج والأكثر محلية في تاريخ العملات اليمنية. فقد ظهرت العملة تحمل رأسًا على ظهرها، باسم الملك ودولة سك العملة (عادة ريدان) وحروف أحادية. وهناك بعض العملات البرونزية المعزولة التي لها رأس بأحرف على الوجه ونسر على الظهر. هم على الأرجح من حضرموت. أما نهاية العملات اليمنية القديمة فليست مؤرخة بالتأكيد، ولكن ربما كانت في مكان ما حوالي 300 بعد الميلاد.

9. العملة الحميرية: ضربت في البداية مسكوكات على النمط القتباني، أي إنها تأثرت بالمسكوكات الإغريقية، ثم ضربت مسكوكات في عهدها الأول الذي انتهى بحكم الملك ياسر يهنعم الثاني (285 ـ 300م) تقليدًا لمسكوكات الإمبراطور الروماني أغسطس Augustus. وفي خلال عهدها الثاني (التبابعة) الذي يبدأ بحكم الملك شمر يهرعش الثالث ضربت مملكة حمير مسكوكات تخلصت فيها من التأثيرات الأجنبية، وعرف هذا النوع باسم المسكوكات ذات الرأسين وذلك لنقش رأس رجل على وجه كل مسكوكة وعلى ظهرها.

10. عملات مملكة كندة الأولى: ضربت المسكوكات في عاصمتها قرية «قرية ذات كهل»، ولم تظهر على مسكوكاتها أية تأثيرات أجنبية. وظلت مملكة كندة، في هذا الإطار، ما بين القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي.

«أشكال المسكوكات اليمنية لوحة فنية بما جاء فيه من الصور والرسوم آدمية وحيوانية وطيور ونقوش وكتابات للمسكوكات اليمنية منسماً أو ثقباً يأتي على حافة إطارها يميزها عن غيرها وهذا الثقب يعد منفذاً يربط وجه المسكوكة بظهرها افتعله المبدع اليمني لاستكمال الكتابات أو الأشكال التي بدأت بها في أحد الوجهين بكلمة في الوجه الآخر ويعتبر ذلك الثقب كمعلم أو إشارة لصور أو بداية اتجاه العملة أو النص وهذه ميزة

وخصوصية ظلت ملتصقة أو مسايرة للنقود اليمنية منذ بداية السك في الحضارة اليمنية وتتميز النقود اليمنية بتعدد الصور والرسومات فقد يحمل وجهة العملة الواحدة عدة صور، والصورة الواحدة تحمل صوراً وأشكالاً وقد تلاحظها مباشرة على النقود أو عند تدويرها وأيضاً شعارات رسمية هي البوم والصقر والثور والخيل والأسد الرأس منها أو بكاملها وهي الرموز والشعارات التي استخدمها اليمنيون القدامى وهي التي سادت في ذلك الزمن وكانت تأتي مجتمعة في كل مسكوكة مع برواز حد تلك الشعارات بشكل مكبر وواضح وتصغير الأخرى وقلما تأتي منفردة واستمر ذلك حتى بداية العهد الحميري (سبأ وذو ريدان).» (الويس 2016: 193).

العملات اليمنية حسب الممالك اليمنية:

1.عملات المملكة القتبانية:

أول الممالك العربية التي قامت بإصدار المسكوكات حيث ضربت في القرن الرابع ق.م» وأضيف إليها بعض الحروف بخط المسند على وجهة أثينا لتحديد القيمة النقدية للمسكوكة ونقش شعار الملك القتباني على الظهر، وفي إحدى العملات رسم على الوجه الأول رأس أثينا وعلى الوجه الآخر البومة وهلال وغصن زيتون بداية اسم أثينا على اليمنين. aqe وثلاثة حروف يونانية. ومن الواضح أن أساس بومات قتبان كان نظام الوزن المتبع في الدرهم الرباعي الأثيني الدرهم المزدوج ونصف الدرهم أو الثلث بالنسبة للقطع المشتملة على حرف (هـ) وقليل من و4.9 ـ 4.3 غرام، مع حرف (ن) ويمكننا الافتراض أن هذه القطع ما يشبه الدرهم الأثيني. هذه القطع الغالية كانت مخصصة للتجارة الدولية وفي بداية القرن الثاني (الويس 2016: 198).



عملة قتبانية: بومة قتبان

https://traveltoeat.com/kingdoms_of_southern_arabia_british_museum_london/

عملة قتبان ذات الرأسين القرن الثاني قبل الميلاد حوالي القرن الثاني قبل الميلاد تم استبدال البوم الأثيني بعملات معدنية برأسين من قتبان. كان في الجبهة رجل بلا لحية بشعر قصير مجعد. يظهر على الوجه الخلفي رجل هيلنستي ملتح وشعره معقود خلف رأسه. كانت هناك أيضًا حروف أحادية ورموز وحروف منسوبة إلى حاكم يُدعى يداب. يمكن التعرف عليه مع يداب ضبيان يوهارجب أو يداب ضبيان يوهانم، وكلاهما يشهد أنهما من ملوك قتبان. يُعتقد أيضًا أن الملك نفسه استبدل الحرف الملكي باسم حارب، واسم مقر إقامته الملكي وربما أيضًا النعناع.



عملة قتبان ذات الرأسين

_arabia_southern_of_https://traveltoeat.com/kingdoms /london_museum_british

2.عملات المملكة السبئية:

أكثر الممالك اليمنية استعمالاً للعملات وأوسعها تجارياً، أشهر نقودها فيها شهر هلال ذي يثع درهم فضة مرسوم على وجهه رأس الملك وهو ملتفت جهة اليسار وملامحه واضحة بعمة وضفائر الشعر منسدلة بضفائر من خلف الأذن وفوق الرقبة وفي الخلف بومة تقف على ما يشبه الخنجر وتستدير حولها كتابة مؤلفة من حروف تشير إلى اختصار اسم الملك. وهناك أيضاً عملات باسم الملوك يريم أيمن وشرح آل وشرح أ ب م، وشرح آل، فضلاً عن 8 قطع نقدية صغيرة الحجم عبارة عن رأس ملك على الوجه وفي الظهر شكل رأس الثور يملأ المساحات مع وجود علامات أو أجزاء منها.

ومن النقود السبئية أيضاً رأس ملك سبأ وقطع ذهبية أخرى على شكل صقر وملك ورأس الثور والرمز الديني أو الشعار الملكي والصقر باللون الأحمر.

«وللعملة النقدية السبئية أربعة أنماط ثلاثة منها وقعت تحت تأثيرات يونانية ورومانية ويمكن اعتبار أقدم الأنماط تقليداً للقطع الأثينية ذات الأسلوب القديم وهي أصغر وأخف من نموذج قتبان نقشت حروف سبئية على وجه أثينا لتمييز القطع المساوية لوحدة واحدة أو النصف أو الربع بومة قتبان القرن الرابع قبل الميلاد. المتحف البريطاني، لندن وسرعان ما تم تزويرها من قبل مملكة قتبان وعرفت محليًا بالبوم القتباني. شهدت نهاية القرن الخامس ظهور أربع دول متنافسة في اليمن، إحداها مملكة قتبان، التي ازدهرت في وادي بيحان. مثل معظم الممالك العربية الجنوبية الأخرى، اكتسبت ثروتها من تجارة اللبان والبخور. سميت عاصمة قتبان تمناع وتقع على طريق التجارة. عندما بدأ الملوك الأثرياء على طول طريق البخور في سك عملاتهم المعدنية، قاموا بتقليد أشهر الصور الأثينية. أو الثمن وقطع أخرى ظهور رمزين يشيران إلى القديمة أما الوجه الثاني للنسخ المتأخر من

هذه القطع فهو يحمل رمز إلمقه، وكلمة مكتوبة عرفت لفترة طويلة بوصفها آرامية أو لحيانية.» (علي 1978 مج 3 ف 19: 489).

ظهرت العملة في مملكة سبأ في القرنين الرابع أو الثالث قبل الميلاد كما أصدر ملوك وملكات سبأ عملات معدنية على غرار تترادراخما في أثينا: مع رأس الإلهة أثينا على الوجه وصفتها، البومة، على ظهرها.



عملة سبئية أواخر القرن الرابع ـ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. AR nṣf ـ وحدة (16.5 مم، 4.93 جم، 7سم). تقليد أثينا. رأس خوذة أثينا الأيمن؛ N (إلى الوراء في جنوب الجزيرة العربية؛ علامة قيمة) على الخد / البومة واقفة على اليمين، مواجهة للرأس؛ رذاذ الزيتون والهلال إلى اليسار، والرموز إلى اليمين؛ كل ذلك داخل مربع.



عملة سبئية

عملة سبئية: القرنان الثاني والثالث الميلاديان. وحدة AR ـ ‘Denarius’ (16 مم، 2.32 جم، 3سم).

3.عملات المملكة المعينية:

عرفوا النقود وسكوها، فقد» عثر على قطعة نقد (درهم) عليها صور ملك جالس على عرشه واضعاً رجليه على عتبة، وهو حليق الذقن متدل في شعرة ضفائره وقد مسك بيده اليمنى وردة أو طيراً وأمسك بيده اليسرى عصاً طويلة وخلفه اسمه وقد كتب بحروف واضحة بارزة بالمسند، وهو أب يثع وأما الحروف الأولى من اسمه وهو حرف)أ (بخط المسند دلالة على أنه أمر بضرب تلك القطعة ولهذه القطعة من النقود أهمية كبيرة في تاريخ النميات في بلاد العرب في دراسة الصلات التجارية بين جزيرة العرب والعالم الخارجي.» (الويس 2016: 198).

4. عملات مملكة حضرموت:

ضربت المسكوكات الحضرمية في (سميرهم) (خور روري) وهو الميناء الذي أسسه ملوك حضرموت في القرن الأول ق.م، وكان القصر الحضرمي (شقر) وهو المركز الرئيس لضرب المسكوكات الحضرمية. وقد مرت العملة الحضرمية بعدة مراحل نوجزها كما يلي:

1. أول العملات في حضرموت ظهرت مقلدة النمط الأثيني حوالي 350ق.م.

2. ظهرت العملة التي تحمل على قفاها اسم شقر محل الأحرف AHE.

سكت من معدن البرونز وخليط من معادن أخرى وبها شقوق وحفر يبدو أنها عملت هكذا لتؤدي الغرض إذ إنها ذات وجهين أحدهما عليه رأس شخص ذكر أو أنثى وفيها الشعر منتشر كأشعة وهي في الواقع حروف مسند والوجه الآخر عليه رسم ثور واقف وأعلاه ثلاثة حروف «ش ق ر «وشقر اسم القصر في شبوة عاصمة مملكة حضرموت القديمة، ومع ذلك فإن العملات تحفل بالكثير من الكتابات ورسوم طبيعية آدمية وحيوانية وطيور.

3. العملة الحضرمية letalon تأسست على نظام فارس أو آسيا الصغرى مع درهم يزن 60 ر 5 غراماً وتتواجد (بومات) حضرموت كذلك بقيم جزئية من الفضة أو من البرونز.

4. تغيّر نمط العملة الحضرمية كلياً تحت الأثير المحتمل للعملة النقدية الرومانية وذلك في نحو القرن الأول الميلادي فقد استبدل رأس أثينا على الوجه برأس متوج بأشعة الشمس ولا شك أشعة آلهة شمسية أما القفا فيحمل كادوسة caducee مرفقة باسم شقر وبطغراء سمهر المدينة التي أسسها على شواطئ ظفار حضرميون قدموا من شبوة حيث كانت تتواجد ورشة السك.

5. في نحو منتصف القرن الأول الميلادي قام مكرّب من حضرموت عُرف باسم يشهر إيل يهرعش بسك عملات نقدية مع نسر على القفا وتبين الحفريات أن هذه العملات قد لاقت شعبية كبيرة بحيث استمر سكها حتى نهاية القرن الثاني الميلادي أي بعد زمن طويل من عهده.

6. ظهور أكثر أنماط العملات رواجاً في حضرموت: مربعات صغيرة برونزية مع رؤوس ثيران وأخرى مع ثور واقف على القفا مرفق باسم سيان إله حضرموت الأعظم.

7. في القرون الميلادية الأولى سكّوا بوجه خاص عملات برونزية وأن نقدهم (المحلي) قد توقف نحو منتصف القرن الثالث ومع ذلك فإن القطع النقدية الحضرمية حسب المكتشفات الأثرية استمرت مستخدمة حتى بداية القرن الرابع إذ لم تكن القطع القديمة قد سحبت من التعامل النقدي عند الإصدارات الجديدة.

ومن نقود الدولة الحضرمية رأس ملك «آب يضع» وثور ورأس ملك يثع وثور ودرهم برونز ورأس ملك امرأة «يثع» وثور.



عملات سكّت في شبوة

5.عملات المملكة الحميرية:

ظهرت في مملكة حمير أنواع من العملات، ومنها هذه العملة في القرن الأول الميلادي وهي عبارة عن الدرهم الرباعي (تترادراخما) الذي يتراوح بين الدينارين الروماني واليوناني. ويُظهر الوجه رأس الإمبراطور الروماني أوغسطس (27 ق.م ـ 14م)، بينما يُظهر الوجه الخلفي البومة الأثينية جالسة على جرة أمفورا. الأحرف الأولى على ظهرها مسندية؛ ليس لها معنى غير مؤكد.



عملة حميرية

ـ arabia ـ southern ـ of ـ https://traveltoeat.com/kingdoms /london ـ museum ـ british

مونوغرامات العملات:

مونوغرام هو الجمع بين حرفين أو أكثر من حروف اللغة بشكل متداخل لتشكيل رمز واحد.ومونوغرام العملات هي علامات حروفية مسندية توضع جوار اسم الملك وتشير إما لفئة العملة أو لتسميتها وهناك المونوغرام الذي يوضع جوار وجه الملك هو المونوغرام الشخصي للملك نفسه. وربما تكون هذه المونوغرامات تحمل مسميات العملات والتي نعرف منها (نصف. شسع. جمس. رضيم.قرف.أزمك. حياليم.. إلخ).

يظهر جوار اسم الملك ذات المونوغرام بينما الظاهر جوار الوجه يختلف عنه، وقد كانت عملات الملوك الحميريين ثأران يعب يهنعم وشمنار يهنعم وكرب إل وتر تحمل المونوغرام نفسه جوار الاسم بينما اختلف المونوغرام الظاهر جوار وجه الملك.

هذه صور عملات للملك عمدان بين يهقبض تظهر بعض الاختلافات في السك مثل شكل الوجه وخصلات الشعر وزخرفة الحروف، وهذه الاختلافات قابلها اختلاف جذري بالمونوغرامات.

وتحتها مونوغرامات مختلفة لعملات الملك ثأران والملك شاهر.



أسماء العملات باللغة اليمنية القديمة:

القاموس اليمني القديم حفل بأسماء مختلفة للعملات وهي كما في هذا الجدول الشامل:

جدول أسماء بعض النقود وصفاتها الواردة في النقوش

(ناشر 2009: 214).

أماكن سكّ العملات اليمنية:

المسكوكات القتبانية: مدينة هجر بن حميد التي انتقلت إليها عاصمة مملكة قتبان بعد أن احترقت العاصمة تمنع (هجر كحلان) في سنة 50 ق.م. وضربت مملكة قتبان مسكوكات في حريب وذلك في عهد الملك يدع أب ذبيان يهرجب (155 ـ 135 ق.م).

المسكوكات السبئية: ضربت مملكة سبأ المسكوكات في العاصمتين الأولى: صرواح، والثانية مأرب، وضربت مسكوكات سبئية في شبوة عاصمة مملكة حضرموت في القرن الأول قبل الميلاد.

المسكوكات الحضرمية: ضربت في سمهرم (خور روري) وهو الميناء الذي أسسه ملوك حضرموت في القرن الأول قبل الميلاد، وكان القصر الحضرمي (شقر) هو المركز الرئيس لضرب المسكوكات الحضرمية.

مسكوكات مملكة كندة الأولى: في عاصمتها قرية «قرية ذات كهل»، إذ عثر بها على العديد من المسكوكات الفضية والبرونزية.

المسكوكات الحميرية: في عدة أماكن مثل: (يعب)، و(حريب)، و(ريدان ـ ظفار)، ومدينة حريب كانت من أماكن ضرب المسكوكات القتبانية، ومن الأماكن التي ضربت فيه المسكوكات الحميرية مدينة نجران التي استمرت تصدر المسكوكات حتى سقوط مملكة حمير سنة 525م.

ثالثاً: الضرائب

كانت الضرائب مورداً مالياً مهماً للدولة لكي تقوم بأعمالها في البناء مثل بناء منظومات الري والمعابد، وفي الحرب لكي تتحمل نفقاتها، ولذلك كان هناك نوعان من الضرائب، النوع الأول فرضت الضرائب فيه على التجارة والأرض، والنوع الثاني هو ضرائب النفقات العسكرية.

وردت في النقوش المسندية أسماء مختلفة للضرائب مثل: «عصم» و«زهد» وغيرها، وكلّها تدل على تعدد الضرائب في اليمن القديم. وتم تنظيم تلك الضرائب بواسطة قوانين معروفة مثل قانون قتبان، وقانون بيع الحبوب في نشق.

كانت الضرائب تُجمع وفق نظامٍ خاصٍ، وكان يحددها الملوك والكهنة والمجالس التشريعية، وتفرض العقوبات على كل من يخالف قوانين الضرائب.

الضرائب التي تفرض على المحاصيل الزراعية تؤذي الفلاحين ويستفيد منها الملك والدولة والمعابد، قدرت الضرائب المفروضة على الفلاح اليمني بالعشرأو العشرين داخل أراضيه الزراعية، وبحسب مساحة تلك الأراضي.

كان الإنسان اليمني قديماً يقدم للمعبودات والمعابد هبات ونذور تقدر بالعشر من محاصيل وثمار أراضيه الزراعية امتناناً منه لتلك المعبودات، وكان الغرض من ذلك التحديد توضيح مدى شكر صاحب الأرض لمعبوداته.

رابعاً: الأسواق

1. سوق الشحر (شحر مهرة): يقع بين عُمان وعدن، يطلق اسم الشحر على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب بين عدن وعمان، اشتهرت منذ القديم بعنبرها الذي لا نظير له، وبتجارة اللبان، ويباع فيه الأدم والبز والكندر والمرّ والصبر.

2. سوق الرابية: في حضرموت، وهو سوق عريق.

3. سوق عدن: سوق مشهور، واسع ونشط وفيه تجارة حرة، شهد انتعاشاً كبيراً في عصري الدولة الحميرية والهيمنة الساسانية على اليمن، كان معروفاً بتجارة الطيب.

4. سوق صنعاء: سوق مشهور وحر، اشتهر بالطيوب، ويصعب التعرف على معالم هذا السوق القديم في زحمة أسواق صنعاء المعاصرة التي يمكنها أن تنقلنا لتلك الأجواء القديمة. كان يباع فيه القطن والزعفران والأصباغ والبز والحرير.

5. سوق قتبان: وهو السوق الشهير الذي ارتبط اسمه مع لائحة القوانين التجارية التي نقشت في مسلّة ووضعت في وسطه وقد ذكرناها بالتفصيل في الفصل الخاص بالقوانين اليمنية.

فهرس الأعلام

أ

ت

ث

ج

ن

و

ي

فهرس الأماكن

أ

ث

- **د**

ي

فهرس المصطلحات

أ

ب

ث

س

ص

ط

ع